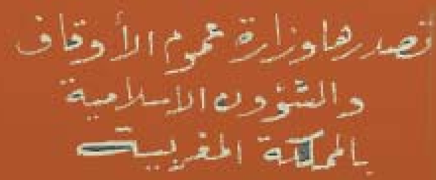




في هذا العدد





العدد الرابع – السنة الرابعة عشرة – صفر 1391 – ابريل 1971

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الرابع .
السنة الرابعة عشرة
أبريل 1971
صفر 1391
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد



كتب احدهم يقـول :

لا اكتمكم انني من المتتبعين المهتمين بمجلتكم الغراء التى تحفـل بالدراسات الادبية والفكرية ، وشؤون الثقافة عامة ، التى هي عصارة القرائح الخصيبة ، ونتاج الفكر الناضج السليم ، وقد لاحظت انها اخذت تغلب عليها المظاهر الادبيـة وجنحت اخيرا الى الاهتمام بميادين الادب ، ورحاب الدراسات التى تمس فقه اللغة فى الصميم ، ولاسيما ما يتعلق بقضايا الشعر ومذاهبه ، بالاضافة الى الكـلام عن التيارات العلمية والتاريخية التى ربما قد تخرجها عن اطارها العام ...

وقد بدا لي ، كما يتفق معي بعض الاخوان ، أن مجلتنا الاسلامية لم تعـد ، كدأبها ، تهتم بالدراسات الاسلامية كما عهدناها فيما مضى ، كما لم تترسم شعارها الذى يلخص هدفها فى كلمتها الصغيرة الكبيرة ((دعوة الحق)) .

اننا يا سيدي ، الاستاذ ، فى حاجة الى تنوير ديني للرأي العام اكثر من أي وقت مضى ، لاسيما فى عصر طغت فيه المادة الجافة ، وتسرب الى شبابه الالحاد الكافـر ، وتفشت بين افراده الاثرة والأنانية ، فنات به عن الصراط السـوي ، وطوحت به ، او كادت ، فى مجاهل قفراء تتخطفه الطير ، أو تهوي به الريح فى مكـان سحـيـق ...

وتقبلوا سيدي عاطر تحياتي

المخلـص ...

* * *

هذه رسالة كريمة من أخ مومن كريم ، تفيض روحا دينية صادقة ، وتنم عن مشاعر الغيرة الخالصة ، وتتلمس طريقا لاحبا للخلاص ، وتعبر عما يعتلج في الصدر ، ويستوقد الضلوع عما يراه الانسان في دنيانا من انحراف اعمى ، وعدم اعتدال وانضباط ، وحضارة اجنبية واغلة افسدت العقول والافكار ...

اننا في الحقيقة لم ننحرف عن منهجنا الذى التزمناه ، ولم نحد عن خطتنا ، ولم نفش ميادين بعيدة عنا تنأى بنا عن القصد ، وتجنح الى ثنيات الطريق .

فمجلتنا « دعـوة الحـق » يا سيدي جعلت وكدهـا اولا وقبل كـل شـيء الاهتمام بالدراسات الاسلامية، وقضاياها الكبرى ، وحرصت جهدها ان تستقطب حولها نخبة من ذوي الكفايات القادرة الذين يدركون مسئوليتهم والتزاماتهم تجاه الدراسات الاسلامية ، والابحاث الدينية ؛ ولئن كتبـوا بيـان واسع ، وافاضة وافية ، فان سبيلهم في ذلك هـو الديـن ، لان غايـة الادب ، ودراسـة الشعـر ومذاهبه ، وفقه اللغة ، ومعرفة اسرار الكلام هي ادراك اعجاز القرآن ، والوقوف على الاسباب الخفية التي يرتفع بها شان الكلام ويعلو مقامه عنـد ذوي الـذوق السليم ، والاحساس المرهف ، والشعور الدقيق ..

ان تعاليم الاسلام ، وشرائع الله التى بلغت الى البشر كافة كانت مفتقرة الى الادب ، لانه لب التعليم ، وجوهر الثقافة ، واكسير الحياة ، فلا يمكـن محاربـة المادة الجافة الا بالادب ، ولا مقارعة الالحاد الكافر الا عن طريق الدين ، ولا قهـر الانانية المقيتة الا بالتضحية والايثار ..

ولولا عقول الانبياء الراجحة ، وافكار الهداة الصائبة التى فجر الله منابـع الحكمة من قلوبها ، وافاض انهـار البلاغة من لسانها ، لاصيبت الامم في مقاتلها ، واستولت عليها عقلية اجنبية تطمس معالم مقوماتها ، وعريق حضارتها ، وتمسخ عقولها ، وتجردها من نعمة الحضور والوجود وتتسلط على افئدتها لتصبح جسما بلا روح ، وقلبا بلا وجدان .. وكانها عدم من الاعدام التى لم يسبقها وجود ...

وما من شك في ان الادب الذى نقصد هو ادب اللسان الذى يحوي المعاني الشريفة ، والمبادىء السامية ، والافكار النيرة التى هي عماد أدب السلوك الذى ينتهي بالانسان الى المعنى الشريف الذى قصده الرسـول في قولته العاليـة : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

وما من شك، ايضا، في ان الادب الذى نقصد ، هو ذلك الادب الاسلامـي الانساني الذي يخلق من الاديب انسانا فاضلا، لا يمكنه ، ازاء ما يجري في هذه الحياة ، ان يبقى مكتوف اليدين امام ما يعتري الافراد أو الجماعات في كل مكان من حوادث وكوارث ، واضرار واخطار ، وضروب الغبن والاهانة ، بل ولا مبرر لبقائه في برجه العاجي لاهيا ، وكان في أذنيه وقرا ، متصامما متعاميا عـن نـداء المعذبين في الارض الذين اذيقوا لباس الجوع والخوف ، بل يسعى لاشاعة العـدل والخير والجمال ، وبثها في قلوب الناس ...

وما من شك، أيضاً، في أن الادب الذى نقصد هو ذلك الادب الذى يغذي نهضة الامم ، ويقوي وحدتها ، ويحقق آمالها ، ويجسم امانيها ، ويعبر عن مشاعرها ووجدانها ويتغيا بناء حضارة ناضرة ثابتة الاصول ، سامقة الفروع ، باسقة الاغصان ..

وان العرب الذين عرفوا بالبلاغة والفصاحة ، والنصاعة والبيان ، لم تخالط بشاشة الايمان قلوبهم ، ولم يومنوا برسالة الرسول ، الا لانهم سحروا بالادب العالي الذى انزله الله من السماوات العلا ، ومن هنا يرى بعض العلماء أن هناك قدرا من التلازم بين الاسلام ولغة العربية وآدابها ، وكلما ارتفع شأن الاسلام ، وشاعت احكامه ، ازداد معه مقام اللغة العربية قوة ومتانة، ورفعة وانتشارا، وان اللغة العربية كلما ارتفع شأنها وعم انتشارها ، وازدادت درجة التعمق فيها ، والدراسة لعلومها ، ازداد بذلك امر الاسلام ظهورا ، واصبح السبيل الفكري اليه اشد جلاء واستقامة ووضوحا ...

والقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة لم يستغن العرب على فهمهما الا بالشعر العربي الذى هو ديوان العرب الذى فيه تفسير كتابنا العزيز . وقد قال عمر رضي الله عنه حين تلا قوله جل وعلا : « افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف . »

ما تقولون فيها ؟..

فنهض ذلك الهذلي . وقال : هذه لغتنا . التخوف : التنقص .

وانشد قول ابي كبير يصف ناقته :

تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر رضي الله عنه : « عليكم بديوان العرب ، فان فيه تفسير كتابكم » ...

وهذا لفظ « القرء » الذى ورد ذكره فى القرآن لدى قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء »

ما المراد به ؟.. اختلف العلماء .. فمالك بن أنس الاصبحي رحمه الله ذهب الى أنه الطهر ، وحجته فى ذلك قول الاعشى :

أفى كل عام انت جاشم غزوة
تشد لأقصاها عزيم عزائكا

موروثة مـالا ، وفي الحـي رفعـة
لما ضـاع فيها من قـروء نسائكـا

وأبو حنيفة النعمان الكوفي رضي الله عنه ذهب الى أنه الحيض ، ومستنده قول الراجـز :

يـا رب ذي ضغـن علـي قـارض
يـرى لـه قـرء كقـرء الحـائـض

وكلمة « الاب » في القرآن توقف فيها بعض كبار الصحابة ، فلم يدركوا لها معنى ، ولم يعرفوا لها حديثا .

فعن أنس أن عمر رضي الله عنه قرأ على المنبر : « فانبتنا فيها حبا وعنبا ، وقضبا الى قوله، وابا ، فقال : كل هذا قد عرفناه ، فما الاب ؟ ثم رفض عصا كانت في يده ، فقال: هذا لعمر الله هو التكلف ... فما عليك يابن أم عمر ان لا تدري ما الاب ؟.. ابتغـوا ما بين لك من هذا الكتـاب ، فاعملوا به ، وما لم تعرفـوه ، فكلوه الى ربه ... »

فلم يفهموا كلمة « الاب » الا من الشعر العربي الذي فيه تفسير كتابنا ، فهو الكـلأ والمرعى ، ومنه قوله :

جذمنـا قيـس ، ونجـد دارنـا
ولنـا « الأب » بهـا والمكـرع

وذكر بعضهم أن ما يأكله الآدميـون من النبـات يسمى الحصيدة والحصيد ، وما يأكله غيرهم يسمى الأب ، وعليه قول بعض الصحابـة يمدح النبـي صلى الله عليه وسلم :

لـه دعـوة ميمونـة ريحهـا الصبـا
بها ينبت الله الحصيـدة والأبـا (1)

وهذا قوله عليه السلام : « قصوا الشارب ، واعفوا اللحى . » فما المراد بمدلول الفاظ هذا الحديث :

---

(1) ذكر ابو حيان التوحيدي في كتابه « الذخائر والبصائر » ما يلي :
قال انس : ان عمر رضي الله عنه قرأ : « وفاكهة وابا » فقال : « هذه الفاكهة قد علمنا .. فما الاب ؟ ثم وضع يده على رأسه وقال : « ان هذا لهو التكلف ، وما عليك يابن أم عمر الا تعرف ما الاب ؟
هذا طريف ، ان عمر فوق ما ظن به الراوي ، عمر رضي الله عنه يوزن به بشر كثير لسعة علمه وحلمه وفضله ، واللغة لسانه ، وليس عليه نصب في معرفتها ولا مشقة ...

فقد ذهب قوم الى أن معناه : وفروا وكثروا ، وحجتهم في هذا قول جرير :

ولكنا نعض السيف منها
باسؤق عافيات اللحم كوم

وذهب آخرون الى ان معناه : « قصروا ونقصوا ، وحجتهم في ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

تحمل اهلها منها فبانوا
على آثار من ذهب العفاء

وهل يمكن الجاهل باسرار العربية وآدابها ، وموطن كمالها وجمالها ، أن يذوذ عن القرآن فيما عساه أن يخفى من وجوه الاعراب ، فيدرك ما قاله علماء البلاغة الذين جروا في اساليبها على عرق مثلا في قوله تعالى :

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابون » .

* * *

وقد انتهى فقهاء الاسلام الى وجوب تعلم العربية وآدابها وعلومها حتى ان الامام الشافعي رضى الله عنه ذكر في « رسالته الاصولية » انه : على كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد به ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك ، وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم به نبوته وانزل به آخر كتبه كان خيرا له ...

... وانما بدأت بما وصفت من ان القرآن نزل بلسان العرب دون غيرهم ، لانه لا يعلم من ايضاح جمل علم الكتاب احد سعة لسان العرب وكثرة وجوهه ، وجماع معانيه وتفرقها . ومن علمها انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها ؛ فكان تنبيه العامة على ان القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه » .

وعلى كل فان اقامة الاسلام كما قال الشيخ رشيد رضا متوقفة على لغة كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل، سواء فيذلك هدايته الروحية ، ورابطته الاجتماعية، وحكومته العادلة المدنية ، وان المسلمين لم يكونوا في عصر من العصور احوج الى الوحدة المفروضة عليهم ، المتوقفة على هذه اللغة منهم في هذا العصر الذي تمزقوا فيه كل ممزق ، فاصبحوا اكلة لمنهومي الاستعمار ، ومستعبدي الامم والشعوب وصدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يوشك ان تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة الى قصعتها » .. الحديث .

* * *

ومن هنا ندرك ان رسالة الله التي أوحى بها الى أنبيائه ورسله كانت ولا تزال في منتهى الروعة البيانية وقوة البلاغة والاعجاز ، وسمو الآداب ...

كما ندرك أن ذلك التأثير الذي أثار عقول الامة العربية ، وأخرجها من الظلمات الى النور مرده الى ما فى القرآن من البيان المعجز ، والبرهان المقنع ، والحجة البالغة ، والادب الرفيع ...

وهكذا يستحيل علينا ان ننكر فضل الادب ، ونؤكد انه لا يتنافى مع مفهوم الدين ، ومنطوق الشريعة ، وحقيقة الاسلام ؛ فالادب الصحيح يفتح البصائر ، وتنجلي بنور حكمه ومصون ذخائره عمايات النفوس ، وتنقشع غواشي الباطل الزهوق حتى غدت ثقافات الامم الاسلامية عقيدة الشعوب ، وعقلية الامم وينبوع الفضائل والفواضل ..

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالي كيف تبنى المكارم

واذا كانت « دعوة الحق » تعتز بالادب ، وتفخر بنصرة التراث ، فانها فوق ذلك ، وقبل كل شيء هي مجلة اسلامية ، جامعة لشؤون الفكر ، وقضايا الثقافة التي تعود فى نهايتها الى خدمة المسلمين ، واصلاح مجتمعاتهم ، وتوجيههم الى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ..

دعوة الحق



احتفل المغرب في جو من الفرح والحبور بالذكرى العاشرة لتربع جلالة الملك المعظم الحسن الثاني على عرش اسلافه المنعمين ، ونظمت الجماهير الشعبية في كل مكان مهرجانات اظهرت مشاعر الحب والتعلق والولاء لرائدها العظيم وقائدها الخالد ، وابانت عن عواطف الاخلاص والامتنان والشكر لرائد مسيرتها المظفرة وقائد معركتها ونضالها .

وترأس جلالة الملك الحفلات الرسمية التي اقيمت بهذه المناسبة بالقصر الملكي بمدينة فاس وحضر الحفل السادة الوزراء واعضاء السلك الدبلوماسي وكبار ضباط القوات المسلحة الملكية ووفود الدول الشقيقة والصديقة وممثلو الاحزاب السياسية والنقابات والمنظمات المهنية وعدد كبير من الشخصيات .

وقد بدات الحفلات الرسمية عندما اشرف جلالة الملك المعظم واصحاب السمو الملكي الامير سيدي محمد ولي العهد والامير مولاي عبد الله من احدى شرفات القصر الملكي على السادة الحاضرين الذين تجمعوا في ساحة القصر ، وعزفت الفرقة الموسيقية النشيد الوطني ثم اطلقت المدفعية 21 طلقة مثلما هو الشان في جميع المدن المغربية .

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي الذي القاه صاحب الجلالة واستمع اليه الشعب المغربي عن طريق الاذاعة وشاشة التلفزة :

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

استهل التوجه اليك بالخطاب باسم العزيز الوهاب وقد انسنا كلما حلت ذكرى جلوسنا على عرش اجدادنا رضوان الله عليهم ان نحتفل نحن واياك بهذه الذكرى احتفالا يستثير كوامن النفس وذخائر الوجدان لما يحمله هذا الاحتفال من صنوف المعاني ويدل عليه من ضروب الدلالات فالمسرة التي يشيعها في القلوب حلول هذا اليوم المحظوظ المحبوب وتهلل لها اديم الوجوه ، مردها الى الينابيع الثرة من المشاعر المتدفقة والى الاسراب من الذكريات المستثيرة والافواج من الافكار المتعاقبة على العقل المتواصلة بثلج الايمان وسكينة الاطمئنان .

فاذا كان احتفالنا بهذه الذكرى يفجر في القلوب مشاعر الاعتزاز بالماضي المجيد ، والحاضر الذي لا يجوز عن القصد ولا يحيد ، ويطلق العنان للتفكير الذي يوازن ويقارن ويحاسب ويراقب ويقدر ويقيس، ويستخلص النتائج والاثار ويفضي في نهاية المطاف

الى التزكية والرضاء والتسليم والاقتناع بصواب القصد وحسن الاختيار ، فما ذلك الا لان هذا الاحتفال بذكرى جلوسنا على عرش آبائنا الاكرمين ، يجسم اللقاء الاكبر بين عاهل البلاد وشعبه ويشخص ما بين عرش مملكتنا وبين آمال وطننا من وشيجة مكينة وموعد موعود .

وان الاصرة التى وثق عراها اخلاص الراعي للرعية ووفاء الشعب لقائده وحامي حماه ، لهي الاصل المكين الذى تقلصت عنه المطامح والمطامع ، والركن الركين الذى تحطمت على قواعده ودعائمه الغوائل والمكاره ، والبنيان الراسخ الذى صمد فى وجه صروف الدهر ونوائبه ، فامن معه كيان الدولة عوادي الاندثار والانهيار ، وأمكن به الانبعاث والانطلاق ، والاسراع الى تقويم المناد وتدارك النقص وتلافي الخلل برسم اهداف الانتقال من طور لا ترتاح اليه النفوس الى طور ترتديه وتبتغيه وترتضيه وتحديد اغراض التحول من حال العطل والعوز والافتقار الى حال الرغد والرخاء والازدهار.

ومنذ اناط الله بنا شعبي العزيز رعاية شؤونك ووكل الينا تصريف امورك ووقف علينا النظر فيما يدر الخير عليك ويجسد السعادة فى رحابك منذ ذلك اليوم واخلاصنا لك اخلاص لا يلحقه نقصان ، ووفاؤك من جهتك لشخصنا وفاء لا يعتريه تقصير او خذلان وقد شاءت عناية الله ان تزيد على تراخي الايام الصلات بيننا وبينك استصحابا واستحكاما والمشاعر المتبادلة والعواطف المتقاسمة تعزيزا وتأكيدا والتناصر والتآزر والتكاتف والتضافر تمكينا وتوطيدا .

ولئن خلا على مسيرتنا واياك عشرة اعوام كاملة فان هذه الحقبة من الزمن شهدت من اعمالنا واعمالك وجهودنا وجهودك ما يدعو الى التفاؤل ، والاستبشار ويؤجج الهمم والعزائم ويلهب الارادات المتطلعة الى اقتناء المحامد والمكارم .

لقد صرفناها شعبي العزيز جميعا متساندين متكافلين فى ارساء قواعد الاستقلال المستعاد واعلاء شأن وطننا بين الاوطان واعزاز جانبه بين الانداد والاقران ، وهكذا طوينا جميعا صفحات من تاريخ هذه الاعوام العشرة السالفة، سطرناها متعاونين على اديمه الناصع من مساعيه الناجحة ما يقوم شاهدا على سابق اخلاصنا وثابت ولائنا للوطن العزيز وعطرناها بالغر من اعمالنا المتواترة المترادفة الناطقة بما وفقنا الله اليه من جميل المقاصد الدالة على ما حبانا به من يانع القطاف وجني الثمرات

وفى اثناء هذا الظرف من الزمان واليت استقصاء خطانا بتدبر واستبصار وفحصنا ما اليه رمينا وقصدنا ، واتجهت اليه الرغبة والمراد وما اجمعنا عليه الرأي ووقع عليه الاختيار وما انجزته عنايتنا من مشاريع لصالحك وحرصنا على تحقيقه من برامج لرفع مستواك وتحسين احوالك .

وتتبعنا نحن ما اسهمت به من اعمال والزمت به نفسك من مشاركة فى التحقيق والانجاز تتبع الساهر الذى يؤرقه الحدب والرعاية ويصاحبه حيث ما حل واقام الانتباه والاهتمام ، فافضى ما بذلناه من جهد وجهيد وسعي مديد وأوليناه من اعتناء عتيد وما ساندت به دؤوبنا وآزرت به طموحنا افضى الى الثقة التى استحكمت بيننا وبينك على مر الاعوام والتجاوب الذى توالت مظاهره ومآثره بتوالي الحقب والازمان .

وبفضل توافق المطامح والغايات وترافق العزائم والارادات وتساوق الكثير من صالح المنجزات يخيل الينا ان العقبات ولو كانت كأداء غير قادرة على ان تصدنا عن سبيل القصد وان الحواجز اية ما كانت عاجزة عن الحيلولة بيننا وبين بلوغ ما رسمناه لانفسنا من اهداف وسلوك ما تبيناه من طريق فى الاخذ مما توخيناه من تنفيذ وتطبيق .

وليس بعازب عليك شعبي العزيز ان الظروف التى عرفتها بلادنا قبل الاستقلال وبعده اقتضت منا ان نساهم بحظنا الى جانب والدنا جلالة محمد الخامس رضي الله عنه وارضاه فى معركة التحرير ودعم الاستقلال المستعاد ، فقد كتب الله لنا ان نشارك فى عهد الحجر والحماية والحرية والانطلاق بالراي الصادق الامين والمساعدة فى كل آونة وحين وقيادة الاركان العامة للقوات المسلحة الملكية والنيابة عن العاهل الراحل اسكنه الله فسيح جنانه وتغمده بواسع رحمته وغفرانه فى حالي حضرته ومغيبه وسفره ومقامه .

كما كتب لنا من قبل ان نقاسم الملك الالمعي الهمام والبطل المقدام طيب الله ثراه واحسن مثواه اطوار السراء والضراء والتضحية والفداء

فكان لنا من هذا كله ، مترابس بمعالجة المشاكل وتأهيل لتحمل المسؤولية العظمى ولم تنحصر جهودنا

فى الاعوام العشرة السالفة وانما كانت هذه الجهود المبذولة باساوبنا الخاص وطريقتنا التى الفتها منذ جلوسنا على عرش الدولة العلوية امتدادا واستمرارا لما تقدمها من مجهود عرفت مداه وسعي لم تغب عنك جدواه .

فاذا نحن احتفلنا اليوم بالذكرى العاشرة لمبايعتك لنا والقائك الينا بزمام امرك وانت مؤمن بحسن تصريفنا لشؤونك وبالغ عنايتنا بامسك ويومك وغدك مثلما آمن آباؤك الاولون بحدب اجدادنا الاكرمين ورعايتهم لسالف عهدهم ، واهتمامهم بما جل وصغر من احوالهم فانما هو احتفال تمجيد للاسترسال وتكريم للجليل من المبادرات والاعمال التى نامل ان تتواكب وتتعاقب وتتيح لنا ان نخاطبك فى مثل هذا اليوم مرات بعد مرات مشيدين ومنوهين .

فالحمد لله الذى عززنا بتأييده وثبت خطاتنا بتوفيقه وتسديده وعرفنا مسالك الهداية ومهد لنا سبيل الوسائل والاسباب التى نرجو ان تدرك بها الاهداف القريبة والاغراض المترامية البعيدة .

وان من نعم الله التى تستوجب منا الذكر العاطر والثناء الوافر والشكر الذى يضاعفها بالعمل الصالح والسعي الناجح ان يسر الله لنا خلال السنة المنصرمة الانكباب على اصناف شتى من القضايا البالغة الاهمية وسهل لنا طريق البث فيها بما نامل معه جميل ثوابه وكريم احسانه والنفع العميم والخير الحافل المستديم .

شعبي العزيز :

سنتناول فى خطابنا هذا كما فعلناه فى السنة الماضية القضايا التى تستأثر بالنصيب الاكبر من تفكيرنا والحظ الاوفر من عنايتنا سواء اتصلت هذه القضايا بشؤوننا الداخلية او كان لها ارتباط بالمشاكل الدولية التى تشغل البال وتقض المضاجع

وستجد شعبي العزيز مثلما كان الشأن فى ذلك كالسنة الماضية فى النشرات التى ستصدرها وزارتنا فى « الانباء » الاعمال التى باشرتها وزاراتنا على اختلافها والمنجزات التى تعتزم القيام بها خلال السنة الجارية .

شعبي العزيز :

ان المغرب بلدك هذا منذ ان يسر الله له سبحانه وتعالى ان يتمتع بجميع مقومات الدولة التى هي معروفة فى العرف الدولي من حدود معترف بها وجنسية مكرمة وعلم ووطن منذ ذلك اليوم وهو يجاهد ويقاتل ويعمل ويجد ويكد ليبقى ذلك المغرب الذى اراد أن يبقى ويستمر .

وكان جهاده فى كل عصر من العصور وفى كل قرن من القرون يكتسي الوانا وضروبا للدفاع عما يراه ضروريا ان يدافع عنه لدرء مفسدة او جلب مصلحة .

ومما انعم الله به على هذا البلد الامين انه فى كل المعارك التى قام بها على ممر العصور والقرون خرج من معركته منتصرا مرفوع الرأس وفى السنين الاخيرة اراد الله بهذا البلد ان يمتحنه وأن يبلوه فجعله يرزح تحت ثقل وعبء العبودية والحجر والحماية ، وذلك ليبلوه كما قلت مرة أخرى حتى يعرف هل شوكته لا زالت تلك الشوكة المعروفة ؟ هل غيرته لا زالت تلك الغيرة المعروفة ؟ أم المغرب الذى عرفه اجدادنا لم يكن المغرب الذى عرفناه .

واننا لنحمد الله انه ترك المغاربة تركهم اسدا جندا ابرارا لا يرضون الضيم فخاضوا معركة التحرير بقيادة والدنا محمد الخامس طيب الله ثراه الى ان انتصر المغرب فى معركته والى أن بدلنا من حال الى حال وابدلنا نظام الحماية بنظام الحرية .

معركتنا اقتصادية

ولم ترد عناية الله ولم يرد طموحنا جميعا كذلك ان نقف عند حدود تلك المعركة ، معركة التحرير السياسي بل ابت عناية الله الا ان نتفتح وتتفتح اذهاننا امام المعركة الحاسمة الجديدة معركة النصف الثاني من القرن العشرين الا وهي معركة الازدهار الاقتصادي .

كان من الممكن ان نغفل عن هذه المعركة كان من الممكن ان نبقى كما بقيت دول تتشدق بالشعارات واللافتات نتيه بين الخرافات ونتيه بين المذاهب الفلسفية ناسين ما علينا جميعا ملكا وشعبا وحكومة من واجب لرفع مستوانا ولضمان العيش لابنائنا وهذه المعركة معركة القرن العشرين فى نصفه الثاني

كما قلت لكم هي معركة اقتصادية بالاساس معركة اتى فيها اربعة :

فلاحـــة
صناعـة
سياحـة

سبق لنا ان تكلمنا معكم وتذاكرنا معكم عما نراه فى الناحية الفلاحية او الصناعيـة او التجاريـة او السياحية ولا نريد هنا ان نكرر ما جاء ولكننا نرى بهذه المناسبة التى هي مناسبة عزيزة عليك شعبـي العزيز وعلي ، ان نضع بعض المعالم فى طريقنا حتى لا نخرج عن الطريق او نحيد .

نرى من المناسب ان نلقي فلسفـة وان نضـع خططا حتى يعلم كل واحد منا جنوبيا كان أم شمالا شرقا او غربا كان آمرا او مؤتمرا كان موظفا ساميا او كان مواطنا عاديا حتى يتمكن لنا جميعـا من ان نعرف ما هي الاهداف وما هي الخطى التى ستؤدي الى الوصول الى تلك الاهداف .

ان المغرب كجميع الدول النامية يجد نفسـه حينما يتناول مشكل الفلاحة امام مشكلين : ربمـا يظهر من الصعب التنسيق بينهما والجمع بينهما الا وهو المشكل الاجتماعي والمشكل الاقتصادي فيمـا يخص الاراضي الفلاحية .

ولكن هنا يجب علينا ان نتريث ويجب علينا ان لا يطغى علينا الجانب الاجتماعي السطحي بالنسبـة للمشكل الاجتماعي الحقيقي الا وهو تجنب توزيـع الفقر واتباع الطريق المثلى وهو توزيع الغنى .

وحينما اقول هذا اريد شعبي العزيز ان اوضح شيئا ما تفكيري وفكرتي : اذا نحن فى سنة 1971 ركبنا السياسة السهلة التي تؤدي بنا الى ان نوزع الارض على كل فلاح ، وان نعطـي لكل واحـد مـن الفلاحين قطعة لا تتجاوز خمسة هكتار فلربما نرضيه حالا وسوف نزعجه مآلا .

والغنى الذى قد نكون قد وزعناه فى سنة 1971 سيصبح فقرا بعد عشر سنوات اذا ما تزوج ذلـك الفلاح وولد اولاده وكبروا ولم يجدوا ما يتفقون بل سوف يتعدى ذلك الفقر تلك الاسرة الصغيرة ليمتد الى الاسرة الكبيرة الا وهي الوطن المغربي .

وبمليون هكتار الذى نريد ان يكون كله مسـقيا سوف يمتد ذلك الفقر الى هذه المجموعة حيث اننا سوف لا نخـرج من تجـارة الاستهـلاك واستثمـار الاستهلاك بل سنبقى فيه والحالة هذه اننا نامل ان يكون انتاجنا الاقتصـادي مجيبـا الى الحاجيـات الصناعية ومجيبا الى الاسواق الداخلية والعالميـة والجهوية حتى نخرج من تجارة الاستهلاك الى تجارة التبادل على أكبر مستوى وفى اوسع نطاق .

فحينما نقول الاصلاح الفلاحي والزراعي لا نعني بهذا اننا من الواجب علينا ان نعطـي لكل مغربـي مغربي حظا من الارض وقد توصلنا الى عمليـة حسابية سهلة : اذا قدرنا ان المغاربة يبلغ عددهم 14 مليونا واذا كانت نسبة الفلاحين فيها بمثابة 80 فى المائة سيصبح الفلاحون عددهم 11 مليونا فاذا نحن اعطينا لكل واحد منهم 5 هكتارات كما يقول البعض او يتمشـدق به البعض سيصل هكتار واحد الى 11 مليون هكتار واذا نحن اعطينا 5 هكتارات لكل واحد ستصل الى 55 مليون هكتار بمعنى الى ما يزيد على 500 الف كلم مربع .

فحينما كنت اقول لكم بأن المغرب اتجـه الى خوض المعركة الاقتصادية بمعزل عن الديماغوجيـة وعن الاحلام وعن الترهات أقولها وأنا ارتكـز علـى ارقام .

فلا يمكن اذن ان نعطي لكل مغربـي مغربـي 5 هكتارات وحتى ولو تمكنا من ذلك لاعطينـاه هـذه السنة الغنى وفى السنوات المقبلة الفقر المدقع .

وكيف الخروج من هذا كله ، الخروج والمناص هو اننا نرى فلاحتنا فى مجموعة اقتصادية شاملـة جامعة بين فلاحة وفلاحة صناعية وتجارة على الصعيد الاقليمي والجهوي والوطني ونطـاق البحر الابيـض المتوسط والقارة الافريقية والاوربية

فاذا نحن عرفنا كيف نخلق الوحدات الفلاحية التى تعطي لكل واحد من الفلاحين الحـد الادنى من الارض ليعيش الآن وفى السنـوات المقبلـة عيشة مرضـية غنية واذا نحن خططنا تخطيطا فلاحيا وجمعنا الفلاحين لا اقول فى تعاونيات ولا اقول فى انظمـة اشتراكية قد دلت التجربة على فشلها ، ولكن فى اطار عقدة من عقد التعامل التى تعمل بها بين الجيران وبين الشـركاء فاذا نحن اخذنا براسنا وذهننا وافكارنا وخرجنا من الطرق المعروفة لنتخطى العقبات ولنبحث

عن مناهج جديدة واذا نحن اتعبنا النفس واتعبنا التفكير ، لنا اليقين اننا سنصل الى ان نعطي الارض لاكثر ما يمكن من الناس ونعطيهم حظا اكثر من 5 هكتارات ونعطيهم الغنى فى الحال والمال واكثر من هذا ان نعطي الشغل لكل من يجاور الفلاح من صناعة فلاحية ومن تجارة فلاحية ومن رواج فى الداخل والخارج .

لذا ارجوك شعبي العزيز ارجوك ان لا تنساق الى بعض الاقوال والى بعض الاحلام التى تلذ فى العين ولكن لا تلمسها اليد بل لنذهب نحلم جميعا انا واياك لا بالترهات ولا بالمذاهب الفلسفية الفارغة التى اكل الدهر عليها وشرب ولكن لنحلم بالابتكار نحلم بالماضي المرتكز على الغنى وان كانت طريقته صعبة عوضا عن الفقر ولو كانت طريقته منكمشة وراء احلام لذيذة شيقة .

على صناعتنا ان تكون مبنية على اسس حاجيات البلاد

اما العنصر الثاني من عناصر الازدهار الاقتصادي ، فكما قلت لك آنفا ، هو مبني على الصناعة والصناعة فى بلدنا هذا موقوفة على اشياء متعددة ومن جملتها موقوفة على استثمار رؤوس الاموال الاجنبية .

وثانيا على استعمال رؤوس الاموال المغربية فى غير الميادين التى عملت فيها فى الماضي

فصناعتنا عليها ان تكون مبنية على اسس حاجيات البلاد

عليها ان تكون مكملة لما نستورده من الخارج

عليها كذلك ان تكون مرسومة بدراسة دقيقة لجودة المنتوجات واسعار المنتوجات

وهنا شعبي العزيز اريد ان اتكلم معك فى هذا المشكل الذى تحس به اكثر مما احس به الا وهو مشكل الاسعار ومشكل الاجور

مشكل الاسعار والاجور

من اعوص المشاكل تحديد الاسعار بكيفية تقنية وعلمية وللوصول الى هذا التحديد نرى من الواجب فى ذهننا جميعا ان نقسم الاسعار حسب المستهلك

فهناك الاسعار لما يستهلك وهو ضروري مستورد كان ام غير مستورد .

هذه اسعار على الدولة ان تعمل ما فى امكانها ان لا تتصاعد .

هناك اسعارها تستهلك ولكن هو غير ضروري هناك على ما تراه الدولة من ضروري مدخول الجمارك عليها ان تضع اسعارا على هذا النوع من المستوردات .

وهناك ما يستورد قطعا ويركب فى المغرب
وهناك ما يستورد وهو متمم التركيب .

وفى كلتا الحالتين علينا جميعا ان ندرس وعلى حكومتنا والتقنيين ان ندرس جميعا ما هو ثمن المادة الخام ؟ وما هو ثمن اليد العاملة فى صناعة ذلك الشيء المستهلك ؟ وما هو الربح الضروري لكل صانع او منتج ؟ واذ ذاك نحدد السعر مما نستورده مقطعا ونركبه هنا او نستورده كاملا ونبيعه هنا .

فاذا نحن فسرنا فى اذهاننا مستهلكاتنا فى هذه الاقسام الاربعة سهل علينا اذ ذاك ان نضع العملية الحسابية التى قلناها آنفا .

ولكن هل معنى هذا ان تحديد الاسعار سيجعلنا لا نكب على مشكلة الاجور ؟ ابدا

الفت مني شعبي العزيز ان اخاطبك بالصراحة

انك الفت مني شعبي العزيز ان اخاطبك بالصراحة وان اقول لك ما فى نفسي وما فى قلبي .

والحقيقة شعبي العزيز انني اتألم مثلما تتألم من عدم رفع مستوى الاجور

فمنذ سنوات ارتفعت الاسعار بكيفية باهظة وبقيت الاجور ما بقيت عليه .

وانك لتعلم انه لو كان لنا من الموارد ما يمكننا من رفعها فى الحين لفعلنا ، ولسارعنا الى فعل ذلك .

الا اننا اصدرنا اوامرنا الى حكومتنا لتعكف وتعمل على دراسة مشروع يمكنها كل سنة او كل سنتين ، او كل ثلاث سنوات من وضع اجور الطبقة المعوزة من الموظفين او المتوسطة من الموظفين

بكيفية معقولة لا تؤدي بصحة عملتنا الى مرض ولا تؤدي كذلك بزيادة الى ان يقال فيها انها زيادة غير مجدية .

فاذا نحن درسنا الاسعار دراسة تقنية وتركنا للمنتج والتاجر وللصانع ربحه المشروع .

واذا نحن من جهة علمنا وعكفنا على دراسة الاجور ورفع مستواها لا دفعة واحدة ولكن بنسبة مائوية كل سنتين او كل ثلاث سنوات سيمكننا ان نجعل ذلك البون الشاسع والفرق الكبير الذي هو موجود بين اجور واسعار اليوم فرقا وبونا يتقلص ببطء حتى يمكن للاجور والاسعار ان تسير في القريب العاجل سيرا متوازيا .

التجـــارة

اما التجارة فكما تعلمون ليست هي التجارة التي قلت لكم تجارة الاستهلاك ، الاستهلاك الداخلي ولكن هي التجارة ، التجارة على الصعيد ، صعيد القارات ، فالمغرب ينتج مواد فلاحية ومعدنية وصناعية وربما ينتج ان شاء الله ما نامله ان ينتج بحول الله وقوته ومنه وكرمه ، فاذا على منتوجاته فلاحية كانت ام معدنية ام صناعية ان تكون اولا جيدة وان تكون ثانيا تستجيب الى رغبات الزبناء وثالثا يجب ان تكون اثمانها متناسبة مع الاثمان التي يعمل بها في الخارج وعلى تجارنا ووزارتنا في التجارة والصناعة ووزاراتنا في الفلاحة ومن جميع وزاراتنا الاقتصادية ان ترى ان تجارتنا لا يمكنها ان تسير الا اذا رأت انها لا تعمل داخل المغرب فقط ولا داخل مجموعة من دول فقط وانما تريد ان تتسع وتزدهر وان تفوق آفاق المغرب وحدود المغرب .

تعليق الآمال على السياحة

اما السياحة فانت تعلم شعبي العزيز ما اعلق عليها من آمال لانها هي التي ستدر الخير العميم على هذا البلد الامين من العملة الصعبة .

هذه هي شعبي العزيز مقومات واساس المعركة الاقتصادية ونمو الازدهار والنمو بالازدهار الاقتصادي الذي دعوتك اليه والذي نخوض معركته منذ عشر سنوات ، ولا يتأتى الانتصار في هذه المعركة ، لا يتأتى الا بشرط واحد ، الا وهو تكوين الاطر الصالحة تلك الاطر التي بدونها لا يمكننا ابدا ان نعمل اي عمل مجدي ، علينا ان نكون اطرا صالحة ، واعية صبورة ، اقول صالحة ، واتوجه الآن الى الشباب فاقول له :

معركة الشباب معركة طويلة

ان المعركة التي تخوضها، ايها الشباب المغربي، هي معركة طويلة ، يجب عليك وعلينا نحن ، ان نختار السلاح الذي سنتسلح به لخوض معركة الحياة فبعد التفكير والتنقيب ، وجدت نفسي شخصيا امام تجربتين من اعجب ما يمكن ان تكون التجربة وهناك تجربة راسمالية محضة وهي تجربة الولايات المتحدة وهناك تجربة اشتراكية محضة وهي تجربة الاتحاد السوفياتي ، وكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، امكنه ان يخترق الفضاء وان يصير عملاقا من عمالقة التاريخ .

لماذا ؟ لانه لا هذا النظام ولا ذاك كل بوسائله قرر الا يجعل من الكليات ملجا خيريا فلا يدخل للكلية الامريكية كيفما كانت ولا يدخل للكلية الروسية كيفما كانت الا حقيقة من كد واجتهد وجاهد طيلة السنوات الابتدائية والثانوية والعليا ، وتمكنوا بذلك ان يخلقوا جيلا شابا فتيا في آن واحد صالحا في آن واحد وان يدخروا اموالا جسيمة وان يتداركوا الاموال التي دفعوها في اختراعاتهم ، وفي انتاجهم الصناعي والتقني .

لا يمكن ان تكون المدرسة او الكلية ملجا خيريا

فعلينا اذن ان ننظر الى تعليمنا بعين جديدة ونفكر فيه بتفكير جديد ، ولا يمكننا ان نفكر في هذا الباب الا اذا فكرت انت بدورك ايها الشباب المغربي على ان المدرسة والكلية لا يمكن بحال من الاحوال ان تكون ملجا خيريا ولا يمكن بحال من الاحوال ذلك البيت الذي يذهب اليه التلميذ او الطالب ، آونة ويخرج منه آونة اخرى ولا يمكن باي حال من الاحوال ان تكون لا المدرسة ولا الكلية مجالا للعبث ومجالا للرخصة وانما هي مجال للاقتناء وللعلم وللتعلم ، على اطرنا بعد ان تكون صالحة ان تكون واعية، واعية بجسامة ما هو ملقى على عاتقها ، واعية بما تشب اليه همم المواطنين فعلى الالاف من

الذين يتكبون على الدراسة أن يعلموا أن الآمال المعلقة عليهم ليست مقصورة على أوليائهم وآبائهم ولكن هي آمال المجموعة المغربية كلها فكل مغربي يتعلق امله بذلك المهندس كل مغربي امله معلق بذلك الطبيب ، كل مغربي امله معلق بذلك الجيسوبي ، كل مغربي امله معلق بذلك الاستاذ ، فاذا وعت اجيالنا الصاعدة ، واطرنا الناشئة ، فاذا وعت واحست بان الآمال المعلقة عليها لا تنحصر في اسرتها وانما هي آمال كل من يراها تغدو وتمسي وهي رائحة من المدرسة اذا وعوا بهذا كله وفهموه وتفهموه لي اليقين أن غيرتهم الوطنية وحسن مواطنتهم ستجعلهم يتكبون على دراستهم باستمرار ووعي

على اطرنا ان تتواصى بالصبر

واخيرا على أطرنا ان تكون صبورة ، صبورة لاننا نعمل فوق ما في جهدنا لارضائها ولكن لا يمكننا أن نعطي اكثر مما عندنا ولا يمكننا ان نجعل من ميزانية التعليم ميزانية تستهلك جميع الموارد للدولة ولتعلم اننا كل ما وفرنا شيئا من المداخيل الا وكانت اهابه الشيئة ولهذا الشباب الحظ الاوفر لتلك المداخل

قلنا شعبي العزيز ان المعركة التي نخوضها هي معركة الازدهار ، وحللنا مراكزها وحللنا اسسها وبعد ذلك حللنا شروطها والان بقي علينا ان نقول بأننا لم نستكمل بعد جميع عناصر الثروة المغربية وان بعض العناصر من هذه الثروة خارجة من ايدينا منها عنصر فلاحي ومنها عنصر تجاري .

الارض للمغاربة لا لغيرهم

وانني لاتذكر انني غداة اليوم الذي تقلدت فيه امرك شعبي العزيز، قررت في مجلس وزاري وخرج بذلك بلاغ ان الارض لا يملكها الا المغاربة ، وقد استرجعنا اراضيك كما في علمك ، وها نحن منكبون على المشكل ، مشكل الاراضي التي ما زالت خارجة من أيدينا ، اما التجارة فقد كنا وعدناك بالعمل على مغربتها في السنة الماضية ، ولم نغفل شعبي العزيز ، عن الوعد ، الذي وعدنا به الا اننا بعد الدرس والتمحيص وجدنا ان هذه المغربة يجب أن تسير سيرا محكما وان تتبع خططا معروفة والا تكون مغربة شاملة مجملة غير منظمة ولكن تكون مغربة دقيقة تستجيب للحاجيات المغربية، وتستجيب الى خلق ذلك المستوى العالي الذي تريد ان نرى فيه شعبنا يعيش ويترعرع فنحن منكبون على هذه المشكلة والمغرب حينما ينكب على مشكل التجارة ومغربتها ، لا يعتقد انه متناقض مع نفسه ، فهناك من يقول كيف يمكن للمغرب ان يصرح بانه تحرري وبانه يحب حرية العمل والمعاملات ، والحالة هذه انه يريد أن يمغرب جميع القطاعات التي بيد الاجانب ؟ اقول لا ، هناك فرق بين التاميم وبين المغربة من جهة وكما قلنا آنفا هناك مغربة دون مغربة، وكما قلت اخيرا املاء الميادين التي استثمرت فيها رؤوس الاموال الاجنبية ، من عهد الحماية الى يومنا هذا فيها من الميادين ما يمكن مغربته في الحين والحالة هذه ان هناك ميادين اخرى صناعية وفلاحية مثلا نحن في اشد الحاجة الى رؤوس الاموال الاجنبية ونحن مستعدون لاعطائها الضمان الكامل ولنا الامل في ان الاطراف المعنية ، ستعير اعتبارا لموقف المغرب وستنظر بعين التقدير الى اننا نريد ان نحل هذه المشاكل حلا عادلا حلا مطابقا لسياستنا التي سرنا عليها دائما الا وهو حل المشكل بالتفاوض وعن طريق الحلول القانونية التي لا تضر بطرف ولا بطرف .

العاهل ينوه بموقف الرئيس السادات

هذه شعبي العزيز ، بعض الافكار وبعض التوجيهات التي راينا من واجبنا بهذه المناسبة ان نلقيها على مسامعك، بعض الافكار، وبعض المنجزات، وبعض المذاهب في الميدان الداخلي ولا نريد ان نختم كلمتنا هذه دون ان نمر بالميدان الخارجي ميدان سياستنا الخارجية ، فغير خاف عليك شعبي العزيز ، الظرف الدقيق الذي يعيشه العالم العربي الآن ، انه وجد نفسه امام اختيارات وان بعض الدول العربية رات وارتات ان تختار مواقف وان تقف مواقف ، وانني هنا بكل صراحة لاعتبر ان صديقنا الرئيس انور السادات كان من القادة الشجعان الذين عرفوا مخاوف الطريق ، ولكن مع ذلك ساروا في الطريق وهنا أقول له ولمن بلده محتل المغرب لا يعطيك اي درس ولا يلقنك أي درس بلدك محتل والمغرب مستعد لاعانتك انت وغيرك على تحرير الجزء المحتل من بلدك شريطة ان تحتفظ كما قلت وصرحت به بحقوق الشعب الفلسطيني حتى لا يضيع كما ضاع في الماضي فهنا اقول ، هنا اقول للصهاينة انهم عليهم ان يعلموا ان الخطوة الجريئة

التي قامت بها الجمهورية العربية المتحدة هي خطوة ستكتب في سجل الخطوات الحكيمة ، ليعلموا انها خطوة ، ليست خطوة جبن او خطوة خوف ، ولكن خطوة الحكمة تكون دائما منطلقا من القوة ومن القدرة على الحرب ، ليعلموا اننا عرب سنسير في طريق السلم ما امكن ذلك وما جعل ذلك مطابقا لشرفنا وكرامتنا ، ولكن ليعلموا انهم لا يمكنهم ان يتمادوا في طغيانهم وان يفسروا حكمتنا ضعفا ، وكما قلنا مرارا بعد مرار الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين ، وهناك وهنا أتوجه الى الدول الاربع فاجعلها امام مسؤولياتها واقول لها في يوم من الايام صرحت دولة عربية انها مستعدة ان تراجع كلا بالنسبة لاسرائيل فاذا انتم لم ترغموا هذه الدولة على ان تراجع موقفها فسوف ترتكب هذه الدول الاربع العظمى جريمة بالنسبة للتاريخ لا تغفر ولا تغتفر .

سياستنا الخارجية اتسمت بالانفتاح

وفي الميدان الخارجي كذلك في السنة الماضية استعادت الدولة المغربية والدولة الفرنسية علاقاتهما على مستوى السفراء وكان لهذه الاعادة للعلائق العادية اثر محمود على سياستنا المشتركة مع فرنسا واتاحت لنا هذه السياسة زيارة فرنسا والمذاكرة مع رئيسها صديقنا فخامة الرئيس بومبيدو .

واننا لنؤكد هنا اننا وجدنا فيه عزما اكيدا على السير مع المغرب في سياسة التعاون والاحترام المتبادل ، كما قررنا ان نلبي دعوة صديقنا فخامة الرئيس ريتشارد نيكسون لزيارة الولايات المتحدة في شهر ابريل المقبل ونحن مسرورون بهذه الزيارة وستتيح لنا الفرصة لمناقشة المشاكل المتعلقة بين البلدين ولرفع جميع وكل اشكال يمكن ان يفسره المفسرون حول علاقاتنا بالولايات المتحدة كما سيتيح لنا الفرصة بأن نتدارس معه الاوضاع الدولية وبالاخص الوضع في الشرق الاوسط ولا اريد هنا ان اذكر مسائل اخرى منها مثلا لقاؤنا بالرئيس هواري بومدين ولقاؤنا بالرئيس المختار ولد دادة ، في ميدان سياستنا الخارجية .

ففي الحقيقة هذه اللقاءات لقاء تلمسان ، ولقاء نواديبو ، هي ليست لقاءات من ميدان السياسة الخارجية ، ولكن اقول السياسة العائلية فكل منا ينتمي الى اسرة افريقيا الشمالية ، وكل منا ينتمي الى جهة تريد ان تثب برجالها وخيراتها وثبة تجعلها في مقدمة الدول المتحررة في افريقيا فاتاحت لنا هذه اللقاءات اننا تناسينا الماضي بل نسيناه واتاحت لنا هذه اللقاءات اننا لمحنا الى المستقبل ونظرنا اليه ووضعنا له اسسا ووضعنا له خططا .

وهكذا سنجعل نفسنا وابناءنا وابناء ابنائنا في مأمن من كل من يريد ان يعكر صفو هذه الدول التي وجب ويجب عليها ان تعيش متساندة ، وان تعيش متعاونة .

شعبي العزيز :

لا اريد ان أختم كلمتي هذه دون ان اشير بايجاز الى مؤسساتنا الدستورية ، فالسنة الماضية رات وشهدت عملا جليلا في الميدان الدستوري فقمنا بالاستفتاء واستفتيناك فافتيتنا جزاك الله خيرا بما رايته مطابقا لضميرك وبما رايته مطابقا لنواياك وبعد ذلك فتحنا لك شعبي العزيز مجال الانتخابات فانتخبت بكل حرية من رايته صالحا للدفاع عن مصالحك وحقوقك، ولم يبق الآن الا ان يكون ممثلوك عند حسن ظنك بهم وان يقوموا بالواجب الملقى على عاتقهم وان يكونوا كما قلت لهم واعين اولا بحاجياتك ثانيا ، بوسائلك وان يجدوا في نفسهم وفي تجربتهم القدرة على ان يجمعوا بين الوسائل ويجمعوا بين المطامح ليهيئوا لك اليوم ولابنائك غدا عيشا رغيدا وحياة كريمة .

شعبي العزيز :

اننا لن نصل الى هذه الغاية المنشودة والفرض المخطوب الا اذا سادت الاعمال التي نحن واياك مطالبون بالقيام بها روح الاخلاص للوطن والوفاء لاهداف نموه وازدهاره وايثار صالحه على ما يمكن ان يعلق بالنفس ويتصبى الفؤاد من اغراض لا تتلاءم وهذا الصالح ولا تتلاقى معه على صراط مستقيم .

على الموظف ان يكون مخلصا ونزيها

وان من جملة ما يشغل بالنا ان ينعدم في عدد غير قليل من النفوس والضمائر الوازع الذي يكبح

جماح الاهواء ويكف عن الطمع في غير ما شرع من ثراء ويمنع غريزة الكسب بالوسائل التي تاباها الاخلاق الصحيحة السليمة من التصرف المنكر الذي يستبيح ما ليس بمباح واذا كان هذا الداء الوبيل قد ظهرت اعراضه في طائفة ممن خولتهم الدولة نصيبا من نفوذها فنسوا ما عليهم من واجب الاستقامة والنزاهة وجدت اليهم اطماعهم ان يستدروا موارد محظورة مقابل ما هو مفروض عليهم ان يقوموا به بحكم المنصب الذي اسندته الدولة اليهم ، فان عدواه كانت تبدو مستعصية على العلاج قد امكن استئصالها وتيسر علاجها .

وسيكون من اسباب انتشار الطمانينة في نفسنا ان يستقر فيها الاعتقاد بان الضمائر استقبلت من امرها ما استدبرته وان البصائر والعقول اصبحت تزن الاشياء وتقيسها باوزان غير الاوزان المختلة والمقاييس المدخولة .

وبالاضافة الى هذا فان المصلحة العليا للبلاد تقتضي ان نخطو الخطى الشاسعة لاكتساب المعارف على اختلاف انواعها وخاصة منها ما هو كفيل بان يدفع عجلة سيرنا دفعا سيستحثها الى قطع المسافات البعيدة التي تفصلنا عن دول تنتقل من حال الى حال انتقالا يذهل العقول ويبهر الافكار ويحير الاذهان .

واذا كان الدهر نابنا فيمن نابه من الامم بما فت في سعينا وعاق عن السير وحال بيننا وبين مواكبة الركب الزاحف فالعزم منا وطيد على اغذاذ السير وحث الخطى لتدارك ما فات وتلافي وجوه النقص واستئصال اسباب القصور

وان شعبا اتاه الله ما اتاك – شعبي العزيز – من بصيرة وذكاء وعقل وادراك ورغبة في العمل المبدع الخلاق ووهبك من همة طافحة الى العلياء وعزيمة معروفة بالقضاء لحري ان يبلغ من مقاصده وآماله ما يرقى به مقامه ويسمو ويرتفع به شانه ويعلو في حظيرة الامم ومحافل الانام .

شعبي العزيز :

ان روح البطل الذي نكن له الاعظام والاجلال والذي وضع عنا ما كان يؤودنا من آصار واغلال والدنا جلالة محمد الخامس نور الله ضريحه ، واغدق عليه رحمته وشمله بواسع غفرانه واسكنه جنة رضوانه وبواه مكان صدق بين اوليائه واصفيائه، ان روحه لتهيمن علينا كل ما آن أوان هذه الذكرى وحان موعد الاحتفال بها ؛ فالى الله نتوجه بالدعاء ان يجازيه الجزاء الاوفى ويثيبه على ما اعطى لهذه البلاد واسدى ثوابا متصلا ما اتصلت الدهور لا ينضب له معين ، ولا يغيض له فيض ولا ينقطع ولا يبلى .

فلما استخلفنا الله على عرش آبائنا المقدسين نهضنا بالامانة يؤيدنا الايمان بان تسديد الله لخطانا مكفول بفضله وكرمه ، وان توفيقه ميسور بعونه ومنه وتلقينا المسؤولية ، تعززنا الثقة بان مؤازرتك مقرونة بمساعينا ومساندتك مضمونة لرغائبنا ومطالبنا .

ومنذ تلك اللحظة المشهودة التي اعلنت فيها مبايعتك لنا والاستمساك بعنايتنا ورعايتنا والقلب ؛ شعبي العزيز مغمور بك والوجدان موقوف عليك والخواطر حائمة حول غدوك ورواحك واصباحك وامسائك فلا تنصرم برهة من زمان ولا تنجرم حقبة من حقب ايامي الا كانت مليئة بالنظر فيما توده وتهواه وتشرئب اليه نفسك وتتمناه وتشفق منه وتخشاه وتعزف عنه او تتحاشاه فانت دابي وكدي كيفما تصرفت بك الاقدار وقبلة الافكار وقصدي مهما بعدت الديار او شط المزار وانت انت الاليف الذي لا يفارق مكانه من الخاطر ولا يبرح ، والجليس الذي لا يمل ولا يشفى والانيس الذي لا يقاطع ولا يسلى والقادم المقيم الذي لا تستبطيء منه الرجعة والعودة والاياب ولقد ادركت شعبي العزيز ما لك في قلبي من وداد قديم وحب لا يستحيل ولا يلين فبادلتني صفاء بصفاء وحبا بحب ووفاء بوفاء وشاءت عناية الله ان نسير على نهج واحد ، ويلتقي بالتقائنا الجنان السعيد وتستفيد بلادنا المخصابة المعطاء من عزمنا الصادق وجهدنا الواثق اجل الفوائد واحسن العوائد .

دعوات خالصة مخلصة

اللهم اجعل الاصرة الواثقة العرى الجامعة بيني وبين شعبي آصرة مكتوبا لها الاسترسال والبقاء وادم ما اسبغته علينا من نعمة الوفاء والولاء ، ومكنت له في قلوبنا من الفة خالصة ووداد لا يحول مع الايام المستحيلة وانر لنا سبيل هداك ورشادك ولا تحرمنا

من كريم تأييدك وسدادك ، اللهم اني استوهب فضلك بقلب فضلك بقلب خاشـع واستمنـح رضاك بنداء ضارع فثبت قدمي بالهامك وضاعف عزمي بجميـل افضالك وانعامك ، اللهم انك اضفيت علي من عوارفك الغراء واسديت الي من اياديك البيضاء ووهبتني من الملك والرئاسة والجاه والسلطان ما ارجو اداء شكره بالعمل الصالح والسعي النافع والجهد الناجع .

فاجعلني اللهم من الهداة المهتديـن والقـادة المصلحين والساسة الراشدين الذين خلدت سيرتهم بين السير وتركت ذكرهم عبرة من ابلغ العبر وبوأتهم مكانة عبادك المكرمين واوليائك المقربين اللهـم انك النصير والظهير والمستجيب لدعاء اللائذ بك والعائذ والمستجير .

« رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث ، فاطر السماوات والارض انت وليـي فى الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ».

صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.



دراسات اسلامية



ينبغي تصحيح تكييف القضية الفلسطينية ، وتسميتها التسمية الصحيحة ، والخروج بها من الدائرة الضيقة التي اختارها الاستعمار ، فهي ليست مجرد قضية عربية ، بل الصحيح أنها قضية اسلامية، وهي اخطر القضايا في التاريخ الاسلامي المعاصر ، فالصراع الذي تدور رحاه فوق ارض فلسطين ليس صراعا بين امة العرب وبين اليهود ، وانما هو عدوان صهيوني على الاسلام في قبلته الاولى، وحرمه الثالث، في المكان الذي اسرى بالرسول اليه ، ثم هو الصورة الظاهرة في ايامنا هذه لصراع قديم بين بني اسرائيل المتغطرسين المتعالين الطامعين وبين بني الانسان من غير اليهود .

كيف تعالج القضية من زاويتها الاسلامية ؟

على كل مسلم أن يتبصر ، ويعرف لماذا هو مسلم ، ولماذا خلقه الله ؟ وهناك قاعدة منطقية يسميها الفرنسيون Raison d'être « سبب الوجود » ، والمسلم لم يخلقه الله كذلك اعتباطا ، ولم ينحدر من ابوين مسلمين ، او ينتمي الى الاسلام بكيفية او اخرى مصادفة ، وانما المسلمون هم الذين قال الله تبارك وتعالى عنهم في محكم كتابه : « كنتم خير امة أخرجت للناس ، **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله** » . ومعنى ذلك ان الذي لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ليس مسلما ، وان ادعى الاسلام ، فهو يندرج بين المسلمين في سجلاتنا الارضية ، ولكنه ليس كذلك في سجل الخالق ، جل وتعالى .

ونقف أمام قضية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله ، لنقول ان هذا التكليف الذي صدر من الله الكبير المتعال لعباده المسلمين ، له معنى أبعد من مجرد المواعظ ، كما يتصور بعض الذين يكتفون في التفسير بظاهر الكلمات ، وانما المعنى الاعم ، هو الحفاظ على الاسلام ، والدعوة الى التوحيد ، ومقاتلة كل ما ينأى عن التوحيد او يخالفه او يعترض طريقه ، وباختصار هو استمرار حمل المشعل الذي حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمفروض أن كل جيل يأتي بعد محمد عليه السلام ، يواصل ما قام به النبي الكريم ، ويستمر الامر كذلك، الى أن تقوم الساعة ، فالمسلمون مستخلفون في الارض لهذا السبب ، لا ليعيشوا ويستمتعوا بنعيم الدنيا .

وقد فتحت الارض للاسلام ، على أيدي الخلفاء الراشدين ، لانهم فهموا هذا المعنى ، ونفذوا أمر الله، ولما تحولت المسألة الى ملك عضود ، تصدع بناء الدولة العظمى ، ولاحقته المصائب قرونا ، الى أن جاء هذا الزمان الذي نعيش فيه ، وعشنا معشر المسلمين محنة لم تبلغ في سوادها ومرارتها كل المحن والاهوال التي سبقت .

وحينما يتامل المرء ساعة ، ويفكر فيما بعد الموت ، وكيف يقدم الحساب ، اكاد ، وانا لا ادعي العلم باحكام الدين ، اكاد اجزم استنادا الى المنطق ، والذوق السليم في فهم معالي الاحكام ، انه ما من مسلم يطوى تحت التراب ، الا ويسال في قبره ، ماذا فعلت بنعمة الله تعالى في نشر الدعوة ومقاومة اعدائها من اهل الشرك ، وخصوم الاسلام ؟ ! قد تكون النعمة صحة اعطاك الله اياها ، وقوة بدن خصك بها ، وقد تكون علما ورجاحة عقل ، وقد تكون جاها وحكما وسلطانا ، وقد تكون مالا ، والمفروض ان ياخذ الانسان من هذه النعم ما احله الله له من الطيبات ، ويوجه الباقي للجهاد في سبيل الله ، فاذا لم يفعل ذلك فالويل له ثم الويل ، وان يوم الحساب لآت ، ولا مفر منه .

ومن اجل ذلك ، ارى ان اول ما ينبغي عمله ، في هذه المرحلة الفاصلة في مصير الاسلام ، هو ان نبصر المسلمين في مشارق الارض ومغاربها بهذا المعنى ، وان يهزهم الدعاة هزا عنيفا الى ان يستقر هذا المعنى في نفوسهم ، ويومئذ يكونون قد آمنوا حقا بالله ورسوله .

ولا يمكن الانتظار وارجاء برنامج الجهاد الى ان يتم ايمان سبعمائة مليون ينتمون الى الاسلام ، وانما تكون هناك قلة ولو تحصى على اصابع اليد مؤمنة فعلا ، وواعية فعلا ، والمطلوب هو ان تجتمع هذه القلة في مكان ما من بلاد الاسلام ، وترتبط بميثاق اسلامي اساسه القرآن الكريم ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتعاهد الله ان تلتزم باحكام هذا الميثاق .

وعلى هذه القلة ان تحمل السراج ، وتقوم بتوعية واسعة في مختلف بلاد المسلمين ، وفي كل ركن من اركان الدنيا ، وبكل لغة من لغات من ينتمون الى الاسلام ، حتى ياتي وقت تكون الصحوة فيه قد حدثت ويصير المسلمون جميعا مسلمين قولا وفعلا ومؤمنين صدقا وعدلا . ويومئذ فقط تلتقي القواعد الشعبية في مختلف بلاد المسلمين ، وترتبط امة محمد بالقرآن العظيم قلبا وعقلا ، ويومئذ سيكون الحكم في سائر بلاد المسلمين تلقائيا وبلا عناء حكما اسلاميا ، برضاء الرحمن الرحيم . ولن يصمد حكم يخالف ما امر الله به ، لان النار التي تأججت في القلوب ، نار العقيدة الصحيحة سوف تحرقه ، وسوف تتساقط صور الحكم المخالفة للاسلام ، كما تساقطت الاصنام يوم فتح مكة ، حينما ردد الرسول ، عليه السلام ، قول الله تبارك وتعالى : « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » .

وليس حتما ان تكون لدولة **« لا اله الا الله محمد رسول الله »** حكومة مركزية وعاصمة للمسلمين كافة ، وانما تحتفظ كل حكومة اسلامية باستقلالها وسيادتها ، وكل ما هنالك انها ترتبط بميثاق اسلامي ، يكون هو الرباط ، وما ينبغي ان يقاس هنا بميثاق الامم المتحدة او ميثاق اية منظمة اقليمية ، فكل هذه المنظمات صور ارضية ، لا شان لها برسالات السماء ، والخروج على مواثيق هذه المنظمات ليس خروجا على الله ، وانما الميثاق الذي نطالب به كرباط لشعوب الاسلام وحكوماته ، هو الميثاق الذي يرتفع على كل هذه المواثيق ، ولا يجوز ان تقاس به ، هو كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ، وكل ما يمكن أن يندرج تحتها من امور هذه الدنيا . فاذا تم التعاهد والارتباط ، تكون المخالفة من الكبائر الموجبة للاعدام .

وتستطيع كل دولة اسلامية أن تنفرد بتصريف امورها كما تريد ، طالما كان ذلك لا يخرج عن الاطار العام كما رسمه الاسلام ، ولا يخالف مبدأ من مبادىء الاسلام .

اذا تصورنا نجاح الدعوة وقيام هذا التنظيم في جيلنا ، او بعد جيل او جيلين او اكثر ، فما هي الخطوات التالية ؟ ؟

لن تكون هذه الخطوات مواعظ او خطبا منبرية ، وانما ستكون خطوات عملية ، واعدادا تستخدم فيه فنون السياسة والادارة والحرب وغيرها ، كل ما تعلمه الانسان ويمكن ان يتعلمه اعدادا للزحف المقدس ، وهذا الزحف فيما ارى ، سيكون مسيرة اسلامية لم ير التاريخ مثلها من قبل ، مسيرة الملايين ، النفرة العظمى من مختلف انحاء العالم الاسلامي ، نفرة مئات الملايين ، التي تكون قد وطدت العزم على التكفير عن تقصير واخطاء السابقين ، وليس لاي واحد من هذه الملايين غاية الا ما يطلبه المسلم الذي يعرف حق الله عليه ، طلب احدى الحسنيين ، والتسابق في مجال الفداء والاستشهاد .

ويومئذ فقط سوف تطهر الارض من الصهاينة ، ومن كل دعوة ضالة فاسدة ، ويومئذ سوف تغسل ساحة الشرك والضلال ، حتى ولو كانت ذرية ، لان

الله ان يتخلى بحال عن جيش آمن بربه ، وخاض المعركة ابتغاء رضاه وحده ، وليس لاى غرض آخر .

ورب قائل متخاذل يقول : انك يا هذا تطلب محالا ، وتحلق فى خيال ، ولكنا نجيب من يقول هذا بنفث نظره الى ما كان خيالا يسعى وراء باطل ويجري وراءه ، ثم صار واقعا ، فى اقل من مائة عام .

فى أواخر القرن التاسع عشر ، وليس قبله ، جرت على مسرح القضاء الفرنسي ، محاكمة « دريفوس »المشهورة ، وكان يتابع ما يجري فى هذه القضية مراسل صحيفة حضر من النمسا الى باريس ، واسمه « هيرسل » ، وتصور هذا اللعين دولة يهودية فى فلسطين ، ووضع لها خريطة ، ورسمها كما تخيلها ، وتلقف اليهود وهم اهل زندقة وفساد ، وكانوا مشردين فى الارض هذا الخيال وتبنوه ، الى ان جرى ما جرى ، وحدث الذي حدث ، ولو تركت الامور تجري على اعنتها ، فلا ندري مصير البشرية برمتهـا .

نجح الباطل بالعزم والتصميم ، واستطاع ان يضرب الحق ، وان يذله ، لان صاحب الحق قد اشتغل بغيره وباع آخرته بدنياه .

ولم تتوفر للصهيونية هذه الكثرة العددية التي هى متوفرة للمسلمين ، ولم تتوفر ولن تتوفر لها ، الامكانيات الضخمة الهائلة المتوفرة للمسلمين ، ارجاء فسيحة لا تتناهى فى أكبر قارات العالم ، فى آسيا وافريقيا ، شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، ثروات معدنية جبارة بترول وخامات ، وغير ذلك . وفى السبعمائة مليون مسلم علماء ومتخصصون ، فى مختلف العلوم والفنون ، ولو وجهوا فى الطريق العام ، سيبزون علماء بني اسرائيل .

لو حدثت التعبئة العامة فى الله ولله ، ستختفي الصهيونية وتختفي معها اسرائيل ، قبل نشوب المعركة ، بل ستختفي الشيوعية والراسمالية الفاسدة ، وسيتبدد كل باطل ، وتشرق شمس الحق ، فى الدنيا بأسرها .

هل آن الاوان ، لكي نبدا ؟ !

الجواب نعم ، فاما السير فى هذا الطريق ، واما ان نسقط جميعا فى الهاوية التي نقف على حافتها ، ونستاهل غضبة جبار السماوات والارض ، وعلينا ان نختار .

« مسلـم »



التعامل بين مختلفي المذهب

للمرحوم الأستاذ محمد السائح

باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين .

اما بعد فهذه رسالة مسالة التعامل فى البيع والنكاح والطلاق وغيرها بين مختلفي المذهب ، حيث يكون شرع النازلة او حكمها خلاف ما عند الآخر ، والله الهادي الى أقوم طريق ، والله الموفق سبحانه وهو حسبي ونعم الوكيل .

اعلم ان هذه المسالة على وجهين (الاول) ان يمكن تحقيق العقد على وجه الجمع بين المذهبين لكون ما اشترط فى مذهب احدهما أخص مثلا ، وذلك كاشتراط الشافعية معينات الالفاظ فى النكاح بأن يكون بلفظ الانكاح او التزوج واكتفاء المالكية باللفظ الاعم يقول الغرناطي :

فالصيغة النطق بما كانكحا
من مقتض تأبدا مستوضحا

فاذا اراد مالكي ان يتزوج شافعية ، فمقتضى مذهبه الاكتفاء بالعقد باللفظ الاعم ومقتضى مذهبها تعيين اللفظ الاخص ، وكاشتراطهم عدالة الولي فلو كان فاسقا لم يعقد بل لا ولاية له بخلاف المالكية فى ذلك ، فاذا كان الولي كالاب فى ابنته فاسقا وكان الزوج شافعيا يرى ان لا ولاية له فما العمل ؟

وفى هذا الوجه يمكن ان يقال فى المثال الاول بتعيين اللفظ الاخص ليتفق المذهبان . وفى المثال الثاني بوجوب اسناد الاب عقد النكاح الى عدل يرتضيه الشافعية ، ولا حرج فى انابة الاب عند المالكية ، كما هو ظاهر ، ويحتمل ان يقال لا يلزم الزوج باللفظ الاخص ، ولا الاب بالتوكيل ، ولا يخاطب كل واحد من المتعاقدين الا بما يراه مذهبا له ، وليس لاحدهما ان يحمل الاخر على مذهبه ، وهذا هو الذى يثلج له الصدر ، لان علماء الاسلام وائمة الاجتهاد واتباعهم منذ كانوا وهم يختلفون فى احكام المسائل والحوادث ، وهم فى هذه الحالة يتعاملون مع بعضهم فى البيوع والانكحة وجميع اوجه المعاملات كيفما كان الخلاف فيها ، وما علمنا ان احدا منهم تحرج فى ذلك او شرط على معاقدة الجري على وتيرة مذهبه ولا تستغرب من هذا الاستدلال فان استعمال الائمة للاحتجاج بعمل المسلمين كثير كما قال ابن مرزوق قال وقد استعمله الباجي حيث قال فى باب الاقضية من المنتقى مستدلا على منع تولي المرأة القضاء : ويكفي فى ذلك عندي عمل المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يعلم انه قدم لذلك فى عصر من الاعصار ولا بلد من البلدان امرأة ، كما لم تقدم للامامة امرأة (الوجه الثاني) ان يمتنع التوفيق بينهما ويتعذر لاسيما اذا اقترن النزاع ، كما اذا كان الزوج شافعيا او حنفيا وعلى الطلاق بالمشيئة معتقدا افادته وعدم لزوم الطلاق

له ، وكانت الزوجة مالكية ترى ان ذلك الاستثناء لا يفيد ، وان الطلاق واقع لا محالة ، وعليه فيحرم عليها ان تمكنه من نفسها على مقتضى مذهبها ، وطريق رفع النزاع فى هذا الوجه احد الامرين (الاول) ان تقلد مذهب الزوج فى ذلك الثاني ان ترفع النازلة الى حاكم البلد كانه المنصوب من طرف الخليفة لرفع التشاجر وحسم الخصام والعمل على ما قضى به فان تعدد الحكام بالبلد واختلفت مذاهبهم فدعا الزوج الى حاكم يرى مذهبه ودعت هي الى الحاكم يرى مذهبها فالظاهر انه يقضي عليها باجابته استتباعا لما جعل الله بيده من العصمة وتتميما لذلك وذلك ان جعل العصمة بيد الزوج من المناسب التحسني كما فى سلب العبد منصب الشهادة وسلب المراة منصب الامامة ونكاح نفسها ، وتقديم ما دعا اليه الزوج فى المسالة المذكورة هو من معنى التتمة والتكملة لذلك فتدبره والله اعلم. ومن هذا ما اذا كانت زوجته حنفية وهو مالكي فهل يخرج عنها فى زكاة الفطر مدين على مذهبها او اربعة على مذهبه ، وقد حكي فيها قولان : رجح كل منهما يخرج عنها اربعة امداد لتعلق الخطاب ، ثم ان ما قررناه من رفع الخلاف فى هذا الوجه بحكم الحاكم مبنى على ما عليه ابن عرفة من انه اذا حكم الحاكم بامر يعتقد حليته وكان المحكوم له لا يرى حليته لكونه مجتهدا او ليس هو قول مقلده فان ذلك يرفع الخلاف ويبطل ما حكم به هو مقتضى المذهب كما قال ابن عرفة رحمه الله وقال ابن شاس وابن الحاجب لا يحله وتعقبهما ابن عرفة بانهما تبعا وجيز الغزالي قال الشيخ بناني وهو قصور فان ما ذكره ابن شاس مثله فى النوادر ونقله الحطاب مقتصرا عليه ونص الحطاب : قال فى النوادر فى كتاب الاقضية فى ترجمة ما يحل بحكم الحاكم ، ولو طلق امراته البتة فخاصمته الى من يراها واحدة والزوجة مذهبها انها ثلاث والزوج ايضا ممن يرى ان البتة ثلاث فلا يحل للزوج ان يقربها حتى تنكح زوجا غيره ولا يبيح له الحاكم ان تمكنه من نفسها حتى تنكح زوجا غيره من قبل ان الحكم لا يحل لهما ما هو عليهما حرام وكذلك لو قال لعبده اسقني الماء يريد بذلك عتقه والعبد يرى انه لا يلزمه فى مثل هذا عتق وان نواه ، والعبد يراه عتقا ، فللعبد فى هذا ان يذهب حيث شاء بما حكم له ، ولو قال لزوجته اختاري فقالت قد اخترت نفسي ، وهي تذهب الى ان الخيار ثلاث والزوج يراه واحدة فان الحكم لا يبيح للمراة ان تمكن الزوج منها ولتمنعه جهدها ولو رفعها الى قاض يرى الخيار طلقة فارتجعها الزوج ، فلا يبيح لها الحكم ما هو عندها حرام ولا يحل لها ان ياتيها الزوج الا وهي كارهة انتهى. (فائدة) .

هذا وقد كنت فاوضت فى هذه المسالة صديقنا العلامة المحقق سيدي محمد بن احمد الرافعي عند قدمني الى الجديدة عام 1337 فكتب الي فيها وانا بثغر الصويرة ما نصه : قد رددت الخاطر فى بحثكم السديد المتعلق بصورة الاختلاف بين الائمة فى عقود التعاوض ، او ما لابد فى انعقاده من وصف او حال يكون عليه المتعاقدان ، او اصل او قول او جعل يصحح عقدهما معتبرا فى تصحيحه جهتيهما معا ، او اي صدد يجب ادراج المعقود عليه من كلا جانبيهما ، فوجدته بحثا عظيم المكانة لا يتفطن له الا شداد الرجال امثالكم اعزكم الله والقول الكلي عنهم فيها بحسب ما يظهر ، ان التفصي عن جملة العهد التى يتوقع الدخول تحتها ممكن بالترك والتباعد وهو الاليق بالمتحرج او بتقليد الامام المخالف او الاتيان بما يناله كسبه مما يراه لازما لعقده ، وسواء فى كل هذا كل صورة صورة فى كل عقدة عقدة ان لم تكن مندوحة على ان الحاجة عام مساسها بين مجموع الناس فى عقود المعاملة منذ دهور ولا منجاة ، والحالة هذه عن التورط فى هذا المجال الشائك فتعين لمكان هذا الاضطرار العمل على احد ما تقدم ، ولا تكون مسالة فى هذا الباب وان بلغت فى العظم ما شاءت أعظم من المسائل المتمحضة للعبادة التى يكون الاقتداء فيها بالمخالف او الخروج لمذهب فيها او يعتبر خلافه بالمراعاة الاهم ، الا اذا ضعف المدرك جدا ، ونزل الى حيز الطرح والاهمال، نعم الواجب اولا ان لا يقدم حتى يعلم الحكم ليكون ماشيا فى نور علم المسالة والا هلك مع الهالكين على ما تعلمونه ، ولست ارى من مانع من تقليد المخالف فى بحثنا والملجيء واقع وعام به البلوى، تكون معه شبهة قوية فضلا عن مسلك صحيح شرعا او نظرا وقياسا او تعليلا واستدلالا فتاملوا فيه بانعام واعرضوه على ما بعد من صور المبحث فى شيء وباب باب من ابواب المعاملة ، وعلى ما عسى ان يلتفت اليه من ايجاب مراعاة مذهب الزوج او الزوجة او الحاكم فانه فى ظني اوفى منها بما تعتبره القواعد المسلمة واجدر بمحاذاة غرض شارع واشمل للمسائل التى يعرض فيها ما ذكر ، هذا ما سنح الآن ولم اراجع عليه ولا فاوضت ولعل

الله يحدث بعد ذلك امرا (هـ) ثم ظفرت بحمد الله بنصوص في المسالة قد وقع البحث بين الطائفة المالكية ونحن بالمدينة عما يقطع من نبات الحرم المنتفع به للاكل كالخبيز وغيره ، فانه يوتى به ويباع في الاسواق فهل يحل لمالكي ومن لا يرى جواز ذلك شراؤه واكله ، فكنت اميل الى الجواز ، اذا كان القاطع لذلك والبائع له ممن يرى جواز ذلك في مذهبه ، لانه فعل ما سوغ له شرعا لانا نقول باصابة كل مجتهد ، وان كنا نرى أن غيره أصوب والممنوع عندنا انما هو قطعه فلو وجد الانسان شيئا منه مقطوعا بنفسه من غير ان يكون له سبب في قطعه ، جاز له الانتفاع به ، وهذا بعد القطع ووصوله الى الاسواق يوجد سائغ لتناول ذلك وصار في حقنا كالمقطوع بلا سبب في قطعه ، ولا يقاس النبات على صيد الحرم الذي هو ميتة لظهور الفرق بين الصيد والنبات والاجماع على حرمة صيد الحرم والخلاف في نبات حرم المدينة ولو فتح باب الامتناع من الشراء منهم لادى ذلك الى فساد كبير، وحرج في المعاملات بالامتناع عن ذبائحهم والشراء منهم والبيع لهم لوقوع الخلاف بين الائمة في فروع كثيرة من الذبائح والصيد وابواب الربا فيمنع البعض ما يجيزه ، فلو كنا لا نشتري الا من يتقي الربا على مذهبنا ويشترط في الصيد والذبيحة واللقطة ما نشترطه لادى ذلك الى ضيق وحرج، وتضليل بعض الائمة لبعض ، وهو بعيد من نظر الشارع ، فلما صح لنا الاقتداء به في الصلاة صح لنا ايضا في غيرها ، مما يقع فيه الارتباط بين الفعلين فان اضيع حقيقة متوقف حصولها على وجود فعل فاعل من بائع ومشتر ، فلا نشترط في صحة البيع الا كون فعل كل واحد منهما موافقا للشرع في مذهبه ومعتقده ، وكذلك صلاة المأموم متوقفة صحتها على وجود فعل فاعل هما الامام والمأموم ، فاذا فعل منهما ما تصح به الصلاة في مذهب امامه صحت الصلاة ولا يلزم كون الامام فاعلا لما تصح به الصلاة في مذهب المأموم على المذهب المشهور ، وتحقيق هذه المسئلة سنذكره ان شاء الله في الرسالة التي عزمنا على جمعها في مسالة اقتداء المالكي بحنفي يصلي في الحجر وسميناها رفع الحجر عن الاقتداء بامام الحجر ، وبعد ان كتب هذا رايت في نوازل البرزلي ما يدل على ان اجتناب مثل ذلك من الورع وتشتد به الكراهة عند بعد المأخذ ونص ما ذكر وقد سئل عن تناول ما اختلف فيه الفقهاء كشافعي راي مالكيا غصب طعاما فنقله ، وعقدا فاسدا في عين وخلطها ، وقال ملكت ذلك على مذهبي فهل ملكه ملكا صحيحا لا شبهة عليه أم لا ، وهل يجوز للشافعي ان يعامله بالشراء منه والاكل ام لا فاجاب لا ينبغي لمن قلد الشافعي ان يفعل ذلك وهذا مما يتاكد فيه الورع ، وان قلد مالكيا في هذا وامثاله فلا باس به وان كان شافعيا فقلد لمالكي في هذا، ولعل هذا مما تشتد فيه الكراهة لبعد المأخذ وفيه ذكره البرزلي فظاهره ان العزيمة في هذا ارجح من الرخصة ، الا ان يقول ان هذا مما تعارض فيه الحظر والاباحة ، فالورع تركه (قلت) فقد ظهر من قوله لا ينبغي ومن قوله مما يتاكد فيه الورع ان ذلك سائغ لا ممنوع ، هذا كله اذا لم نقل بجواز التقليد للمذاهب المخالفة مع القول بصحتها ، اما ان قلنا به وهو قول جم غفير من المحققين منهم عز الدين بن عبد السلام فقد ارتفع اشكال واتضح المقال مع ما قال ابن السبكي في شرح منهاج البيضاوي اذ نزلت بالمجتهدين حادثة لا يمكن الصلح فيها كما اذا كان الزوجان مجتهدين فقال لها انت بائن مثلا من غير نية للطلاق فراي الزوج ان اللفظ الصادر منه كناية فيكون باقيا ؛ وراته المراة صريحا فيكون الطلاق واقعا، فالزوج طلب الاستمتاع بها ، ولها الامتناع منه وطريق قطع المنازعة بينهما ان يرجعا الى مجتهد ثالث ، فاذا حكم بشيء وجب عليهما الانقياد اليه، والمسالة مذكورة في المستصفى للغزالي وعبارته اذا نكح مجتهد مجتهدة ثم قال لها انت بائن وراجعها والزوج يرى الرجعة والزوجة ترى الكنايات قاطعة للرجعة فتسلط على مطالبتها بالوطء اوجب عليها منعه فاذا نشب الخصام بينهما استعمل وجهين احداهما ان نقول يلزمها الزوج الى حاكم مجتهد فان قضى بثبوت الرجعة لزمها تقديم اجتهاد الحاكم على اجتهاد نفسها ، وحل لها مخالفة اجتهادها اذ اجتهاد الحاكم اولى من اجتهادها لضرورة دفع الخصومات فان عجزا عن حاكم مجتهد فعليهما تحكيم مجتهد فان لم يفعلا اثما وعصيا ، ويحتمل ان يتركا متنازعين ولا مانع بتمانعهما ، فان تكليف بنقيض في حق شخصي فلا يتناقض واشار ابن الحاجب في مبحث التصويب والتخطيط بين مخصصها الاصلي الى التراجع الراجع فيما لو قال مجتهد شافعي لمجتهدة حنفية انت بائن وفيما لو تزوج مجتهد امراة بغير ولي ثم توجها بعده مجتهد بولي لا يرى صحة نكاحه وبطلاقه الاول قال العضد لوجوب اتباع الحكم

للموافق والمخالف، وفى الحطاب عن النوادر فى كتاب الاقضية فى ترجمة ما يحل بحكم الحاكم ، ولو طلق امراته البتة فخاصمته الى من يراها واحدة والزوجة قد خلتها ثلاث ، والزوج ايضا ممن يرى ان البتة ثلاث فلا يحل للزوج ان يقربها حتى تنكح زوجا غيره ، ولا يبيح له الحاكم ان تمكنه من نفسها حتى تنكح زوجا غيره ، من قبل ان الحكم لا يحل لهما ما هو عليهما حرام ، وكذلك لو قال لعبده اسقني الماء يريد بذلك عتقه والسيد يرى انه لا يلزمه فى مثل هذا عتق وان سواه والعبد يراه عتقا ... ففى هذا يذهب حيث شاء بما يحكم له ، ولو قال لزوجه اختاري فقالت قد اخترت نفسي وهي تذهب الى ان الخيار ثلاث والزوج يراه واحدة فان الحكم لا يبيح ان تمكن الزوج منها ولو رفعها الى قاض يرى الخيار طلقة فارتجعها الزوج فابيح لهما الحكم ما هو عندهما حرام ولا يحل لها ان يأتيها الزوج الا وهي كارهة (كما فى النوادر) وهو جلي ، الا فى مثل ما اذا قضى الحاكم بان الخيار طلقة فانه مبني على ان الحاكم اذا قضى بامر يعتقد ذلك وكان المحكوم عليه لا يرى ذلك الحكم ، حيث لا يحل ، وعليه ابن شاس وابن الحاجب وابن عرفة ، انه اذا حكم الحاكم بامر يعتقد صحته وكان المحكوم له لا يرى حليته لكونه مجتهدا، او ليس هو قول مقلده ، فان ذلك يرفع الخلاف ويحل ما حكم به ، قال وهو مقتضي المذهب وتعقب مالابن شاس وابن الحاجب بانهما تبعا وجيز الغزالي وما قاله ابن عرفة اميل والنصوص السالفة تعضده وان كان الشيخ قال فى كلام ابن عرفة انه قصور لوجوده فى النوادر تنبيهات الاول حكم الحاكم يرفع الخلاف فى النازلة التى حكم فيها بعينها ومعناه اتفاقا فى الاموال وخلافا مع الحنفية فى الفروج ، فقد قالوا ان لم تستاذن البكر ولم تزوج فاحتال رجل فاقام شاهدين زورا انه تزوجها برضاها فاثبت القاضي نكاحها والزوج يعلم ان الشهادة باطلة فلا بأس ان يطاها وهو تزويج صحيح قال ابن رشد وشبهة الحنفية ان الحكم باللعان ثابت بالشرع ، وقد علم احد المتلاعنين كاذب واللعان يوجب الفرقة ويحرم المراة على زوجها الملاعن لها ويحلها لغيره ، فان كان هو الكاذب فلم تحرم عليه الا بحكم الحاكم ، وكذلك ان كانت هي الكاذبة لان زناها لا يوجب فرقتها على قول اكثر الفقهاء ، قال والجمهور ان الفرقة هاهنا انما وقعت عقوبة للعلم بان احدهما كاذب ومصدر الجمهور فى ان حكم الحاكم لا يحل حراما مطلقا عموم قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم تختصمون ، ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض ، واقضي له على نحو ما اسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا ياخذه، فانما اقطع له قطعة من النار ، اخرجه البخاري هذا وتحرير الفقه المالكي فى هذه المسالة ان الاقسام ثلاثة : ما ظاهره بخلاف باطنه وهذا لا يحله حكم القاضي اتفاقا ، وما ظاهره كباطنه وهو قسمان ما حكم فيه الحاكم بقول غير شاذ وهذا يرتفع فيه الخلاف وما حكم فيه بشاذ ، وهذا عند ابن شاس حكمه كالاول وعند ابن عرفة حكمه كالثاني ، وسبق البحث فى ذلك، ثم انه لا يعزب عن فكرك كما استثناه الاصوليون والفقهاء من كون حكم الحاكم يرفع الخلاف ولا يسوغ نقضه الثالث الاصح ومذهب الجمهور ، انه يجب على العامي وغيره ممن لم يبلغ رتبة الاجتهاد التزام مذهب معين ، واقتداء الشيخ المتفق على علمه وصلاحه عز الدين بن عبد السلام انه لا يتعين على العامي اذا ، فلا حاجة فى مسالة ان يقلده فى سائر مسائل الخلاف ، لان الناس من لدن الصحابة الى ان ظهرت المذاهب يسالون فيما يبيح لهم العلماء المختلفون من غير تكرمة احد ، وسواء اتبع الرخص فى ذلك والعزائم لان من جعل المصيب واحدا لم يعنيه ومن قال كل مجتهد مصيب فلا انكار على من قلد فى الصواب ، وقال القرافي انعقد الاجماع على ان من اسلم فله ان يقلد من يشاء من العلماء بغير حجر ، واجمع الصحابة ان من استفتى ابا بكر وعمر فله ان يستفتي ابا هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما من غير نكير ، فمن ادعى رفع هذين الاجماعين عليه الدليل وزاد فى شرح التنقيح بشرط ان لا يجمع بين الاقوال على صفة تخالف الاجماع ، وبشرط ان يعتقد ما يقلده الفضل هم الثالث فى حكم الانتقال الى مذهب المخالف ، قال البرزلي واما الانتقال من مذهب امام الى غيره ففى ذلك ثلاثة اقوال بالجواز والمنع والثالث ان وقعت حادثة فقلده فيها فليس له الرجوع ، وقال القرافي فى شرح المحصول قال سيف الدين اذا اتبع العامي مجتهدا فى حكم حادثة وعمل لقوله اتفقوا على انه ليس له الرجوع فى ذلك الحكم واختلفوا فى رجوعه الى غيره فى ذلك الحكم واتباع غيره فيه فمنع واجيز ، وهو الحق نظرا الى اجماع الصحابة فى تسويغهم العامي الاستفتاء لكل عالم فى مسئلة ولم ينقل عن السلف الحجر فى ذلك على العامة ولو كان ذلك ممتنعا لما جاز الصحابة

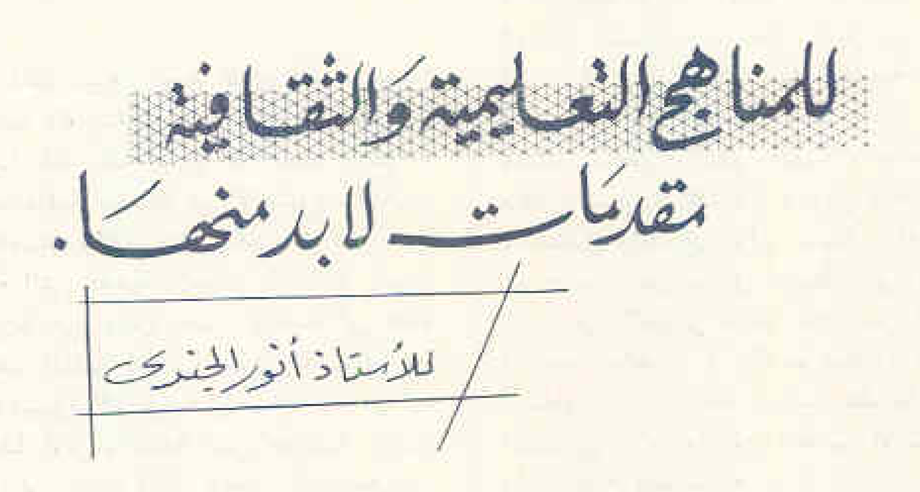
اهماله والسكوت عن الانكار عليه ، ولان كل مسئلة لها حكم نفسها فكما لا يتعين الاول للاتباع في المسئلة الاولى الا بعد سؤاله ، فكذلك في المسئلة الاخرى واما اذا عين العامي مذهبا معينا كمذهب الشافعي وابى حنيفة ، وقال انا على مذهبه وملتزم له فيجوز قوم اتباع غيره في مسئلة من المسائل نظرا الى ان التزام ذلك المذهب غير ملزوم له ، ومنعه واخرون لان التزامه ملزوم له كما لو التزمه في حكم حادثة معينة والمختار التفصيل وهو ان كل مسئلة من مذهب الاول ان اتصل عمله بها فليس له تقليد الغير فيها وما لم يتصل عمله بها فلا مانع من اتباع غيره . وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يذكر في هذه المسئلة اجماعين احدهما اجماع الصحابة المتقدم ذكره والثاني اجماع الامة على ان من اسلم لا يجب عليه اتباع امام معين بل هو مخير ، فاذا قلد معينا وجب ان يبقى ذلك التخيير المجمع عليه حتى يحصل دليل على رفعه ، لاسيما الاجماع لا يدفع الا بما هو مثله من القوة (انتهى كلام القرافي) نقله الحطاب في شرح المختصر (الربع الخامس) قال الشيخ زروق في القاعدة الرابعة والاربعين من قواعده ما دون من كلام الائمة في كل فن فهو حجة لثبوته ، فتداوله ، ومعرفة اصله وصحة معناه ، واتضاح مبناه وتداوله واشتهار مسائله عند ائمته مع اتصال كل ممن قبله ، فلذلك صح اتباعها ولزم وان انقرضت الروايات في افرادها ، وغير المرونة ليست كذلك فلا يصح الاخذ بها لانقراض حملتها واحتمال جملتها وقد يخص ذلك ويعم كالقراض مذهب الليثي والسفياني عموما وسائر المذاهب سوى المالكي من المغرب والشافعي بالعجم والحنفي بالروم فأما الحنبلي فلا يوجد الا مع غيره ، فلزم كل ما تمكن معرفة صحة نقله الا ما احتمل ولهذا افتى سحنون بانه لا يفتي بالمغرب بغير مذهب مالك ونحوه لابن الكاتب عند اهل مصر اذا العامي لا مذهب له لتوفر المذاهب في حقه عندهم ، حتى رايت لهم على ذلك فروعا جمة وفتاوي والله اعلم ، وهنا انتهى ما رمنا ايراده والله تعالى اعلم ، ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، وكتبه العبد الفقير الى الله محمد ابن عبد السلام كان الله له وتولاه .

الرباط ـ المرحوم محمد السائح

قرشيـــة زمـــان ...

قــال المبـــرد :

رجع بعض القرشيين الى امراة قرشيـــة وقد حلقت شعرهـــا ، وكانت احسن الناس شعرا ، فقال لها : ما خطبك ؟ قالت : اردت ان اغلق الباب فلمحني رجـــل وراني مكشوفة ، وما كنت لادع علـــي شعرا رآه من ليس بمحرم !!



في مواجهة هذا التحدي التغريبي الذي يحاول اليوم ان يسيطر على الامة العربية والفكر الاسلامي نجدنا في حاجة الى ان نتعرف على حقائق واضحة تختفي اليوم وراء المناهج التعليمية والثقافية التي تقوم بتدريسها الجامعات في العالم الاسلامي كله على نحو يحس معه الشباب بان ما يقدم له في هذه الميادين ، وخاصة في ميادين الفلسفة والاجتماع والتاريخ والعلوم السياسية والاقتصاد والقانون ، ان هذا الذي يقدم انما هو من صياغة الفكر الغربي وحده ، فاذا توسع في ذلك شيئا قليلا فانما هو مستمد من الفكر اليوناني والروماني السابق على الفكر الغربي والمنفصل عنه باكثر من الف عام ، وحيث لا يذكر ولو على سبيل الاستعراض التاريخي ان الفكر الاسلامي كان له دوره واثره الواضح والعميق في صياغة هذه المفاهيم والاراء والنظريات والمذاهب التي يزخر بها الفكر البشري اليوم سواء في نطاقه الديمقراطي او الاشتراكي على السواء .

لذلك فنحن في حاجة الى ان نتعرف على هذه الحدود الواضحة والعلامات الصريحة لفكرنا العربي الاسلامي التي يبدو انها ضاعت او اوشكت على الضياع في غمار التطورات والتحولات المستمرة التي تعتري الفكر العالمي والتي تتزايد على الدوام ، بحيث تكاد تغرق تلك الجذور الاصيلة التي قدمها الفكر الاسلامي الى الانسانية والى الفكر البشري منذ بزوغ الاسلام ، والتي كانت باليقين بعيدة الاثر في تحوله ونموه وتطوره واخراجه من الحواجز الوثنية والطبقة الخطيرة التي كان يعيش فيها ويتحرك من داخلها .

ان من حق شبابنا العربي والاسلامي على مدى العالم الاسلامي وليس في الامة العربية وحدها ان يعرف وهو يراجع نظريات الاجتماع والسياسة والتاريخ والاقتصاد والقانون ان فكره العربي الاسلامي وان اجداده العرب والمسلمين كان لهم اثر واضح في هذه النظريات .

وان من شان هذا الفهم ان يزيد شبابنا قوة روحية وعقلية ونفسية تملأ نفسه بالثقة وتدفع عنه تلك الشبهات الخطيرة والحرب النفسية المثارة عليه والتي تحاول ان تصوره وكأنه متسول لنظريات الغرب ، هذه النظريات التي صاغتها العقول الغربية وحدها ، والتي فرض على العرب والمسلمين ان يأخذوها ليطبقوها في مجتمعاتهم ، كأنما ليس لهم مفاهيم وقيم قدموها من قبل للفكر البشري فبنى عليها تلك الآراء والنظريات المستحدثة .

ومن حق شبابنا في هذه الفترة الحاسمة الحرجة من تاريخ الامة العربية ان تقدم للمناهج التعليمية والثقافية بمقدمات توضح هذا وتكشف عنه ، وان نقدم اسماء هؤلاء الاعلام وما قدموه من آراء استمدوها اساسا من القرآن الكريم ابي المفاهيم

والقيم الانسانيــة التى اهداهــا الفكــر الاسلامــي للبشرية وكانت قد اهديت اليها عن طريق السماء فالاديان السابقة ولكنها مسخت واصابها الاضطراب والتحريف .

وعندنا ان ذلك سيكون بعيد المدى عقليا ونفسيا على مجرى الثقافة العربية ، وعلى التكوين الفكــري والروحي لشبابنا فاذا كنا اليوم قد فتحنا ابــواب جامعاتنا لنظريات عالمية مختلفة فى الاجتماع والتاريخ والسياسة والاقتصاد والقانــون ، فان لنا نظريتنــا الاسلامية الكامنة التى قدمها الاسلام للبشرية جميعها والتى صدت اوربا فى اوائل عصر النهضة الى هذه النهضة ، وفتحت امامها آفاق التحرر الفكــري من قيود الكنيسة وقيــود الوثنيــة وعبــادة الفــرد ، وتبدو بواكير هذا الاثر واضحة فــى حركــة لوثــر وكلفن ودعوتهما الى حرية الفكر والغاء الوساطة بين الله والانسان وحق الانسان فــى قــراءة الكتــاب المقدس وفهمه ومن ذلك تلك الثــورات التى قامت لازالة الصور من الكنائس وازالة التماثيل

ولا يقف امر الاسلام الى هذا الحــد وحــده بل يتجاوزه الى ابداع المنهج العلمي التجريبي الذى قامت عليه الحضارة الحديثة كلها ، هذا المنهج ابدعه المسلمون من منطلق القرءان الذى دعاهم الى النظر فى الكون ، والذى كان مخالفا مخالفة اساسية لمنهــج اليونان الفلسفي والعلمي جميعا ، ذلك المنهج الذى وقف عند حدود افتراضات النظريــات بينما اتجــه المفهوم الاسلامي الى التجربة اساسا ، فصحح اخطاء فلاســفة اليونان وحول التنجيم اليوناني الى علم الفلك بأصوله ومقاييســه واستطاع المسلمون ان يضيفوا اضافات واضحة فى بناء الاصول الاوليــة ، وفــى مقدمتها الارقام ورقم الصفر بالذات ، وامتداد ذلك الى العلوم الطبيعية والكيميائية فى مختلف مجالات الطب والفلك والفيزياء .

وقد يقف كثير من الباحثين الغربيين عند هذا الجانب العلمي ، معترفين بفضل المسلمين والعرب فى هذا المجال ، وهو امر اصبح اليوم ذائعا وشائعا، بعد ان اغمضوا عنه الطرف طويلا ، ولكنهم لا يتعدوه الى اثر الفكر الاسلامي فى مجالات الاجتماع والتاريخ والعلوم السياسية والاقتصاد والقانون، مع أن اولياته فى هذه العلوم واضافاته كانت بعيدة المدى وما تزال آثارها واضحة وضوحا لا سبيل الى انكاره .

ولقد وقف الفكر الاسلامي موقفــا صريحــا واضحا من الفلسفة الالهية اليونانية فرفضها رفضا صريحا ، واقــر ايمانــه الاساســي المستمد مــن « التوحيد » و « النبوة » وبذلك انشــأ فلسفتــه الذاتية المستقلة استقلالا كاملا عن مفاهيم الفلسفة اليونانية. واذا كانت هذه الفلسفة قد اغتالت مــن قبل الديانتين اليهودية والمسيحية فاخضعتهما لها، وغلبت منطق ارسطو عليهما فانها عجزت ان تفعــل ذلك بالنسبــة للاسلام ، ومن الحــق ان يقــال ان (الكندي والفارابي وابن سينا ، قد قاموا بمحاولات فى سبيل نقل منطق ارسطو الى الفكر الاسلامــي بكثير من التحوير لجعله قادرا على التشكل فى اطار التوحيد والنبوة ، ولكنهم عجزوا لان منطلق منطق ارسطو كان مرتبطا اساســا بطبيعة الفكر اليونانــي النظــري ، بينما كان الفكــر الاسلامــي باصولــه وأولياته « تجريبيا »

واذا كان المفكرون المسلمون قد جروا شوطا مع الفلســفة اليونانية ومنطق ارسطو فانما فعلوا ذلــك حين اتخذوها سلاحا لمواجهة المتكلمين بها فى تأييد الاديان الاخرى غير ان الفكر الاسلامي لم يلبث أن مر بهذه المرحلة سريعا .

وعاد الى التماس جوهره ، وذلك حين قرر منطلقه العلمي فى المنهج العلمي التجريبي من ناحيــة وحين قرر الغزالي : ان اسلوب القرآن كالماء واسلوب المتكلمين كالدواء ، والدواء يحتاج اليه المريض ، اما الماء فيحتاج اليه السليم ، وان اسلــوب المتكلميــن اسلوب ضرورة ولكن أسلوب القــرآن هو اسلــوب الحياة الطبيعية الدائمة

وحين تقرر مفهوم «المعرفــة الاسلامــي» وله جناحاه : العقلي والوجداني ، لا انفصال بينهما ، لا يستعلى احدهما ولا ينفرد وحده .

وحين كشف العلماء عن منطق القرآن الذى هو منطق المسلمين بديلا لمنطق ارسطو واليونان وبذلــك نجا الفكر الاسلامي من سيطرة الفلسفة اليونانيــة الوثنية واستطاع الاسلام ان يحتفظ بقيمه الاساسية، ومفاهيمه الاصيلة .

هذا كله قدمه الفكر الاسلامي للفكر البشري فحرره من قيوده ونقله نقلــة واسعــة من الاتجــاه النظري الى الاتجاه التجريبي .

وشيء آخر قدمه الفكر الاسلامي وكان بعيد الاثر فى الحضارة واعلاء المفهوم الانساني ، ذلك هو دعوة « المساواة والاخاء بين البشر » : الاسود والابيض ، العرب والعجم ، وكان ذلك قضاء على نظرية روما القائمة على الفصل بين السادة والعبيد، وفق قاعدة « روما سادة وما حولها عبيد » وعلى منطلق جمهورية افلاطون الذى فرض للسادة التامل والحكم وللعبيد : العمل والعبودية والذل ، ثم جاء الاسلام فالغى هذا المنطلق كله وسفهه ، واعلى فكرة المساواة والاخاء ، ومن مفهوم الاسلام نشأت كل مذاهب المساواة والعدل الاجتماعي والحرية .

والقرآن هو اول كتاب على وجه الارض كشف عن النواميس الطبيعية والقوانين الثابتة التى تحكم المجتمعات والوجود كله ومثله كان منطلق علوم الاجتماع ولم تكن النظرية التى قدمها ابن خلدون فبنى عليها العلماء الفلسفة الاجتماعية الا مستمدة اساسا من القرآن . والقانون الفرنسي الذى كان مصدرا لقوانين كثير من بلاد العرب فى العصر الحديث مستمد من فقه الامام مالك وهو احد مذاهب الشريعة الاسلامية .

وعشرات النظريات القانونية المستحدثة انما استمدها الباحثون من فقهاء الاسلام .

— ※ —

ويمكن القول بصفة عامة — الى ان ندخل فى التفاصيل — ان الاسلام قدم الفكر البشري شحنة ضخمة من القيم الانسانية العالمية التى كانت بعيدة الاثر فى تطور الفكر الغربي وتحوله عن جذوره الاغريق الرومانية الوثنية ، تتمثل هذه الشحنة فى الربط بين العقائد والمعاملات والاخلاق فى اطار الاسلام ، حيث لا انفصال بين الدين والحياة او بين الجسم والروح ، كما ربط الاسلام بين العلم والعمل ، وحيث اطلق الاسلام العقل الانساني قيوده التى كانت تأسره حول المعابد وبين ايدي الكهنة فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة وخلص البشرية من الوثنية ، كما رفض الفكر الاسلامي تجسيد البطولة ورأى ان تقدير البطولة يكون بالرأي والفكر والاقتداء .

وليس فى الاسلام خطيئة اصلية ، وان كل امرىء رهين بما يفعل ، كما كرم الاسلام كل الاديان وكل الانبياء . واقر عجز العقل وحده عن الوصول الى الصواب ، وجعل من الوجدان والعقل ترابطا ، ومن الايمان بالغيب اساسا لا تجاوز عنه ، كما رفض التقليد والتبعية سواء للماضي القديم او للوافد من اي مكان .

ويمكن القول عن يقين بان الثورة الفرنسية فى مفاهيمها ومبادئها انما كانت تستمد جوهرها من الفكر الاسلامي ، فقد قامت على اثر الدفعة الكبيرة التى احدثها الاسلام فى العقل الغربي ، وتؤكد ذلك العبارات التى جاءت على السنة رجال الثورة انفسهم ، والذين كانوا قد طالعوا ثمرات الاسلام فى الحكم والشورى والعدل والمساواة .

وقد كان رفاعة رافع الطهطاوي وخير الدين التونسي هما اوائل العلماء المسلمين العرب الذين تنبهوا الى اثر الفكر الاسلامي فى الفكر الغربي الحديث فى مختلف مجالاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية واشارا الى ذلك فى ابحاثهم .

— ※ —

تلك مقدمة اولية لما اردت ان استطرد اليه فى هذا المجال واجليه وانا على ثقة لا حد لها فى ان هذا الاتجاه بعيد الاثر فى النفس العربية اليوم ، حافز لها على الثقة والايمان والمقاومة ، فباليقين كان الفكر الاسلامي وكان العرب والمسلمون من اجدادنا هم صناع النظريات العقلية والعلمية التى دفعت الفكر الانساني هذه الدفعة الكبرى نحو النهضة والحضارة، ونحن اليوم احق الناس ونحن ندرس هذه العلوم المستحدثة والنظريات « الغربية » ان نعرف مصادرها واولياتها ودورنا فى بنائها . فالى اللقاء ..

القاهرة — انور الجندي

انتشار الاسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

- 2 -

اتضح لنا من المقال السابق ان العلاقة بين الجانب الاسلامي وأهل اذربيجان قد تجمدت اثناء المرحلة الاولى داخل الاطار الرسمي للحدود السياسية . واتضح لنا ايضا ان هذه المرحلة قد استغرقت السنوات الاخيرة من عهد الخليفة عمر بن الخطاب ومعها الشهور الاولى من عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنهما (من اواخر سنة 18 الى اوائل سنة 25) ولسنا بحاجة الى ان نؤكد ان هذا المستوى من العلاقات لم يحقق اى نجاح بالنسبة لحركة انتشار الدين الاسلامي فى هذا الاقليم .

ونقول اليوم : ان الجانب الاسلامي قد تجاوز هذا المستوى من العلاقات الى مستوى جديد اساسه الاتصال المباشر والمعايشة التي لا تحدها موانع مع الجماهير فى اذربيجان ، وذلك للعمل على نشر الدين الاسلامي بينهم ، وقد حدث هذا التطور الذي لـه اهميته البالغة فيما نحن بصدده من دراسة انتشار الاسلام فى هذا الاقليم من اقاليم الرحاب ـ اقول : حدث هذا التطور فى سنة 25 .

ففى تلك السنة اتى الاشعث بن قيس الى هذا الاقليم فى صحبة الوليد بن عقبة . وبعد انصراف الاخير بقى الاشعث فى اذربيجان ، وقد استطاع هذا الصحابي ، ومعه القوات الاسلامية التي كان يقودها، ان يتغلب على حركات التمرد التي قام بها الاكراد ، وان بجماعات عربية واسكنها فى الاقليم ، وامرها بدعاء الناس الى الاسلام .

والنص الذي اورده البلاذري بخصوص هذه النقطة (1) هو : « ففتحها (اى فتح الأشعث اذربيجان) على مثل صلح حذيفة وعتبة بن فرقد ، واسكنها ناسا من العرب من اهل العطاء والديوان ، وامرهم بدعاء الناس الى الاسلام » .

ها قد وضع المسئولون فى الدولة الاسلامية خطة معينة ونظموا حملة محدودة ، والهدف هو دعوة اهالي اذربيجان الى اعتناق الدين الاسلامي ، وذلك عن طريق الاتصال المباشر والمعايشة المنفتحة . ولا يسع الدارس الا ان يقول : ان الوضع الجديد يعتبر دون شك تطورا بعيد المدى فى مجرى العلاقات بين الدولة الاسلامية والأذربيجيين ، وذلك لان الدولة الاسلامية لم تعد تخاطب اهل أذربيجان من خلال ممثل سياسي لهم قد تكون مصلحته فى أن يحجب عن انظار المسلمين الرغبة الحقيقية للمواطنين هناك ؛ بل انها عمدت الى الاتصال المباشر باهل البلاد لا على المستوى السياسي او الرسمي ، بل عن الطريق الجماهيري او الشعبي ، وهو الطريق الذي من خلاله تصل المصارحة الى اقصى درجاتها ، وفى نطاقه يعبر الفرد بصدق عن حقيقة مشاعره واحساساته .

---

(1) فتوح البلدان ص 459 .

وهنا نود ان نؤكد ان الهدف الرئيسي ، بــل والوحيد ، من اسكان ناس من العرب فى اذربيجان كان هو العمل على نشر الدين الاسلامي بين اهالــي الاقليم ولا شيء آخر وراء ذلك . ونؤكد هذه الحقيقة التي يبرزها النص الســابق ، وذلك فى مواجهة من يزعمون ان استيطان المسلمين فى المناطق التي لــم يكن الاسلام قد انتشر فيها بعد ما كان يرمــي الى الاستغلال والاستئثار بخيــرات هــذه المناطــق على حســاب المواطنين الاصليين .

هذا ، ونحاول الان ان نتعرف على مدى النجاح الذي حققته هذه الخطة ، وفى هذا الصدد نقول : ان المراجع التي بين ايدينا تؤكد لنا ان هذه الخطة قد قوبلت باستجابة كبيرة من قبل الاكراد ، وقد ذهب بعض المؤرخين فى المدى الذي وصلت اليه هــذه الاستجابة الى درجة القول بأن عامل الخليفة علي بن ابي طالب على اذربيجان (اى بعد حوالي عشرة اعوام من وضع الخطة موضع التنفيــذ) وجــد اغلبيــة الأذربجيين قد اسلموا وقراوا القرآن .

ومما لا شك فيه ان هذه النتيجة طيبة للغاية ، وليس لقائل ان يقول : ان هذا الخبر قد ســيق فى اطار المبالغة ، اذ ان الطبري (ج 4 ص 246) يذكر لنا ان القوة الاسلامية التي كانت ترابط فى اذربيجان فى تلك الفترة كان قوامها ستة آلاف رجل يســتبدلون بغيرهم كل ســنة . ومعنى هذا القول انه قد اتى الى اقليم اذربيجان على مدى عشر سنوات ســتــون الف مسلم . وهذا العدد الضخم من الرجال المسلمين مع ان مهمتهم الرئيسية كانت هي الحفاظ على المكاسب الاسلامية من الناحية السياسية فان ذلك لم يحــل بينهم وبين العمل الدعائي من اجل اقناع الاذربيــين باعتناق الدين الاسلامي ، ولا شك ان بعضهــم ، ولا نقول اغلبهم ، قد نجح فى مهمته الثانوية ، ومن ثــم انضم الى الجماعة الاسلامية افــراد جــدد من بيــن الاكراد فى اذربيجان .

فاذا اضفنا ذلك الى نتائج الجهود التي بذلتهــا الجماعات العربية التي كلفتهــا الدولــة الاسلاميــة بالاستيطان فى الاقاليم ، والهدف الوحيــد من وراء استيطانها هناك هو دعوة اهل اذربيجان الى اعتنــاق الاسلام ــ اقول : اذا اضفنا نتائج الجهود الدعائيــة التى قامت بها القوات المرابطة الى ما اسفر عنــه النشاط الذي بذلته هذه الجماعات العربية ، وخاصة ان مهمة الاخيرين كانت دعائية خالصة ، فانه يتضح لنا اذن ان القول بأن اكثر اهل اذربيجان كانوا قــد اسلموا حوالي سنة 36 هـ ليس من قبيل المبالغات .

لم يحدد لنا البلاذري الامكنة التي استوطنهــا اهل العطاء والديوان الذين نيطت بهم مهمة دعاء اهل اذربيجان الى الاسلام ، فلم يذكر مدينة باسمها ولم يحدد منطقة بعينها . وهذا الاطــلاق مقصــود عــن البلاذري ، اذ انه يتفق والمهمة التي كان يعمــل من اجلها اهل العطاء والديوان ، وهي العمل على نشــر الاسلام بين اهل اذربيجــان ، فمثــل هذه المهمــة تقتضي من الرجال الذين يقومون بها ان يتحركــوا ويلتقوا بالاذربيجيين فى مختلف الانحاء والبقاع ، ولذا فانه من الممكن للدارس المعاصر ان يقول فى ضوء هذا الفهم ان اغلبية اكراد اذربيجان على امتداد بلادهم ، من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ، قد اعتنقوا الدين الاسلامي فى هذه الفترة التي تبدا من سنة 25 هـ حتى اوائل عهد الخليفة علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه (35 ــ 40) .

ولكن ما هو سر هذه الاستجابة الكبيرة التــي قوبل بها الدين الاسلامي من اكراد اذربيجان ، وما هي حقيقة الدوافع التي حملت هؤلاء الاكراد على ان ينبذوا دياناتهم السابقة ويعتنقوا الدين الاسلامي ، وما هي طبيعة الظروف التي ساعدت الدين الوافد فى التغلب على المجوسية التي ظلــت سائدة هنــاك لاجيــال عــديــدة ؟؟؟ . .

ان ايا من المؤرخين الذين نعتمد على كتاباتهم هنا لم يخلف لنا اساسا نعتمد عليه فى تقديم اجابة مدعمة بالادلة عن هذه التســاؤلات ، ومن ثم فانــه لا مفر امامنا من تلمس بعض الخيوط التي قد تساعد المرء فى اشباع تطلعه الى معرفة سر النجاح الكبير الذي حققه الاسلام هناك فى هذه الفترة القصيرة .

وعلينا قبل هذا ان نتعرف على مركز المجوسية فى اذربيجان وقت الفتح الاسلامي ، وذلك لنــدرك ابعاد المعركة التي دارت بين هذه الديانة وبين الاسلام هناك . ونقتصر الكلام على المجوسية بصفة خاصــة لانها كانت الديانة الغالبة بين اكراد اذربيجان ، وذلك بالنظر الى كل من النصرانية واليهودية ، الامر الذي جعل المعركة الرئيسية هناك تــدور وتحتــدم بيــن الاسلام والمجوسية .

وبعد هذا نقول ان اقليم أذربيجان كان قبل الفتح الاسلامي له واحدا من المراكز المعدودة للديانة المجوسية . ونعتمد في تقرير هذه الحقيقة على كل من ابن الفقيه والمسعودي وياقوت الحموي . فالاول يقول عن الشيز . وهي ناحية من نواحي اذربيجان . : «وبها بيت نار اذرجشنس . وهو عظيم القدر عند المجوس (1)». اما الثاني فانه يقول في مروج الذهب وفي سياق حديثه عن بيوت النيران : «وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس بالعراق واذربيجان واران » (2) كما انه يقول ايضا : « كان يوجد بيت نار ببلاد الشيز واران » (3) .

ويزداد الموقف وضوحا بمساعدة المعلومات التي يمدنا بها ياقوت فهو يقول عن الشيز : « ... ناحية من أذربيجان ... وقصبتها أرمية ... وكان بها بيت نار عظيم الشان عندهم منها تركى نيران المجوس من المشرق الى المغرب (4) » . كما انه يقول ايضا : « ان بالشيز نار أذرخش . وهو بيت معظم عند المجوس . كان اذا ملك ملك منهم زاره ماشيا (5) » .

هذه لمحات سريعة عن مركز المجوسية في اذربيجان وقت الفتح الاسلامي . ومن هذه اللمحات نتبين ان هذه الديانة كان لها مركز بالغ القوة في اذربيجان . بل ان احدى النواحي في هذا الاقليم . وهي ناحية الشيز . كانت بمثابة المكان المقدس في نظر اتباع الديانة المجوسية،حتى من خارج اذربيجان، وعلى امتداد الامبراطورية الفارسية من المشرق الى المغرب . وليس على المستوى الجماهري فحسب . بل وعلى مستوى الملوك والاكاسرة .

ونصل من هذا الى القول بأن المعركة بين الاسلام والمجوسية في أذربيجان كانت بالغة العنف، فقد كان على الاسلام في هذه المعركة ان يواجه فريقا من كبار رجال الديانة المجوسية . وذلك في واحد من المراكز الرئيسية لهذه الديانة . بل وفي عقر دارها اذا صح لنا أن نستخدم هذا التعبير . ومما لا شك فيه أن قادة المجوس هناك قد بذلوا اقصى ما في طاقتهم واستخدموا كافة الوسائل والسبل ليفسدوا فاعليات النشاط الذي كان يقوم به رجال الجانب الاسلامي بغية حمل المجوس على اعتناق الاسلام .

والامر الغريب حقا والذي يسترعى الانتباه هو ان الاسلام قد خرج من هذه المعركة . التي استغرقت حوالي عشرة اعوام . ظافرا منتصرا . قد ضم تحت لوائه معظم الاكراد الذين كانوا يعتنقون المجوسية . تحققت هذه النتيجة الرائعة عن طريق الدعوة الخالصة البعيدة عن العنف والاكراه والتي كانت تخاطب في الوقت نفسه عقول وقلوب الاكراد . وهذه الحقيقة تقدم نفسها لاولئك الذين لا يحلوا لهم الا أن ينالوا من الدين الاسلامي فيعزون انتشاره السريع الى السيف والاكراه .

ومع ان المؤرخين لم يزودونا بمعلومات تساعدنا في الافصاح عن سر انتصار الاسلام على المجوسية . رغم ما كان للديانة الاخيرة من قوة وسلطان في اقليم اذربيجان . فان الدارس يستطيع أن يرجع هذا النجاح الباهر الى عاملين اساسيين :

اول هذين العاملين هو القوة الذاتية التي كان يمتاز بها الاسلام كعقيدة والتي كانت تنبع من تعاليمه ومبادئه التي تتفق مع الفطرة البشرية السليمة . والتي تلبي في الوقت نفسه متطلبات الانسان في النواحي الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وليس هنا مجال لتفصيل الحديث عن هذه التعاليم والمبادىء . ولكن مما لا شك فيه أن الاكراد في اذربيجان قد وجدوا في هذه التعاليم والمبادىء كل ما كانوا يفتقدونه في المجوسية . الامر الذي دفعهم الى نبذ الديانة التي توارثوها عن آبائهم جيلا بعد جيل . نبذوها طواعية وعن طيب خاطر . وذلك حينما وجدوا دينا جديدا تؤكد لهم تعاليمه ومبادئه أنه سيملأ الفراغ الروحي والفكري الذي كانوا يعيشون فيه مع المجوسية .

اما العامل الثاني فهو القدوة الحسنة التي كانت متمثلة في المسلمين الذين نيطت بهم مهمة الدعوة الى

(1) مختصر كتاب البلدان : طبعة ليدن . ص 286.
(2) مروج الذهب : طبعة التحرير 1 /475 .
(3) المرجع السابق 1 / 470 – 471 .
(4) معجم البلدان : طبعة طهران 3 / 355 .
(5) المرجع السابق 3 / 356 .

الاسلام بين الاكراد ، اذ انه من المعروف عن رجال الجيل الاول من المسلمين ، وهم الرجال الذين تلقوا تعليمهم وتاديبهم عن المعلم الاول وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم — من المعروف عن هؤلاء الرجال انهم كانوا مثلا عالية ونماذج رائعة في السلوك والاخلاق والتمسك بتعاليم الدين ، ومن الطبيعي ان الدعاة الى الاسلام بين الاكراد قد زاولوا نشاطهم هناك وهم على هذا المستوى الرفيع من الصفات ، فوجد الاكراد فيهم صورا حية لما يجب ان يكون عليه الانسان ، الامر الذي نتج عنه بالضرورة ان اثيرت في اعماق كل فرد من الاكراد حتى بدون قصد سلسلة من المقارنات بين الحال التي عليها هؤلاء الدعاة المسلمون والاوضاع التي يعيش هو بوصفه مجوسيا في اطارها . وقد اعتنق اكثر الاكراد الدين الاسلامي اتفاقا مع النتيجة التي ابرزتها اهم سلسلة المقارنات .

هذان هما العاملان الاساسيان وراء النجاح الكبير الذي احرزته الدعوة الى الاسلام بين الاكراد في اذربيجان . ولنا ان نقول الان انه بعد تحقيق هذه النتيجة العظيمة اخذ المسلمون يتركزون في مدينة اردبيل ، عاصمة الاقليم ، وهذا ما عمل على تحقيقه الاشعث ابن قيس ، عامل الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه في اقليم اذربيجان ، فمما يذكر عنه انه : « انزل اردبيل جماعة من اهل العطاء والديوان من العرب ، ومصرها وبنى مسجدها » (1) والمسجد الذي بناه الاشعث بن قيس في مدينة اردبيل هو اول بناء من نوعه في عاصمة اذربيجان ، ويمكن اعتبار سنة 37 هـ الوقت التقريبي الذي تم فيه انشاء هذا المسجد . وبالتالي اخذت هذه المدينة بمظاهرها الاسلامية تنمو لتاخذ شكل مركز هام من مراكز الدين الاسلامي .

مع تحقيق هذه النتيجة العظيمة ، ومع الغلبة الكبيرة التي حققها الاسلام على حساب المجوسية — اقول مع هذا وذاك لم يوقف المسلمون نشاطهم في سبيل نشر الاسلام وتعميق مفاهيمه بين مواطني الاقليم ، فها هو ذا اليعقوبي يذكر في تاريخه عن الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه ارسل رسالة الى قيس بن سعد بن عباده ، عامله على اذربيجان ، يقول له فيها : « وعلم من قبلك مما علمك الله » (2) .

وهذا التوجيه يمكن فهمه على مستويين : المستوى الاول هو تعريف المسلمين هناك بشعائر دينهم وتعاليم عقيدتهم ، والمستوى الثاني هو العمل على دعوة غير المسلمين هناك الى اعتناق هذا الدين الحنيف ، والمستوى الاول يهدف الى تاكيد مفاهيم الاسلام وتعميقها بين الذين اعتنقوه ، اما المستوى الثاني فانه يرمي الى اجتذاب عناصر من اتباع الديانات التي كانت موجودة في الاقليم الى اعتناق الاسلام ، ومن المرجح ان هذا التوجيه كان له اثره الايجابي بالنسبة لكل من المستويين .

هذا هو مدى النجاح الذي حققه الاسلام في اذربيجان حتى آخر عهد الخلفاء الراشدين .

الدكتور حامد غنيم أبو سعيد

---

(1) البلاذري : فتوح البلدان ص 460 .

(2) تاريخ اليعقوبي : طبعة المكتبة المرتضوية في النجف ، 2 / 178 .

أثر العرب المسلمين في الحضارة الباكستانية المسلمة

للدكتور السيد محمد يوسف

الثقافة فى مصطلح العلماء الباحثين عبارة عن المعتقدات الدينية والمبادىء العقلية التي يعتنقها المرء ويسير عليها ازاء العالم المادي والبشري الذي يعيش فيه ، وما من شك ان تلك المعتقدات الاسلامية والمبادىء الاولية هي التي تكيف وجهة نظره الخاصة باستخدام القوى الطبيعية وتسوية علاقاته مع البشر ، فالثقافة هي التي تنتج وتقرر طابع الحضارة وقد اصطلح العلماء على ان يعنوا بها الاحوال المادية والاوضاع الخارجية للعمران البشري مثل بناء المدن واقامة المباني وزرع الحبوب وغرس الاشجار وايجاد الصناعات المختلفة وتنظيم المرافق العامة للحياة ، ولذلك يجب علينا اذا اردنا ان نتكلم عن الحضارة ان نبحث اولا عن الثقافة اى العقلية السائدة فى الشعب الذي نعنى به ، ولا يخفى ان الاسلام يدعو اولا الى عقائد ، وهي وان كانت تتعلق بما وراء الطبيعة ، الا انها تتفق والفطرة الانسانية وتوثر فى صميم الحياة الدنيا وتعمل عمل المحركات لدفع عجلة الحضارة المادية الى الامام ، فمن اهم ما يسترعى انتباهنا فى هذا الصدد ان لا رهبانية فى الاسلام ، اى الاسلام يحفز المسلم بطريق ايجابي الى بسط نفوذه وسيطرته على العالم الطبيعي وبناء مجتمع اخلاقي يسوده العدل والرخاء معا ، نعم ! تلك الميزة نلتمس آثارها فى الحضارة الباكستانية التي نشأت ابان الحكم العربي فى السند وامتدت بفضل الاسلام الى ايامنا هذه ، فقد سجل التاريخ ان العرب اهتموا بتنمية الزراعة والصناعة والتجارة فى السند بحيث اصبحت المنطقة تنعم برخاء مادي لم يسبق له نظير فى الماضي ،

فكانت احكامهم الادارية كلها ترمي الى مصلحة البلاد الاقتصادية ، منها ان محمد بن القاسم اتخذ قرارا هاما بمعاملة اهل السند اسوة باهل الكتاب ، وترتب على ذلك ان الاهالي بقوا يحرثون ويستغلون الاراضي كما كانوا يفعلون من قبل ، بدون ان يمسهم سوء او يتعرضوا للسلب والحرمان ، ثم ان نظام الخراج عند العرب المسلمين كان ايسر وارفق بالمزارعين مما كان عليه الحال ايام الملوك الجشعين من البراهمة ، فكانت النتيجة ان الانتاج الزراعي زاد زيادة ملحوظة كما زاد الطلب للمنتجات الزراعية والصناعية ، لان العرب كانوا اقدر الناس على تسويقها فى العالم الخارجي ، وكانت لهم صلات تجارية من الصين فى الشرق الى الاندلس فى الغرب ، ثم ان العرب لم يغفلوا تحسين طرق المواصلات فى الداخل فبنوا القناطر وسكروا الانهار ليسهل المرور عليها ونقل البضائع من اقاصي البلاد الى المرافىء والاسواق التجارية ، يذكر انهم بنوا قنطرة عظيمة تسمى « سكر الميد » بالقرب من مدينة « سكهر » الحالية ، ولعل سكهر ان هو الا تحريف يسير لكلمة « سكر » العربية ، كذلك العرب اهتموا بالتوسيع فى نظام الرى — كما انهم احكموا نظاما للبريد ، فقد كانت الرسائل تجري بين محمد بن القاسم بالسند والحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق وكان الرسل يقطعون المسافة الشاسعة فى بحر سبعة ايام فقط — ولم يكن احد امهر فى تربية الحيوان وتقدير المنافع الخاصة به من العرب ، فانهم الفوا الخيل والابل والانعام فى حياتهم البدوية، اذن لم يكن بدعامتهم

ان يقبلوا على تربية المواشي وتحسين احوالها بطرق علمية تجريبية ثم نقلها الى الخارج واستخدامها في مواطن اخرى ، نرى مثلا ان العرب اعجبوا بالابل البخت في خراسان الى حد انهم شبهوا نساءهم بها ، واشتقوا كلمة « بختر » و « تبختر » من مشية الابل البخت ، كما انهم اشتقوا كلمة « خيزرى و خيزلى » من الخيزران المتأود ، ثم اتفق لهم ان يروا الابل الفالج ذات السنامين في السند فاتجهوا الى تربيتها والاكثار من نوعها ونعتها للمستخدمين الآخرين ، ويذكر في التاريخ ايضا ان العرب اتخذوا خطوات ايجابية واصدروا اوامر ادارية للتقليل من استهلاك لحم البقر والاحتفاظ به وتنمية انتاجها لتوفير البانها ، ولنفرض نفسه خصوا الجواميس بعنايتهم ؛ وقد كان ولاة السند من آل المهلب اشد الناس اعجابا بالجواميس ، فقد صرح المسعودي بانهم اخذوها معهم الى البصرة ولما قضى الخليفة يزيد بن عبد الملك على آل المهلب لم يكن منه الا ان استولى على الجواميس ونقلها الى الشام ، وانتقل مع الجواميس ايضا عدد من الزط لخبرتهم بتربية الجواميس حتى اصبحت للزط جالية بالبصرة وبالشام ، ويقول المسعودي ان الجواميس بارض العراق والشام انما هي من اولاد الجواميس المستوردة من السند بعناية العرب الفاتحين لها ، فتربية الحيوان بطرق علمية تجريبية للمنافع المادية لا للتقديس والتأليه ، انما هو اثر من آثار العرب المسلمين في الحضارة الباكستانية ، كما ان الجواميس في البلاد العربية اثر بارز ملموس لاتصال العرب بالسند في تلك الحقبة من الزمن .

— 2 —

بعد ما فتح العرب السند واستوطنوها بدأت عملية المزج بين الثقافتين العربية والسندية الاهلية ، ومما يلاحظ ان الشعب السندي لم يستمر في مقاومته للعرب بعد انتهاء الاعمال الحربية السافرة ؛ بل الطائفة البوذية من اهل السند اعانت العرب وتوددت اليهم اثناء الحرب ايضا لانها كانت تعاني البراهمة الذين تولوا زمام الحكم عن طريق الغصب والخيانة مما أثار الضغينة والحقد بينهما ، فالغرض ان التقارب بين الشعبين — العربي والسندي — كان سهلا ميسورا . فحينما القت الحرب اوزارها واستقر الامن والنظام في البلاد بدا اهل السند يتعاونون مع العرب في امور الحكم ويشتركون معهم في اعمال البناء والتعمير ويتعاملون معهم في حقل التجارة والصناعة ، هكذا جرت الامور مجراها الطبيعي في الاخذ والعطاء والتأثير والتأثر في جميع مجالات الحياة ، الا ان العرب ، بوصفهم اصحاب القوة والغلبة ، كان لهم النصيب الاوفر من التأثير حتى طبعوا الحياة العامة في السند بطابعهم الخاص ، ولم تزل آثار العرب في الحضارة الباكستانية باقية ملموسة الى الان بفضل الدين الاسلامي الذي اعتنقه اهل السند عن رغبة وطواعية ؛ فتمسكوا بكل ما يمت الى الاسلام بصلة وعضوا عليه بالنواجذ حتى بعد زوال الحكم العربي ؛ فمن ابرز سمات التعرب البارزة للعيان الخط العربي . فان اللغة السندية الحالية — مثلها كمثل اللغات المحلية الاخرى في الباكستان الغربية — انما تكتب بالحروف العربية ، لقد كان لاهل السند خط قديم بل خطوط قديمة اخرى ذكرها البيروني ، ومن اشهرها خط « ادنالدى » كانوا يكتبون بها قبل مجيء العرب ، فلما جاء العرب بدءوا يكتبون بالخط العربي الكوفي ، وربما سار الخطان جنبا الى جنب الى ان اختفى الخط القديم وحل محله الخط العربي ، ومن حسن الحظ ان مصلحة الآثار الباكستانية اكتشفت اخيرا في اطلال مدينة « بمبور » نقوشا وكتابات بالخط الكوفي يرجع عهدها الى القرن الثالث الهجري ، واطلال مدينة « بمبور » تقع على بعد خمسين ميلا من كراتشي ، وهي بالقرب من ساحل البحر بحيث يذهب الظن الى انها اطلال مدينة « ديبل » الساحلية التي كانت اول مدينة افتتحها محمد بن القاسم ، على كل حال من المؤكد انها كانت فرصة تجارية قديمة احتلها العرب في وقت مبكر من تاريخ فتحهم واحتلالهم للبلاد ، فبما ان اللغة العربية كانت اللغة الرسمية للدولة ولغة القرآن والحديث ؛ الف اهل السند الخط العربي الى حد انهم تخلوا عن خطهم القديم واختاروا الخط العربي لكتابة لغتهم المحلية ايضا . ولا يعدمنا الادلة على ان هذا التطور انما حدث شيئا فشيئا بطريق طبيعي وبدون اى ضغط او اكراه ، ولو ان عامل الدين زاد من سرعة هذا التطور بالنسبة الى اولئك الذين دخلوا في دين الله افواجا ، على كل حال اصبح اهل السند — المسلمون منهم وغير المسلمين ايضا — يستعملون الخط العربي لجميع اغراضهم الدينية والدنيوية ، كذلك حال اللغة فانها تأثرت باللغة العربية من حيث المفردات والمصطلحات الدينية والعلمية وحاجات المدنية الراقية التي نعمت بها البلاد بفضل كونها جزءا من الخلافة الاسلامية الواسعة الارجاء . ولم يكن ذلك بدعا في تاريخ التمدن الاسلامي ، فقد اثرت اللغة العربية تأثيرا بالغا في ايران الى حد ان اصبحت اللغة الفارسية الجديدة مزيجة من اللغة العربية واللغة المحلية ، كذلك

اللغة السندية المحلية استعارت من العربية لا الالفاظ والكلمات فحسب ؛ بل قوالب البيان وطرق التعبير وموارد التفكير واصناف الادب ايضا . واخيرا يجب ان نلاحظ ان اللغة السندية واللغات المحلية الاخرى فى الباكستان الغربية ما زالت تدور فى فلك اللغة العربية حتى بعد زوال الحكم العربي ، لان كل متعلم كان لا بد له من دراسة القرآن والحديث وسائر العلوم الاسلامية بدون ان يكون للغات المحلية اية مكانة فى برامج التعليم والثقافة ، ولم يتغير هذا الوضع الا بعد ان اقام الانجليز نظاما جديدا علمانيا للتعليم ؛ وما من شك ان هذا التغيير فى نظام التعليم كان اشد وطأة على المسلمين من اى تغيير فى الاوضاع السياسية .

— 3 —

لم يكن فتح العرب للسند غزوا حربيا وسياسيا ، بل كان قبل كل شيء فتحا ثقافيا وادبيا بحيث لم ينتج منه الاحتلال او الاستعمار ؛ فان العرب انما استوطنوا الاراضي المفتوحة وعنوا بنشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية ، ومما ساعدهم على انجاز مهمتهم الادبية والثقافية انهم اختلطوا مع السكان الاصليين بدون ان يعوقهم عن ذلك عائق التعصب للجنس او اللون كما هو شأن المستعمرين فى زماننا هذا ، اذن لا غرو ان كان لاستيلاء العرب على السند آثار بعيدة المدى بقيت ولا تزال باقية على مر العصور بعد انقراض الحكم العربي ؛ فقد ثبت ان اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية اى لغة الادب والشعر فى بلاطات الولاة والامراء العرب ، الا انها علاوة على كونها لغة الحكم والادارة كانت لغة الثقافة والعلوم الاسلامية التي بدات تنتشر وتزدهر فى ارجاء السند كلما توطدت دعائم الاسلام فيها ودخل الناس فى دين الله افواجا ، ثم ان ضرورات التعامل بين العرب الحاكمين والسكان الاصليين زادت من التقارب بين اللغتين العربية والسندية ، لذلك نرى ان اللغة العربية اصبحت دارجة فى اسواق « الديبل والمنصورة » والمدن السندية الاخرى فى بحر مائة وخمسين عاما من احتلال العرب لها ؛ فقد شهد الاصطخري والمقدسي فى منتصف القرن الرابع الهجري بأن لسان اهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية وان اهل ديبل كلهم تجار كلامهم سندي وعربي — ومن الطبيعي اذا تعايشت لغتان فى المجالس والاسواق ان تتبادلا الالفاظ والمصطلحات والتعابير ؛ وهكذا حدث فعلا ؛ فان اللغة العربية اخذت من اللغة المحلية بعض الكلمات الخاصة بالتجارة واسماء المنتجات والبضائع ، ولا تزال تلك الكلمات باقية الى الان متسمة بسمات الكلمات الدخيلة والمعربة ، اما اللغة السندية فقد كان تأثرها باللغة العربية اقوى واوسع ، لان اللغة العربية كانت لغة الحاكمين ، فضلا عن كونها لغة الاسلام ، والامم المغلوبة اكثر توددا وتقربا الى الامراء والحكام ولا سيما اذا جمعت بينهما جامعة الدين ، فان كل من اسلم من اهالي البلد كان حتما عليه ان يقبل بدافع من نفسه على تعلم القرءان وفهم معانيه ؛ وكل من استأنس بالقرءان واللغة العربية سماعا وتعلما لم يتمالك ان يجري على لسانه كلمات عربية فى المخاطبات والمكالمات اليومية ، حتى اذا انتهى حكم العرب وغلبهم الاعاجم على الامر بقيت اللغة السندية تزخر بالكلمات العربية ، قس على ذلك حال اللغات المحلية الاخرى ، وربما يقع بعض الناس فى اغلوطة شائعة فيظنون ان سيادة اللغة العربية انتهت بانتهاء سيادة العرب وزوال حكمهم السياسي ، وليس الامر كذلك ؛ فان التفوق الثقافي ليس مرتبطا بعجلة التفوق السياسي والعسكري بحيث تتساوى مدتهما ويزول كل واحد منهما بزوال الاخر ، او لا نرى فى الاوساط غير الاسلامية ان الآثار الثقافية والعلمية ترسب وتبقى خالدة بعد ان تنحسر مياه المد السياسي والعسكري عن البلاد المفتوحة ؛ اما فى الوسط الاسلامي فلا يخفى ان الاعاجم الذين خلفوا العرب فى حكم السند والهند على السواء كلهم كانوا مسلمين ، والمسلم ايا كان نوعه او لسانه لم يتسن له الى ما قبيل عهد الاستعمار الاوروبي ان يتثقف او ينال حظوة عند الامراء او منزلة فى المجتمع الراقي الا اذا مهر فى العلوم العربية والاسلامية ، ولذلك لم يكن اقبال الاعاجم على اللغة العربية وسعيهم لرقي الآداب والعلوم الاسلامية اقل من اقبال العرب عليها وسعيهم لها — فازدهرت العلوم العربية والاسلامية تحت رعاية الاعاجم اكثر مما ازدهرت ايام حكم العرب ولم تنقطع صلة اللغات المحلية مثل السندية باللغة العربية وآدابها باى حال من الاحوال .

ومن الجدير بالذكر ان اثر اللغة العربية فى اللغة السندية لا ينحصر فى الالفاظ والكلمات فحسب ؛ بل يتعدى الى المعاني والاخيلة والتلميحات والقصص والاحاسيس الشعرية وجميع اصناف الادب ، فاقسام الشعر فى السندية مثلا انما هي المدح والمناقب والمناجاة ومولود اى المولد والمناظرة وواقعاتي اى شعر الوقائع .

كراتشي : الدكتور السيد محمد يوسف

دوافع الإيمان عند الشباب

للأستاذة فدوى ميحاط

يتميز عصرنا الراهن بعدة ظواهر انجبتها الحضارة الزائفة ، وروج لها التهافت المادي ، وابشع ظاهرة شائعة في هذا العصر هي الالحاد بالله ، والكفر بالقيم الاخلاقية ، والطعن في الدين بحجة انه حجر عثرة في طريق الرقي والمدنية ، فهل الدين حقا عرقلة تحتم على كل من اعتنقه ان يظل متخلفا عن الركب الحضاري طول حياته ؟

هذا هو السؤال الذي ارغب في ان يجيب كل واحد منا على حدة ؛ وتسهيلا للاجابة عليه اطرح سؤالا ثانيا وهو : هل عرف التاريخ البشري حضارة استمدت نبعها من الدين ؟

ان هذا السؤال الاخير يعتبر بمثابة جواب عن السؤال الاول ، وهو في نفس الوقت الخنجر الذي نطعن به اعداء الاسلام من صهاينة ومبشرين ومستشرقين ، لانهم لايستطيعون انكار الحضارة العربية التي بنت ركائزها على الدين الاسلامي ، واتخذته نظاما لها . لذلك فهم يحاولون بكل ما اوتوا من حيل ومكايد ان يصوروه في ابشع صورة لاقصاء الشباب عن التعاليم السماوية التي جاء بها سيد المرسلين محمد (ص) ، وطبقها المسلمون في كل بقاع العالم ، ويحاولون بالتالي تجريد هؤلاء الشباب من القيم القومية ، وشخصيتهم العربية ، وعقيدتهم الدينية حتى يسهل عليهم غزو عقولهم ، واستعمار افكارهم .

ان اعداء الاسلام يدركون جيدا اهمية النظام الاسلامي ، ويدركون ايضا انه ثورة على الزيف والتحلل والظلم والتطاحن . لذا فهم يكنون له العداء، ويزيفونه ، ويحرفونه رغبة في قطع تلك الرابطة المقدسة التي تشد المسلمين الى ربهم ، وتاريخهم، وامجادهم .

ولا زال الصراع قائما بين المستشرقين الذين يعترفون بفضل الاسلام على الغرب ، وبين الذين ينكرون ذلك . و «جان بيرو فيلار» واحد من الذين يقرون فضل الاسلام ، ويدعون اليه ، فقد قال في كتابه : « اسلام الامس والابد

« Islam d'hier et de toujours

« ان الاوروبيين يفهمون الاسلام بقدر ما يفهمه الدكاترة المسلمون – أو اكثر – الا انهم ، رغم تعمقهم في معرفة الدور الفعال الذي لعبه في الماضي ، فانهم – على ما يظهر – لم يدركوا اهميته في الحاضر والمستقبل ، والواقع ان الاسلام قد احتفظ بقيمته السامية ، واصبحت له اليوم مكانة مرموقة الى درجة انه كلما صدر كتاب الا ونفدت آخر طبعة منه» .

الخلاف قائم ، والصراع يحتد ، والطعنات تتتالى ، والاكاذيب تلفق ، كل هذا ، والشباب المسلم غافل ، او متغافل ، حتى اذا ما ذاعت اشاعات الغرب الملفقة هبوا لمعانقتها بصدر رحب ، لانهم ، بحكم انبهارهم امام الحضارة الغربية ، الواردة علينا

بواسطة الخنافس والهيبيين ، وبواسطة مجلات الخلاعة ، والكتب الرخيصة ، والافلام التافهة التى توجه خصيصا لافساد شبابنا وافلاسه ، وبحكم انبهارهم امام الاستعمار الفكري وما الى ذلك من مظاهر الاغراء التى تقف امامها العقول الشاردة مندهشة حائرة .

والواقع ان الدعاية الاجنبية المفرضة تلعب دورها ، ولكن الاهمال الذى يشعر به الشباب من طرف علماء الدين ، والفراغ المحيق الذى يحسونه وهم يفتقرون الى الثقافة الدينية الاصيلة هو الحافز الذى يلقي بهم الى احضان الالحاد والكفر ، وما الى ذلك من اشكال التمرد على القيم الروحية والاجتماعية ، والاخلاقية باعتبارها قيدا يجب كسره لكي يتحقق الانطلاق !.. وهو ايضا الدافع الذى يجعلهم ينقسمون — رغم تباعد التيارات التى تتجاذبهم — الى قسمين ، طائفة ملحدة والالحاد درجات ، وطائفة مؤمنة ، وهي التى ساتحدث عنها في هذا المقال .

الطائفة المؤمنة تمثل مجموع الشباب المثقف الواعي ، المتشبع بروح الاسلام ، الغيور على سمعته وتعاليمه ، وقد استطاعت هذه الطائفة ان تنجو من قبضة الهيمنة الاستعمارية التى تحارب كيانه ، وشخصيته ، وماضيه ، ومستقبله .

فما هو الايمان ؟ .. وما هي درجاته ؟ .. وما هي دوافعه ؟.. وكيف استطاع الشباب الثبات في العقيدة في عصر غزته سلطة المادة ، وتحول فيه الايمان بالله الى ايمان بالفرنك ، وبارادة الانسان ، بحجة ان السماء لا تمطر فضة ولا ذهبا ، بينما تضمن الارادة البشرية للانسان ، العيش ، والبقاء، والاستمرار ...

الايمان ، بمفهومه العام هو اليقين الجازم بالشيء ، فانت تؤمن بفلان لانك تعرفه جيدا ، وتفهمه جيدا ، وتعرف ماضيه وحاضره واهدافه وامكانياته ، وانت تؤمن بالشيء لانك تعرف لونه وطبيعته وحجمه ، ووزنه ، وماهيته ، وصلاحيته ، اما الايمان بالله ، فهو الشعور العميق بعظمة خالق الكون ، وبالهيمنة الالهية على العالم كله ، فهو ذلك الاحساس الذى يتسرب الى قرارة نفسك دون ان تملك قوة لمقاومته او انتزاعه ، وغبي هو الانسان الذى يحاول ان يتوصل الى معرفة الله بواسطة العقل ، انطلاقا من فكرة الفلسفة الوجودية الملحدة ، اذ كيف يصل العقل البشري القاصر عن معرفة حتى حقيقة لاشياء الى معرفة خالق الكون وهو قادر على ابعازه ؟ سئل الامام علي (رضي الله عنه) : « يا امير المؤمنين ، هل رايت ربك ؟ قال : أواعبد ما لا ارى؟ — قيل : وكيف تراه ؟ — قال : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان » .

فمن اراد ان يعرف الله ، فليتامل في ملكوت السماوات والارض ، ولينظر الى نفسه كيف خلق ؟ ولماذا وجد ؟ وما هو مآله ؟ لقد قال النبي (ص) « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا » . ان خير طريقة اهتدى بها الانسان الى الايمان ، وخير حجة اقتنع بها بعد ان اعياه التطواف والبحث تتمثل في قول ابراهيم عليه السلام : « اني وجهت وجهي للذى فطر السماوات والارض حنيفا ، وما انا من المشركين »

فالايمان هو الشعور العميق بوجود اله لهذا الكون ، والشعور ايضا بانه واحد واوحد ، وهو الجدير بكل تقدير ، وتبجيل ، واكبار ، وما الصلاة الا دعاء يلتقي خلالها العبد بربه في خشوع وابتهال معبرا بذلك عن تواضعه امام عظمة الله الكبير المتعالي .

انني عندما اتكلم عن عظمة الله ، لا اقول للشباب حرم عليكم البحث والتساؤل عن وجود الله؛ لان الشك المنهجي غالبا ما يؤدي الى اليقين ، ولان التساؤل غالبا ما يؤدي الى الاقتناع ، واذا آمن الانسان عن اقتناع فذاك هو الايمان الحق . غير اني احذر من الانزلاق في الهاوية التى سقط فيها الكثيرون ، وهذا الخطر هو اتخاذ البحث عن الله وسيلة لامتطاء سلم الالحاد . يقول الكاتب «طاباور كالدويل» في كتابه «القلب يخطيء» : «ليس محرما على الانسان ان يبحث عن الله ، شريطة ان تبقى قدماه ثابتتين فوق الارض :

« Il n'est pas interdit à l'homme de chercher Dieu, à condition de garder les pieds bien plantés sur terre ».

ولا يفوتني ان اقول بان هناك فرقا بين المؤمن والمسلم ، فاداء الفرائض الخمس ليس هو الايمان كله ، فكم من مسلم لا تمت عبادته للايمان بصلة :

« قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا اسلمنا ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم »

فما هي علامة المؤمن اذن ؟

ليس المؤمن من تستعبده الانانية وحب الذات، انما المؤمن من يدرك انه وجد لغاية ، وهذه الغاية هي التضحية من اجل اسعاد اخيه ، ومقاومة الشر بكل اشكاله حتى لا يصيب الآخرين ، والنهي عن المنكر ، وصيانة العقيدة الدينية ، والدفاع عنها بالنفس والنفيس ، ومقاومة البدع وضروب الفساد الذى تشوه سمعة امته ، المؤمن من يحافظ على المثل العليا ، ويتمسك بأهداب الفضيلة ، ويضحي بدمه ابتغاء مرضاة الله ، فلا يتردد فى محاربة من يخول لهم عداؤهم الطعن فى دينه ولغته او اغتصاب ترابه وانتهاك حرمته . وما ذلك بعسير على المؤمن الذى لا يرضى بالذل والاهانة ، « وما هان مؤمن وهو مؤمن » ولا « ذل صاحب ايمان بايمانه » .

وخير تعريف للمؤمن قول الله تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » .

وقد اجمع ائمة الدين) وعلماء التوحيد على ان الايمان لا يتحقق فى الانسان الا اذا آمن بالله) وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ودوافع الايمان كثيرة تختلف بحسب اختلاف وضعيات الاشخاص ومستوياتهم الفكرية فاول حافز على الايمان : **الفطرة** .

والايمان الفطري هو شعور غريزي فى الانسان ، يتسم به ويلاحقه فى جميع اطوار حياته ومراحلها ، فالنفس البشرية بطبعها مفطورة على حب خالقها ، قال (ص) « ما من مولود الا يولد على الفطرة » . وقال تعالى : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون ».

فايمان الفطرة ايمان عميق ، مغروس فى النفس ، الا انه فى حاجة الى من يستثيره ويخرجه الى الوجود فى شكل ايمان عملي نافذ المفعول. فصاحب الايمان الفطري مؤمن ، ولكن ايمانه مكبوت غامض .

سأل النبي (ص) أحدهم : — هل لك من اله ؟ قال : لي فى الارض آلهة كثيرة ، وفى السماء اله واحد ، — قال : من تعده لشدتك ، وتضرع اليه عند النوائب ؟ — قال : الاه السما. — قال : فاعبده ولا تشرك به شيئا » .

والدافع الثاني على الايمان هو **هداية السماء** التى يبعثها الله فى شكل نور يشع فى قلوب الضالين المتهورين الذين تصيبهم فى الحياة مصيبة فيعزون ذلك للدين ، خصوصا ، وانهم يشاهدون الزنادقة العابثين بالقيم الدينية يحققون السعادة النفسية، ويرفلون فى حلل الرفاهية والرخاء ، هؤلاء المتمردون غالبا ما يكتشفون الحقيقة ، ويدركون ان ما حسبوه سعادة عند غيرهم ليس سوى مظهر زائف ، بل انه مصدر شقائهم وتعاستهم فى الحياة ، ومن ثم يدركون مغزى المفهوم الخالد وهو ان كل سعادة يحاول الانسان أن يحققها فى غياب الدين وبعيدا عن الايمان بالله هي سعادة فانية لا محالة . لان السعادة تحتاج الى سكينة النفس ، وراحة الضمير ، والثقة بالمستقبل ، وهذه اشياء لا يمكنها ان تتأتى للفرد الا اذا كان مؤمنا .

ويكفي الانسان ان يتسلح بالايمان بالله لكي يتبخر قلقه النفسي ، ويهدأ صراع ضميره ، ويخبو لظى شره ، وتتفجر فى قلبه العاطفة الدينية التى تدفعه الى الخير والفضيلة والتضحية والتسامح .

والتقليد هو اكثر دوافع الايمان ذيوعا لانه يسجل واقع الاجيال السالفة ، وواقع جيلنا الحالي ايضا . فعندما ظهر الاسلام ، وبعث الله نبيه محمدا ليهدي الكفار وعبدة الاصنام ، آمنوا بالله ثم اسلموا ، اما نحن فاسلمنا لاننا وجدنا فى بيئة مسلمة ، وبحكم انتمائنا الى المجتمع الاسلامي آمنا ، وهذا ما يسمى بايمان التقليد .

لقد فتحنا اعيننا ونحن صغارا على آبائنا ورأيناهم يصلون ، فاتجهنا نحو القبلة وقلدناهم ، رأيناهم يصومون ، فجربنا الصيام ونحن صغار اقتداء بهم ، وهكذا سرنا على هديهم فى كل شيء يقومون به .

وعن طريق الممارسة اليومية استيقظت عندنا ملكة الوعي ، وتسلل الايمان الى قلوبنا الخاشعة، فاصبحنا مؤمنين بعد ان كنا مسلمين ، وبفضل الثقافة ونصائح الآباء نما رصيدنا الديني وامسينا

مؤمنين عن اقتناع بعد ان كنا مجرد مقلدين ، وعلى عكس الايمان عن طريق التقليد نجد الايمان **بالضرورة الحتمية** . بعض الاشخاص فى الحياة يلازمون الحياد ، فلا هم من المؤمنين ، ولا هم من الملحدين ، يتأرجحون بين هؤلاء وهؤلاء كخيط الميزان ، يعانون ازمة التخوف من الانتماء ، لانهم لا يحسون فى نفوسهم الكفاءة التى تخول لهم الانتساب الى احدى الطائفتين .

هؤلاء ان سألتهم عن دينهم اعترفوا بانهم مسلمون ، وان امرتهم بتنفيذ فريضة من فرائضه اعتذروا بانهم عاجزون .. لا ينكرون وجود الله والانبياء والرسل ، ولكن ذلك لا يعنيهم فى شيء ما دام وجود هؤلاء الانبياء لا يغير من واقعهم شيئا ، غير انهم لا يجهلون ان الانسان لا يعيش للنفس فقط ، حقا ان النفس تتغذى بالشهوات ، والقلب يخفق للنزوات ، ولكن الروح متعطشة لغذائها الخاص ، وهي لا تشتهي مالا ولا جمالا ، بل تريد الايمان الذي تطعم به العقل والقلب حتى يحصل التوازن وتكتمل السعادة !..

وقد تطوي الاعوام اعمارهم ، وهم يدورون فى حلقة مفرغة ، ويبحثون عن اللا شيء ، لكن سرعان ما تدفعهم الضرورة الى الاعتصام بحبل الايمان لكي يتخلصوا على الاقل من صراعهم النفسي ، وبمجرد ان يستعذبوا حلاوته ، يعلنون انتماءهم الى طائفة المؤمنين عن طريق الضرورة الحتمية .

وهذا ما يقع الان بالنسبة للشباب المغربي الذى مل حياة التيه والمغامرة ، والغوص فى عرض المجهول ، والجري وراء الذى يأتي ولا يأتي ... لقد اكتشف ان ما يعانيه العالم اليوم من ظلم وتفسخ ، وانحلال هو وليد الكفر بالقيم الروحية ، وان النفس البشرية اذا لم تشعر بالمسؤولية امام خالقها ، تتوالد الزيف والمكر ، وتفشت الخديعة والميع ، وتضاعف عدد المجرمين . ومن ثم انكب على دراسة الاديان ، واخذ يرحل الى الاقطار الاجنبية بحثا عن الديانة التى تناسبه وتقنعه ، وكثيرا من المثقفين الغربيين وجدوا فى الاسلام هدايتهم ، فارتضوه دينا لهم ، وآمنوا به .

الايمان عن طريق الثقافة والتامل :

ويتجلى بالخصوص عند طلبة المساجد والمعاهد الدينية ، وعند المتصوفين ، انهم بحكم تربيتهم الدينية مؤمنون جدا الى درجة انهم يفضلون العزلة والابتعاد عن الناس لانهم يستنكرون كل ما يرونه فى طريقهم .

انهم من الوجهة الدينية يمثلون النموذج لان بعضهم يرقى الى درجة المتصوفين الا انهم من ناحية اخرى ينفرون من كل ما يمت الى المدنية والتقنية بصلة ، ولا يحاولون بصفتهم فقهاء ورجال دين ان يخضعوا تيار هذه الحضارة الجارفة لنظام الاسلامي، وبالتالي فهم سلبيون .

اني لا ارى جدوى فى ان تصرف الاموال لاعداد الاطر المتخصصة فى الدين اذا كانت هذه الاخيرة لا تساهم ، ولا تعمل على خدمته .

ان غياب هؤلاء المثقفين يعرض الشباب لكثير من الاخطار ، ويساعد على انتشار الدعاية المغرضة التى ترمي الاسلام بالجمود والتحجر ...

واخيرا الايمان عن طريق الالحاد :

وهذا النوع من الايمان يتحقق نتيجة رحلة طويلة مضنية فى متاهات الشك واليقين ، فالانسان الملحد الذى عاش تجربة النفي خارج حدود الايمان، وقطع كل صلة له بخالقه معتمدا على ارادته الخاصة، غالبا ما ينتهي به المطاف الى الوقوف على الحقيقة المرة التى تقلب حياته وفلسفته راسا على عقب ، وقد لا تطول حيرته حتى يلوذ بعالم الايمان حيث النفس مطمئنة مستبشرة ، راضية بمصيرها ، خاضعة لقانون الحياة الازلي .

وقد اثبتت التجربة ان هذا الصنف من الايمان هو اصدق نموذج ، باعتباره ناضجا ، مستكملا للشروط ، مشبعا بروح الاستطلاع والاقتناع . وغالبا ما يحدث هذا بالنسبة للمستشرقين ورجال الفكر والفلسفة الذين لا يقتنعون بالمعطيات والحجج التى بين ايديهم ، بل يرغبون فى اكتشاف الحقيقة عن طريق المقارنة والبحث والتقصي والتمحيص .

وما اكثر ما اعطى الايمان عن طريق الالحاد ، اذ ان هؤلاء المفكرين يجعلون من الاسلام مادة لكتاباتهم، ويسخرون كل طاقاتهم لخدمته والدفاع عنه

والحقيقة التى لا يمكن انكارها هي ان الفضل يرجع لبعض المستشرقين الذين الفوا كتبا قيمة يمكن الاعتماد عليها من قبل الدارسين والباحثين ورحلوا

الى البلدان العربية ، واتصلوا بعلماء الدين والفقه والشريعة ، وانتقوا العلم من ينبوعه قبل الشروع فى الكتابة .

فلا عجب اذا سمعنا شباب الغرب يهتم بالاسلام ، وينظر اليه على انه النظام المثالي الذى سينقذ البشرية من هوس الراسمالية ومتاهات الاشتراكية ومكر الصهيونية ، والدين الوحيد الذى يضم اسرار الاديان كلها ، ولا عجب ايضا اذا راينا شمس الاسلام تشرق على الغرب وتختفي عن الشرق .

فما احوجنا فى هذا الظرف العصيب الذى تجتازه امتنا العربية والعالم الاسلامي الى شباب مؤمن مهذب، يبني ولا يهدم، ما احوجنا الى مواطنين أكفاء يصلحون ولا يفسدون .

أن الغرب الذى كنا نتطلع اليه وننظر اليه بعين العبد للسيد ، ونتهافت على شراء بضاعته ، ونقلده فى كل صغيرة وكبيرة قد استفاق من غفلته اخيرا، واكتشف أن المدنية وحدها غير قادرة على تحقيق المثل الاعلى ، فاصبح يهتم اكثر من اي وقت مضى بالثقافة الدينية لانها أساس كل حضارة خالدة .

فالملحد حتى وان نجح فى كسب المال ، فانه لن ينجح فى تحقيق الاستقرار النفسي الذى يحسه المؤمن بفضل ايمانه .

الرباط ـ فدوى ميحاط



الاسلام ...
وسنن الله الكونية

للأستاذ محمد إدريس العلمي

لقد كان العرب الذين بعث فيهم النبي الاكرم محمد صلى الله عليه وسلم على جانب كبير من معرفة اسرار النجوم وأحوال الميقات والرياح وغيرها ، مما كان يجعلهم يعيشون في نظام محكم في جميع شؤونهم الخاصة والعامة ، ويتلافون الاخطار التي تنشأ من جراء اختلاف الاحوال الطبيعية . ومن المعلوم ان الاسلام – وهو الدين القويم – عندما جاء نمى هاته العلوم وهذبها ووضع لها القواعد والاسس ، وحض على تعلمها والامعان في قواعدها وتطبيقها في السير في جميع مسالك الحياة ، وقد ورد في القرءان الكريم ءايات كثيرة في ذلك ، اوصلها بعض العلماء الى سبعمائة وخمسين ءاية ، وقالوا انما تعتبر ثلاثة اضعاف ءايات الاحكام . وهكذا يتبين لنا من خلال هذا أن المسلمين كانوا متقدمين على غيرهم من الامم الاخرى في هذا المضمار ، وانهم يعتبرون اساتذة العالم في ذلك ، ولا حاجة الى بسط الادلة والمستندات ، فالتاريخ اعدل شاهد ، وبالاخص ما كتبه علماء الغرب مثل غستاف لوبون وسيديو ودوزي كوديرا وغيرهم من المبرزين المشهورين . ومع تعاقب العصور الاسلامية ظهرت مؤلفات وكتب كثيرة الفها علماء اعلام وجهابذة عظام ، وقاموا باجراء عدة تجارب دونوها في هاته الكتب ، واخترعوا ءالات مثل الاسطرلاب وقواعد لتسهيل الحسابات والتدقيق فيها مثل (اللغاريتم) .

ان الاسلام ليحض على دراسة احوال الكون والامعان في معرفة الكائنات الموجودة في السماوات والارضين ، كما جاء في القرءان الكريم « قل انظروا ماذا في السماوات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يومنون » « ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لقوم يعقلون » « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت » وفي هاته المقارنة بين خلق الابل وارتفاع السماء وتسطيح الارض دليل على ان الخطاب قد ورد للعرب الذين يعيشون في الصحراء تسهيلا لافهامهم وجريا على مقتضى تفكيرهم ، وهو اسلوب في غاية ما يكون في التبسيط والتجسيم ومراعاة قواعد التربية وعلم النفس الحديث ، والمتتبع للتاريخ وعلم الاجتماع ودراسة طبقات الامم والشعوب يدرك الى اي مدى وصل العرب في جاهليتهم ، والى اي حد وصلوا بعد ان صقل الاسلام عقولهم وهذب اذواقهم وجعلهم في مستوى ارقى الامم والشعوب في العالم اجمع .

واذا كان الاسلام قد جاء حاثا على دراسة احوال الكون والعلوم التطبيقية وعلوم الحياة على اختلافها ، فلماذا يتقبل بعض المسلمين باستغراب او باستحالة امكانية وصول البشر الى القمر ودراسته دراسة عملية مع انهم لو رجعوا الى تعاليم دينهم وطبقوها كما يجب لرأوا ان ذلك من الامور المسلمة في العلم بل لجعلوها قبل غيرهم دلالة على صحة بعض معجزات الانبياء وبالاخص صحة الاسراء والمعراج وانتقال النبي ص من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وصعوده الى السماء وانتقاله بين اجوائها وجميع طبقاتها الى مجاوزة سدرة المنتهى والتاهيل لتلقي الخطاب الالاهي بدون وسيلة ولا حجاب ؟

فاذا كان البشر وهم مخلوقون عباد لله تعالى مسيرون ومصرفون في جميع شؤونهم قد استطاعوا ان يقطعوا المسافات البعيدة بين الارض والقمر في ايام معدودة ، فانه يكون من المعقول والمقبول . ومما لا شك فيه بالطبع ومما هو هين وبسيط الاسراء بالنبي (ص) في ليلة واحدة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى والعروج به الى السماوات العلى ، ويكون فيه ايضا تصديق للاية الكريمة « **سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد** . » فان ايمان المومن يزيد بارتفاعه في الكون ومشاهدته في العظمة الالاهية ما يعجز عن وصفه البشر ، وقد ورد في تصريحات « كاركانيي » الرائد الاول للفضاء ما يدل على ان الرجل قد اصبح على شكل جديد اقرب الى الايمان عندما صعد الاجواء العليا وقطع تلك المسافات الخيالية .

ونحن بصفتنا مسلمين ، وديننا يحض على العلم والمعرفة ويجعل الانسان العالم افضل من الجاهل بمراحل كثيرة كما جاء في القرءان الكريم « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر اولوا الالباب » نصفق للابطال الشجعان الذين استطاعوا بفضل حنكتهم وشجاعتهم ان يقطعوا تلك المسافات الخيالية ويصلوا الارض بالقمر ويضيفوا مناقب اخرى الى مناقب الانسان الذي خلقه الله وكرمه وفضله على العالمين بالعقل والتفكير وتنظيم شؤون الحياة ولكننا نريد ان تستخدم الاختراعات العلمية والاكتشافات الحديثة لصالح البشر، ونريد ان لا يتخذ من القمر ابراج عالية للتحصين الحربي والاغارة على الضعفاء فقد ضجت الارض وجار ساكنوها بالشكوى من المخترعات الابادية والاجرامات المتعددة واحتقار الانسان لاخيه الانسان بدافع التقوى وصلابة الجسم وضخامة المال « وان الانسان ليطغى ان رءاه استغنى » كما جاء في القرءان الكريم .

ان كل خطوة يقطعها الانسان في مضمار العلم والمعرفة باخلاص وصدق عزيمة وارادة نفع البشر ليعرج لها الناس ويعتبرونها تقدما لهم جميعا ، وعلى العكس من ذلك اذا كانت هاته الخطوات تقطع للتكبر والاستعلاء ، ولتكون امة هي اربى وازيد عددا وعتادا من الامم الاخرى فان الناس يعتبرونها تاخرا ورجوعا بهم الى شريعة الغاب والى العهد الحيواني .

ان الايام المقبلة سترينا اكتشافات ومعجزات اكبر واكبر بكثير من اكتشاف القمر وقلب بعض الاوضاع والقواعد العلمية والادبية ، فلم يعد الشاعر منذ الآن يقدر على ان يشبه الجميل والعظيم بالقمر بعد ان تبين انه عبارة عن صخور ورمال ، فقد ذهب قول القائل وجهه يتهلل كالقمر ، لانه ادرك ان النور حاصل من انعكاسات الانوار الشمسية على سطحه ، وان القمر ليس الا صخورا وترابا هو الآن في متناول العلماء والفنيين الذين يتولون دراسة بامعان وبعد نظر .

وان الامة التي تتقدم في ميدان العلم والمعرفة لهي الامة الفتية القوية الحية حيا ، وان الامة التي تهمل سبيل العلم الحقيقي وتشتغل بالقشور بعيدة عن اللباب لهي المتاخرة حقا ، وان كانت لها أساطيل وجيوش جرارة وكلمات مسموعة في الشرق والغرب .

لقد بين العلامة الطنطاوي في كثير من كتبه ان الامة التي يقترب اجلها هي الامة التي تقصر في جانب علوم الكون وعلوم الحياة واستدل على ذلك بآيات واردة في الموضوع ، وقد عاش الطنطاوي في عهد اجهز فيه الاستعمار الغربي على الامة الاسلامية وخنق انفاسها وسد عليها جميع ابواب العلم والمعرفة الحقة ، واطلق العنان لاذنابه ليشككوا الناس في قيمة علوم الكون ومنافعها (**مرشدين اياهم**) الى الزيادة في تشغيب مشاكل الفقه والعقائد ، حتى نشأت طوائف عديدة وتفرقت السبل ، وبعد المسلمون عن جوهر دينهم وانشغلوا بالاعراض ، وقد كان لكلماته ونصائحه طيب الله ثراه اثر طيب في جميع نفوس الشباب المسلم ءانذاك ، ولم تمر الا فترة وجيزة حتى تبخرت جميع تلك الدعاوي الفارغة ونبغ علماء مسلمون في الشرق والغرب في علوم الحياة وعلوم الكون والعلوم التجريبية وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد وقاموا بالتاليف والتدوين، حتى زخرت الخزانة الاسلامية بكثير من مؤلفاتهم ونتائج ابحاثهم ، وخسر الاستعمار البغيض وخسر معه المنافقون والمبطلون .

الدار البيضاء : محمد ادريس العلمي



- 2 -

هناك مصدر آخر لتحصيل معلومات عن المواقف العنصرية ، نجده في الادب الديني ، وعلى الخصوص في ذلك الذي يدين التحيز العنصري والتمييز بواسطة استشهادات مناسبة .

وقد جمع ثقاة المسلمين عددا كبيرا من الاحاديث خلال القرون التي تبعت وفاة النبي عليه السلام ، والاحاديث هي التعاليم والتقاليد التي تختص بأعمال محمد عليه السلام واقواله . وقد جاءت نسبة كبيرة من هذه الاحاديث عفو الخاطر بكل تأكيد ، ورغم أن هذا قد يبطل قيمتها كبرهان على وجهات نظر الرسول ، فانه لا يمنعها من ان تكون برهانا مهما على تطور المواقف خلال الفترة التي انشئت فيها ، ويهتم عدد كبير من تعاليم الرسول وتقاليده بقضايا الجنس واللون ، فهناك بعض منها يدين هذا الجنس على الخصوص او ذاك . وهكذا اثر عن الرسول قوله عن الحبشي انه « كالزنجي اذا جاع سرق وان شبع زنى » (1) ولا شك ان هذا القول قد جاء على البديهة ، ولكنه جد معروف في العصور القديمة والحديثة كمثل يضرب عن الزنج .

مثل هذه الاحاديث قليلة ولا يعتبرها الناس آمرة جازمة ، بينما هناك مجموعة كبيرة من التي عاشت وكان الفرض العام منها استنكار التحيز العنصري والالحاح على اسبقية التقوى .

واحد من هذه الاقوال الشائعة القول المنسوب الى الرسول : « لقد بعثت الى الاحمر والاسود » (2) وهو تعبير يحتضن كل الجنس البشري .

وبالاضافة الى الآية التي استشهدنا بها بالبداية من القرآن الكريم ، فان الاقوال المنشئة للتقاليد والتعاليم الاسلامية ، وهي ايضا جاءت عفو الخاطر تقريبا ، تبقي لها هدف الالحاح على ان الفضيلة الحقة انما توجد في التقوى وفي العمل الصالح وهما اسبق من المنشأ .

هذه الاحاديث، والاحاديث التي تقابلها، تعكس بوضوح الصراع الكبير الذي وقع في فجر الامبراطورية الاسلامية بين العرب الخلص الفاتحين الذين يدعون سموا اجتماعيا وعرقيا ، وبين المعتنقين للاسلام من البلدان المفتوحة ، والذين لم يستطيعوا ادعاء امتياز عائلي او عرقي ، فالحوا بسبب ذلك ربما ، على اسبقية التقوى والفضيلة الدينية .

---

(1) الميداني : امثال العرب

(2) كولدزيهر : موح ـ الترجمة الانجليزية ص 87 .

وربما وجب علي هنا ان انبه الى صورة بلاغية شائعة الاستعمال بالعربية ـ وهي برهان بالخلف، مختلفة كل الاختلاف عن تلك الصورة التي نسميها برهانا غير مباشر . ان هدف البرهان غير المباشر ، او البرهان بالخلف هو البرهنة على خطأ حجة ما بايراده في اكثر اشكاله تطرفا وغرابة . اما الصورة البلاغية العربية التي اتحدث عنها فهدفها غير ذلك ، اذ انها لا تريد ان تدحض أو تبطل ، ولكنها تؤكد وتثبت ، فهي اذن ليست برهانا بالخلف ولكنها بالاحرى تأكيد بالخلف ، اذا سمحت لنفسي بحشر هذا التعبير البلاغي .

ان المرا لا يملك الا أن يدهش من عدد المرات الذي يستعمل فيها الانسان الاسود للاشارة الى هذا النمط من الحجج .

وهكذا فان رجال القضاء المسلمين يتلون قولا مأثورا منسوبا الى الرسول عليه السلام عندما يؤكدون واجب الطاعة والخضوع للسلطة (3) .

« اطيعوا من ولى عليكم ولو كان عبدا حبشيا مجدوع الانف »

ان امتزاج الخاصيتين يشير الى عدم الاهلية الجسمانية والاجتماعية والعرقية .

وفي موضوع الزواج يقول عليه السلام :

« لا تنكح المراة لمالها ولا لجاهها ، وعليك بذات الدين تربت يدك » (4)

يجب تفضيل التقوى على الميل والهوى ولو ان التقوى لا تستطيع ان تعيد توجيه الميول .

ونجد نفس الموضوع يرد في القصص التي تروى عن أبي ذر ، وهو بطل اسلامي قديم يذكر غالبا كنموذج للتقوى والتواضع . ويروى كأمثلة على تواضعه انه تزوج امراة سوداء « لانه اراد زوجة تدنيه لا زوجة تعليه . » وانه كان مستعدا للصلاة وراء رجل حبشي (5)

ونجد القضية اكثر وضوحا وفعالية عندما يتعرض لها ابن حزم الشهير (990 ـ 1064) الذي يلاحظ ان :

« الله شرع ان اكثر الناس ورعا هو اكثر الناس نبلا (6) ولو كان ابن زنجية زانية ، وان اكثر الناس خطيئة وكفرا هو في الدرك الاسفل حتى ولو كان ابن الانبياء » (7)

ان هذا الشعور شعور بالتقوى والمساواة ، ولكنه بشكل ما لا يحمل اقتناعا كاملا . ان ابن حزم يقدم هذه الملاحظة في مقدمة دراسته عن النشاة العربية والذي يحاول فيه ان يبرهن على اهمية هذا العلم .

وفي حديث آخر ملتبس بعض الالتباس يقول رجل حبشي للرسول :

« انكم ايها العرب تفوقوننا في كل شيء في البنية واللون وانتساب النبي لكم ، فهل سأكون معكم في الجنة اذا آمنت »

فيجيبه الرسول :

« نعم ، وفي الجنة سيظهر بياض الحبشي للرائي على مسافة اكثر من الف سنة ». (8)

ان الاخلاق والتعاليم التي تستخرجها من هذا القول ومن عدد لا حصر له من الاقوال والحكايات من نفس النوع انما هي ان التقوى تطغى وترجح على السواد ، وان عدم التقوى تطغى وترجح على البياض . ولا يعني هذا انه لا فرق بين البياض والسواد بل ان عكس ذلك يتأكد في بعض الحكايات مثل تلك التي تتحدث عن الزنجي التقي الذي يتحول لونه ابيض ويقابلها قصص عن فاعلي الشر الذين يتحول لونهم الى السواد .

ونجد مثلا حيا على ذلك في رسالة الغفران حيث يقدم الشاعر السوري ابو العلاء (973 ـ 1057) صورة عن الجنة والنار . يلتقي الراوي في الجنة بحرية فائقة الجمال تقول له ان اسمها في الحياة كان توفيق الزنجية ، وكانت تخرج الكتب للناسخين في اكاديمية بغداد . فيقول مندهشا :

(3) ـ (4) ابن ماجة : السنن (القاهرة 1372 / 1952) ص 597

(5) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير طبعة شاسو ص 134 .

(6) اشارة الى الآية القرآنية الكريمة

(7) ابن حزم : جمهرة انساب العرب (القاهرة 1948) ص 1

(8) كولد زير : ص 74

« ولكنك كنت سوداء واصبحت الآن ابيض من الكافور » .

فتجيبه ببيت من الشعر معناه : انه لو كان هناك بصيص من نور الله لدى كل السود لتحولوا كلهم بيضا (9) .

نجد نفس هذا الاقتران للبياض مع الخير في ادب السيرة النبوية التي يصف الرسول نفسه بالبياض او الحمرة ، ونفس اللون ينسب الى زوجته عائشة والى صهره علي واعقابه وحتى اجداده كما ينسب الى الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى (10)

الفتح والاسترقاق :

يمكن نسبة هذا التغيير العظيم الذي وقع في الموقف ، خلال بضعة اجيال الى تطورين رئيسيين هامين .

1 ـ اولهما هو عامل الفتح ، وانشاء العرب المتحضرين لامبراطورية عظيمة كان لابد من ان يظهر فيها التمييز العادي بين الفاتحين والمفتوحين . كان العرب والمسلمون في البداية شعبا واحدا بالفعل ، وكان التمييز تمييزا دينيا فحسب . ولكن الدخول السريع للاسلام من طرف الشعوب المفتوحة احدث طبقة جديدة هي طبقة المعتنقين للاسلام من غير العرب ، والذين يشبه وضعهم وضع المسيحيين الاصليين في الامبراطوريات الاوروبية الاولى .

لقد كان معتنقو الاسلام غير العرب متساوين مع العرب حسب مذاهب الاسلام والتي اكدها باستمرار شراح العقيدة الثقاة ؛ بل لقد كان من الممكن ان يفوقوهم بالتقوى . ولكن العرب مثل غيرهم من الفاتحين ، قبلهم وبعدهم ، كانوا يرفضون المساواة مع المفتوحين ، وقد ابقوا على امتياز وضعهم اطول مدة ممكنة . كان ينظر الى المسلمين غير العرب نظرة استصغار ، وكانوا عرضة لسلسلة من اللا اهلية المالية ، والاجتماعية ، والسياسية والعسكرية .

كان الصراع من طرف المعتنقين للاسلام غير العرب من اجل المساواة في الحقوق احد المواضيع الهامة التي شغلت القرنين الاولين من تاريخ الاسلام، وكان صراع انصاف العرب من اجل المساواة مع العرب الاقحاح موضوعا آخر يساوي الموضوع الاول في الاهمية . ولقد كان هناك تمييز ، في اوائل الامبراطورية الاسلامية حتى بين اولئك الذين كانوا من سلالة حرة من كلا الطرفين ، وبين اولئك الذين كانت امهاتهم غير حرات. كانوا ابناء محظيات، وبالضرورة كانوا ابناء لاشخاص من جنس مختلف . ورغم انهم كانوا اسمى من المسلمين غير العرب ، فهم قطعا ادنى من العرب الاقحاح من كلا الطرفين . وكلما ازداد عددهم كلما ازداد الحاحهم في المساواة مع العرب .

ومن بين هذين الطائفتين : طائفة المعتنقين للاسلام غير العرب ، وطائفة المنحدرين من اصل نصف عربي ، لم يكن اللون ليثير قضية ذات بال .

ويحفظ الادب ذكريات صراع مرير خاضه الاطراف الثلاثة من العرب ، وانصاف العرب ، وغير العرب .

ان اهمية التمييز بين شخص من اصل افريقي، وبين شخص من اصل غير عربي ترجع الى رؤية العين ؛ فالابن الذي هو من اب عربي وأم سورية او فارسية لم يكن يبدو في شكله مختلفا عن ابن كلا ابويه عربيان . فالتمييز كان في الواقع اجتماعيا لا غير . اما الابن الذي امه افريقية فقد كان يظهر من مجرد الرؤية وكان بالتالي اكثر تعرضا للاساءة والتمييز . وقد كان لفظ (ابن السوداء) سبة توجه لمثل هؤلاء الاشخاص .

كان الشاعر نصيف اللحمي عنترة ابنا لاب عربي من قبيلة عبس وام سوداء ، ويقول بيت من الشعر منسوب اليه :

وان يعيبوا سوادي فهو لي شرف
يوم النزال اذا ما فاتني النسب (11)

يقال في هذا الصدد ان الخليفة عمر نفسه حفيدا لامراة حبشية ؛ وهذا الادعاء من بقايا الموقف القديم .

---

(9) ابو العلاء المعري : رسالة الغفران ـ القاهرة (1321 / 1903) ص 73 .
(10) ابن هشام : سيرة رسول الله ص 226
(11) الوردح : الشعراء العرب القدامى (لندن 1870) ص 32

يقول مؤلف عربي قديم هو محمد ابن حبيب انه حدث يوما في حياة الرسول ان شتم رجل عمر وناداه (بابن السوداء) ، فأنزل الله الآية القرآنية على اثر ذلك :

« يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ...» سورة الحجرات الآية 11 (12) .

والقصة ذات اهمية رغم انها قد تكون اختراعا من اجل التقوى ، وتأتي في فصل قصير عن عظماء الرجال الذين كانوا ابناء نساء حبشيات .

2 ـ اما العامل الهام الثاني فهو عامل التجربة الواسعة التي حملها الفتح الى العرب . كانت معرفتهم قبل الاسلام محدودة في الحبشة ، وهي بلد كان له مستوى مرتفعا نسبيا في الحضارة المادية والمعنوية ، وكانت سمعة الاحباش الطيبة في حياة الرسول ترجع الى الترحاب الذي كان يلقاه المهاجرون المسلمون من مكة . وحدثت تغييرات بعد الفتح حيث التقى العرب خلال توغلهم في افريقيا من جهة ، وفي جنوب غرب آسيا من جهة اخرى بشعوب خفيفة اللون كانت اكثر تحضرا ، وشعوب داكنة اللون كانت اكثر بدائية . ولا شك ان نتيجة ذلك كانت الشروع في معادلة العرب بين الامرين .

يضاف الى هذا التوسع عامل التطور الكبير الذي حدث في اوائل القرون الاسلامية ، ذلك هو عامل الرق وتجارة الرقيق (13) . لم يكن العرب هم أول من استرق الافارقة السود ، فالمصريون في زمان الفراعنة كانوا قد بدأوا اعتقال واستعمال الرقيق الافريقي الاسود ، وبعض هؤلاء مرسوم على الآثار المصرية . وكان هناك ايضا رقيق اسود في العالم الهيليني والعالم الروماني ، ولكنه يبدو انه كان قلة غير ذات أهمية نسبيا . ويبدو ان تطور الاسترقاق باعداد كبيرة والتجارة بالافارقة السود ، واستيرادهم باعداد ضخمة لتشغيلهم في بلدان البحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط يعود الى الفترة العربية .

ولقد كان من المحتم ان يؤثر هذا على مواقف العرب والمسلمين من الشعوب الداكنة اللون الذين التقى بهم العرب والمسلمون بهذه الطريقة فحسب .

كان العالم المتحضر يعني للمسلمين هم انفسهم ، كما كان الامر بالنسبة لكل الشعوب المتحضرة التي عرفها التاريخ .

كانوا هم وحدهم يملكون الاشعاع والعقيدة الحقة ، وكان العالم الخارجي يسكنه برابرة وكفرة ، وفي هذا العالم الخارجي الذي يمتد وراء حدود العالم الاسلامي ادرك المسلمون بعض التمييزات . ففي الشرق كانت الهند ، والصين بلدين وثنيين ، ولكنهما كانا يستحقان بعض الاحترام لما يملكانه من سمات حضارية . وفي الغرب يمتد العالم المسيحي البيزنطي ثم الاوربي والذي كان يعتبر عقيدة منافسة ، وثقافة منافسة ، ونظاما عالميا منافسا . وما عدا هذين كان هناك البرابرة الشماليون والجنوبيون اي برابرة الشمال البيض وهم الاتراك والسلافيون الخ .. والبرابرة ذوو اللون الادكن في الجنوب وهم افريقيا السوداء .

وكان ينظر الى كليهما كمصدرين للرقيق ينبغي استيراده الى العالم الاسلامي وصبغه بالصبغة الاسلامية وبالتالي ادخاله الى الاسلام ما دام لم يملك دينا خاص به يستحق الذكر ، وهكذا كان الاسترقاق بالنسبة لهؤلاء الاقوام يعتبر رحمة وبركة ، وكانت هذه الاقوام تنظر اليه فعلا كذلك .

ولم يكن ينظر الى اي من هذين الطائفتين نظرة فيها كثير من الاحترام .

ـ يتبع ـ

الرباط ـ محمد الشوفاني

---

(12) ابن حبيب : كتاب المحبر (حيدراباد) 1361 ـ 1942 ص 306

(13) ما زالت تجارة الرقيق في العالم الاسلامي تحتاج الى الدراسة ، وللاطلاع ارجع الى «عبد» في انسكلوبيديا الاسلام .



« 5 »

ـ سنة ثلاث وعشرين ـ

وفيها ان بهرام الاسماعيلي داعي الباطنية ـ وكان مقيما ببانياس كما تقدم ـ استدعى يبرق بن جندل مقدم وادي التيم ، وقتله صبرا بين يديه لا لسبب ، فتألم الناس لذلك لشهامته وحسنه ، وحداثة سنه . وهاج اهل وادي التيم . طالبين بثاره مع اخيه الضحاك بن جندل ، فحشدوا وقصدوا بانياس . وجمع بهرام ايضا ، وخرج اليهم ، فبغتوه صباحا ، واعجلوه قبل ان يركب من مخيمه هو واصحابه ، فقتلوهم شر قتلة ، وقتلوه هو ايضا في جملتهم ، واخذوا راسه فطافوا به في بلادهم ، ثم بعثوه الى خليفة مصر الآمر بالله ، لانهم كانوا ينتمون اليه ، ويقولون بانتظار الحاكم ليعود من غيبته ، ويقسمون في ايمانهم بحقه ، فبعث الى اعيان اهل الوادي الخلع . ثم قام بعد بهرام صاحبه اسماعيل العجمي ، فحذا في الاضلال والاستقواء حذوه ، وعامله الوزير المزدقاني بما كان يعامل به بهراما ، فانه كان يصادق الباطنية ، ويراعي اصحابهم ، وغرضه في ذلك ان يساعدوه على اعدائه، وينجدوه ان دهم امر لايطيقه ، فلم يغن ذلك من امر الله شيئا ، وضرب عنقه الملك بوري صاحب دمشق، واحرق بدنه ، وعلق راسه، وانقلبت البلدة بالسرور، وحمدوا الله ، وثارت الاحداث والشطار في الحال بالسيوف والخناجر يقتلون من راوا من الباطنية واعوانهم ومن يتهم بمذهبهم ، وهكذا اخذ هؤلاء يقتفون اثرهم حتى افنوهم ، وامتلات الطرق والاسواق بجيفهم ، وكان يوما مشهودا اعز الله فيه الاسلام واهله .

هذا ، وقد اخذ جماعة اعيان منهم شاذي الخادم ، تربية ابي طاهر الصائغ الباطني الحلبي ، وكان هذا الخادم راس البلاء ، فعوقب عقوبة شديدة شفت القلوب ، ثم صلب هو وجماعة على السور . وقتل بدمشق ـ ممن كان يرمى بمذهب الباطنية ـ ستة آلاف نفس .

ولما سمع اسماعيل الداعي واعوانه نبأ بانياس وما جرى انخذلوا ، وذلوا ، وسلم اسماعيل اللعين بانياس الى الفرنج ، وذهب هو وطائفته الى البلاد الافرنجية في الذلة والقلة ، ثم مرض اسماعيل بالاسهال وهلك ، فلا رحمه الرحمن. ولما عرف الفرنج بواقعة الباطنية ، وانتقلت اليهم بانياس قويت نفوسهم ، وطمعوا في دمشق ، وحشدوا ، وتجمعوا ، وتالبوا ، من الرها وانطاكية وطرابلس والسواحل والقدس ، فكانوا نحوا من ستين الفا ما بين فارس وراجل ، فتاهب تاج الملوك بوري وطلب التركمان ، وانفق الخزائن ، واقبل الملاعين قاصدين دمشق ، فنزلوا على جسر الخشب والميدان ، وبرز عسكر دمشق ، وجاء التركمان والعرب وعليهم الامير مرى بن ربيعة ، وبعثوا كراديس في عدة جهات ، فلم يبرز احد من الفرنج ، بل لزموا خيامهم ، فاقام

الناس اياما هكذا حتى وقع الاشتباك ، وحمل المسلمون ، وثبت الفرنج ، فلم يزل عسكر الاسلام يكر عليهم ، ويقتل منهم الى ان فشلوا وخذلوا ، ثم ولو مدبرين ، ووضع المسلمون فيهم السيف ، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة لا تحد ولا توصف ، وهرب جيش الفرنج فى الليل ، وابتهج الخلق بهذا الفتح المبين ، فلله الحمد والشكر .

ـ سنة اربع وعشرين ـ

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق ، هدمت بيوتا كثيرة ببغداد ، ووقع بارض الموصل مطر عظيم ، فقد امطرت عليهم نارا ، فأحرقت دورا كثيرة وخلقا، وتهاربت الناس .

وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان، فخاف الناس خوفا شديدا .

وفيها ملك عماد الدين زنكي بلادا كثيرة من الجزيرة وبلاد الفرنج ، وفتح حصن الاثارب عنوة ، وجعله دكا . وكان على اهل حلب من هذا الحصن ضرر شديد لقربه منهم ، فان الاثارب على ثلاثة فراسخ من غربي حلب . وجرت له حروب طويلة ، وخطوب جليلة ، ونصر عليهم فى تلك المواقف كلها، وقتل خلقا .

وفيها ذلت الفرنج ، وعلموا عجزهم عن زنكي ، واشتد ازر المسلمين .

وفيها قتل الباطنية الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله بن المستعلى صاحب مصر وله من العمر اربع وثلاثون سنة ومدة خلافته تسع وعشرون سنة وخمسة اشهر ونصف ، وهو العاشر من الفاطميين من ولد عبد الله المهدي . ولما تغلب على الديار المصرية غلام من غلمانه ارمني ، فاستحوذ على الامور ثلاثة ايام حتى حضر ابو علي احمد بن الافضل بن بدر الجمالي ، فاقام الخليفة الحافظ عبد المجيد ابن الامير ابي القاسم المستنصر وله من العمر ثمان وخمسون سنة . ولما اقامه استحوذ على الامور دونه ، وحصره فى مجلسه ، لا يدع احدا يدخله اليه الا من يريد هو، ونقل الاموال من القصر الى داره ، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط .

ـ سنة خمس وعشرين ـ

فيها وثب اثنان من الباطنية على تاج الملوك بوري صاحب دمشق ، فجرحاه، فادركهما جماعته، وهبروهما بالسيوف . وسبب ذلك ان الباطنية لما جرى عليهم ما ذكرناه فى سنة ثلاث تحرقوا على تاج الملوك ، وندبوا لقتله هذين الرجلين ، فتوصلا حتى خدما فى ركابه ، ثم وثبا عليه فجرحاه ، فتعلل مدة ، ثم مات رحمه الله .

وفيها قتل أبو علي الافضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ ، فنقل الحافظ الاموال التى اخذها الى داره ، واستوزر بعده ابا الفتح ياسق الحافظي ، ولقبه امير الجيوش ، ثم احتال لقتله ، واستوزر ولده الحسن بعده .

ـ سنة ست وعشرين ـ

فيها تملك شمس الملوك اسماعيل بعد ابيه تاج الملوك بوري بن طغتكين ، فقام بأعباء الامور ، وخافته الفرنج ، وابطل بعض المظالم ، وفرح الناس بشهامته ، وفرط شجاعته، واحتملوا ظلمه . واخذ شمس الملوك مدينة حماه من زنكي .

ـ سنة سبع وعشرين

فيها قتل شمس الملوك اخاه سونج الذى كان قد اسره زنكي ، فحزن الناس عليه كثيرا .

وفيها اخذ شمس الملوك مدينة بانياس من الفرنج بالسيف وقلعتها بالامان ، فلما نزلوا اسروا كلهم . ثم قدم دمشق مؤيدا منصورا والاسرى بين يديه ورءوس القتلى ، ورأى الناس ما اقر اعينهم، فلله الحمد والمنة ، وكان يوما مشهودا .

ـ سنة ثمان وعشرين

فيها فتح شمس الملوك الشقيف وبيروت ، ونهب بلاد الفرنج .

وفيها افتتح اتابك زنكي بن آق سنقر قلاعا وقتل خلقا من الفرنج ، وفتح المعرة ، وكانت بيد

القرنج سبعا وثلاثين سنة ، ورد على اهلها املاكهم، فكثر له الدعاء .

ــ سنة تسع وعشرين ــ

فيها كانت وفاة المسترشد وولاية الراشد ، وسبب ذلك انه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة المسترشد واقع كبير ، اقتضى الحال ان الخليفة اراد قطع الخطبة له ببغداد ، فاتفق موت اخيه طغرل بن محمد بن ملكشاه ، فسار مسعود الى البلاد فملكها ، وقوى جانبه ، ثم شرع بجمع العساكر ليأخذ بغداد من يد الخليفة ، فلما علم الخليفة بذلك انزعج ، واستعد لذلك ، ثم خرج من بغداد في جحافل كثيرة فيهم القضاة ورءوس الدولة من جميع الاصناف ، ومشوا بين يديه اول منزلة حتى وصل الى السرادق ، ثم سار الى ان التقى الجيشان في يوم الاثنين عاشر رمضان فاقتتلوا اقتتالا كثيرا ، ولم يقتل من الصفين سوى خمسة انفس ، ثم حمل الخليفة على جيش الملك مسعود فهزمهم ، ثم تراجعوا وحملوا على جيش الخليفة فهزموهم ، وقتلوا منهم، واسروا الخليفة ، واخذوا ما معه ، وكان معه خزائن عظيمة ، وكانت صناديق الذهب والفضة على سبعين بغلا اربعة آلاف الف دينار . وكان الثقل على خمسة آلاف جمل . ووصل الخبر الى بغداد ، فنفر اهلها في يوم عيد الفطر ، ووثبوا على الخطيب ، وكسروا المنبر والشباك ، ومنعوه من الخطبة ، وحثوا التراب على رؤوسهم في الاسواق يبكون، ويضجون، وخرج النساء حاسرات يندبن الخليفة في الطرق وتحت التاج .

قال ابن الجوزي : وزلزلت بغداد مرارا كثيرة، ودامت كل يوم خمس او ست مرات في ليلة الثلاثاء، فلم تزل الارض تميد من نصف الليل الى الفجر ، والناس يستغيثون، وتفاقم الامر، واستسلم الناس. ثم ارسل سنجر الى ابن اخيه مسعود يقول له في كتاب : « ساعة وقوف الولد غياث الدنيا والدين ، (فلما دخل هذا الرسول على امير المؤمنين قبل الارض بين يديه، وسأله العفو والصفح) ، فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والارضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها ، فضلا عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلازل ، ودوام ذلك عشرين يوما ، وتشويش العساكر ، وانقلابات البلدان ، ولقد خفت على نفسي من جانب الله ، وظهور آياته ، وامتناع الناس من الصلوات في الجوامع ، ومنع الخطباء ما لا طاقة لي بحمله ، فبالله تتلافى امرك معه ، وتعيده الى مقر عزه، وتسلم اليه دبيسا ليحكم فيه ، وتحمل الغاشية بين يديه انت وجميع الامراء كما جرت عادتنا وعادة آبائنا »

فلما ان قرا مسعود هذه المكاتبة امتثل ما امره به عمه ، وضرب للخليفة سرادقا عظيما ، ونصب فيه قبة عظيمة تحتها سرير هائل ، والبس الخليفة السواد على عادته ، ثم جاء مسعود فدخل على الخليفة ، وقبل الارض بين يديه ، ووقف يسأله العفو : فقال : قد عفي عن ذنبك ، فاسكن وطب نفسا ، ثم عامله مسعود بما امره به عمه ، ثم احضر دبيسا مكتوفا بين اربعة امراء ومع كل واحد سيف مسلول ، وكفن منشور ، والقى بين يديه السرير ، وقال مسعود : يا امير المؤمنين ، هذا السبب الموجب لما تم ، فاذا زال السبب زال الخلاف ، ومهما تأمر يفعل به . وهو يبكي ويتضرع ويقول : العفو عند المقدرة ، وانا اقل واذل . فعفا عنه . وقال : « لا تثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم » . فحلوه ، فقبل يد امير المؤمنين ، وامرها على وجهه ، وقال : بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما عفوت عني ، وتركتني اعيش في الدنيا ، فان الخوف منك قد برح بي ، وطار هذا الخبر في الآفاق ، وفرح الناس بذلك ، واطمأنت قلوبهم .

فلما كان مستهل ذي القعدة جاءت الرسل من جهة الملك سنجر الى ابن اخيه تحثه على الاحسان الى الخليفة ، وان يبادر الى سرعة رده الى وطنه ، وارسل مع الرسل جيشا ليكونوا في خدمة الخليفة الى بغداد . فصحب الجيش سبعة عشر من الباطنية ، ويقال ان مسعود لم يعلم بهم ، فركب السلطان والعسكر لتلقي الرسول ، فهجمت الباطنية على الخليفة في خيمته ، وقتلوه بها ، وقطعوه قطعا، ولم يلحق الناس منه الا الرسوم ، وقتلوا معه جماعة من اصحابه في يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة. فلما علم العسكر احاطوا بالسرادق ، فخرج الباطنية وقد فرغوا من شغلهم ، فقتلوا ، ووقع النحيب والبكاء . قال ابن كثير : وقد حمل الخليفة الى بغداد ودفن بها . وخرج الناس في المدينة حفاة ممزقي الثياب ، والنساء منشرات الشعور ، يلطمن ويقلن فيه المراثي على عادتهن ، لان المسترشد كان محببا منهم ، لما اتصف به من الشجاعة والعدل ، والرفق بهم ، وكان عمره ثلاثا واربعين سنة وثلاثة اشهر

وثمانية ايام ، وكانت خلافته تمكنا عظيما لم يره احد ممن تقدمه من الخلفاء من عهد المستنصر بالله الى خلافته ، الا أن يكون المعتضد والمكتفي ، ولم يكن للسلطان معه فى كثير من الاوقات سوى الخطبة ، واجتمعت عليه العساكر ، وقاد الجيوش ، وباشر الحروب . قال ابن كثير : وهو آخر خليفة رؤي خطيبا . وعمل العزاء فى الديوان ثلاثة ايام ، ثم جلس ابنه الراشد فى الشباك فى الدار المثمنة المقتدرية ، وبايعه الامراء والاعيان ، وخطب له على الناس ببغداد، وظهر للناس ، وكان ابيض مشربا بحمرة ، جسيما مستحسنا ، وكان يومئذ كبيرا له اولاد ، ونادى باقامة العدل ، ورد بعض المظالم ، وظهر فى ايامه الرفض قليلا . ثم ان السلطان مسعودا جهز الى دبيس من قتله ، وقصد بذلك ان ينسب قتله المسترشد الى دبيس ، وانه اخذ بثار الخليفة منه ، وعلى كل حال اراح الله الارض ومن عليها من ذلك المارد الرافضي .

وفيها اختلت احوال الشام لسوء سيرة شمس الملوك ، فانه ضيق على الناس ، وصادر الاعيان ، وكاتب اهل دمشق اتابك زنكي ، وسالوه ادراكهم ، واطمعوه في دمشق ، ثم اجتمع جماعة من عسكره وغيرهم ، وتشاوروا فيما دهمهم من ظلم صاحبهم وعسفه وهتكه لحرمهم ، واخذه اموالهم وازواجهم . وقال بعضهم : هذا نوع من الجنون والسوداء لا دواء له الا بالموت ، وانهوا الحال الى والدته صفوة الملوك زمرد خاتون ، فاستدعت ولدها شمس الملوك ولامته وخوفته ، فلم يلتفت اليها ، وسبها ، وكاد يبادر اليها . فلما خرج من عندها اشار عليها بعض الخواص بالتمكين من قتله ، وقيل لها ، انه قد عزم على قتلك ، فمكنت من ذلك ، فاجتمع عليه طائفة من الغلمان فقتلوه فى بعض الدهاليز ، وابتهج الناس بمصرعه ، وشكروا الله تعالى على الراحة منه . واجلس فى الملك اخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري ، واستقامت الاحوال . ثم وصل اتابك زنكي ، وخيم بين عذراء والقصير ، فخرج اليه خلق من العساكر والاحداث وصدوه ، ولم يمكنوه من مقاربة البلد ، ثم حصل الصلح معه ورجع .

ـ سنة ثلاثين وخمسمائة ـ

فيها وقع بين الخليفة الراشد وبين السلطان مسعود ، بسبب انه ارسل الى الخليفة يطلب منه ما كان كتب له والده حين اسره وهو اربعمائة الف دينار ، ويطلب منه اولاد صاحب المخزن ثلاثمائة الف دينار ، ويقسط على اهل بغداد خمسمائة الف دينار . فامتنع الراشد من ذلك ، وارسل اليه يقول: اما الاموال المضمونة فانها كانت لاعادة الخليفة الى داره ولم تحصل وانا مطالب بالثار . واما مال البيعة فحتى تعاد الى املاكي واقطاعي ، واما الرعية فلا سبيل لك عليهم ، وما عندي الا السيف. ثم استنهض الخليفة الامراء ، وارسل الى عماد الدين زنكي فجاء اليه ، والتف عليه خلائق، وجاء فى غضون ذلك السلطان داود بن محمود بن محمد ابن ملكشاه ، فخطب له الخليفة ببغداد ، وخلع عليه ، وبايعه على الملك ، فتاكدت الوحشة بين الخليفة والسلطان جدا ، وبرز الخليفة الى ظاهر بغداد ، ومشى الناس بين يديه كما كانوا يعاملون به اباه قبله ، وخرج السلطان داود من جانب آخر ، فلما بلغهم كثرة الجيوش مع السلطان مسعود حسن عماد الدين زنكي للخليفة ان يذهب معه الى بلاد الموصل، واتفق دخول السلطان مسعود الى بغداد فى غيبتهم، واستحوذ على دار الخليفة بما فيها حتى استخلص من نساء الخليفة وحظاياه الحلى والمصاغ والثياب التى للزينة وغير ذلك ، وجمع القضاة والفقهاء ، وابرز لهم خط الراشد بانه متى خرج من بغداد لقتال السلطان فقد خلع نفسه من الخلافة ، فافتى من افتى من الفقهاء بخلعه ، فخلع ، وكانت خلافته احد عشر شهرا واحد عشر يوما . واستدعي محمد ابن المستظهر بالله ، وبويع بالخلافة عوضا عن ابن اخيه الراشد وله من العمر يومئذ اربعون سنة ، ولقب بالمقتفي ، ويقال انه راى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول له: سيصل هذا الامر اليك، فاقتف بي . فصار الامر اليه بعد ستة ايام ، فلقب بذلك لذلك . ويقال انهم بايعوا المقتفي على الا يكون عنده خيل ، ولا آلة سفر . واخذ مسعود جميع ما فى دار الخلافة من دواب واثاث وذهب وستور ، ولم يترك بدار الخلافة سوى اربعة افراس وثمانية بغال برسم الماء . وسار الراشد صحبة زنكي، ودخل الموصل .

« يتبع »

د. عبده اسماعيل الطهطاوي

أبحاث ودراسات

طبيعة القيادة الفكرية

للأستاذ علي الوزاني

1) لماذا تحتاج حياة الفكر الى قيادة ؟

لم يكن ظهور قادة الفكر على طول مسيرة تاريخ الفكر الانساني ، ومنذ عهود قديمة جدا والى اليوم ، من قبيل المصادفات التي يمكن الاستغناء عنها ، وانما كان استجابة لحاجة اكيدة وضرورة ملحة لازمة لحياة الناس الفكرية ، لا يمكن ان تستقيم بدون الاعتماد عليها ، واتخاذها سندا في تلمس مدارج التطور ومراقي النضج الفكري . وايضاح ضرورة احتياج الفكر الى قيادة تقتضينا الرجوع الى طبيعة حياة الفكر ، من الجانب الذي يهمنا في هذا الصدد . فيلاحظ ان الفكر هو في الحقيقة مجموعة من المفاهيم والصيغ العقلية المختلفة، وهذه تبتعد عن حياة الواقع حينا ، وتقترب منها حينا آخر ، وتتجاوزها في احيان اخرى ، وتتصل برواسب الماضي القريب والبعيد ، وتتأثر بظروف الحاضر وتطلعات المستقبل ، وتتوزع بين مجموعة من المشتغلين بشئون الفكر ، ما يفتأون يقلبونها على مختلف وجوهها ويستولدونها ويستنطقونها ويحورونها ، حتى لتبدو متشعبة ضروبا من التشعب . ومن طبيعة الفكر الانساني كونه يريد ان يصل من شتى الافكار التي تشغله وتذهب به مذاهب متنوعة ، الى نتائج يصح الاطمئنان اليها ، واتخاذها نقطة انطلاق نحو آفاق اخرى للمعرفة ، بوصفها صارت مكسبا فكريا يقوم اساسا لتطلعات فكرية جديدة . ولو انك قمت بعملية احصاء للمفاهيم الفكرية متمثلة في نتائجها وصيغها الشاملة المحددة، لما وجدت في تاريخ الفكر الانساني كله الا عددا من المفاهيم التي هي من هذا النوع ، استطاع هذا الفكر الوصول اليه بعد جهود مضنية ومراحل من استخدام العقل في شئون الحياة والنفس والكون . ولا شك ان تجميع المفاهيم في صيغها وقوالبها المحددة الشبيهة بالمتناهية من عمل قادة الفكر في كل امة حية ، وهؤلاء بين المشتغلين بشئون الفكر ، كالافكار العليا وسط مجموعة هائلة من المسائل العقلية التي شغلت بال الناس ولا زالت وبكيفية مطردة ، من حيث ندرة الاولى وكثرة الثانية .

فبعد أن يبذل المثقفون جهودا شاقة في الوصول الى عدد ضخم من النظريات والافكار الجزئية ، يأتي قائد الفكر ، يصوغ من ذلك الركام الهائل من المسائل المتناثرة المتفرقة نظرية متكاملة تتصف بالشمول والاحاطة والدقة ، مستغرقة كثيرا من الجزئيات التي كانت متباعدة فصارت بفضله متقاربة متجانسة ، شبيهة بآلات دقيقة تعمل متحدة في جهاز ضخم ، او شبيهة بالامثلة بالنسبة الى القاعدة النحوية التي تضم الخصائص المشتركة بينها — اي الامثلة — وتزاوج بينها .

ولم يحتج الفكر الى قيادة لهذا وحده ، وانما احتاج اليها لسبب آخر ، وهو البحث عن الطرق المجهولة ، والسبل غير المطروقة ، واستشراف آفاق جديدة ، قصد الدلالة عليها ، وتوجيه الخطوات نحوها ، حتى يتأتى للفكر ان يخرج من مجالاته المالوفة،

ويتحرر من قيوده الثقيلة ، فينطلق نحو الابداع والانشاء ، بفضل الدليل الذي دله على الطريق ، وما هذا الدليل الا قائد الفكر الرائد الهادي والمرشد الامين ؛ وذلك لما اوتيه من بعد نظر ، وادراك دقيق شامل ، وخيال يطوي العوالم والآفاق ، الامر الذي يتيح له ان يرى ما لا يرى الناس ، وان يعي ما لم يعوا، وان يتصور من مجالات الفكر وقضاياه ما لم يتصوروا. واذا وجدت جماعة انحصر تفكيرها فى مسائل عادية، وقضايا مكرورة ، وسبل مطروقة ، فذلك لانها لم يتح لها قائد فكر يخرج بها من هذا المجال الضيق ، ويزج بها فى مطارح للخيال جديدة ، ومذاهب للفكر طريفة ، ومسالك للشعور فريدة ، ولو انك رجعت الى ما اثر عن الفكر الانساني من مذاهب فكرية ، وفلسفات متنوعة ، لوجدت من وراء كل مذهب او فلسفة قائد فكر ، وزعيم راي ورائد فن ، شق الطريق فسار المئات من ورائه ، وفتح الافق فحلق الكثيرون فى ظل جناحيه .

كما احتاج الفكر الى تلك القيادة لاستغلال الطاقة الكامنة فيه ، وتوجيهها نحو الوجهة الصحيحة، ودفعها نحو الانشاء والابتكار . ذلك ان قائد الفكر يخلق من حوله جوا ، ويطرح على الصعيد الفكري عددا من القضايا التي يشغل بها افكار الناس وعقولهم، بحيث يتحداها ويضعها امام مسؤوليتها ، ويرغمها على التفوق على نفسها ، ويخلق لها محورا تجتمع من حوله وتتجاذب من كل جانب ، وهذا من شانه ان يؤدي الى وجود تجاوب فى الوسط الفكري وتجانس فى القضايا التى تستاثر باهتمامه ، بفضل القائد الذى حرك الطاقة ، وطور الامكانيات الفكرية العامة ، بتحديه وتوجيهه وابوته الخلاقة المبدعة . ويجب الا ننسى ان شجاعة الراى عند اشتداد الازمات القومية، انما تصدر غالبا من قادة الفكر ، هؤلاء الذين يشعرون بالمسؤولية الفكرية اقوى مما يشعر بها غيرهم من المشتغلين بقضايا الراي ، اذ تراهم تحت وطاة الشعور الحاد بهذه المسؤولية يجهرون بالحق امام الحكام الطغاة ، وامام الراى العام الضال ، وامام التاريخ كله والاجيال كلها ، ومن شان هذا الموقف ان يجعل للشجاعة الفكرية اصلا راسخا فى حياة الفكر القومي، ويهبها صفة التقليد الادبي الحي ، ويمكن مثقفي الامة من أن يكونوا واثقين بانفسهم ، وبقدسية الرسالة المنوطة بهم ، متاثرين فى ذلك بالنموذج الحي لشجاعة الراي ، متمثلا فى قائد الفكر .

وكيف لا يحتاج الفكر الى قائد امام ما توفر لديه من ركام فكري يحتاج الى التنظيم والتنسيق ؟ ان الانسانية لم تكن تحتاج الى قائد فكر يوم كانت تعيش على بضعة مفاهيم تتصل باقرب الاشياء الى الحس ، وفى اضيق الحدود ، وهذا امر طبيعي لان الفكر نفسه لم يكن من الحيوية والخصب والنماء بحيث يحتاج الى قائد . ولكن عندما قطع أشواطا ومراحل، واصبح له كيان ، وصارت له تاملاته وفتوحاته هنا وهناك ، واخذ يجول فى آفاق الحياة والنفس والكون، احتاج الى قائد ، نظرا لتراكم النتائج والمشاكل الفكرية التي اصبح يعيش فى خضمها ، حتى يتقي العثرات ويتجنب المزالق ، ولا يترك قضاياه مشتتة مبعثرة ، بان يضع لها نظاما ونسقا فكريا يسدد الخطوات التالية، ويحدد معالم الطريق .

على ان قائد الفكر كانت له صورتان فى تاريخ الإنسانية : كان هناك اولا القائد العملي الذي هو فى الوقت نفسه قائد فكري بالمعنى الفطري الساذج للقيادة الفكرية . فالانسانية فى تاريخها القديم كانت تجد نفسها أمام مشاكل عملية تتصل بالبيئة الطبيعية والاجتماعية ، كمشاكل الصيد ، ورد هجمات الاعداء، وطرق الهجوم على الاخرين ، واتقاء غضب الطبيعة ، ووسائل الحصول على الطعام ، وتربية الماشية والتنقل والترحال ، فاحتاجت الى قادة وزعماء عمليين يخرجون بها بحنكتهم من المواقف الحرجة ، ويدلونها على سبل النجاة ، الا ان هؤلاء لم يكن فى امكانهم ان يفعلوا ذلك لولا احتكامهم الى الفكر ، وموازنتهم بين عدة افتراضات واحتمالات ، وترجيحهم لفكرة على أخرى وراى على راى . يمكنك أن تلتمس صورة لقائد الفكر هذا فى نموذج زعيم القبيلة العربية فى الجاهلية وشيخها المحنك الذي كان يقودها فى زمن الحرب وفى زمن السلم ، ويحافظ لها على مكانتها فى المجتمع القبلي ، ويعمل على حل مشاكلها وابعاد الخطر عنها ، والقضاء بين افرادها ، ويتولى عقد المعاهدات والاحلاف نيابة عنها مع قبائل اخرى . وجدير بالذكر هنا ان القيادة الفكرية تكون تابعة للقيادة العملية وصادرة عنها ، بمعنى أن المشاكل الواقعية هي التي تستبد باهتمام القائد ، وليس القضايا الفكرية المجردة او التي تفترض مذهبا فكريا تريد تطبيقه على الواقع ، كفلسفة فى الاجتماع او الاقتصاد او السياسة او ما الى ذلك ، الامر الذي بحكمه يكون القائد لا يتزود من الفكر الا بذلك القدر الذي يمكنه من حل المشكل الواقعي ، دون استغراق

فيه او توغل في مسائله بحثا عن المتعة الفكرية أو الرياضة الذهنية أو نزوعا نحو التأمل الخالص . وهذه الصورة لقائد الفكر كانت متلائمة مع الطور الحضاري الذي مرت به الانسانية يومئذ ، ولم تلبث ان اسلمتنا الى الصورة الثانية ، وهي صورة القائد الفكري الذي يبدو وكأنه مغرم بالفكر في حد ذاته ، كلف بـه الى ابعد الحدود ، يتناول القضايا الفكرية في هدفية تكاد تكون خالصة ، آخذا في تقليبها على مختلف وجوهها . فالفكر عنده هو الاساس الاول ، اما الناحية العملية فلا تمثيه الا قليلا ، وبذلك القدر الذي يساعده على الاستغراق في الناحية النظرية الصرفة ، ويبقى على نوع من العلاقة بين رجل الفكر وبين الناس المحيطين به . خذ لذلك مثلا فلاسفة اليونان ، وفلاسفة العرب في العصر الوسيط ، فكلهم كانوا نماذج لهذا القائد الفكري المستغرق في شؤون الفكر .

ما هي الصلة بين الصورة الاولى والثانية ؟ كيف كان الفكر في خدمة الواقع فاصبح الواقع في خدمة الفكر ؟ ان الاجابة على هذين السؤالين تقتضي اثارة عدة مسائل . منها : كيف ابتعد الفكر عن العمل بعد أن كان مقترنا به ، وكيف تطور مفهوم قائد الفكر وما هي العوامل المؤثرة في ذلك . وهل عاد الفكر والعمل الى الاتصال مرة اخرى وما الفرق بين مفهوم قائد الفكر اليوم ومفهومه قديما . وهذا ما اتناوله بشيء من التحليل .

لقد قلنا منذ قليل ان قائد الفكر كان في صورته الاولى عمليا ، لا يتزود من الفكر الا بذلك القدر الذي يساعده على حل مشاكل الواقع ، دون الاستغراق في الفكر ، واتخاذ قضاياه محورا للحياة ، او موضوعا للتأمل المتصل . الا ان اطراد نمو الفكر الانساني وانتقاله من طور السذاجة والخبرة الفطرية الى طور التركيز والتأمل الفلسفي خلق نوعا من احتراف التفكير . فبعد أن كان التفكير مجرد جزء من حياة كل انسان ، أصبحت هناك طائفة من ذوي المعرفة والراي تحترف التفكير ، وتجعل منه صناعتها الاساسية التي تعيش لها ، وتهبها كل ما اوتيت من امكانيات ، وتلم بدقائقها وطرائقها ، خالعة على نفسها او يخلع عليها الناس اسم (الطبقة المفكرة) تمييزا لها عن الآخرين الذين لا يزيد التفكير عندهم على أن يكون وظيفة طبيعية كالتنفس أو الضحك او البكاء أو ما الى ذلك ، دون ان يتحول الى فن او صناعة اي الى احتراف . وربما صار التفكير احترافا اقتضى ذلك ظهور المفكر الذي يغلب الجانب الفكري على الجانب العملي ، ان لم يقطع علاقته به على الاطلاق . وكان ظهوره مبدأ لظهور الفلسفات ومذاهب الراي المختلفة، اذ كل ما نعرفه منها منذ اقدم العصور ، انما كان نتيجة لظهور احتراف التفكير ، وبروز طبقة المفكرين.
وبين التفكير كوظيفة طبيعية والتفكير كاحتراف ، مراحل واشواط قطعها الفكر الانساني يمكن اجمالها في كون التفكير سبق المعرفة ، اي أن الانسان كان يعتمد في حل مشاكله العملية على الخبرة الفطرية التي كانت أساس تحوله الفكري القديم ، ولكن تراكم عدة معلومات ناتجة عن الخبرة الحسية والتجربة العملية ، تطلب صيانتها والمحافظة عليها ، عن طريق تلقينها للجيل الجديد ، وتوريثها له ، ومن ثم ظهر التعليم ، وبظهوره ظهرت (المعرفة) ، وبظهورهما تكونت النواة الاولى لظهور المفكر المحترف . والاحتراف اضفى على صاحبه حلة من المهابة ، واصبح يزاول على الجماعة سلطة فكرية اغرته بالابتعاد عن الواقع شيئا فشيئا ، اذ دخل في روعه وتقديره انه كلما ابتعد عن الواقع كلما زادت مهابته وجلاله ، ولا شك ان هذا يعد انحرافا في تاريخ الفكر الانساني ، اذ تحول التفكير الى مجرد رياضة ذهنية ذات متعة خاصة ، وكان ان صار الفكر شيئا منيعا وقفا على طبقة خاصة اوتيت من الملكات العقلية ما يساعدها على التحليق بعيدا عن شؤون الناس المعاشية . هذا ولقد كان للتطورات الحديثة في شؤون العلم والثقافة ، وكذا احداث العصر، ما حمل المفكرين والفلاسفة على العودة الى الواقع العملي، اي الى نفس الوضع الذي كان عليه الفكر في عصور قديمة على نحو من الانحاء ، وصرنا نرى الفكر ينطلق من الواقع ، والفلسفة تتحول من تفكير ميتافيزيقي مجرد ، الى فلسفة علمية تتناول قضايا العصر وشؤون الساعة .

امامنا اذن ثلاثة نماذج لقائد الفكر لا نموذجان اثنان : نموذج المفكر العملي الذي لا يعرف التفكير لذاته ، وانما يتخذه مجرد وسيلة لفهم الواقع وحل مشاكله . ونموذج المفكر المثالي التجريدي الذي يجد في التأملات العقلية لذة يتعشقها لذاتها ، ولا شأن له بالواقع ، ونموذج المفكر الحديث أو المعاصر الذي يمزج بين الفكر والعمل ، ويخدم قضايا العصر وازماته . وهي النماذج الثلاثة التي عرفتها الانسانية من اقدم العصور الى اليوم ، مع العلم بأن هناك عدة نماذج اخرى تدخل تحت الاصناف المذكورة ، اذ يوجد المفكر اللاهوتي ، والمفكر الاسلامي ، والمفكر السياسي،

والمفكر الاقتصادي ، والمفكر الاجتماعي وغيرهم من المفكرين المتعددي المذاهب والاتجاهات .

2) كيف تتكون القيادة الفكرية ؟

القيادة الفكرية ظاهرة ترجع الى اسبابها واصولها، وتخضع لسنة النشوء والارتقاء ، وتتعرض لكل ما يتعرض له الفكر نفسه من علل وامراض ، ويعرض لها ما يعرض له من اسباب القوة والنضج ، واسباب الضعف والانهيار . وظهور القيادة الفكرية خاضع لعدة عوامل . منها ان يقع انقسام فى فكر الامة ، وانشقاق فى صفوف من يقومون فيها بشؤون الراي، فيقع اصطدام بين الاطراف المختلفة ، كل يتحدى الاخر ، ويجاهد لابراز عيوبه ونقائصه ، حيث تكون الظروف الفكرية داعية الى ظهور قائد الفكر عند طرف او اكثر ، كنتيجة للتحدي المتبادل ، وتعارض وجهات النظر المتباينة . فلولا الاختلاف لما ظهر فى تاريخ الفكر الاسلامي قادة فكر من امثال ابن حزم وابن تيمية وحجة الاسلام الغزالي ومحمد عبده واضرابهم . ومنها أن تتعرض شخصية الامة لهزة عنيفة تكاد تفقدها ابرز مميزاتها ، نتيجة للضغط الحضاري الخارجي ، او الوقوع تحت سيطرة اجنبية ، فيدعو ذلك الى ظهور قائد الفكر الذي يناضل للحفاظ على شخصية الامة ، وصد كل الاخطار المحدقة بها . ومنها أن يتعرض الفكر القومي لضعف شديد مزمن يكاد يقضي على عناصر الحياة فيه ، اذا بالقائد يظهر على غير انتظار ، كرد فعل ضد هذا الجمود ، فيحدث انقلابا فى الاوضاع الفكرية ، ويخرج بالفكر من جموده، باعثا فيه اسباب التجدد والنشاط .

وخير مثال على ذلك فى عصرنا الحديث ظهور قائد فكر كالدكتور طه حسين الذي نهض يدعو الى التجديد فى مناهج دراسة الادب العربي ونقده ، مقدما عدة نماذج للبحث الادبي كما يراه ، بحيث اقترنت عنده النظرية والتطبيق ، على حين كانت البيئة الادبية من حوله قانعة بالطرق العتيقة فى دراسة الادب ونقده ، خاملة كسولة ، لا تجد من الحوافز ما يدفعها الى التجديد والابداع . ومنها عامل الكفاءة الشخصية والعبقرية الفردية ، اذ لا شك فى وجود افراد ممتازين ، اهلتهم الطبيعة ليتزعموا الراى ، فزودتهم بملكات عقلية قوية تساعدهم على التفوق ، وتدفع بهم نحو الصدارة . ولو اقتصرنا على عوامل البيئة المحلية ، فى بحثنا عن اسباب ظهور القيادة الفكرية ، لما استطعنا ان نعلل كيف كانت القيادة من نصيب افراد دون آخرين .

على ان هناك سببا اعمق من كل ما تقدم فى الظهور التاريخي لقيادة الفكرية ، وهو راجع الى طبيعة الفكر نفسه فى نشاته القديمة ، فيلاحظ ان هذه القيادة هي فى الحقيقة تطور للاستاذية وامتداد لها ، وتوسيع لمجال عملها . فمن معلم بضعة افراد الى معلم جيل او اجيال ، ومن الكلمة تلقى ليتلقاها نفر ضئيل من الناس ، الى الكلمة تلقى ليتلقاها جمهور عظيم ان لم نقل البشرية كلها . وكان لا بد ان يتطور الاستاذ الى القائد المفكر ، ذلك ان الاستاذية متاثرة فى طبيعة تطورها بطبيعة الفكر نفسه فى تطوره ، وهو يسير دائما من الجزئي الى الكلي ، ومن الخاص الى العام ، ومن الكوة الصغيرة الى الفضاء اللانهائي ، وكذلك الاستاذية الفكرية ، تتطور بتطور الفكر ، وتتبع خطواته ، وتنفعل بدوافعه ، آخذة فى الاتساع رويدا رويدا ، من ذلك الاب يلقن ولده قواعد السلوك ومبادىء الاخلاق ، الى ذلك المجتمع المحدود يعلم افراده بعض خبرات الحياة وقيم العيش ، الى ذلك المعلم يجمع من حوله بضعة نفر ، ويملي عليهم ابجدية الثقافة ، الى ذلك المفكر ، يتحدث فياخذ عنه ناس منتشرون فى نواح من العالم ، منهم من لا تصلهم به الا صلة الفكر والانسانية . وهكذا نجد القيادة الفكرية امتدادا للاستاذية وتطورا لها ، ومن ثم كان ظهور المفكر متاخرا على ظهور الاستاذ ، وكان ظهور هذا الاخير تمهيدا لظهور الاول وتوطئة له . وبين الاستاذ والمفكر القائد اكثر من وجه شبه واحد ، فكل منهما يملك السلطة الروحية على مجموعة صغيرة او كبيرة من الناس ، تفرض له مكانة داخل البيئة الاجتماعية ، وتهبه مجموعة من الحقوق الخاصة . وكل منهما يربي عقولا ويصوغ مفاهيم ، وينشىء رجالا ، وينقل الى الناس الخبرة المحصلة فى عصور مركزة فى بضعة قواعد وقوالب فكرية محددة . وكل منهما يحارب الجهل ، مع وجود الفارق بين الجهل الذي يحاربه المعلم او الاستاذ ، والجهل الذي يحاربه قائد الفكر . الاول يحارب الجهل بمبادىء الاشياء وابجديتها وهيئاتها وصفاتها . والثاني يحارب الجهل باسرار النفس والحياة والكون ، والجهل بحقائق تلك الاشياء التي يعرف بها الاستاذ فيكتفي بمعانيها القريبة ، واشكالها الظاهرة . وكل منهما يعلم الناس طرق التفكير ، وكيف يفهمون الاشياء واضدادها ، والامور واشباهها ، ويخرجون من المثال الى القاعدة،

ومن المحسوس الى المعقول ، ومن الجزئيات المتناثرة الى الكليات الشاملة . وكل منهما يعمل على استغلال الطاقات الكامنة في عقل الانسان وشعوره ، قصد استثمارها وتنميتها وصقلها حتى تقوى على الاخذ والعطاء ، وتصير من قوى الابداع في حياة الناس .

كيف تحول المعلم الى مفكر ؟ كيف انتقل من تعليم افراد الى تعليم ملايين واجيال ؟

لا بد أولا من التحقيق العلمي لاسبقية المعلم على المفكر ، ويكفي في هذا الصدد الرجوع الى ما كتبه ديورانت في كتابه العظيم (قصة الحضارة) عن الحضارة السومرية التي قد تكون اقدم حضارة عرفها التاريخ نظرا لكون اقدم مدونات كتابية وصلت الينا هي المدونات السومرية مما نص على ذلك هذا المؤرخ. كتب يقول عن التعليم عند السومريين :

(وكان الكهنة يعلمون الناس العلوم ويلقنونهم الاساطير ، وما من شك في انهم كانوا يتخذون من هذه الاساطير سبيلا الى تعليم الناس ما يريدونه هم ، والى حكمهم والسيطرة عليهم ، وكانت تلحق بمعظم الهياكل مدارس يعلم فيها الكهنة الاولاد والبنات الخط والحساب ، ويغرسون في نفوسهم مبادىء الوطنية والصلاح ، ويعدون بعضهم للمهنة العليا مهنة الكتبة . ولقد بقيت لنا من ايامهم الالواح المدرسية وعليها جداول للضرب والقسمة والجذور التربيعية والتكعيبية ووسائل الهندسة التطبيقية) . ذلك ما كتبه ديورانت عن التعليم في اقدم الحضارات ، ومن المعلوم ان ظهور المفكرين انما جاء بعد ذلك بكثير ، فكل رجال الفكر الكبار من مصريين وصينيين ويونان انما جاءوا بعد الحضارة السومرية بزمن ليس بالقصير.

ولنعود الى السؤال الذي القيناه منذ قليل : كيف تحول المعلم او الاستاذ الى قائد مفكر ؟ ان الامر راجع قبل كل شيء الى نمو المعرفة الانسانية وتراكم ثمارها وتشعبها وتعدد اصنافها واتساع آفاقها ، الامر الذي ساعد على وجود المفكر ، اذ وضع بين يدي الفرد من ثمرات العلوم والفنون والآداب ما يعد رصيدا ضخما يتحدى الطاقات والملكات ورافق ذلك نمو العقل الانساني المطرد ، واخذه في تصور النموذج المثالي للحياة ، وفي تفسير الظواهر الطبيعية المحيطة بالانسان . كما انه راجع الى التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي أعطى بعض الافراد فرصا على حين حرم منها آخرين ، اذ لا شك في وجود ظروف مواتية ساعدت نفرا من المثقفين على أن ينهلوا من ينابيع المعرفة ، ويرضعوا من لبانها أكثر من غيرهم ، وعلى أناة ومهل ، على حين وجدت ظروف ثالية منعت آخرين من الانقطاع للدراسة والبحث ، وان كان هذا لا ينافي كون العبقرية الفردية ظهرت في جميع الاوساط والمستويات والظروف . وينبغي الا ننسى في هذا الصدد ان من طبيعة الفكر كونه يسير من المحسوس الى المعقول ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن النظرة الجزئية الى النظرة الشاملة ، ومن القضايا الى استكناه البواطن ، واثناء ذلك تتشعب اتجاهاته، ويخصب انتاجه ، وتتنوع ثمراته ، وبقدر ما يحتاج له من ذلك بقدر ما يكثر عشاقه وانصاره ، وبقدر ما يكثرون بقدر ما يزداد خصوبة وغنى ، والنتيجة الطبيعية لذلك هي ظهور المفكر المحترف، لان احتراف اية مهنة او صناعة ناشىء عن كونها بلغت من خصب المادة واقبال الناس عليها ما اقتضى تخصص الكثيرين فيها ، ومما لا شك فيه ان الاحتراف يخلق التنافس بين المحترفين ، والتنافس يفضي الى ظهور التفوق والامتياز بعامل التحدي ، ومع ظهورهما تظهر القيادة في أي فن من الفنون ، او صناعة من الصناعات ، وهذا بالضبط هو ما حدث بالنسبة الى حياة الفكر والى قيادته . على ان للمسألة وجها آخر، فاحتراف التفكير في نشأته القديمة كان نتيجة طبيعية لازدياد شعور الفرد بذاتيته داخل الهيئة الاجتماعية . وفي تاريخ الصين واليونان ظهر مفكرون، لان الفرد كان قد استطاع خلال عصور واحقاب ان يمر بمرحلة القطيع والانقياد المطلق لتقاليد الجماعة وعقلها الجماعي ، ليؤكد ذاته في مواقف واتجاهات كانت وبالا عليه في كثير من الاحيان ، او كانت سبب رفعته وعلو شأنه أحيانا أخرى .

ففي المجتمعات البدائية القديمة لم يكن في تصور الناس وجود (للفرد) بالمعنى الذي اخذ ينصرف اليه بعد ذلك ، وبكل ما يحمله من خصائص ومميزات ، لوجود جماعة تتركب من اجزاء لا يعمل اي جزء منها ولا يفكر الا في حدود الجماعة وبعقليتها. وهذا أمر طبيعي ، ذلك ان العوامل التي ساعدت الانسان من بعد على الاستقلال في التفكير لم تكن قد ظهرت بعد ، كظهور المعرفة المنظمة ، والاعتراف بالحقوق الشخصية للانسان ، وبروز بعض الاحداث التي اتاحت للاقوياء ابراز قوتهم ، ونمو المهارات المكتسبة التي تتيح للفرد الموهوب فرصة اظهار تفوقه

وما الى ذلك . ومن ثم كانت الجماعة هي كل شيء ، فما ان يعرض لها حادث ، حتى يكون صداه عندها واحدا ، فتتخذ منه موقفا واحدا ، وبما انه لم تكن هناك جماعة واحدة ، وانما كانت هناك عدة جماعات، كل واحدة تنفعل انفعالا غريزيا بما يحيطها من احداث ومؤثرات، فقد نتج عن ذلك صراع بين هذه الجماعات، يصل احيانا الى حد اراقة الدماء ، ولكن مرور الزمن ونمو المجتمع بكيفية مطردة ، وتبدل الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ادى الى شعور الفرد بشخصيته ، وانسلاخه من (القطيع) ليكون له راي مستقل في كثير من الشؤون والمشاكل . وهذا الشعور باستقلال الشخصية الفردية يعد من بين العوامل العديدة التي ادت الى ظهور المفكر المحترف ، اذا نحن نظرنا الى العوامل التاريخية البعيدة .

فالمفكر القائد اذن له ابعاد لا بعد واحد : فهو من جهة امتداد لذلك المفكر العملي الذي سبق الحديث عنه . وهو من جهة ثانية امتداد للمعلم او الاستاذ . وهو من جهة ثالثة اثر من آثار ظهور الشخصية الفردية على مسرح التاريخ الانساني . ولا تناقض بين هذه الابعاد .

فالمفكر امتداد للاول من حيث الاهتمام بالقضايا والمشاكل العامة التي تواجه الجماعة ، وهو امتداد للثاني من حيث نقل المعرفة وتلقينها للاخرين ولو بطرق واساليب خاصة ، وهو اثر لظهور الشخصية الفردية من الوجهة الاجتماعية الخالصة . ولو انك تأملت كل هذه الابعاد لوجدت ان كل واحد منها مكمل للاخر ، ولم يكن من الممكن ان يوجد المفكر بالصورة التي انتهى اليها ، لولا تناسق هذه الابعاد الثلاثة .

وظهور المفكر المحترف في التاريخ الانساني ، كان علامة على وجود تحول في الهيئة الاجتماعية نفسها ، في اقتصادها وسياستها واستعدادها للتطور ، بحيث لا يمكن ان نتصور وجود مفكر محترف دون أن تكون هناك جماعة على استعداد لهضم ثمرات الفكر وتقبلها ، وهي لا تملك هذا الاستعداد الا اذا كانت قد وعت نفسها وحاجياتها المعنوية والمادية ، وتكونت لديها قابليات فكرية ، وهذا أمر له دلالته ، وهي كون الجماعة قد انتقلت من الحياة السلبية المقيدة بقيود الضرورة ، الى حياة فيها مجال للتفكير فوق الضرورة ومتطلبات الحاجات الغريزية والحسية .

وقد افضى ظهور المفكر المحترف الى ظهور طبقة اجتماعية خاصة ، هي طبقة المفكرين وارباب القرائح الخصبة والمواهب العالية ، يقدمون للمجتمع الفكرة والراي ، ويتقاضونه الاعجاب والثناء اللائقين بالبنوة الفكرية . وهي طبقة تعد شريحة خاصة من المجتمع ، لها مبادئها وقيمها ومقاييسها ومجالها الخاص للعمل ، تقوم بدورها في حياة الامة ، هذا الدور الذي تخولها القيام به سلطتها الروحية المبسوطة على نطاق واسع ، والمستمدة من عدة مصادر ، منها كونها ـ اي تلك الطبقة ـ تفهم الاشياء على نحو مغاير للطريقة التي يفهمها بها الدهماء ،والتي يفهمها بها ذوو المصالح من السياسيين والمستغلين والانتهازيين وتجار الفكر المنتحلين للصبغة الفكرية قصد التمويه على الناس . الدهماء تفهم الاشياء فهما سطحيا ساذجا وتمر بها مرا سريعا ، محتكمة الى الغريزة والشهوة اكثر من احتكامها الى العقل ، واولئك الذين اخذوا من الثقافة بنصيب معتدل يفهمونها بشيء من العمق ولكنهم تضطرب بهم السبل وتنبهم أمام عقولهم كثير من حقائق الاشياء ، وتختلط عليهم كثير من المفاهيم ، والانتهازيون وتجار الفكر يفهمونها من حيث ما تستطيع أن تحقق لهم من ضروب المنافع المادية العاجلة . اما قائد الفكر فانه يفهمها بطريقة أشد عمقا وأوسع شمولية ، نافذا من الحقائق الجزئية الى الحقائق الكلية ، عاملا من أجل الحقيقة وحدها ، بالرغم من الانحراف الذي قد يقع فيه بعض المفكرين ، فلا يعني ذلك سوى انهم اخلوا برسالة الفكر المقدسة ، وخرجوا بالفكر من مجاله الطبيعي وهو مجال البحث عن الحقيقة ، فزجوا به في مجالات بعيدة عنه ، مجالات التمويه والتضليل وخدمة الهوى والشهوة والغريزة . ومن مصادر تلك السلطة المواقف الرائعة التي وقفها المفكرون تجاه الجبابرة والطغاة ، سواء كانوا في شكل افراد ، او في شكل هيئات او جماعات ، حتى ان الكثيرين منهم ضربوا أروع الامثلة في البطولة ، ونالوا شرف الاستشهاد في سبيل نصرة الحق .

3) مقومات القيادة الفكرية

وهذا يسلمنا الى الحديث عن مقومات القيادة الفكرية التي بوأتها مكانة عالية في الامم والشعوب . لا اريد هنا الوقوف عند العبقرية الفردية ، باعتبارها اهم مقومات هذه القيادة ، فهي من الذيوع بحيث هي التي تتبادر الى كل ذهن ، عند ما يبحث في هذا الامر ، وانما أريد الوقوف عند مقومات اخرى ارى

انها والى بالبحث والشرح ، نظرا لكونها قد لا تحظى باهتمام الكثيرين وهم يقيمون قائد الفكر . فيلاحظ بادىء ذي بدء ان القيادة الفكرية هي نوع من السلطة القائمة على تابع ومتبوع وقائد ومقود . واذا كانت السلطة الزمنية الرشيدة لا تلغي شخصية المحكوم ولا تقتل رغبته في النقد والملاحظة ، فان سلطة الفكر هي الاخرى لا تلغي شخصيات التابعين والمريدين ، ولا تبطل حقهم في النقد الا اذا تحولت القيادة الفكرية الى عدوة للفكر نفسه باعتباره خادما للحقيقة وحدها. الا ان هناك فرقا بين سلطة الفكر ، وبين السلطات الزمنية ، وهو ان هذه السلطات اما ان تقوم على اساس القهر والغلبة ، واما ان تقوم على اساس التعاقد او على اساس الوراثة ، في حين ان سلطة الفكر تقوم على اساس آخر غير هذه الاسس ، وهو كونها تجيء تلقائية متوجة للجهود التي بذلها رجل الفكر ، من اجل التوعية وخدمة المثل العليا والاغراض الفكرية والروحية السامية . فالجماهير المثقفة لم تعمد الى مفكر فتتعاقد معه على ان يتولى قيادتها في دنيا الفكر ، وهو لم يتسلط عليها بقوة السلطان ، ولم تنتقل السلطة الفكرية اليه بالوراثة من مفكر سابق ، وانما حل عندها الشعور بان المفكر الفلاني هو قائدها بكيفية تدريجية تستغرق عددا من السنين ، نظرا لفتوحاته الفكرية المظفرة ، ومواهبه العالية الفذة ، ولكونها احست بانه ملاذها في حل معضلات الفكر ، وملجؤها في قضايا الراي ، تجد عنده الكلمة الفصل ، والراي القاطع ، والحجة الدامغة .

واذن فالمقوم الاول لهذه القيادة كونها ذات سلطة روحية تلقائية ناشئة عن اقتناع المثقفين بان كثيرا من الاسس التي تقوم عليها حياتهم العقلية ، يعود الفضل في ارسائها الى المفكر الذي اصبحت تنظر اليه على انه قائدها في دنيا الفكر . وهذا المقوم يحمل في تضاعيفه بعض الحقائق التي ينبغي تأملها . ان كل القرائن والاحوال وما جريات التاريخ الانساني ، ومظاهر السلوك البشري على صعيد الفرد او الجماعة تدل دلالة قاطعة على ان من طبيعة الناس انهم يشعرون بالحاجة الى ان يشدوا انظارهم الى جهة معينة او مركز اشعاع وتوجيه ، يلتمسون عنده الهداية والارشاد . فمامن جماعة كيفما كان نوع نشاطها الا وتحتاج الى مركز قيادة ، من ركاب السفينة الى عمال المصنع الى فلاحي الحقل الى جنود المعركة الى لاعبي كرة القدم وقس على ذلك . والامر كذلك بالنسبة الى المشتغلين بشؤون الراي ، اذ لا بد لهم من مصدر اشعاع ومركز قيادة تتوفر لها الكفاءة والخبرة اللازمتان . ولهذا كانت المجاميع العلمية ، والهيئات المختصة بفرع من فروع المعرفة المختلفة ، كما كانت الاكاديميات العلمية والادبية التي تتولى الاشراف على مناحي الثقافة سلطات عليا في الاوساط العلمية والادبية ، تشرع وتصدر القرارات والتوصيات ، وتمنح الجوائز والمكافآت ، وتأمر بطبع بعض الكتب واصدار النشرات ، وتكون المرجع الاعلى فيما يتصل بشؤون الفكر ، لها الكلمة المسموعة والراي الفصل في كثير من مسائل الثقافة ، فهي التي تتولى وضع المصطلحات العلمية لتصبح معمولا بها على نحو مشروع ، وتقر الكتب الصالحة للدراسة في المعاهد والكليات ، وتراجع المعاجم اللغوية وتدخل عليها ما تراه ضروريا ، وتؤثر على مناهج الدراسة بمقترحاتها وتوصياتها وتوجيهاتها ، وتحافظ للتراث الثقافي القديم على شخصيته وموضعه المناسب من الوجود الثقافي القومي العام . كما كان قادة الفكر داخل المجاميع والهيئات الثقافية وخارجها يتزعمون الراي، ويضعون الاسس القوية لحياة الفكر ، ويرسون التقاليد العلمية والادبية الرفيعة ، ويتقدمون جمهور الكتاب والباحثين نحو ميادين الابداع والابتكار .

وتدخل في هذا المضمار حقيقة اخرى ، وهي ان الافكار والقضايا الفكرية لا تعرف التوقف ابدا ، في تطورها ونموها المطرد ، فهي تبدأ بسيطة على يد العاديين من المثقفين، تأخذ في الاتساع والعمق شيئا فشيئا على يد الذين هم اوفر ثقافة منهم ، فلا تصل الى الطبقة المفكرة الممتازة حتى تكون قد بلغت حد اكتمالها النسبي ، وتبقى امامها مراحل اخرى تقطعها على يد جهابذة الفكر وعباقرة العلم والفن ، ومع ذلك فهي دائما تنتظر من يستخرج منها ما لا يحصى من النظرات ، لذلك كانت القيادة الفكرية احدى محطات القضايا الفكرية التي لا بد ان تمر منها في رحلتها الطويلة عبر آفاق الفكر الانساني . ومن ثم كانت كل قيادة فكرية تحمل في طبيعتها امكانيات وبذور قيادة اكبر منها ، لان الفكرة التي يمثلها قائد الفكر قابلة دائما للتطور والتمخض عن فكرة اكبر منها واشمل . وبهذا المعنى تكون القيادة الفكرية نقطة من النقاط الهامة في مسيرة التحول الفكري ، تعتبر نهاية لمرحلة سابقة ، وبداية لمرحلة لاحقة ، اذ ليس قائد الفكر غاية ما يمكن ان يهبه الفكر القومي من نماذج المفكرين ، اذا نحن نظرنا الى المدى البعيد، وليست قيادته هي الصياغة النهائية لفكر الامة

وامكانياتها العقلية ، وانما هي مرحلية موقتــة ، تستمد أسباب وجودها من ظروفها الحضارية الخاصة، ولذلك كانت قابلة للتجديد واستمرارية التحول في خصائصها وسماتها والمهام الملقاة على عاتقها ، وكانت حيثية قائد الفكر تتغير من عصر الى عصر ، تبعــا لتبدل المفاهيم الفكريــة والاقتصاديــة والسياسيــة والاجتماعية على مر أحقاب التاريخ المختلفة .

ويدخل ضمن مقومات قائـد الفكـر وقيادتـه استجابتها لمتطلبات العصر والظرف الحضاري الذي تجتازه الجماعة التي يظهر فيها قائد الفكر . فلكـل عصر مشاكله واوضاعه وقضاياه التي تتطلب نوعـا خاصا من قادة الفكر ، يتوفر على استعداد كافـي اجمله يعكس أوضاع العصر ويتجاوب معها ، وينتصب منارا لهداية الراي العام العلمي او الادبـي قصـد الاهتداء الى وجه الحقيقة فيها . ولكل جماعة ظرفها الحضاري المتمثل فيما تعيشه من أوضاع ثقافيــة واقتصادية واجتماعية وسياسية تستدعي تفكيــرا يتلاءم معها ، وينفذ الى لبابها ، ويساهم في توجيهها. فاذا فرضنا أن مفكرا ظهر يدعو الى ردة بالنسبــة لاوضاع عصره أو أوضاع بيئته ، او ياتي ببدعة جديدة لا علاقة لها بالمشاكل والقضايا والمعضلات الاساسية التي تشغل بال أهل زمانه ، كان فاقدا لمقوم أساسي من مقومات القيادة الفكرية ، ومن ثم لا بد أن يكـون مصيره سقوط المنزلة وضآلة الشان . وكثيرهــم المفكرون الذين ظهروا من هذا القبيل ، فلم يجـدوا لدعوتهم الغريبة الشاذة اذنا صاغية فزالوا وامحت معالم شخصياتهم ، ولم يكن لهم تأثيـر يذكـر فـي اجيالهم او الاجيال التي اتت بعدهم .

وهذا المقوم يحمل هو الاخر في تضاعيفه حقائق ينبغي الوقوف عندها . منها أن قائد الفكر عندمــا يظهر ، لا بد ان يكون تعبيرا عن بعض متطلبات العصر، وعن الظرف الحضاري الذي برز فيه . ولكن ليـس معنى هذا ان قيمته تكون موقتة بمرور عصره وظرفه الحضاري ، والا كنا متجنين على جمهرة من قـادة الفكر الذين مرت على ظهورهم مئات السنين ، ومع ذلك فما زالت لهم قيمتهم واعتبارهم ، وما زالــت الانسانية ترجع الى آرائهم كلما دعاها الى ذلك داع من دواعي البحث والدرس . واذن فقائد الفكر لــه قيمتان لا قيمة واحدة : قيمة مستمدة من استجابته للظرف الحضاري الذي ظهر فيه ، وهـذه قيمتــه الاساسية التي كانت المبرر الاول لظهوره . وقيمــة خالدة مستمدة من خلود آرائه وصلاحيتها لازمنــة وامكنة مختلفة . وهذه القيمة وان كانت تبدو اكبر من القيمة الاولى ، الا انها مع ذلك تابعة لها ومشتقة منها . ذلك ان الاساس في خلود آراء المفكر كونهــا تتصل بالجانب الخالد من الانسان ، عندما تتصدى لمشاكل قوم معينين وشؤونهم الفكرية ، بحيــث تنفذ منها الى المعضلات الانسانية العامة التي تتكرر في كل زمان وكل مكان . ولا يوجد مفكر خالد لم تكن آراؤه متصلة بعصره ، والحاجيات الفكرية لاهــل زمانه ، وانما المفكرون الخالدون كلهم كانـوا ابنــاء عصورهم ولكنهم تجاوزوها ليصبحوا عالميين خالدين، بفضل شمولية الفكر ، وبعد النظـر ، والاهتمــام بقضايا الانسان وسط ظروفه واقداره ، مهما كـان زمانه ومكانه .

ومن تلك الحقائق ان الاستجابة للعصر والظرف الحضاري ليس معناها أن يكون قائد الفكـر مجـرد ملبي ومنقاد ومستسلم . والا كانت قيادته غير ذات معنى على الاطلاق، ومن ثم لا مجال للحديث عنها وانما معنى الاستجابة ان تجد شؤون العصر وقضايا البيئة صدى قويا عند المفكر بحيث يتخذ منها موقفا ايجابيا ينطوي على الجدية والنقد والتوجيه . فهو قد يثور على اوضاع عصره ، متى راى فيها ما يدعو الى الثورة ، وقد ينادي باصلاحها او اصلاح جوانب منها، وقد يجاهد من اجل تغليب جانب منها على جانب آخر او جوانب اخرى . ولا تكاد تجد قائد فكر في اية امة من الامم ، وفي أي ظرف حضاري وأي عصـر مـن العصور ، الا وجدته ثائرا مصلحا ناقدا موجها مناضلا ضد ما يراه من اعوجـاج فكـري او اجتماعــي او اقتصادي او غيره ، ولولا ذلك لكانت القيادة الفكرية غير ذات معنى على الاطلاق ، طالمـا كانـت مظهـرا لوجود تناقضات في حياة الفكر وحياة الناس المادية والمعنوية ، من شأنها أن تفرقهـم شيعـا وأحزابـا ، وتجعل باسهم بينهم شديدا ، فتمس الحاجة الى قائد الفكر الذي يخطط الحدود بين تلـك التناقضـات ، ويجلوها على النـاس بكـل محاسنهـا ومساوئهـا ، ويكشف الصحيح منها والزائف ، والضار والنافع ، والطيب والخبيث .

ومن هذه الحقائق ان القيادة الفكرية ان هي الا مرآة لناحية او أكثر من نواحي حياة العصر ، بمعنى انها صورة مركزة من صور التاريخ الفكري ، تجسم عددا من مفاهيمه ومشاكله وقضاياه ، وتعكس كثيرا من تياراته وتناقضاته واوضاعه الفكرية ، بحيــث

يمكنك اذا انقطعت لدراسة مفكر كبير تدرس انتاجه الفكري وتتامله ، ان تلقي نظرة على كثير من القضايا التي كانت تشغل افكار العلماء والمفكرين ورجال السياسة والادب في عصره ، تركت صداها في فكره، خذ لذلك مثلا ما تجده في كتابات الفلاسفة اليونان والعرب القدماء ، من حديث عن النفس والعقل والعرض والجوهر والهيولى والمادة والروح وما الى ذلك ، فهذه كلها كانت من المسائل الهامة التي يدور حولها الجدل بين المثقفين ، ويتخذونها محور اهتماماتهم الفلسفية ، انفعل بها رجال الفكر واثارت انتباههم ، لكونهم يعيشون في اوساط علمية توليها قدرا كبيرا من عنايتها ، وكذلك الشأن في فلسفة الوجوديين والوضعيين وغيرهم بالنسبة الى عصرنا هذا ، فهي صدى لهذا العصر ، وللقضايا التي تلح على المشتغلين بالفكر من علمائه وادبائه ومفكريه .

ومن مقومات القيادة الفكرية قابليتها للتطور والتحول ، لا من حيث المبادىء الثابتة التي يعتنقها المفكر ، وانما من حيث استعدادها للتفاعل المستمر مع التطور الفكري وما يجد فيه من اتجاهات وتيارات، اذ تكون عند قائد الفكر القدرة على الاحاطة بكل الحركات الفكرية المستحدثة ليتخذ موقفا منها ، ويقول فيها كلمته ، في تفتح على جميع الآفاق . فاذا كانت القيادة الفكرية جامدة ، متخشبة ، مكتفية باتخاذ موقف لا ايجابي معا لا يروقها من تطورات الفكر واتجاهاته ، أو باتخاذ موقف الهجوم الخالي من أي مضمون فكري ، كانت مفترقة الى مقوم آخر من ابرز مقوماتها . وقد يضع قائد الفكر من الصيغ والقوالب الفكرية الفضفاضة ما يتسع لكثير من الحركات الفكرية المستحدثة ، فهو يشملها بها ويحشرها في اطارها ، ولكن كثيرا ما تواجهه وقائع واحداث وقضايا تتناءى عن تلك الصيغ والقوالب وتتطلب تفكيرا جذريا مبنيا على اسس من الملاحظة الدقيقة والتأمل الخاص ، قصد التوصل الى وضع صيغ فكرية جديدة تتلاءم والحاجيات الفكرية المتجددة ، والا لما كان بعد افلاطون وارسطو في حاجة الى قائد فكر آخر اذ ان هذين الفيلسوفين قد تمكنا من وضع كثير من الصيغ الفكرية المتسعة لكثير من القضايا الفكرية التي يزخر بها هذا العصر وما سبقه من عصور ، فيما يتعلق بالنفس والحياة والكون والطبيعة وما وراء الطبيعة ، ولكن بما اننا غير قانعين بذلك ، لكوننا في حاجة الى تجديد في مناهج الفكر وصيغه حسب تطورات حياتنا العقلية والمادية ، فقد كان من متطلبات تحولنا الفكري – نحن ابناء هذا العصر – ان يظهر فينا مفكرون كبار ، يعيشون تجاربنا ويتفاعلون معها ، ويلتمسون صيغا فكرية يبلورونها فيها ، بما يتلاءم وطابع العصر وحضارته . لذلك لم اكن من راي الدكتور محمد بن فتح الله بدران الذي ذهب فيه الى انكار حداثة (الفلسفة الحديثة) سواء في الخصائص والميزات ، أو في المناهج والطرقات ، أو في الابحاث والموضوعات ، رافضا رفضا باتا قاطعا التعبير عن هذه الفلسفة بانها (حديثة) بحجة انها مسبوقة بفلسفات قديمة ، منها اشتقت وعنها اخذت (1) كما اني لست من راي الفيلسوف الامريكي امرسون اذ يقول عن كتاب الجمهورية لافلاطون : (احرقوا كل الكتب ففي هذا الكتاب غنى عنها) الامر الذي حمل المؤرخ الامريكي المعاصر ديورانت على مشايعة امرسون في رايه هذا فيقول : « ان جمهورية افلاطون من اثمن الآثار التي يقتنيها البشر ، ففيها تجد مباحث ما وراء الطبيعة والآداب وفلسفة النفس واللاهوت والسياسة والفن، ففيها تجد المبادىء التي تنشدها طالبات التحرر من النساء ، وفيها تقع على القواعد التي يدعو اليها علماء الحياة لتحديد النسل ، فيها تعالج مبادىء الاشتراكية بل والشيوعية ، واليوجينية ، والارستقراطية والديمقراطية والتحليل النفسي ، والمذهب القائل بأن الحياة مظاهر من مظاهر التفاعل الكيماوي (2) واذا كنا نقرر بأن كثيرا من الشؤون الفكرية المعاصرة لها أصول في جمهورية افلاطون ، فاننا لا يسعنا الا ان نرفض قول أمرسون السالف الذكر ، لان لكل عصر اسلوبا في البحث ، وطريقة في التفكير ، لا تنطبق عليها الصيغ الفكرية الجاهزة التي ترجع الى عصور مضت .

وتطور القيادة الفكرية بهذا المعنى هو الذي يهبها الصلاحية للبقاء والاستمرار حقبة او حقبا طويلة من الزمن ، اذ هو من جهة يجعل لها صلة باصول الفكر وفروعه، صلة تقوم على التفاعل الحي المتجدد ، يضمن لها ان تستفيد من معطيات الحياة الفكرية على نحو ايجابي يحقق لقائد الفكر فرصة ان

---

(1) الفلسفة الحديثة في الميزان .

(2) جمهورية افلاطون

يعيش الحياة الفكرية بكل ابعادها والى الاعماق ، متتبعا لها في تشعباتها واتجاهاتها ، وهو من جهة اخرى لا يجعل وجود قائد الفكر معلقا على بقاء منهج خاص ، او فكرة خاصة ، او قضية خاصة ، كان يدعو اليها ، ذلك ان المناهج والافكار والقضايا تتغير ، وينسخ بعضها بعضا ، تبعا لتطور الفكر ، ولكن القيادة الفكرية الكبيرة العقل والقلب ، المستعدة لاستيعاب جميع ما يواجهها من حركات فكرية ، باقية راسخة لا تريم ، الا ان تشيخ بعد زمن طويل ، ويدركها ما يدرك كل قيادة من عوامل الضعف ثم الزوال والاندثار ، فيتحول الفكر الى البحث عن قائد آخر ، يواصل عملية القيادة بما يتلاءم ومتطلبات الحياة الفكرية الجديدة ، الى ان يدركه ما أدرك سابقه فيعود الفكر الى سيرته الاولى ، وهكذا تتكرر العملية في دورات متلاحقة .

وتقعد بالقيادة الفكرية عن مواصلة التطور حسب حركات الفكر عدة عوامل ، اهمها اعتبار هذه القيادة من طرف قائد الفكر تشريفا لا تكليفا ، فهو يرى له على الناس حق تقديسه واحاطته بمظاهر الوقار ، نظرا لما قدمه سابقا من ثمرات العقل والروح ولكن لا يرى من واجبه أن يتزحزح قيد انملة عن موضعه العتيد ليعيش انطلاقات التجديد ، قصد تفهمها وتعمقها ثم الحكم عليها انطلاقا من الحاجيات الفكرية المستجدة ، بل هو يهملها ويقف منها موقف اللا مبالاة ، فتكون النتيجة بقاءه بمعزل عن القضايا الناشئة ، مما يدفع الى البحث عن قائد آخر ، ومنها التدليل المفرط الذي طالما افسد قادة الفكر ، وجعلهم يخطئون في تقدير المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، اذ يتصورون انهم لهم على الناس كل الحق ، وليس للناس عليهم اي حق حتى اذا دخل جيل جديد ميدان الحياة الفكرية ثائرا على كثير من الاوضاع الفكرية السابقة ، داعيا الى استبدالها باوضاع جديدة ، لم يكن في مكان قائد الفكر ان يعيش هذا المناخ الجديد ، لانه فقد قابليته للتطور وتخشبت مفاصله واعتقد انه بلغ القمة وان ليس في الامكان ابدع مما كان .

هذا وغير خاف ان هناك مقومات اخرى للقيادة الفكرية ، كسعة الاطلاع ، وسمو المواهب العقلية ، والشخصية الجذابة القوية ، والاستقلال الفكري ، واتخاذ المواقف الايجابية الشجاعة ، وما الى هذا من الخصائص والمميزات لتي هي من الشهرة بحيث لا تحتاج الى مزيد من البحث والمناقشة .

هل هي قيادة واحدة أو قيادات ؟

من الطبيعي ان يتعدد قادة الفكر داخل الامة الواحدة ، لان فكر الامة لا يسير في اتجاه واحد ، وانما يسير في عدة اتجاهات . فهناك الاتجاه العلمي، والاتجاه الفلسفي ، والاتجاه الادبي ، والاتجاه السياسي ، وكذا اتجاهات اخرى تتوزع الفكر وتذهب به هنا وهناك . ثم ان كل اتجاه منها يتفرع الى عدة مذاهب واتجاهات ، تبعا لحظ فكر الامة من الخصب والنماء . فالعلماء لا يفكرون على نحو واحد ، والفلاسفة لا يفكرون على نحو واحد ، والادباء ورجال الفكر السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي او الديني لا يفكرون على نحو واحد ، وانما هم يختلفون في طرائقهم في التفكير ، ويرون الحقيقة الواحدة من جهات وزوايا مختلفة ، الامر الذى يقتضي وجود صراع داخل الاتجاه الواحد من جهة، وبين الاتجاهات الرئيسية من جهة اخرى ، وما بينها من ضروب الاحتكاك يخلق المنافسة ، والمنافسة تخلق الزعامة الفكرية . ومن ثم لا يخلو تاريخ فكر اية امة حية من قادة فكر ، يختص كل واحد منهم بناحية من نواحي الحياة العقلية ، يتزعمه ويمثل قمة ما وصل اليه الفكر في هذه الناحية ، مجسما لحسناتها اصدق تجسيم . فاذا انت وجدت ناحية من نواحي الحياة العقلية لامة مفتقرا الى قائد ، على حين ان ناحية او نواحي اخرى منها قيض لها قادة ، فذلك راجع الى كون تلك الناحية لم تبلغ من الخصوبة والثراء الفكري ما يستدعي ظهور القائد ، او ان احساسها بالتحدي لم يبلغ درجة من التوتر تتمخض عن ظهور القيادة الفكرية فيها ، او انها ناشئة ما زالت لم ترسخ قواعدها في الحياة العقلية، او غير ذلك من العلل والاسباب .

وقادة الفكر مهما تعددوا داخل الامة الواحدة ، فان هناك صلة او عدة صلات تصل بينهم ، وتجعل نشاط كل منهم مكملا لنشاط الآخرين ، فيكون نشاط بعضهم دعامة لنشاط البعض الآخر ، وسندا له ، باعتبار عامل المنافسة الذى يثير الرغبة في التفوق ، وباعتبار التباين النسبي الذى يبرز شخصيات القادة، نظرا للتناقضات التى بينهم ، وباعتبار ان فكر الامة وحدة قائمة الذات ، على الرغم من تعارض

الاتجاهات . هذه الصلة هي انهم جميعا يعيشون حياة عقلية مشتركة ، كل يعمل في جهة من جهاتها، ويملأ فراغا لا يملؤه الاخر ، ذلك ان فكر الامة ليس مجرد علوم ، ولا مجرد فلسفات ، ولا مجرد آداب وفنون ، وانما هو هذه الامور جميعا ، تبعا للملكات المتنوعة التي يرد اليها النشاط العقلي . فهناك العقل والروح والعاطفة والخيال والذوق ، ولابد أن تعمل كلها في الحقل الثقافي وان تستدعي من الوان النشاط الفكري والفني ما يشبعها ويستجيب لحاجياتها ، هذا علاوة على كون كل حقل فكري لابد ان تتعدد وجهات النظر اليه ، وان تختلف المقاييس التي تستخدم في وزن مسائله وقضاياه ، الامر الذي يحتم انقسام العاملين فيه على انفسهم ، مع بقاء خيط رفيع يصل بينهم ، هو انهم يقتسمون فنا واحدا ، ويصدرون عن ملكات متقاربة متجانسة ، فتلوح وحدتهم من خلال اختلافهم ، وتفاهم من خلال تباينهم ، والتقاؤهم من خلال افتراقهم . هذا وانك واجد بين قادة الفكر في الامة الواحدة اصولا مشتركة تؤلف بينهم بالرغم من الصراع ومن الخلاف، فالاديب القائد لابد ان ياخذ بحظ من التفكير الفلسفي ، والفيلسوف القائد لابد ان ياخذ بحظ من التفكير الادبي وبحظ من التفكير العلمي ، والعالم القائد هو الآخر لابد ان ياخذ بحظ من هذا وذاك، على تفاوت في النسب والمقادير التي ياخذ بها كل واحد منهم .

وتعدد قادة الفكر داخل الامة الواحدة وفي ظرف حضاري واحد يعني عدة امور . فهو يعني الى جانب خصوبة الفكر وثرائه ، ان كل واحد منهم لا يمكن بحال من الاحوال ان يكون تكرارا للآخر ، بحيث يمكن الاستغناء ببعضهم عن بعض . ذلك ان المبرر لوجود قائد الفكر هو أن يشغل مكانة لا يمكن ان يشغلها غيره، هذا اذا اختلفت المذاهب والاتجاهات اما اذا اتحد الاتجاه ، فيمكن ان يتعدد القادة مع وحدة القيادة . فكان القيادة الفكرية ها هنا برلمان يتكون من عدة اعضاء متكتلين ، يتولون التشريع ووضع القوانين ، فتعددهم وتكتلهم داخل هيئة واحدة لا يعني تعدد الجهة العليا التي ينتمون اليها ويزاولون فيها نشاطهم الرسمي . وهكذا نفهم كيف ظهر قادة فكر — مثلا — في أحقاب من تاريخ الفكر الاسلامي، فكانوا كلهم متعاونين من اجل هدف واحد ورسالة واحدة ، كل منهم قائد فكر ، ولكن القيادة التي ينتمي اليها هي نفس القيادة التي ينتمي اليها القادة الآخرون ، ولكن ظهر في تاريخ هذا الفكر ايضا قادة مسلمون مختلفون اشد الاختلاف ، وهؤلاء لا يمكن ان يسد بعضهم مسد البعض الآخر اذا نحن وضعنا في اعتبارنا هذا الشرط ، وهو اختلاف المذاهب والاتجاهات .

وهو يعني ان القيادة الفكرية ليست احتكارا لاحد او طائفة ، وانما هي شرف يناله كل مفكر برهن على استحقاقه بالعمل والداب والنضال ، فاذا نالها فليس له أن يحجبها عن غيره ، ممن هم اهل لها ، بل لا معنى لحجبها عنهم على الاطلاق ، فهو حتى لو حاول ذلك لا يستطيع ، ذلك ان انوار الفكر الساطعة ، هي كاشعة الشمس ، لا يمكن حجبها ولا حبسها عن الانطلاق لتغمر بضيائها الكون . لذلك يخطيء قادة الفكر الذين تعميهم الانانية المفرطة عن ادراك هذه الحقيقة ، فيعملون على ان يكسفوا غيرهم ويحولوا بينه وبين الصدارة الفكرية التي تؤهلهم لها مواهبهم ، حرصا منهم على الاستبداد بالسلطة الروحية والمركز الاجتماعي المرموق ، اذ التعصب للذات في مثل هذه الامور يتنافى وطبيعة الفكر نفسه ، وهو من شانه ان ينشد الحقيقة انى وجدها ، وهذه ليس من الضروري ان تظهر على يد قائد فكر بعينه ، بل هي قد تظهر حتى على يد من ليس بقائد فكر ، ولا حتى مفكر عادي ، قد تظهر على يد انسان بسيط ، ليس له من الالقاب العلمية او الادبية كثير ولا قليل .

وهو يعني ايضا ان الفكر ليس من طبيعته ان يسير في اتجاه واحد ، فهو دائم التشعب والانقسام والتنوع في مذاهبه وطرائقه . والويل للفكر والويل لنا منه ، لو فكر الناس على اسلوب واحد ، وما أفدح الخسارة التي تصيب الحياة الفكرية حينئذ !! فالفكر انما تكمن قوته وخصوبته في تنوعه، واختلاف الزوايا التي ينظر منها الى مسائله وقضاياه . وهو يعني ان اختلاف القادة وتنوع القيادة غنى عقلي يستفيد منه المحيط الفكري كله وجميع المشتغلين بشؤون الثقافة والفكر ، بحيث يتاتى لهم ان ينوعوا من مصادر معرفتهم ، وان يختار كل واحد منهم القائد الذي يجد عنده اجابات مقنعة عن الاسئلة التي تواجهه بها معضلات الفكر ، دون ان يكون مفروضا عليه ان ياخذ بوجهة نظر واحدة قد يرتضيها او لا يرتضيها ، من غير ان يجد وجهات نظر اخرى تصدر عن قيادات فكرية اخرى ، تتيح له ان يوازن ويقارن.

ففي تنوع القادة وتعددهم تشجيع لروح البحث وحرية الفكر وحث على محاكمة الآراء والنظريات ، اقتداء بزعماء الفكر في نضالهم من اجل الاستقلال الفكري واضافة اشياء جديدة الى الحياة الفكرية . فالمثقفون من وراء زعماء الفكر ينقسمون الى فرق متنافسة متبارية من اجل التفوق والامتياز ، مما يخلق تقاليد راسخة للنقد والمناقشة ، ويقيم الحياة العقلية على اساس من التجاوب الفكري الفعال واحترام افكار الآخرين ، على اعتبار ان من حق كل واحد ان يناقش ما يلقى اليه من رأي ، دون ان يسلم به بسهولة .

على ان هذه القيادات الفكرية المتعددة قد يشيخ بعضها فيتخلى عن مركزه ليبقى شاغرا ، او لتشغله قيادة اخرى او قد تحدث تحولات في اتجاه الفكر العام نفسه ، بحيث يصبح القائد الذي يمثل الاتجاه القديم غير صالح لمركز القيادة فيتركه مرغما فيتولاه القائد الممثل للاتجاه الجديد ، او قد يتوقف القائد عن التجدد مع ما يتجدد من انماط الحياة المختلفة مادية ومعنوية ، فيصبح غير ذي ضرورة ، اذ تمس الحاجة الى قائد آخر تتمثل فيه الصفات المثالية للحياة العقلية المتجددة المتطورة . واذن فالقيادات الفكرية منها تلك التي تتصف بطول النفس ، وتتوفر على امكانيات ضخمة تؤهلها للعمر الطويل ، ومنها التي تكون محدودة الطاقة ، لا تملك من الصلابة وقوة الكيان ما يساعدها على مجاراة الاولى في نفسها الطويل ، فتتهاوى اثناء السير ، وقد تتحول أثرا بعد عين ، وحينئذ اما ان تقتسم اسلابها قيادات اخرى ، واما ان تقوم على انقاضها قيادة جديدة تملك من المؤهلات ما كانت الاخرى مفتقرة اليه لتبقى وتستمر . ووقائع الفكر العربي المعاصر تؤكد هذه الحقيقة، وتقوم دليلا على صحتها. فقد عرف هذا الفكر قيادتين فكريتين متعايشتين : قيادة العقاد وقيادة طه حسين ، كل منهما كانت محورا للنشاط الادبي والفكري الذي عرفته الثقافة العربية خلال النصف الاول من هذا القرن وبعده بقليل . وكل منهما كان مدرسة انضم اليها الكثيرون من الانصار والمعجبين ، فاحدثت ثورة في ناحية من نواحي الفكر العربي المعاصر ، كان من آثارها هذه النهضة الفكرية التي يعيشها الفكر العربي اليوم . ولقد كانت القيادتان تختصمان حينا وتتفقان حينا آخر ، فيختصم الناس من ورائهما ويتفقون ، مما اثرى الادب العربي المعاصر ونوع من اتجاهاته ومجالات نشاطه . الا ان الملاحظ ان قيادة طه حسين شاخت، من حيث استمرت قيادة العقاد شامخة راسخة تتحدى الايام ، وتصمد لتقلبات الفكر واضطراب رياحه التي تهب من هنا وهناك. ذلك ان قيادة طه حسين اصبحت منذ زمن غير قادرة على مجابهة التحديات الناجمة عن تطور الفكر العربي الحديث ، متأثرا باحداث السياسة والاقتصاد والاجتماع وانماط الفكر العالمي واتجاهاته الحديثة ، اذ جمدت على مفاهيمها القديمة ، ولم تعد تقنع الا القليل بقيمتها واهليتها للبقاء ، اما العقاد فبالرغم من انه يشارك طه حسين عددا من المفاهيم الاساسية في الفن والادب والثقافة عامة ، فان قيادته بقيت متمسكة بزمام الفكر المصري بصفة خاصة ، والعربي بصفة عامة ، نظرا لما تملكه من استعداد ضخم ، وطاقة جبارة تجعل للآراء الصادرة عنها مكانتها المرموقة في المجال الفكري العام ، في الوقت الذي تتمكن فيه عن دحض حجج الخصوم والمنافسين ، واظهار تفاهتها وعدم قدرتها على الصمود . هذا مثال من بين امثلة كثيرة اتيت به للتدليل على صحة ما ذهبت اليه في هذه النقطة من الحديث .

واذا كانت القيادات الفكرية تعيش على هذا النحو ، منها ما يعيش طويلا ، ومنها ما يدركه العياء فيزول ، فان بقاء بعضها وزوال البعض الآخر ، يرمز الى بقاء عدد من المفاهيم الفكرية وزوال عدد منها ، طالما كان قادة الفكر هم التجسيم الحي لتلك المفاهيم والتشخيص المثالي لما لها من خصائص ومميزات . فالحقيقة ان قائد الفكر اذ يتخلى عن مركز القيادة فذلك لا يحدث بين يوم وليلة، ولا يأتي ارتجالا ، وانما هو حادث تسبقه تغيرات في صميم الفكر تعدله وتجعل وقوعه أمرا محتوما لا محيد عنه . فلو تأملنا مثلا انهزام قيادة الفكر الديني في اوروبا لوجدناه راجعا الى الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية التي طرأت على اوروبا في العصر الحديث، وقلبت الموازين العقائدية والفكرية رأسا على عقب ، وحولت المجتمع الاوروبي تحويلا جذريا زعزع كثيرا من المراكز القديمة ، وخلق مراكز جديدة ، وقد استغرق ذلك عشرات السنين ، بل يمكن القول بان انكماش قادة الفكر الديني في اوروبا قد مهدت له ظروف القرون الوسطى وما كان فيها من تطاحن بين الكنيسة والدولة من جهة ، وبين الكنيسة وحرية الفكر من جهة اخرى . وكذلك الشأن في ظهور قيادات فكرية جديدة ، فهو الآخر

ليس ابن يوم وليلة ، وانما هو وليد عدة عوامل عملت في بطء ، وتغلغلت في صميم الفكر والمجتمع ، حتى استطاعت ان تبدل المقاييس والموازين الفكرية وتخلق مناخا فكريا جديدا مستعدا لظهور الزعيم الجديد واستقباله .

ولقد اشرت منذ قليل الى ان القيادة لا تكون تكرارا لقيادة اخرى تماثلها ، ولكن قد تتوحد القيادة وتتعدد القادة . وهنا اود ان انبه على ان تعدد القادة اذا حدث من حيث لا داعي له ، كما في حالة ما اذا كانت هناك قيادتان او قيادات صورية من الممكن ان يندمج بعضها في بعض لتتكون منها قيادة فكرية واحدة ، عد ذلك ورما فكريا يدل على خلل في البنية الصحيحة للفكر ، يجب التخلص منه وازالة آثاره ، والا كان وخيم العاقبة على الحياة العقلية ، مسيئا الى اصالتها وجديتها ، في الوقت الذي يوهم ان هناك تنوعا في اتجاهات الفكر ، على حين أن ليس من تنوع على الاطلاق . **والامر في هذا الصدد شبيه بتعدد** الزعماء السياسيين بدون ان تتعدد برامجهم ووسائلهم ، حيث يكون تعددهم لا داعي له ، ويجيء تلبية للرغبة في المساحة لا خدمة للقضايا العليا للوطن. واذا كان النقد الذاتي الذي يقوم به المجتمع المثقف نحو نفسه وقيادته الفكرية البر في ازالة هذا الورم ، فان القائد الفذ ذا المواهب الجبارة كفيل بمسخ الزعامات الفكرية الزائفة وصرف الناس عنها واظهار عدم ضرورتها .

هل القيادة الفكرية وصاية او حجر على الافكار؟

لعل اشد الانتقادات التي وجهت الى القيادات الفكرية عبر تاريخ الفكر الانساني ، كونها اتسمت في كثير من اطوارها بانها سيف مصلت على رقاب صغار الفكر والعاديين منهم وحتى بعض النبغاء الممتازين ، تريد لهم ان يدوروا في فلكها ، ويسيروا في ركابها ، ويكونوا مجرد ابواق دعاية لها ، يؤيدونها ويهيئون لها مواكب حافلة تتبختر فيها جارة ذيول الخيلاء ، والا فانها تصب عليهم جام غضبها وتسلقهم بالسنة حداد ، وتكيل لهم الضربات تلو الضربات ، وتقتل فيهم المواهب والملكات . ذلك ان من قادة الفكر من يضيق اشد الضيق بكل معارضة ، ويشمئز من كل مخالفة ، ولا يرى حقا لاحد في ان يطلع على الناس برأي جديد او نظرية طريفة ، واضعا نفسه موضع المرجع الاول والاخير، الذي تكون له الكلمة الفاصلة القاطعة التي لا تعقيب عليها ولا راد لمفعولها. وهذا التعصب والضيق من بعض قادة الفكر قد اساء الى القيادة الفكرية بوصفها ابوة فكرية فيها ما في الابوة من عطف وتسامح وتوجيه ونصح ، وفيها بعض القسوة التي ظاهرها الشدة وباطنها الرحمة. ومن ثم اخذ الكثيرون من النقاد — والشباب منهم خاصة — يشملون القيادة الفكرية من حيث هي باللعنة والسخط ويصورونها للناس على انها غول يفترس المواهب الشابة والملكات الناشئة. وهذا ولا شك ظلم صريح للقيادة الفكرية وتجن عليها ولا ينبغي ، ان يؤخذ قادة الفكر العظام رسل الانسانية والفكر الحر ، بجريرة بعض القادة الذين استغلوا مراكزهم الفكرية لخنق حريات الافكار والتحجير على العقل الذي هو اكرم على كل قائد فكر نزيه متشبع بروح البحث عن الحقيقة من ان يعرضه للاهانة من اي نوع كانت ، او يعوقه عن التفتح والانطلاق . ولقد وضع سقراط القواعد الاساسية لما ينبغي ان تكون عليه العلاقة بين قائد الفكر وبقية الناس ، حيث انه فتح باب الحوار الحر ، وتجنب فرض وجهات نظره على محاوريه ، بأن كان يدور بهم حول الحقيقة او الفكرة التي يريد ايصالها اليهم ، آخذا بيدهم ، فاتحا لهم المجال كله للنقد والمعارضة ، داعيا اياهم الى عدم التسليم بالافكار الجاهزة قبل مناقشتها ، الى ان يجدوا انفسهم محاصرين بمنطقه القوي وحججه الدامغة ، فلا يسعهم الا أن يروا ما يراه من راي ، دون ان يشعروا بان هناك تضييقا على عقولهم ، او احتقارا لآرائهم.

هذا وان التحجير على حرية الفكر من طرف بعض قادته لدليل ضعف لا دليل قوة ، ذلك ان القيادة الفكرية المرتكزة على عقل جبار وعلم واسع ، لا تضيق باي مخالفة ، بل هي ترحب بها ، وتجد فيها فرصة مواتية لابراز سعة الاطلاع ، وقوة المعارضة ، مقيمة الدليل على انها اقوى من ان تنزل الى ميدان الصراع القائم على الانانية الفردية والحفاظ على المركز الاجتماعي . وهنا لابد ان نقف قليلا لنبحث عن الاسباب التي تؤدي بقائد الفكر الى التورط في هذا الضلال البعيد ، يلاحظ بادىء ذي بدء ان العامل الاول في ذلك هو ان يوجد القائد في بيئة متخلفة من الناحية الفكرية ، بحيث يكون النقد البناء الهادف منعدما ، ويتاح لاقلية من ذوي الثقافة الواسعة ان تصول وحدها في الميدان وتجول ، حتى ليستقر في خلدها ان لها على الناس كل حق ، وان ليس للناس

عليها حق واحد ، فاذا ظهر بينها قائد فكر ، اعتبر نفسه فوق كل نقد ، وكل معارضة ، وأن من حقه على المجتمع ان يبوئه ارفع مقام ، ويحيطه بكل تقدير واعجاب ، فاذا برز له ناقد يملك الجراة وشجاعة الراي ، اعتبره عاقا وقحا قليل الادب ، فاما أن يهمله ويجعله نسيا منسيا ، واما ان يهينه ويسيء الى كرامته .

وهناك عامل آخر ، وهو ان يقف بعض قادة الفكر عن مسايرة ركب الفكر العالمي ، ويصد أذنيه عن الاصوات الجديدة المرتفعة فيه ، معتمدا على مجده القديم ، ومكانته التقليدية ، فيصاب بمرض التعصب وضيق الافق ، لانه يشعر بحرج موقفه بين المكانة التي انتزعها بنضاله القديم ، وبين ما جد من تطور في المفاهيم الثقافية وابعادها ، هذه التي تستأثر باهتمام الطليعة من المثقفين ، والشباب منهم بصفة خاصة ، في حين انه لا يتصل بها ولا يجعلها من محاور تفكيره واهتماماته العلمية او الفلسفية او الادبية ، حتى اذا وجه بشيء منها ثارت ثائرته ، وراى في ذلك اعتداء على مقامه الرفيع ومنزلته العالية . وليس كالجهل بالاشياء باعثا على التعصب الفكري وعدم القدرة على احترام افكار الآخرين .

وعامل ثالث ، وهو ان يكون قائد الفكر صغير النفس ولو انه كبير العقل ، الامر الذي يهيئه للتأثر بالامور الصغيرة التي يقتتل الناس من اجلها ، فهو يدافع النقاد والمعارضين ويهينهم ويحط من اقدارهم خوفا من ان يتطاولوا عليه وينتزعوا منه الزعامة الفكرية ، خاضعا في ذلك لعوامل الحقد والحسد والانانية المفرطة والنقمة على الغير والغيرة منهم . وفي هذا ضياع للحقيقة واهانة لقدسية الفكر وخروج عن التقاليد العلمية والادبية الاصيلة . واذا كان قادة الفكر يحلقون في سماوات الفكر ، ويهدون الانسانية ازكى الثمرات ، واروع الآثار ، فان لهم نقائصهم بوصفهم آدميين متأثرين بنزعات الدم والغريزة والشهوة . ونادر هو ذلكم المفكر الذي قاوم هذه النزعات في نفسه وامتاز عليها بضروب من الرياضة الروحية ومغالبة الهوى والطبع .

وعامل رابع ، وهو جعل الفكر في خدمة السياسة الحزبية ، بمعنى ان يكرس قائد الفكر نفسه لخدمة حزب سياسي معين ، معتنقا مبادئه وبرامجه محاربا ما عداها من مبادىء وبرامج لاحزاب اخرى ، ومن ثم فهو لا يقيس الحقائق بمقاييسها المنتزعة من التفكير العلمي الواقعي الحر النزيه ، وانما يختلف موقفه منها باختلاف نسبتها الى المعتقدات الحزبية التي يعتنقها ، فاذا كانت متعارضة مع مبادىء السياسة التي يعمل بمقتضاها قبلها وفسح لها مجالا عنده، اما اذا تعارضت معها رفضها وزيفها وقاسها بالمقياس السياسي . وهذا علة ما نراه من انحراف المفكرين السياسيين المحترفين وتجنيهم على حرية الفكر في كثير من الاوساط والمجتمعات. وليس معنى هذا اننا نطالب قائد الفكر بان يبقى بعيدا عن السياسة ، وكيف والمفكر هو اكثر الناس احساسا بالقضايا العليا لامته وللانسانية واعمقهم فهما لها وتجاوبا معها ؟ وكيف ونحن نجد ان التفكير السياسي من ابرز انواع التفكير التي تمخض عنها الفكر الانساني بل اننا اكثر من ذلك نطالب قائد الفكر بان يقول كلمته في سياسة بلاده ، والا كان غير شاعر بمسؤوليته كارقى انسان في الوطن فكرا وبعد نظر . كما اننا ليس من حقنا ان نمنعه من حق الانتماء السياسي الحر ، كما يراه هو ويعتقده . الا ما نطالبه به ونلح عليه فيه ، هو الا ينحرف فيخضع الحقائق للسياسة الحزبية ، ويحيل الفكر مجرد خادم لها ، وفي اعتقادي ان المفكر الحر الصادق هو الذي يعلن انسحابه من الحزب الذي ينتمي اليه ، اذا تبين له بوضوح ان ما يدعو اليه الحزب باطل ، وان الحقيقة ليست في جانبه، ولكن نادر هو ذلك المفكر الذي يرتفع فوق المصالح والتكتلات الحزبية ليتخذ هذا الموقف النبيل . ان الهيئات السياسية تؤدي دورها وتمضي ، ولكن الحقائق باقية خالدة ، لانها اقوى من الزمن ، واقوى من الضعف الانساني. هذا وان الظروف الحضارية التي تعيشها الانسانية اليوم ، لا تسمح ببقاء الارهاب الفكري الذي يزاوله بعض المفكرين على بيئاتهم الفكرية ، فقد كانت الاقطاعية الاقتصادية تؤدي تلقائيا الى الاقطاعية الفكرية وتهيها المناخ الصالح لتعيش وتمارس سلطتها الجائرة ، وكذا بقاء الاكثرية فيما مضى محرومة من الحقوق الديموقراطية وفي طليعتها حق التعبير الحر عن الراي ، وطغيان الفلسفة التي تجعل الفرد فوق المجموع ، وترد اليه وحده كل تقدم في شتى الميادين ومنها الميدان الفكر ي . اما اليوم فان هذه الاوضاع قد زالت ، او هي في طريقها الى الزوال في بقاع كثيرة من العالم ، فلم يعد في امكان قائد الفكر ان يتسلط على العقول ليكبتها ويخنقها ، لتكون له الكلمة العليا في كل شيء يتصل بالثقافة ، وانما شرعيته تنحصر في فتح الآفاق، وتشجيع

المواهب الناشئة ، ووضع صياغة فكرية للقضايا الوطنية والانسانية الكبرى ؛ وحينئذ لا تكون القيادة الفكرية وصاية على الفكر ولا حجرا عليه ، وانما تكون طليعة التقدم الفكري، تملك حق الريادة والنقد ، ولا تملك حق التسلط والتحكم .

وان من المفارقات العجيبة في تاريخ الفكر الانساني أن يكون الفكر الذى عانى الشدائد على يد الطغاة من رجال السياسة ورجال الدين المتزمتين ، هو هو الفكر الذى يتخذ اداة للاضطهاد الادبي والارهاب الفكري، ويتحول الى جلاد يذبح المواهب ويشنق الملكات ، ويطفيء النجوم التى تاشل من اجل تالقها واشراقها فى ماضيه القريب والبعيد . وهنا لابد من التفرقة بين جبروت الفكر الناشيء عن طبيعة الفكر القوي نفسه ، عندما يتخذ سبيله الى الحقيقة وحدها ، وبين جبروت الفكر المستخدم فى اغراض غير موضوعية . جبروت الفكر الهادف الى مجرد الحقيقة هو جبروت الاب العطوف ، لا جبروت الحاقد المنتقم المتشفي المتلذذ بتعذيب فريسته . وهذا النوع الثاني هو الذى اقصده فى صلب هذا الحديث .

ولعل من المفارقات ايضا ان القيادة الفكرية الجبارة الطاغية التى تقاتل المرتدين عن طاعتها والثائرين على سلطانها ، من حسناتها كونها تدفع الى النضال ، وتخلق روح التمرد ، كرد فعل ضد سلطانها المهيمن ، وقبضتها الشديدة . فما من قائد فكر شامخ القمم ، الا ويكون امام المتقفين لونا من الوان التحدي ، يحمل الكثيرين منهم على مطاولته ، ومصاولته ، واقتحام حرمه ، باحثين عن وسائل اثبات الذات ، واستقلال الشخصية ، فاذا هو النضال ينضج المواهب النامية ، ويكشف عن المعدن الاصيل فى بعض النفوس ذات الاستعداد الخاص ، واذا القيادة تقلق فى برجها العاجي ، وترتفع اليها اصوات تكون خافتة فى اول الامر ، ولكنها لا تلبث ان تصبح رويدا رويدا صارخة حادة تزعج القائد وتفسد عليه احلامه اللذيذة . وقد ساعد المثقفين على مطاولة قادة الفكر ، ما عرفه عصرنا هذا من تيسير للمعرفة ، واتاحة فرصة التعلم لكل فرد ذكرا كان او انثى ، وتجريد المعرفة من تلك المهابة

التى كانت لها من قبل ، عندما كان يلفها شيء من الغموض ، حيث كان ينظر الى قائد الفكر على انه مثل اعلى لا يمكن الدنو منه . اضف الى ذلك عاملا آخر مكن المثقفين من مطاولة قادة الفكر ، وهو مضي الوقت الذى كانت فيه الدول تتخذ موقفا مؤيدا من بعض المفكرين ، فتعاقب كل من يتصدى للتمرد عليهم ، وتفرض عليهم حرمة لا يجوز المس بها ، كالشأن فى بعض المفكرين السياسيين واللاهوتيين ابان العصور الوسطى . يقول الدكتور ج. ج كولتون (وكان ينظر الى قرارات المجامع الدينية العامة باحترام لا يقل عن احترام الكتاب المقدس ، وكذلك لم يجتريء كثير من المفكرين صراحة على مناقضة اي من آباء الكنيسة العظام) (1) والجدير بالذكر ان آباء الكنيسة كانوا هم قادة الفكر اللاهوتي فى تلك العصور ، فاذا تجرأ احد المثقفين على ذلك المقام الرفيع ، كان مصيره الموت او النفي من الارض او التعذيب مع احراق كل اثر مكتوب يدل على معارضته. مثال ذلك ما حدث للعالم اللاهوتي الفرنسي اموري دي بين الذى حكم عليه بالكفر حوالي عام 1207 لقوله بوحدة الوجود ولعله احرق . كما احرقت كتابات ذافيددى رينان البلجيكي ، وقضي فى الوقت نفسه على طائفة من الشبان بالموت حرقا او بالسجن مدى الحياة ، وفى عام 1277 ادين اثنان او ثلاثة من خيرة المدرسين فى باريس وعوقبوا بالسجن المؤبد. (غير انه برغم هذا المثال وغيره من احكام الادانة التى كانت تصدر حينا بعد حين ضد المفكرين المخالفين فى الجامعات المختلفة ، مما يساعدنا على ان نستشف بعض ما كان يجري فى الخفاء ، ولم يجرؤ اي مفكر فى العصور الوسطى على ان يتجاوز علنا الحدود التقليدية الاساسية ، ما لم يقم هنا او هناك حادث يكفل له الحماية) وكان من نتائج هذا الاضطهاد من اجل حرية الفكر ان (اضطر الفكر الحر الى العمل فى الخفاء ، ولم يستطع تكوين مدرسة له حيثما كانت محكمة التفتيش شديدة البأس . ومع هذا لم يمكن القضاء على التفكير الحر قضاء مبرما ، بل انه تسرب فى مختلف الجهات بمرور الزمن وانتشار الثقافة وازدياد سكان المدن (2))

واليوم نجد قادة الفكر فى غالبية الدول قد فقدوا جميع انواع السند الرسمي تقريبا ، ولم

(1) (تاريخ العالم) ج 5 ص 434
(2) المصدر السابق

يبق لهم من سند الا الفكر نفسه ، وما استطاع ان يبوئهم من مكانة بين المثقفين . باستثناء الدول الشيوعية التى تحيط الفكر الشيوعي المنبثق عن تعاليم ماركس ولينين بهالة من القداسة ، ولا تسمح بانتقاده او الخروج عن دائرته فى اوساط المثقفين . فبالرغم من حرية الفكر الجزئية التى اصبح الفكر الروسي المعاصر يتمتع بها ، بعد سنين طويلة من خنق الافكار ومنع الملاحظة والانتقاد ، فان الاصول الماركسية لا يجوز تجاوزها او المعارضة فيها بحال من الاحوال . وفى الصين تعتبر تعاليم «ماو» بمثابة انجيل ، وتحفظ اقواله من طرف الملايين ويرددها تلاميذ وطلبة المدارس والكليات ، ولا مجال لمعارضتها بالمرة ، والدولة تحيط الفكر الصيني الصادر عن عقل ماو بسياج منيع من التقدير والاحترام الكاملين. وفيما عدا الدول الشيوعية لا نجد للفكر سندا الا الفكر نفسه ، كائنا ما كان اتجاهه في فهم الحياة والمجتمع. فكما اطلق الغرب العنان للفرد ليزاول نشاطه التجاري والصناعي والحر في ميدان التجارة والصناعة ، اطلق العنان له ليزاول نشاطه الفكري متحملا وحده تبعات الربح والخسارة وفى الحالتين معا . الا ان بعض الدول الراسمالية الكبرى تفرق بين الفكر والعمل فى هذا الصدد . فهي تتيح للفكر قدرا واسعا جدا من الحرية ، ولكن اذا تحول ذلك الفكر الى عمل سياسي يهدد مصالح الدولة وسياستها الاقتصادية والاجتماعية ، اذ ذاك تنزل به صنوف العقاب المادي والادبي ، خصوصا ما كان منه يعتنق الشيوعية له مبدا ، هذا العدو الايديولوجي للعالم الراسمالي ولا ريب ان التشجيع الذى يلقاه الفكر فى بلاد اوروبا الغربية وفى الولايات المتحدة لا يدخل في نطاق بحثنا، ولا ينفي ما ذهبنا اليه من ان الفكر فى هذه البلاد ، ليس له من سند الا الفكر نفسه ، ذلك انى اقصد بالسند فرض افكار المؤلف بالقوة ، ومنع مناقشتها او نقضها اما اذا كان احد يفهم السند على انه التشجيع الادبي الصرف ، فمما لا شك فيه ان الفكر يلقى فى تلك البلاد عناية فائقة ، وتخصص له جوائز سنية ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يجد من يحميه اذا تداعى للسقوط ، ولا من يجعل منه سلطة اذا لم يكن في امكانياته هو ما يرفعه الى مقام السلطة . وقد اتخذت الدول الديمقراطية فى عصرنا هذا الموقف من الفكر ، منطلقة من منطق ان العلم يجب ان يستند الى الحقائق العلمية نفسها ، وان تشجيعه لا يعني الا تهيئة احسن الظروف الملائمة لازدهاره ، وبذلك تكون المعروفة ارفع واسمى من ان توجهها اية جهة كانت ، منطلقة من طبيعتها هي نفسها ، خاضعة لما وضعته من مقاييس .

القيادة الفكرية وتمرد الجيل

قد كان قادة الفكر فيما مضى من عصور ، احسن حظا من قادة اليوم ، حيث كانت السلطة الروحية لقائد الفكر امرا مسلما به . قد يلقى نوعا من النقد والمعارضة ، ولكن مع ذلك لم يكن يوجد من ينازع فى القيادة الفكرية نفسها وشرعيتها ، ويطالب بالغائها والثورة عليها واعتبارها تجميدا للفكر وضربا من الصرفة ، يصرف المثقفين عن ان يكون لهم طموح وتجاوز للذات ، كما هو الشان فى ايامنا هذه. وان من المميزات الاساسية لجيل اليوم ، التمرد على جميع الاوضاع الفكرية والاجتماعية وغيرها ، هذه التى تحاول الحد من انطلاقته الرعناء ، ونزوعه الى تطويع الحياة لاحلامه وتطلعاته واهوائه . فهو ثائر على الجيل الماضي ، والعقلية الماضية ، والقيم الماضية ، والاصول الفكرية والعقائدية الماضية ، والثقافات والمفاهيم الايديولوجية الماضية ، وكذا انماط السلوك والتقاليد العلمية والادبية والفنية الماضية ، لا يعترف بحق اي منها فى ان يوجه حياته، او يكون لها مصدرا من مصادر التفكير . وتمرده على القيادة الفكرية من جنس تمرده على سلطة المجتمع ، وسلطة الدين ، وسلطة الدولة . وهذه ظاهرة ترجع الى عدة عوامل تحتاج الى بحث خاص ، لتوفيتها حقها من الدرس والتحقيق .

ان تمرد جيل اليوم على القيادة الفكرية يقوم على اساس ان هذه القيادة بطبيعتها على مجموعة من المبادىء والقواعد القارة ، كمدرسة ذات اطار خاص واسلوب خاص فى العمل ، على حين ان جيل اليوم لا استقرار عنده لشيء ، ولا يريد الزام نفسه او الزام الغير له باية قيود ، كي يتاتى له ان ينطلق الى ما لا نهاية ، متجاوزا كل حد ، آتيا كل يوم بجديد ، اذ هو ملول متقلب المزاج ، ما ان يتعاطى شيئا على نحو خاص حتى يبادر الى تعاطيه على نحو آخر وهذا يتجلى فى جميع اقواله وافعاله وشتى مظاهر سلوكه . اهي السرعة آفة العصر ؟ ام هو فقدان عنصر الايمان بالقيم والمبادىء ؟ ام هو الياس من صلاحية الاعراف الادبية والفكرية السائدة ؟ ام هو صراع الجيل من اجل الانعتاق من سلطة الآباء والامهات والهيئة الاجتماعية ؟ اعتقد ان

الكثيرين . وكانت شخصية الفرد تستمد بعض عناصر وجودها الاجتماعي من وفائها للسلطة العائلية والسلطة الاجتماعية ، فكان من الطبيعي والحالة هذه ، ان يكون للقيادة الفكرية سلطان عتيد ، ونفوذ واسع ، أما اليوم ، فقد حدثت تطورات جذرية في نظر الفرد الى كل ما يحيط به فكان من الطبيعي ان يتغير موقفه من جميع السلطات التقليدية فكرية كانت او غيرها ، حتى يكون منطقيا مع نفسه ، ومع ظروفه الحضارية .

هذا ولقد كان لانتشار بعض المذاهب الفكرية الحديثة اثر بين الشباب من الادباء والمثقفين ، كالوجودية المؤدية الى الرفض ، وعدم الانتماء ، والكفر بالمطلق ، أثر فعال في الثورة على كل قيادة فكرية تحاول حمل المثقف على اعتناق عدد من القيم والمبادىء والتحرك بمقتضاها ، الامر الذي زاد الفرد المثقف احساسا بقيمته كفرد ، له انطباعاته الخاصة عن هذا العالم ، وله شخصيته المستقلة التي لا تطابقها اية شخصية اخرى . هذا علاوة على كون الرباط الروحي المتين ، الذي كان يشد جمهور المثقفين الى قائد الفكر في عهود مضت ، قد تعرض للاصابة بلعنة العصر ، أي المادية البغيضة ، فاصبح ذاويا شاحبا ضعيف الانفاس ، يكاد يندثر لولا وجود بعض المثقفين المتشبعين بالنزعة الروحية في تقييمهم للاشياء ، وصلاتهم الفكرية برجال الفكر والثقافة . فقبل اليوم لم يكن يشد رجال الفكر الى قائدهم مجرد الاستفادة من هديه واشعاعه الفكري ، وانما كان يشدهم اليه فوق ذلك المحبة العميقة والود الكبير ، والبنوة الفكرية بكل ما تعنيه من تعاطف وتضحية وتفان في الاخلاص ، اذ يحبونه بقلوبهم ، ويأخذون منه بعقولهم ، ويتصلون فيه بمعين العبقرية ومصادر الالهام ، ومنبع الفيض الروحي العظيم . فأين هي اليوم هذه الصلة المقدسة بين جمهور الفكر وقادته الكبار ؟ أن صلتهم به تقوم في الغالب على مجرد الاخذ والعطاء ، وتبادل الراي في حرية تامة ، ووزن كل شيء بين الطرفين بميزان العقل ومقياسه الصارم . ومن ثم فلا مجال لان تكون لقائد الفكر في عالم اليوم سلطة روحية ترفعه الى مقام البطولة ، كما كان الشأن في عهود ماضية ، حيث كان قائد الفكر الديني او السياسي أو الادبي او العلمي ، يمثل الزعامة الفكرية والشعبية ، ويلتف حوله الانصار والمعجبون ، الامر الذي يقلق رجال السياسة والحكم احيانا ، وقد يشعرون بخطره فيعمدون الى الفتك به او نفيه من الارض ، وقد يحدث ذلك فتنة تقيم البلاد وتقعدها وتشغل الخاصة والعامة فترة تقصر أو تطول . ولقد كان هذا السند الروحي القوي علة جراة كبار رجالات الفكر وقادته على الجهر بالحق امام جور الحكام وظلم الطغاة ، الى جانب ما أوتوا من شجاعة في الراي وصلابة في الارادة وثقة بالنفس ، في وقت لم يكن فيها نظام ديمقراطي يخول الفرد حق ابداء رأيه في قضايا امته ، على نحو ما نعرف في أيامنا هذه .

ولقد كان للزيادة الملحوظة في متوسط ثقافة المثقف العادي كما وكيفا ، بالنسبة لمتوسط ثقافة فيما مضى من عصور ، اثر كبير في التمرد على القيادة الفكرية ، ذلك ان ابرز مميزات عصرنا ، كونه جعل المعرفة مشاعة بين اكبر مجموعة من البشر ، وادخل على طرق تلقينها واكتسابها تجديدات سهلت تناولها والاحاطة بمسائلها المعقدة التي لم يكن يستطيع فهمها قديما الا أولوا العزم الشديد من طلاب المعرفة ، وتنوعت مصادر المعرفة وتعددت وسائلها ، وبفضل ذلك اصبحت مسائل العلم وقضايا الفكر ومعضلاتهما في متناول المثقف العادي ، بعد ان كانت مقصورة على ذوي الاختصاص . فبقراءة مجلة علمية ــ مثلا ــ يمكنك ان تأخذ معلومات مفصلة عن مسائل الذرة او الالكترون او التكنولوجيا ، وان تأخذ معلومات مستفيضة عن حضارة ما قبل التاريخ ، وموطن ظهور الانسان ، وما الى ذلك ، مما كان في عهود مضت خارجا عن امكانيات المثقف العادي وبعيدا عن مرمى تفكيره ، هذا علاوة على ما تحمل الكتب والمجلات والنشرات الواسعة الانتشار ، ضمن ما تفيض به من معلومات ، من مناهج دقيقة للدراسات والبحث ، يكون لها اثر بعيد في تعويد القارىء العادي على عادات ذهنية منهجية تسدد طريقة فهمه للاشياء ، وتمنهج اسلوب تمحيصه للحقائق . هذا الوضع الثقافي جعل من المستحيل ان تحافظ القيادة الفكرية على نفوذها الواسع القديم ، تبعا لنمو حظوظ الناس من المعرفة وطرق تحصيلها ، الامر الذي أعطاهم القدرة على أن يناقشوا معضلات الفكر ليدلوا فيها بما عن لهم من راي ، فترتب على ذلك انكماش سلطة قائد الفكر ، لكون الكثير من الآراء التي يدلي بها ، يحتوي قدرا من المعلومات العامة المشتركة .

وهناك بعض النظريات التربوية الحديثة التي اثرت هي الاخرى في تقلص سيادة قائد الفكر ، مثل تلك النظرية التي يومن بها جمهور غفير من رجال الفكر والتربية ، وهي ان الدربة والمران والدأب ،

هذا كله صحيح . نعم ، لقد كانت القيادات الفكرية ذات سلطة ونفوذ ، يوم كانت الاجيال تتصف بنقائض الصفات التى يتصف بها جيل اليوم ، يوم كان الانسان يتذوق الحياة ويعيشها على اناة ومهل ، لا يفتنه عن ذلك شيء ، وكان لكل شيء قواعده القارة الثابتة ، التى لا يسمح المجتمع **بالانحراف عنها** ، وكانت القيم والمبادىء تلقى قلوبا رحبة من طرف تقوم احيانا مقام الموهبة الممنوحة بالفطرة ، وهكذا يمكن اكتساب مواهب خاصة علمية او ادبية بواسطة التربية ذات الهدف المعين ، على حين أن النظرية التقليدية تقول ان الاديب او العالم ، لا بد ان يكون ذا استعداد فطري خاص ، لكي يتجه الى ما خلق له . ومعنى ذلك ان الكثيرين الذين لا يحسون من انفسهم هذا الاستعداد ، يداخلهم نوع من اليأس فى ان يكون لهم موضع قدم ، فى هذا الشيء الذين هم غير مستعدين له من الوجهة الفطرية . فاذا ابرز عبقري فذ ، او قائد فكر كبير ، استعملوا فى تقديره نفس المقياس ، ولم يدخل فى حسابهم انهم يستطيعون الدنو منه ، او مشاركته سماءه العالية ، طالما كانت القضية قضية موهبة فطرية خاصة ، ليس الى اكتسابها من سبيل . كما كان لانهيار الفكرة القائلة بتفوق جنس على جنس فى الخصائص العقلية والنفسية ، أثر كبير فى اضمحلال الدعوى التى ادعتها بعض الشعوب ، من ان لها حق زعامة الفكر العالمي وقيادته ، نظرا لامتيازها العرقي السلالي ، حيث تحولت الانظار عنها الى شعوب اخرى تنتظر منها الاشعاع الفكري ، بوصف الانسان وحدة واحدة، رغم اختلاف البيئات والاوطان ومراتب الحضارة .

ويجب الا ننسى فى هذا الصدد ، ان انتصار العلوم ذات التطبيقات العملية ، على الدراسات النظرية الصرفة ، ادى الى تضعضع المركز القيادي لهذه الدراسات ، تغليبا لجانب العمل على جانب الفكر المجرد ، او قل تغليبا للفكر العملي على الفكر النظري عند الاكثرية من مثقفي العصر ، وهذا هو السر فى جنوح عصرنا الى فلسفة (علمية) تتسم بسمة العلم وتلبس لبوسه وتسلك أساليبه ومناهجه، حتى تستطيع الفلسفة أن تجد لها مكانا محترما بين علوم العصر والوان ثقافته. ان الناس فى عصرنا هذا كلما القيت اليهم نظرية يأخذون فى التساؤل على هذا النحو : ما قيمتها العلمية ؟ ما قيمتها العملية ؟ كيف يمكن تحويلها الى واقع ؟ وماذا يمكن ان يكون لها من مردود اذا طبقت ؟ وما وسائل تطبيقها ؟ وكم تحتاج من مال ورجال وتخطيطات لتصير واقعيا ؟ وهكذا . فاذا هم الفوا انفسهم ازاء فكرة مجردة مما لا يمكن تحويله الى واقع ، اعتبروا السعي وراءها والاشتغال بها اضاعة للوقت ، وتبديدا للطاقة .

وفى هذا الجو من تقييم الافكار والنظريات على هذا النحو ، هيهات ان يستطيع ذلك المفكر الكبير الذي لا يعير الواقع اهتمامه عندما يصوغ نظرياته ، ان يحافظ على مركزه التقليدي وان يعطي لقيادته معنى ويجعلها ذات موضوع .

أضف الى ما تقدم فى تعليل هذه الظاهرة ، ظاهرة التمرد على القيادة الفكرية ، كون النظام الاجتماعي الحديث ، يخالف تمام المخالفة النظام الاجتماعي القديم فى جميع الشعوب المتقدمة ، او التي هي فى عريق التقدم . فقبل اليوم كانت طبقة المفكرين تاتي من السلم الاجتماعي بعد طبقة الحكام مباشرة ان لم نقل انها كانت تتقدمها احيانا ، حتى ان الحكام ليلتمسون تاييدها والتعاون معها لاعطاء تصرفاتهم صفة المشروعية . ذلك ان الفكر كان يهب اصحابه حقوقا على الشعب كثيرة ، تبوئهم مكان الصدارة داخل الهيئة الاجتماعية ، تبعا للنزعة المثالية السائدة يومئذ ، ونوعية المثل الاعلى للانسان الممتاز . كان ذلك فى اوقات مضت ، اما اليوم ، فقد زحزح رجال الفكر عن مراكزهم التقليدية المتبدة ، ليحتلها كبار رجال الاعمال والصناعة المتحكمين فى الاسواق العالمية ، والقابضين على زمام الراسمالية الدولية، ويدخل فى زمرتهم المخترعون والمكتشفون ومصمموا المخترعات العلمية الكثيرة ، ومبتكروا الاسلحة الجهنمية الفتاكة ، وعلماء غزو الفضاء ، وملوك البترول وارباب الشركات الكبرى ، وكبار منتجي الافلام العالمية ، وعباقرة الاطباء القائمين بزرع القلوب . فلا غرو اذا كانت الانظار قد تحولت الى هؤلاء ، ترى فيهم المثل الاعلى ، وتنظر اليهم على انهم امل كبير، وقمة ما يمثل مميزات هذا العصر . ولئن كان رجال الفكر الكبار ذوي أثر بعيد فى سياسة بلدانهم فيما مضى من عصور ، فان هذا الدور اخذ يضطلع به اليوم ارباب الراسمالية الجديدة الذين اشرنا اليهم ، اذ الحكومات تنقاد اليهم انقيادا يكاد يكون تاما ، وتكيف سياستها الداخلية والخارجية وفقا لرغباتهم ، وطبقا لمصالحهم الاحتكارية ، نظرا لما لهم من تاثير عميق فى اقتصاد البلاد ، ونتائج الانتخابات ، ووصول الافراد الى الحكم وابعادهم عنه ، **وما الى ذلك** . وحينئذ قد ترتفع أصوات الاستنكار من طرف قادة

الفكر ، فلا يكون لها صدى كبير في الاوساط الشعبية او الرسمية ، ولا تستطيع ان تغير من الامر شيئا ، على غرار ما رأينا من استنكار كل من المفكرين جان بول سارتر ، وبرتراند راسل ومن لف لفهما ، للسياسة الامريكية في فيتنام ، وتنديد شيخ مؤرخي العصر توينبي بالغزو الصهيوني للبلاد العربية ومطالبة الراي العام العالمي بأن ينظر بعين الانصاف الى القضية العربية العادلة ، في تجرد عن التأثر بالدعاية الصهيونية .

ونتيجة لتمرد الجيل على قيادة الفكر ، بناء على المثل والاسباب المذكورة ، نجد انفسنا امام الاوضاع الفكرية الآتية :

1) جيل الفكر في ايامنا هذه يعاني من الضياع بين شتى المذاهب والسبل ، وتمزقه الازمات النفسية الحادة ، نتيجة لعدم تبين الهدف الذي ينبغي ان يعمل من اجله ، ويتخذه مبررا لوجوده ومحورا لمختلف انواع نشاطه .

2) اصابته بخيبة امل مريرة ، من جراء ما نال المثل الاعلى للمفكر عنده من مسخ وتشويه ، حيث ان جميع نماذج المفكرين المعاصرين والقدماء لم تعد ترضيه وتملأ عينيه ، فيسعى جاهدا من اجل اللحاق بها ، ومن ثم كان مثله الاعلى غير موجود ، ويعلم الله كم سيمر من السنين قبل أن يوجد ، فان اصبح حقيقة واقعة تكون قد جدت تطورات خطيرة اخرى في افكار الناس ونفوسهم تجعلهم غير راضين عن النموذج الواقعي لرجل الفكر وقائده .

3) تحول القيادة في كثير من نواحي الحياة العقلية من الافراد الافذاذ الى الهيئات العلمية المختصة . حتى ليصح القول بأن من اخص ما تتصف به هذه القيادة في عصرنا كونها قيادة مشتركة اكثر منها قيادة افراد معدودين . والباعث على ذلك فيما ارى هو أن المعرفة بلغت من التشعب والتنوع في هذا العصر ، ما جعل انواع الاختصاص كثيرة غزيرة ، مما حال بين المفكر الكبير ، وبين استيعاب ما يزخر به عصرنا من الوان المعارف ، فكانت الاكاديميات والهيئات العلمية والادبية هي التي تتولى قيادة الفكر ، عن طريق التعاون بين اعضائها المتنوعي الاختصاص . وحتى هذه الهيئات لا يقل حظها من تمرد الجيل ، عن حظ الافذاذ من المفكرين نظرا لمجموع العوامل السالفة الذكر .

4) لقد تعرضت العلاقة بين جيل الفكر وقادته لتوتر شديد ، نتيجة لكون الجيل يتمرد باستمرار على القادة ، وهؤلاء يريدون للتقاليد العلمية والادبية ان تبقى راسخة تحت زعامتهم ووصايتهم ، حبا منهم للضبط الادبي الذي ينظم الحركات الادبية ويقيها المزالق والعثرات . وما يفتأ هؤلاء القادة يوالون رمي شباب الفكر بالجمود والعقوق والتنكر للابوة الفكرية ، وما يفتأ هذا الشباب يرمي قادته بعدم القدرة على فهم مشاكله وقضاياه ، هي قضية الصراع بين القديم والجديد ، وبين اجيال الادب والفكر ، تتكرر في كل عصر ، في صور واشكال مختلفة .

فـاس : عبد العلي الوزاني



المقولات العشر في الفلسفة الإسلامية

للدكتور ممدوح حقي

هذه مقدمة لمخطوط نادر عن « المقولات العشر » تأليف علامة القرن الحادي عشر الشيخ محمد الحسني الاندلسي البليدي اصلا المصري منشا المالكي مذهبا، وقد تولى تحقيقه وتصحيحه والتقديم له فضيلة الاستاذ الدكتور ممدوح حقي الذي يعمل اليوم خبيرا للجامعة العربية بالمكتب الوطني لتنسيق التعريب في العالم العربي بالرباط .

والدكتور ممدوح حقي له آثار ادبية رائعة كبرى وتاليف عديدة تربو على الستين ما بين مؤلف ومترجم ومحقق، ولبعضها قيمة عالمية كالكشاف الذي قرظه مكتب الكشاف الدولي ، وقاموس الحقوق وقد طبعت مؤلفاته اكثر من مرة بل بلغ عدد طبعات بعضها اربع عشرة مرة ككتابه القيم : « العروض الواضح » ، بالاضافة الى انه يجيد عددا من اللغات الغربية والشرقية وشغل مناصب ثقافية عليا ودبلوماسية رفيعة جدا على صغر سنه بالقياس اليها في حينه .

اما اسلوبه فهو مبسط سهل ناعم مما حمل بعض كبار الادباء على القول ان اسلوب الدكتور يحيى حقي يختار التركيب الذي يريد للمعنى الذي يريد بسرعة مذهلة سواء اكتب او خطب او تحدث .

وجمعت بعض دور النشر في الشرق بعض ما قيل في الدكتور ممدوح حقي ، فاذا هو كتاب قائم بذاته ، ولخصت دار اليقظة العربية ودار الحياة وسواها شيئا منها ، اليك بعضه :

قال المرحوم الدكتور احمد أمين عميد كلية الآداب بمصر « ممدوح حقي » مجموعة مختارة من الذكاء الحاد والنشاط والالمعية ، عميق الفهم ، غزير المادة ، علمه ادب ، وادبه شعر ، وشعره موسيقا ..

وكذلك وصفه كبار ادباء العالم العربي كالدكتور طه حسين وعبد الوهاب عزام وكامل كيلاني وبعض كبار المستشرقين ، ونظم فيه الشعراء قصائد ، من اكبرهم زعيم شعراء العصر عمر ابو ريشة .. ومع كل هذا فهو عزوف عن الشهرة يحب العزلة المنتجة ليكتب ويكتب باستمرار ولساعات طويلة جدا كل يوم.

وكتاب « المقولات العشر » الذي ندرج مقدمته في هذا العدد سيتم انجازه في الشهور القريبة باذن الله تحت اشراف المكتب الوطني لتنسيق التعريب في العالم العربي ؛ يقول الدكتور ممدوح حقي صاحب التحقيق :

منذ انتصب الانسان على قدميه ، واطلق يديه تعملان في جلب المنفعة له ودفع الضر والاذى عنه ؛ تخلص من حيوانيته اذ كان يسعى فيها على اربع ، وتفاهم مع بني فصيلته الجديدة بالصوت والاشارة، واستطاع ان يورث حصيلة تجاربه ابناءه واحفاده بما ركب من الفاظ ، ومنذ سجل الانسان لغته بالحروف، درجت به الحضارة على دولابها تجمع نتائج التجربة الى مثيلاتها وتولد منهما فكرة جديدة وابتكارا جديدا وتستنتج فائدة جديدة تضيفها الى نتائج سواها من التجارب ؛ تركم بعضها فوق بعض ، تغتني بها وتسارع راكضة وتتواثب حتى طفرت عن الارض وحلقت في الجو كالطير ؛ ثم اندفعت الى القمر والافلاك حزمة من نور وسرا من الاسرار لا ندري مدى ما يتفجر عنه الفكر الخلاق من وراء ذلك .

تخوف الانسان من غده المبهم فطفق يختزن ما يجابه به الجوع والبرد والخوف المتوقع ، ويجمع الشيء النافع الى شبيهه ، ويضم الحيوان المتآلف الخادم الى قرينه ، ويحتفظ به الى حين حاجته ، فان افتقد منه شيئا عرفه بصفاته ، وان ابق منه حيوان فادركه ضمه الى رفاقه ... واحتاج في

احصاء ماكيته الى العد ، فاخذ يقيس المعدود على اصابع كفه ، فاذا زاد قاسه على اصابع الكفين معا ، فاذا كثر ناظره الى ما في قدميه من اصابع كذلك . فاذا فاض عنها عجز عن تعداده ووصفه بالكثرة وجعلها كثرة قليلة وكثرة كثيرة ... ثم ما زال يتقدم على الدهور حتى قدر على تجريد العدد من المعدود ، فانطلق في آفاق فكر جديدة ، جمع فيها الاعداد وطرحها وضربها وقسمها .. ثم ارتفع من فوقها الى الجبر فجرد العدد من معناه المحدود ومضى فوق الحساب فلحق فوق السحاب .

وكما استطاع الانسان تجريد العدد من المعدود، امكنه كذلك تجريد المعنى من الحرف ، والفكرة من الكلمة ، فتخيل وتوهم وتفلسف ما شاء له الخيال والوهم والفلسفة .

ولكن من يدري كم من قرون اتت على الانسان وهو يجاهد المجهول ويصارع المبهم حتى استطاع الاستعلاء على المادة بالمعنى ، والتحويم فوق شاطىء التجريد المتمحض وحفا في الفكرة الصائمة ، فتخيل الفراغ المطلق ، وحصر الزمان بقانون رياضي مجرد ، ورسم المكان بغير مكين ...!!

كم من دهور توالت على البشر حتى استطاعوا الانطلاق من المحسوس الى المجرد ؟ واذا نظرنا اليوم الى العلوم الرياضية وهي آلة الآلات كما يقول باكون (1) Bacon فرأيناها محض عقلية، ردونا الى الدهور الطويلة المديدة التي خلفها الانسان وراءه وهو يتنقل بهما تدريجا في اطوار التجريب الحسي ، الى حيث وصلت اليوم من سمو ، بقلوب ملؤها التعجب والتقديس ، للعقل البشري المتطور في اتجاه مستمر مستقيم ، كلما انبثق علم جديد اضافه الى اضمامة العلوم الاخرى ، واختزله بالاسلوب الرياضي ، يربط الاشباه بالاشباه ويقرن الامثال بالامثال ، ليعلو عن قاع التفرد الى آفاق التعميم والكليات ...

من هنا اخذت العلوم اتجاهها السليم ، وكان ارسطو Aristot اول من تنبه الى ظاهرة التعميم، فسجلها بقوله : « **لا علم الا في الكليات** » . ومنذ يومذاك والفلاسفة على اطلاقهم، والعلماء على اختلاف مشاربهم ، يضمون افراد النوع المتنافرة في قانون واحد ، يعلوها جميعا ويسود ، فيسهلون بحثها ومقارنتها بسواها ، والرجوع الى قواعدها العامة بيسر وبساطة .

واذا كانت **آفة العلم التعميم الفج** ، فان النضج اللاحق يعدله على اي حال . وما دامت البشرية في تقدم متصل الحلقات ، متساوق الخطوات ، فلا خوف من التعميم المبدئي ، اذ هو خطوة في المجهول فكشف عن الخطا فتصلحه والنقص فترمه ، وتتكشف هي نفسها امام الحقيقة فتتعدل .

ولقد درس ارسطو مظاهر المعرفة التي توصل اليها عصره ، فوجدها تقوم على عشرة اسس ، منها ينطلق الفكر المستقيم في اتجاهه نحو التعميم ، وعليها يبنى . فجمعها وشرحها شرحا مبدئيا وسماها **المقولات** وهي :

1 ـ الجوهر ، 2 ـ الكم ، 3 ـ الكيف ، 4 ـ الاضافة ، 5 ـ الأين ، 6 ـ المتى ، 7 ـ الوضع ، 8 ـ الملك ، 9 ـ الفعل ، ـ 10 ـ الانفعال .

وما زال الفلاسفة ، منذ ذلك اليوم ، لا يملون شرحها وعرضها في كساء جديد . وتعلق بها الفلاسفة المسلمون ـ وبخاصة بعد القرن الخامس ـ تعلقا شديدا ، وجعلوها اصلا من اصول المنطق الصوري ، لا غنى عنه . وتوصل المتاخرون منهم في شرحها الى مستوى عال جدا من الفهم ، على قدر ما تسمح به مستويات المعرفة العلمية التي حصلوا عليها . وفي راينا ان الشرح المنسوب للبليدي ، خيرها وادقها بلا نزاع .

وارسطو هذا ، فيلسوف اليونان القدماء ، وزعيم العقل الفلسفي حتى اواخر القرون الوسطى ولد في مدينة ستاجير Stagire بمكدونيا Macédoine عام 384 ق. م وتوفي في شالسيس Chalcis بأوبي Eubée عام 322 ق. م

(1) فرنسيس باكون (1561 ـ 1626) فيلسوف انجليزي رحب التفكير . ولد في لندن . كان من اوائل مبتكري الطرق التجريبية في العلوم بكتابه المشهور Instauratis magna ووضع للتحريات العلمية اسس استقلالها بعيداعن مباديء السلطة الضاغطة للاساليب **المدرسية** الاتباعية السائدة في عصره . كما وضع تصنيفا للعلوم جديدا . ونظرية جديدة للاستنباط في كتابه Novum organum

وكان صديقا للاسكندر الاكبر (2) واستاذه . خلد في تاريخ الفكر الانساني بعقله الجبار ومؤلفاته الرائعة كانما سبق عصره بقرون . كان فيلسوفا نسيج وحده ، يصر على ان الطبيعة بجماعها تتجه اتجاها نضاليا مستمرا لترتفع من عالم المادة الى عالم الفكرة ، ومن التشتت والتنافر الى التقارب والانسجام والتوحد . وايد رايه هذا ، اذ جمع اصولا عشرة للفكر ، ادعى بأنها مجموع الاجناس الكبرى التي تنتظم تحتها الامور المتشابهة ، وسماها المقولات كما تقدم .

وسيطرت فلسفة ارسطو على العقل البشري سيطرة تامة ، خصوصا ابان القرون الوسطى . لم ينج من سيطرته الفكرية احد من الفلاسفة الا ديكارت Descartes (3) (1596 — 1650) بم.

وكان قد تاثر به في مطلع حياته العلمية تاثرا بالغا ثم استقل عنه واستن لنفسه فلسفة جديدة مبنية على الشك الحذر البناء . وجاء بعده **كانت** Kant (4) (1724 — 1804) ب م فعدل في مقولاته بعض التعديل ، وزاد عليها مقولتين اخريين هما : 1 — **النفي** ، 2 — **الاثبات** .

واختلف المناطقة المسلمون في بعض هذه المقولات ، فقبلها بعضهم كما وضعها ارسطو ، **واستبدل بعضهم الاضافة والانفعال ، بالعرض والنسبة** .

ومهما يكن من امر ، فقد كان لهذه المقولات اهمية خاصة لديهم ، وبخاصة منها : **الجوهر** والعرض ، لصلتهما الوثيقة بمباحث التوحيد . انظر الى النموذج التالي ، فانه مثال من طرائق البحث في هاتين المقولتين ، الى عهد قريب جدا (5) .

---

(2) الاسكندر الاكبر (356 — 323 ق. م هو ابن فيليب الثاني ملك مكدونيا وامه اوليمبياس المشهورة بجمالها وذكائها . اخضع لحكمه بلاد اليونان وآسيا الصغرى والهلال الخصيب وبابل وبلاد الفرس وشمالي الهند ومصر كل ذلك بسرعة خاطفة مذهلة ... اشتهر — على صغر سنه — بعبقريته الحربية وتخطيط المعارك والاستراتيجية العسكرية وقدرته الادارية .. حتى لقد حاول الغاء فكرة « غالب ومغلوب » ومازج بين الشعوب التي حكمها ليستخلص منها شعبا واحدا ، وزوج — تحت تأثير هذه الفكرة — في يوم واحد ، عشرات الالوف من جنوده وضباطه بنساء من الشعوب التي خضعت له .

ومن المدن التي اطلق اسمه عليها : الاسكندرية في مصر ، والاسكندرونة في سوريا ، والاسكندرية في بيمونتي بايطاليا ، والكسندروبوليس في اليونان ...

(3) ديكارت فيلسوف رياضي فيزيائي فرنسي ولد في لاهاي وتجول في اوروبا سائحا ثم عاد الى هولاندة فاتخذها مقره . ابتكر الهندسة التحليلية ، ووضع اسس ما وراء الطبيعة المعاصرة وقعد اساليب جديدة للمنطق قائمة على الشك البناء . واثبت وجود الله تعالى من خلال اثباته وجوده كانسان مفكر بالحدس والاستقراء ، ووضع جملته المشهورة : « انا افكر اذن انا موجود » Je pense donc je suis وتوفي في استوكهولم بعد ان ترك اثرا اي اثر في العقلية المعاصرة والتطور الفكري والمنطق .

(4) عمانوئيل كانت : فيلسوف الماني ولد في كونيكسبرغ 1724 م وفيها توفي عام 1804 م . من مؤلفاته المشهورة : نقد العقل المحض . نقد العقل العملي . نقد المحاكمة واسس الميتافيزيك للتقاليد . وبالجملة فقد كان نقادا مثاليا . وهو يعتقد بان الاشياء ندركها في شكل حادثات قائمة في الزمان وفي المكان ، وهي ليست اكثر من محسوسات . ولما كانت الاشياء قائمة بذاتها بقطع النظر عن علاقتها الزمانية والمكانية فهي اذن غير مدركة . والقوانين الاخلاقية تفترض الحرية والخلود ووجود الله معا ... الخ .

(5) من كتاب «المواقف» لعبد القادر الجزائري جزء 1 ص 132 من الطبعة الثانية . انظر آراء الجزائري في الطبعة الثانية وفي سائر مؤلفاته، وجميعها شرح وتعليق وتحقيق الدكتور ممدوح حقي الامير عبد القادر الجزائري ثائر القرن التاسع عشر المسلم على الاستعمار الصليبي ولد في معسكرة (الجزائر عام 1808) حارب الافرنسيين منذ عام 1830 — 1847 ، حتى نفدت جميع قواه فاستسلم لاعدائه فأسروه وحبسوا عليه في امبواز بفرنسا ثم اطلقوا سراحه فانتقل الى مدينة =

— تقول للطبيعي : العاوية ، غير العرش والكرسي والاطلس ، وتلك من اي شيء هي مركبة ؟!

— فيقول لك : من العناصر الاربعة وهي : التراب والماء والهواء والنار

— فتقول له : والعناصر الاربعة من اي شيء هي مركبة ؟!

— فيقول لك : التراب مركب من البرودة واليبوسة . والماء مركب من البرودة والرطوبة . والهواء مركب من الحرارة والرطوبة . والنار مركبة من الحرارة واليبوسة .

— فتقول له : وهذه الطبائع الاربع ، **جواهر أم أعراض**

— فيقول لك : هي اعراض !!

فكانت الجواهر والاجسام كلها مركبة فى الاعراض ، تجري عليها احكام الاعراض ولابد ؟!!

— * —

وكما نفضت الكيمياء عنها سحر السيمياء،خالفت فكرة هذه العناصر الاربعة ، وبرهنت على انها ليست هي العناصر الاصلية البسيطة للمادة ، فارجعت الماء مثلا الى عنصريه البسيطين : الاوكسجين والهيدروجين . وفككت الهواء فاذا هو آزوت واوكسجين وغازات اخرى. وفردت التراب الى اكثر من مائة عنصر اصيل ، بل قد فجرت الذرة ... كذلك انتفضت الفلسفة فحطمت طوق المنطق الصوري ، فتولد منها : **علم النفس ، والمنطق والاخلاق ، وما وراء الطبيعة ، وعلم الجمال و ...** الخ .. واتسع المنطق حتى شمل بحوثا جديدة كل الجدة : **كالحدس والاستقراء والاستنتاج والتحليل والتركيب وطرائق العلوم وتصنيفها والبرهان والمشاهدة ...** الخ ..واصبحت دراسة المقولات جزءا يسيرا جدا منه لا اهمية له الا فى التعميم والتخصيص ، وانقطع البحث فيها على انها اساس لا بد منه فى المنطق . بل ان المنطق الصوري كله اصبح جزءا يسيرا من المنطق العام . وفى كل يوم يمدنا العقل البشري الخلاق ببحث جديد ، فتبارك الله مبدع هذا العقل .

واذا تراجع البحث اليوم فى المقولات ، واصبح فى المقام الثاني ، فيا طالما ادى من خدمات كبيرة جدا فى تطور العقل الفلسفي ، خلال عشرين قرنا على الاقل ، وما زالت اهميته فى نظر بعض المثقفين قائمة حتى اليوم . فحينما يجول البحث فى **الكم المتصل والكم المنفصل** مثلا ، ويناقش حدود **اللا نهاية بين زمنين متلاحقين كالحاضر المتواضع بين الماضي** والمستقبل ، هل هو جزء من احدهما ، او من كليهما ، او هو جزء مستقل عنهما معا ؟! وما هي حدوده بينهما ؟ وما هو امتداده ؟ وما هو مقدار اتصاله بهما ؟! **وحينما يعالج مفهوم العدد الرياضي ومفهومه الوجودي الحسي ، وفكرة الزمان الميكانيكي المتجانس وفكرة الزمان الشعوري ، والنقطة الهندسية والخط الهندسي ، وتركيبه من نقطتين او ثلاث نقط او تقسيمه الى اجزائه النقطية . والفراغ المحدد والفراغ المجرد ...** وما شاكل ذلك من بحوث عقلية مجردة ، اي خيال فلسفي عبقري يرفع البحث فيها الى منطقة التجريد ؟! فدراسة المقولات ما زالت بحثا له اهميته فى المنطق الصوري ، واغلب الظن انها ستبقى زمنا طويلا جدا ، مع كل ما تعرضت له من نقد ، وما تتعرض له اليوم من تحوير وتجديد .

وكلمة **مقولة** اشتقت من مصدر **القول** حتما. وهي ترجمة لكلمة كاتيجوريا Katigoria اليونانية . ولا يعرف بالضبط اول من وضع هذا الاصطلاح فى العربية ، **ولا تجد له فى معاجمنا** وجودا . وقد دخلت فى جميع اللغات بلفظها تقريبا Catégorie - Category حتى فى كتب الفلاسفة المسلمين. ومعناها فى الاصل : **((العلاقة)).** ونحن نستعملها فى معناها الاصطلاحي ، ونفرق بينها وبين **البديهيات** Axiomes والموضوعات Postulats ولعل كلمة **((كليات))** اقرب الى اصل المعنى اليوناني الذى وضعه ارسطو منذ نحو ثلاثة وعشرين قرنا ، من كلمة **((مقولات))** الشائعة .

= بروسة ثم الى دمشق حيث توفى فيها عام 1883 . ونقلت رفاته عام 1965 الى الجزائر بموكب مهيب ، كان عالما صوفيا وسياسيا وعسكريا . (انظر تفصيلا عنه فى مقدمة ديوانه الطبعة الثالثة للدكتور ممدوح حقي .

والمخطوط الذي بين ايدينا ، بخط البليدي نفسه ، وهو شرح للمقولات كما وضعها ارسطو ، ولعله خير نموذج لاساليب التاليف اواخر القرون الوسطى . وسترى في صورة الصفحتين الاولى والاخيرة المرفقتين بهذا التقديم ، ان خط المؤلف ليس من السوء بحيث يصعب حله ، غير ان العقبة المرة التي تأكدتنا ونحن ننقله للطبع والنشر ، هي في هذه الحواشي المتعاظلة المتراكبة الذاهبة الى يمين وشمال ، المتداخلة في اصل النص والخارجة منه بغير استئذان ، واكثرها مرسومة بخط رديء ناصل الحبر احيانا ، مطموسة الحروف احيانا اخرى . واغلب الظن ان الكتاب لاقى عنتا طويلا وهو يقاوم الزمن والرطوبة والعفن والتراب . ويبدو لي ان التحشية قد وضعت باكثر من قلم ، وتعاورت الكتاب ايد كثيرة قبل ان يصل الينا لاختلاف الخطوط فيه وتباين النفس .

ولقد عرفنا المؤلف بنفسه وهو يقدم الكتاب ، اذ عين اصله ومهاجره وبلده ومنشاه ومذهبه في سطر واحد واستراح !! قال : **«انه محمد الحسني الاندلسي البليدي أصلا ، المصري منشا المالكي مذهبا »** . وهو من رجال القرن الثاني عشر الهجري. وكان عالما فاضلا موقرا ، اشار اليه شارح تاج العروس (طبعة الكويت صفحة ط . ي) وهو يتحدث عن قدوم الزبيدي الى مصر، تدل على مكانته السامية وكعبه العالي في مجموعة علماء القاهرة ، قال :

« ثم ورد **الزبيدي** الى مصر ، في تاسع صفر سنة سبع وستين ومائة والف، وسكن بخان الصاغة . واول من عاشره واخذ عنه : السيد علي المقدسي الحنفي من علماء مصر ، **وحضر دروس اشياخ الوقت كالشيخ احمد الملوي والجوهري والحفني والبليدي والصعيدي والمدابغي وغيرهم ..** فانظر كيف جعله في جملة اشياخ الزبيدي ، وناهيك بالزبيدي من عالم ، او لم يكن له الا مؤلفه الضخم « **تاج العروس** » لكفاه وسيلة الى الخلود . انظر في الفقرة التالية (مقدمة تاج العروس (طبعة الكويت صفحة ط ي) لتعرف قيمة الزبيدي في القاهرة نفسها قال : « ودعاه كثير من الاعيان الى بيوتهم ، وعملوا من اجله ولائم فاخرة ، فيذهب اليهم مع خواص الطلبة والقرىء والمستملي وكاتب الاسماء ... فيقرا لهم شيئا من الاجزاء الحديثية كثلاثيات البخاري او الدرامي ، او بعض المسلسلات .. بحضور الجماعة وصاحب المنزل واحبابه واولاده . وبناته ونساؤه من خلف الستارة ، وبين ايديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة . ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) على النسق المعتاد . ويكتب الكاتب اسماء الحاضرين والسامعين ، حتى النساء والصبيان ، واليوم والتاريخ ... ويكتب الشيخ تحت ذلك : **« صحيح ذلك »** .. وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق !!

فاذا كانت تلك هي قيمة الزبيدي . والزبيدي نفسه يقف على دروس البليدي ، فاي معلم يكون ؟! وسواء اكان وقوف الزبيدي تلطفا وتادبا او بغية كسب فائدة علمية ، فانه يشير الى ما كان يتمتع به البليدي من احترام الخاصة والكافة وتقدير كبار رجال عصره وعلمائهم .

ونجد في جملة الشروح تعليقات للباجوري . والباجوري شيخ الازهر ولد سنة 1198 هـ في بلدة باجور بمصر . وتولى مشيخة الازهر وعمره 38 سنة واستقامت مشيخته اربعين عاما ، وتوفي عن 78 سنة من عمر مليء بخدمة العلم . وحواشيه مشهورة جدا : على مختصر السنوسي وعلى السلم في المنطق، وعلى السمرقندية والترصيف والعمريطي في البيان والصرف والنحو ، وعلى الجوهرة في التوحيد ، وعلى الشنشوري في الفرائض ، وعلى ضوء المصباح في احكام النكاح ، وعلى ابن قاسم الغزي في فقه الشافعي ، وعلى البردة وسواها.. مثل هذا العالم العظيم ، يحشي على البليدي في المقولات ، تحشيات تفسير وشرح ولا شك انه كان يدرسها في الازهر . فاي قيمة سامية لهذه المقولات في القرون المتاخرة !!

ويكشف المؤلف عن نفسيته من خلال كلامه ، وهو لا يشعر ، فيبدو عصبي المزاج عنيفا في مهاجمة الفلاسفة والمنحرفين حين يقول : **« قبحهم الله . ابعدهم الله . وهذا منهم ضلال مبين .. » ولا يرى الرد على النظام بغير الصفع والضرب !! »** فهل لنا ان نتساءل : متى كان السباب والشتائم والصفع والضرب من وسائل البحث العلمي او النقاش الفكري ؟!

وفي اسلوبه بعض التعقيد ، هو من مستلزمات عصره ، ومن طبيعة البحث كقوله :



(اما المقولات ، وهو المقصد الاول . او المعقول وهو المقصد الثانـي . أو « لا » و « لا » وهـو الخاتمـة) .

والبليدي جزائري ، ينتسب الى « البليـدة » مدينة فى الجزائر . وأسرته من مهاجري الاندلس. نشأ فى مصر وتعلم فى الازهر ، وبقي على مذهبه المالكي فى جو كله شافعية . والمغرب الكبير كله على المذهب المالكي منذ نقله اليه اسد بن الفرات تلميذ الامام مالك (رضي الله عنه) . فتأكيده على انتسابه الى الاندلس ، وانتمائه الى المذهب المالكي ، دليل على حنينه الى أصله ومذهبه وموطنه ووفائه لها جميعـا بالرغم من وجوده فى مصر . وما زال الاندلسيـون الذين اخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا ، يحنـون اليها ، ويتشببون الى هذا الموطن الجميل ، ويورثون ابناءهم الحنين الى ذلك ، حتى اليـوم . وظاهـرة التمسك بالمذهب والتشيع له ، مع انه فـرع فى الدين لا اصل ، انتقلت فى المسلمين عبر القـرون منذ تأسست المذاهب ، وعاشت حتى مطلـع هـذا القرن . ولقد بلغ بهم الامر ان كانوا يسجلون انتقال أحدهم من مذهب الى مذهب ويعدونه امـرا عظيمـا جديرا بالتسجيل والتاريخ ، وكثيرا ما لاقى المتنقلون بسبب ذلك عنتا وأذى كما لاقـى السمعانـي مثـلا صاحب كتاب «الانسـاب» . .

الرباط : ممدوح حقي

النقد في الأدب العربي

للأستاذ أحمد الجندي

ولد النقد في الآداب جميعا يوم ولدت هذه الآداب ، لان الفنون كلها مدعاة الى ابداء الراي فيهـا من جانب الناس والناس جميعـا مجبولـون علـى الاختلاف ، منطبعون على التناحر في كل شيء يعرض لهم ، لان الطبيعة ارادتهم على هذا الشكل، ولان الخالق جل وعلا قال في كتابه العزيز : (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) ، وهو سبحانه وتعالى انما أراد بآيته الكريمة ان يدلك على ان كل شيء في هذه الحياة نسبي . فانت قد تحب شيئا وغيرك يكرهه وقد يكون معك الحق ، كما يكون الحق مع غيرك في كثيـر من الاحيان ومع ذلك فانتما مختلفان تتناقشان وتتلاحيان دون ان تصلا الى نتيجة ترضي او نهاية تقنع .

والنقد في المعجم مأخوذ من فعل « نقد » وهو تمييز الدراهم والنظر اليها لمعرفة جيدها من رديئها، وقد استعير هذا اللفظ للكلام فقيل : نقـد الكـلام بمعنى اظهر ما فيه من العيب وبدخل في بابه : تنقد وتناقد وانتقد وكلها تؤدي الى معنى واحد ، هـو التفريق بين الغث والسمين .

فالناقد اذن هو الذي ينظر للاثر الادبي فيتفحصه ويظهر ما فيه من عيب ويترك ما فيه من حسن فيدل بذلك القارئ على مواطن الجمال ويعاونه على تفهم الاثر تفهما سريعا لا يحتاج الى جهد كبير او عنـاء خطيـر .

عرف العرب النقد منذ القديم فصنفوا الشعراء حسبما جاؤوا وحددوا لكل منهم صنفه وبينوا له مكانه من جماعته ، فزهير اذا رغب وامرؤ القيس اذا طرب والاعشى اذا شرب وعنترة اذا غضب الى آخر هذه التعابير التي التزم فيها السجع ، ولكنها مع هذا اللون من التكلف ، تدل على ان هنالك تفريقـا بيـن الوان الشعر المختلفة ، وان هنالك نقدا بدائيا لا يلبث ان يصبح نقدا قيما يعمل فيه الفكر لا الغريزة وحدها ويشتغل به العقل لا الفطرة فقط .

وتقدم النقد بعض التقدم حين شعر النـاس بالحاجة اليه لتعزيز الشعر وتكريمه والدلالة على ما فيه من مزايا ولايجاد التنافس والتوازن بين الشعراء، فاخذ شكلا فنيا ، واصبحت تقام له الاسواق ويختار الحكم من بين الشعراء الناقدين فياتي الشعـراء في الموسم فيعرضون شعرهم على الحكم المقصود فينظر في تفضيل الشاعر من بين الشعراء الذين يتقدمـون بانتاجهم خلال هذا الموسم ، وذلك نوع من التباري كهذه المباريات التي نشاهدهـا اليـوم في الفنـون والرياضة والصناعة وغيرها . وكانت اشهر سوق في الجاهلية هي سوق عكاظ بظاهر مكة ، وكان اشهر الناقدين فيها الشاعر الكبير النابغة الذبياني . كان ياتي الشاعر فيقرا قصيدته على الحكم فيستمع اليه ثم يستمع الى غيره وياخذ فكرة عن كـل قصيـدة ، وكان للحكم هذا اعوان يجلسون الى جانبه يقيـدون ملاحظاته ويساعدونه على اعطاء الراي الاخير الذي

يخرج به الشاعر الفائز وهو اكبر شعراء الموسم بالنسبة لجميع القبائل العربية التي كانت تجتمع في هذه الاسواق اياما معدودات من كل عام .

ولكي تلم بطريقة هذا النقد المرتجل الذي يدل على الذكاء المتوقد ؛ وان لم يدل على الدراسة الصحيحة المنظمة ؛ فاني سأعرض عليك حكاية من هذا النقد تعطيك صورة تقريبية عنه .

انشدت الشاعرة الخنساء قصيدة من شعرها، فأعجب بها الحكم وقال لها : لقد كنت شاعرة الموسم لو لم يكن فيه حسان بن ثابت الانصاري ، فهاجت هذه الكلمة حفيظة الخنساء وجبهت الحكم بقولها : انا اشعر منك ومنه . فانبرى لها مهتاجا كاهتياجها وقال تعالى ترى قصيدتك لتعلمي ما بها من عيب غير خفي، لقد قلت :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى
واسيافنا يقطرن من نجدة دما

قلت : « الجفنات » وهي ما دون العشر وكان عليك ان تقولي الجفان لانها تدل على الكثرة ، وقلت : « الغر » وكان يجب ان تقولي « البيض » لان البياض ادل على الظهور ، وقلت « يلمعن » وكان عليك أن تقولي « يسطعن » لان السطوع أقوى من اللمعان . وقلت في «الضحى» وكان عليك ان تقولي في «الدجى» لان الضيف اكثر طروقا في الليل ، وقلت « اسيافنا» و « سيوفنا » تدل على الكثرة الكاثرة . ولقد سكتت الخنساء لان هذه الآراء كانت تناسب ذلك العصر الذي كان يعنى أهله بالمبالغات ، ولو كانت في هذه الايام لكانت اقرب الى الواقع واوزن في ميزان الشعر عندنا ، ولكنني احببت أن أقدم لك لونا من هذا النقد البسيط الساذج لتطلع عليه اطلاعا يعينك على تفهم الفكرة الشعرية في ذلك الزمن .

وتدرج النقد بعد ذلك ، وكان يتميز بطابعين اثنين اولهما انه كان يتناول الشعر فحسب لان النثر لم يكن بالشيء المتداول المعروف لولا بعض اسجاع الكهان وبعض الكتب الحربية او السياسية ، فلما جاء القرآن الكريم وجد حديث جديد وكلام لا سابقة له ، فكان ارفع من النقد وكان اسمى من ان يتناوله فكر او يجرؤ على نقده عقل ، ولكن المشركين حاولوا بعض التقليد لاياته فاخفقوا اخفاقا ذريعا وكانوا اضحوكة انفسهم وموضع نقمة واحتقار المسلمين مما زادهم تمسكا بالقرآن وعناية بجمعه وتحفظه .

وجاء العصر الاسلامي فسكت الشعر الا اقله وسكت معه النقد سكوتا طويلا لم يتحرك بعده حتى جاء صدر العهد الاموي حين تناحر الشعراء الثلاثة جرير والفرزدق والاخطل ، وكانت الغلبة متنقلة بينهم والانتصار متبادلا ، وكان الناقدون يلحون في تأريث النار وإيقادها حتى تقع المعارك الشعرية وتلتحم الجبهات الفنية فيتوالد عن ذلك كله شعر هو في غاية الجودة لولا ما كان فيه من هجاء وفسوق قد يخرجان احيانا عن الادب الذي يصلح لكل قارىء .

وتقدم الشعر والنقد يمشيان حثيثا نحو العصر العباسي ، وهذا عصر لا يشبه ما سبق من عصور ، فقد دخلت فيه ثقافة جديدة كانت عنصرا غريبا اول الامر ، ثم اندغمت به وتمثلتها النفس العربية القريبة منها فصارت بعضها واصبحت هذه الثقافة الاسلامية لونا آخر بالنسبة لما كان ، واصبحت ترى في الشعر كلمات ومعاني وصورا واخيلة تمتاز من غيرها بالطرافة والجدة . وعرف الناس الرسالة الاولى في النقد وهي التي كتبها قدامة وبحث بها مختلف وجوه الشعر في اول عهده الجديد ، وجاء ابن سلام الجمحي فعين طبقات الشعراء ، ثم الطبري وابن الاثير ، ثم الجاحظ وابن قتيبة .

كما ظهر في المغرب ابن رشيق القيرواني صاحب العمدة وهو من أول الكتب التي يرجع اليها في نقد الادب القديم .

اذن فان النقد في هذا الطور قد تناول الكتاب الى جانب الشعراء ، لان الكتابة قد باتت فنا مستقلا له ملكته واختصاصه وجماعته والمدافعون عنه ، كما ان هذا النقد قد جعل من نفسه فنا مستقلا عن الكتابة والشعر الفنيين الخالصين .

وانقطع الحبل بين النقد والشعر بعد ذلك لان الشعر قد تدلى فبعد عن مكانه الاول واصبح لا يزيد على أن يكون مجموعة من المحسنات البديعية المكرورة المملولة . واصبح النقد منحطا تبعا للشعر وبات بحثا يقتصر على هذه المحسنات وهي ليست بذات غناء .

وظل الادب العربي على جموده هذا في عصر الطوائف والعصر التركي الى ان جاء العهد الاخير ، وكانت شرارة الفن قد انبثقت في مصر ، وبدا الشعر في اول الامر على يد البارودي وصبري وتبعهما شوقي وحافظ ومطران فكان لهذا الثالوث الفضل الاول في تركيز الفكرة الشعرية وجعلها في مكان معلوم الحدود والمعالم .

وفي مطلع الحرب العامة قام نفر من الكتاب الناقدين ممن درسوا أصول النقد الاوربي الحديث فتعاونوا على ايجاد الفن النقدي الحديث وكان على رأس أولئك العقاد والمازني وهيكل وطه حسين والرافعي واسماعيل مظهر ، هؤلاء هم الذين ادخلوا فكرة النقد الحديث على الادب العربي وكان همهم اولا أن يهاجموا الفن الجامد ، وكان هذا الفن مصدره شوقي وحافظ ومطران كما قلنا ، وكان للشعراء الثلاثة شيء من القداسة عند الناس ، فلما هوجمت هذه القداسة انقلب الهجوم الى شهرة نالها الكتاب الشباب ، اذ وجد الناس عندهم بعض الحق ، ورأوا فيما يكتبون قضية علمية تدرس وتتناقل وتكتب كما تكتب النظريات العلمية والآراء الواقعية .

وسكت الشعراء الثلاثة فما يبدئون وما يعيدون ، وقالوا ان السكوت من ذهب ، ولكن شوقي ألمع الى هذا النقد القاسي فقصد العقاد ببيت خالد من الشعر قال فيه :

ومن النقد والجدال كلام
يشبه البغي والخنى والفضولا

وهو من قصيدته التي رثى بها صديقه امين الرافعي ومطلعها :

مال احبابه خليلا خليلا
وتولى اللدات الا قليلا

نصلوا امس من غبار الليالي
ومضى وحده يحث الرحيلا

ولقد كان العقاد قاسيا على شوقي ، وكان نقده مشوبا بهذا الحنق الشخصي والحسد الذي يعتري الشباب من رجال الفنون فيصرفهم عن كثير من المنطق والانصاف ، والعقاد اعرف الناس بمواطن الحسن في الشعر ، افليس عجيبا بعد هذا أن يذهل عن كل هذه المواطن عند شوقي ؟؟؟

اذن فالنقد العربي الحديث مأخوذ في اكثره عن النقد الافرنجي الذي اشتهر به ووضع اسسه سانت بوف وتين وجول لوميتر واميل فاكيه واناطول فرانس ولانسون من الفرنسيين ، والدكتور جونسون وهازلت وغيرهما من الانكليز .

وهذه الاساليب النقدية المدروسة هي التي طبعت نقدنا الجديد بطابعها فاصبحت تعتمد على نقد الاحساس الشعري ، وباتت تنظر الى الفن كوحدة مستقلة توضع على منصة البحث لتلقي كل تحليل وتعليق وشرح .

وخير النقد ما كان هدفه الواقع وميزانه التجرد والحياد لان النظرة التي تمليها النفس قد تتأثر بكثير من العوامل على ان هذه الواقعية قد تكون غير ممكنة ، والانسان لا يستطيع ان يتجرد من دوافعه الشخصية ، الا انه يمكن أن يحاول التقرب من هذا الهدف الاسمى وهو التجرد الكامل والواقعية المطلقة . وهذه اعلى درجات النقد . اما ايامنا هذه فتكاد تخلو من هذا الفن ، الذي هو النقد ، لان الآثار الادبية قد ضعفت قيمتها الفنية واصبحت في مرتبة لا تستحق معها ان تنقد وان ينظر اليها بعين الناقد المنقب .

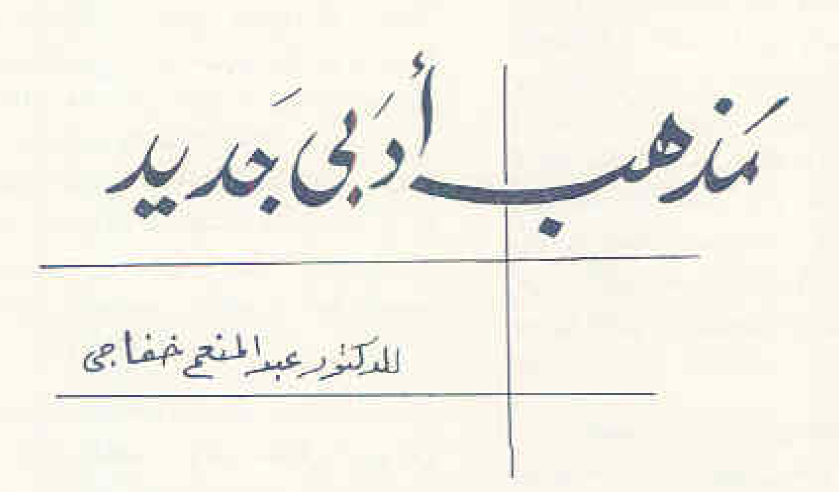
وكيف تريد ان يكون هنالك نقد ، وهذه الرمزية الشعرية ما زالت تهيمن على الادب ، وما زالت فكرة التجديد الخاطئة تمعن في الفن تهديما وتخريبا ، ولعمري ان المنصف الاديب ليحار في هذا الاتجاه وغيره من الاتجاهات الدخيلة ، وكيف تسنى لها ان تدخل في أجوائنا وأن تحول دون تطورنا التطور الطبيعي . ولقد تساءل احد الدعاة لهذه الطرائق الفنية الهدامة عن شاعرية بشارة الخوري مثلا أو بدوي الجبل فيقول لك انهما احسن شعراء هذا العصر وتعجب له فتسأله : لم لم يجر على منوال هذين الشاعرين فينظم او يكتب على الطريقة العربية المألوفة التي لا تضيق عن تجديد ولا تعجز عن تطور ، فيجيبك أن العصر الحديث يتطلب هذا ، ولو كان هذا الذي يتطلبه العصر بعيدا عن الفن او العبقرية .

فالنقد الان اذن مشلول بعض الشيء لانه لا يجد امامه موضوعا يعمل فيه ، وكيف تنقد الاسلوب ولا اسلوب ، ام كيف تتفحص القوافي وهي مشعثة متفرقة ، لا يربط بينهما روابط ولا يجمعها جامع .

لقد استهان الناظمون هذه الايام بالقافية وما البحر والاسلوب ، واصبح هذا الشعر الجديد لذي تقرؤه مجرد محاولات ، أو مخالفات ، ان صح هذا التعبير .

اذن فالنقد والقراء في محنة صعبة هذه الايام ، وانا لنرجو أن تنجلي هذه المحنة فيعود الشعر والادب الى مجراهما الطبيعي ويعود معهما النقد احسن ما كان .

احمد الجندي



– 1 –

ادبنا القديم ــ بمذاهبه ، والوانه ، وحركات التجديد والابداع فيه ــ شخصية مستقلة ، لها ذاتيتها فى الفكر ، لها طابعها فى التصوير والتعبير والخلق الفني ، انه لا يحكي ادبا آخر ، ولا يقلد فكرا غريبا عنا ، لانه ينطلق من داخل نفوسنا وعقولنا ، ويصور الحياة التى كانت تدور من حولنا ، وهذا الادب حركة دائبة نحو القوة ، نحو الاكتمال ، نحو الازدهار والنهضة ، على الرغم من المعوقات التى اعترضت طريقه ، والعقبات التى كانت تحول دون بلوغه اوج قوته ، وعلى الرغم من مختلف التاثيرات التى دخلت عليه ، حينما امتدت الدولة الاسلامية ، واتسع نطاقها ، وتعددت الاجناس فيها ، وجاءت طبقات المحدثين ، طبقة بعد طبقة ، فجعلت من هذا الادب صورة كاملة لحياة الامة الاسلامية الممتدة من الصين الى شواطيء المحيط الاطلسي (بحر الظلمات)، ومن اسبانيا والبحر الابيض المتوسط (البحر الرومي) الى اواسط افريقيا ، ولم يعد الادب العربي صورة لحياة العرب وحدهم ، وان كانوا هم اصل الخلافة والدولة والدين ، بل صار ينطق بافكار امة اسلامية كبيرة ، حقق الاسلام لها وحدتها السياسية والدينية والعقلية والاجتماعية ، وصار يعبر عن (ايديولوجية) متميزة ، عن مقومات متكاملة للفكر والحياة والعمل والامل ، عن حضارة رفيعة ذات اصول شريفة ، وجذور عميقة ضاربة فى باطن التاريخ والفتح والمجد الكبير الذى حققه قومي وقومك الميامين ، فلم يعد اذن هذا الادب صورة لحياة العرب وحدهم ، بل لقد اصبح يمثل امة وحضارة وخلافة ودولة لم ير التاريخ ولا الزمان ولا الانسان لها مثيلا .

– 2 –

ومن هنا كان الفرق بين القدماء والمحدثين من الادباء والشعراء؛ ولقد عبر النقاد قديما وحديثا عن هذا الفرق بالعرض والمظاهر المختلفة من حيث الاسلوب والمعاني والاخيلة والاغراض والافكار والصور ، واعبر عنه بالجوهر والحقيقة والاصل ..

لقد اصابوا بعض الحقيقة ، واخطاوا بعضها الآخر ، ومن ثم استطيع ان اكمل الطريق الذى ساروا فيه ، وان اظهر خفايا الصورة التى لم يفطنوا الا الى الوانها ، وان ارسم الجذور العميقة التى لم يتبينوها فى الصورة .. ان نقادنا القدماء والمحدثين وقفوا فى بعض الطريق ، ولابد من ان نكمل الشوط من حيث انتهوا .

واقول : ان الفرق بين القدماء والمحدثين عن ادبائنا ان القدماء عبروا فى ادبهم عن حياة عربية خالصة ذات ذوق رفيع متميز البلاغة والبيان والخصائص ، عن امة عربية ذات تقاليد واصول عميقة ، حيث كانت تعيش هذه الامة فى الجزيرة

العربية وما حولها من العراق والشام.. اما المحدثون فيعبر ادبهم عن امة اسلامية كبيرة شملت الفرس والهنود والترك والبربر والاندلسيين ، وشملت اطرافا من الروم والزنج وغيرهم .. ولم يعد هناك في هذه الامة فوارق من جنس او لون ، بل وحدتهم عقيدة الاسلام دينا وساوكا وعملا ، ووحدهم كتاب الله شريعة ، ولغة وثقافة وفكرا وادبا ، واظلتهم حضارة اسلامية واحدة ، وثقافة اسلامية واحدة ، لغتها هي العربية ، وكتابها هو القرآن الكريم .

ولابد من ان تختلف انماط الادب القديم والحديث ، بعد هذا الانتقال ، من امة عربية الى امة اسلامية ، وهذا الاختلاف صاحبه ثورة النقاد من محافظين ومجددين ، ومن ساخطين وغير ساخطين وراضين ، وكما اختلفت الحياة بوشك من صور البداوة الى كل حقائق الحضارة ، فقد اختلفت اساليب الادب ومعانيه واخيلته وافكاره وصوره وموضوعاته عن ذي قبل ، واعتمد المحدثون البديع والوان الترف الفني فى الاداء ، واضاف ذلك كله الى الادب القديم تيارات جديدة ، تجمعت فيما نسميه **ادب المحدثين**

ومع كل ذلك ، ومع الخلاف الواضح بين ادب القدماء والمحدثين ، فاننا قد نستطيع ان نذهب الى انه كله ادب واحد ، ذو خصائص متقاربة ، ولغة واحدة وعقلية طبعها الاسلام والقرآن بطابع خاص اصيل متميز ، ليس له مثيل بين مختلف آداب الامم والشعوب فى قديمها وحديثها ، فى ماضيها وحاضرها ، فى امسها ويومها الحاضر الراهن .

— 3 —

ومع تعدد المذاهب الادبية فى ادبنا العربي منذ الاسلام الى مطالع القرن الرابع عشر الهجري ، ومع كثرة ادبائنا وكتابنا وشعرائنا ، فان هذا الادب وحد المسلمين فى كل عصورهم فكريا وعقليا وثقافيا الى حد كبير ، بل لقد كان هو الادب العالمي الرفيع الذى يقرؤه شباب العالم المثقف فى الشرق والغرب منذ ظهور الاسلام ، حتى اوائل القرن السادس عشر الميلادي — العاشر الهجري — على وجه التقريب .

فى اوربا لم يكن لديهم ثقافة ، وكانت الثقافة العربية ، ومظهرها العظيم وهو الادب العربي ، يبهران عيونهم وقلوبهم وافكارهم ، فلم يكونوا يقرأون غيرهما ، حتى لقد صاح بترارك الشاعر الايطالى (1334 — 1374 م) فى القرن الرابع عشر الميلادي يقول :

« يا عجبا ..

لقد استطاع شيشرون (1) ان يكون خطيبا بعد ديموستين (2)

واستطاع فرجيل (3) ان يكون شاعرا بعد هوميروس (4)

فهل قدر علينا ان لا نؤلف بعد العرب؟

لقد تساوينا نحن والاغريق وجميع الشعوب غالبا ، وسبقناها احيانا ، الا العرب ، فيالعبقرية ايطاليا النائمة الخامدة .. »

وصاح كذلك بطريرك قرطبة في مطالع القرن السادس عشر الميلادي يقول بعد سقوط الاندلس فى ايدي الاسبان بثلث قرن :

وا اسفاه ...

ان كل الشبان المسيحيين الذين يريدون اظهار نفوسهم نجدهم لا يعرفون الا لغة العرب وآدابهم .. »

ولم يكن قهر الاسبان العسكري للعرب بمنتقص من اعجابهم الفكري بهم قيد شعرة ..

وتقول المستشرقة الالمانية هونكه فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » : « استيقظ الفكر الاوربي من سباته الذى دام نحو عشرة قرون او يزيد على صوت قدوم العلوم والآداب والفنون الاسلامية (5) »

---

(1) خطيب روماني مشهور عاش من 107 حتى 43 ق. م
(2) شاعر اغريقي قديم مشهور ، عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد .
(3) شاعر روماني ذائع الصيت عاش بين عامي (89 و 19 ق. م)
(4) شاعر اغريقي مشهور عاش فى القرن التاسع قبل الميلاد ..
(5) 541 شمس العرب — طبع بيروت — ترجمة بيضون ودسوقي

وتقول ايضا : « كل موجة علم او معرفة قدمت لاوربا كان مصدرها البلدان الاسلامية (1) »

ويقول غوستاف لوبون فى كتابه « حضارة العرب » : « اوربا مدينة للعرب بحضارتهم ، فالعرب هم الذين فتحوا لها ما كانت تجهله من المعارف الفلسفية والعلمية والادبية ، فكانوا ممدنين للغرب ، وائمة له فى ستة قرون ، وعن طريقهم اهتدى الغرب الى تراث الاغريق ، واكتشف ماضيه ، فاخذ ينقب عنه »

والادب العربي كذلك كان هو حارس الفكر الاسلامي ، والتراث الاسلامي كذلك ، والمعبر عن المجتمع الاسلامي ايضا ، وعن العقيدة الاسلامية بكل طاقاتها والوانها وجوانبها الظاهرة والخفية على حد سواء .. وادب ابي نواس واضرابه انما كان ادب اللهو واللاهين فى مجتمع حضاري مترف شبع من الجد ، وغرق فى العمل والبناء والكفاح حتى أذنيه.

ومن لم كان ادب عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ والتوحيدي والبديع الهمذاني والخوارزمي والحريري وشعر حسان وطبقته وجرير والفرزدق وطبقتهما ، وبشار وابي العتاهية وابي تمام والبحتري وابن المعتز والمتنبي والمعري وغيرهم ، ومن قبل ذلك آداب الجاهليين ، ومن بعد ذلك كله القرآن الكريم والحديث النبوي وآداب الاسلاميين .. كان ذلك كله يمثل الثقافة العالمية بكل مذاهبها وتياراتها تمام التمثيل ..

— 4 —

وفجاة انهار العالم الاسلامي اخذ عنه الغرب مصادر قوته وثقافته وحضارته واقتصادياته ، ثم انتقل الغرب الى مستعمر شرس وقح مغتصب ، وجاس خلال العالم الاسلامي ، ينهب ثرواته ، ويسلبه كنوزه ، ويأخذ عنه كل معارفه وعلومه ، واخذ يعمل على التدريج على (تطوير) العالم الاسلامي من مجتمع كبير محافظ متمسك بتقاليد الاسلام وآدابه ، وبمظاهر الحياة الاسلامية ، ومعتنق لما بقي فى يديه من اصول الحضارة الاسلامية ، الى مجتمع متحلل مقلد للغرب ، آخذ بتقاليد اوربا ، زاهد فى ماضيه وفى حضارته وفي ثقافته ، يرى التمسك بكل ذلك رجعية وجمودا وتأخرا .. وانتقل العالم الاسلامي على يدي هذا الغزو الغربي الفكري والحضاري والثقافي الى مجتمع أوربي يعيش فى البلاد الشرقية موطن الاسلام والمسلمين ، ولا يعني ذلك انعدام المحافظين المتمسكين بالاسلام ، كلا ، فهناك المسلمون الاصلاء الغيورون على دينهم وماضيهم ، ولكن الغزو الاوربي لبلادهم كان اكبر منهم قوة ، واكثر منهم حيلة ، فحياة كثير من المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والادبية كلها تسير على نمط اوربي خالص محض ، ودعاة التغرب من المسلمين ، بين ظهرانينا ، كثيرون سواء فى المجال الثقافي ام الادبي فضلا عن الشعوبيين والالحاديين .

وقد اصبحت — بتاثير ذلك كله — ثقافتنا ومناهج التربية والتعليم بيننا اوربية الطابع والمذهب حتى فى بعض جامعاتنا الاسلامية وعلى الرغم منا .

وفى الادب لم يكن حظه احسن من حظ غيره من مجالات حياتنا ، فافكار ادبائنا اليوم هي افكار غربية محضة ، وكان طه حسين يقول : انني افكر بالفرنسية واكتب بالعربية ، ومذاهب نقادنا اليوم هي مذاهب غربية كذلك ، فالكلاسيكية والرومانسية والرمزية والواقعية والسيريالية والبرناسية والوجودية والطليعية، ومذاهب المعقول واللا معقول ، كلها مذاهب غربية خالصة ، واجناس ادبنا الحديث اليوم من قصة ومسرحية ومقالة وغيرها هي او اصولها الفنية غربية الطابع ، واخيلة ادبائنا هي فى جملتها اخيلة غربية ، وفى الاساليب انتقلت الى اساليبنا العربية الفصيحة عدوى الاساليب الغربية، وقل ان نجد اليوم من يكتب من ادبائنا باسلوب عربي فصيح بعيد عن الكنة الغرب وعن كثير من الالفاظ الافرنجية .

وكل شيء فى الادب العربي يكون مظهرا لتقليد ادبي قديم اصبح أدباؤنا يدعون الى التحرر منه ، فعمود الشعر العربي هو عندهم خطأ قديم ، يصيح لويس عوض فى كتاب له فيقول : « حطموا عمود الشعر العربي ، لقد مات عمود الشعر بموت شوقي .. » ، واصبحنا اليوم امام دعاة الشعر الحر والشعر المرسل ودعاة الوان كثيرة من التجديد ، وسرت عدوى الشعر الحر من مصر او

---

(1) 38 المرجع نفسه

من العراق الى الشام والسودان ، والى المملكة العربية السعودية ايضا ، فاصبحنا نجد من شعرائنا من ينظمون الشعر الحر ونجد منهم كذلك من لا ينظم الا شعرا حرا ، مع ان ارضها هي التى شهدت مولد الشعر العمودي واحتفت به فى كل العصور ونقلته الى كافة انحاء العالم .

ادبنا اليوم لا يمثل حياتنا ولا يمثل ثقافة او حضارة خاصة بنا ، والادب الجنسي – من بين الوان الادب – يعمل على تحطيم مقوماتنا الروحية ، تحت تأثير ايد شعوبية وشيوعية واستعمارية وصليبية وصهيونية ، وادب هذا الجنس كذلك يروج لاقتصاديات اوربا ، او قل انه يروج لاقتصاديات اليهود فى العالم ، فمساحيق المراة وزينتها وازياؤها وملابسها الخارجية والداخلية ، كلها ترجع الى شركات عالمية صهيونية وادب الجنس هو الذى يعمل لترويجها ، لانه هو والاعلان الحديث اليوم عن طريق الجنس ، اي الاعلان الذى يمثل مفاتن امراة عارية او غير عارية ، هما معا يقفان انفسهما للدعاية للغرب ، وكل غزو ثقافي او ادبي او حضاري تجند اوربا له عن طريق الاعلان الملايين من الدولارات لنشره ولاقناع الجماهير العربية المسلمة اولا ، ثم لايمانها به ثانيا .

ادبنا لا يمثل فى قليل ولا فى كثير شيئا من خصائصنا الاصيلة المتميزة ، الا فى القليل الاقل منه ، وعند القليل الاقل من ادبائنا ، وهذا القليل ينصرف شبابنا والمتأدبون منا عنه ، بدعوى انه ادب قديم رجعي لا ادب حديث متجدد .

– 5 –

وماذا اريد الآن ؟
ماذا اقول ؟
ماذا اعني ؟
لاي هدف اسير ؟

انني اقول اولا ان مذاهبنا الادبية الراهنة هى كلها مذاهب غربية عفنة آثمة لا تعني فى شيء الا ان تفسد علينا عقولنا وافكارنا ، وان تزهدنا فى تراثنا وثقافتنا ، وان تصرفنا عن تقاليدنا الادبية الاصيلة ، ولست وحدي الذى اقول ذلك

يقوله بعض كتابنا بين الحين والحين حين يصدر منهم واقع ادبنا الراهن المجوج المملول ، ويقوله بعض المستشرقين حين تعتريهم نوبة انصاف فيتحررون من لصوصيتهم ، ومن اغراضهم السرية الخبيثة التى يعملون لها بيننا ، ومن حقائق الصراع العالمي بين الاسلام والغرب الصليبي التى يخفونها فى انفسهم ، وما اكثر المستشرقين الذين يتظاهرون بالغيرة على الاسلام والعرب ليتمكنوا من قلوبنا ومن النفاذ الى اغراضهم فى وسطنا ، اقول : ان هذا قد يقوله بعض المستشرقين كشارل بيلا الذى زار المملكة العربية السعودية فى العام الماضي، وساله صحفي سعودي :

– ماذا تقرا : الادب العربي القديم أم الحديث ؟

– القديم وحده

– ولماذا لا تقرا الادب العربي الحديث ؟

– لانه ادب غربي مكتوب باللغة العربية

ولا ننسى ان من الوجوديين فى اوربا من كتب مسرحية يبرر فيها اتخاذ امه عشيقة له ، ومن يكتب ليدافع عن الشذوذ الجنسي ، ومن يكتب ليهاجم الدين ، ومن يكتب ليهاجم التقاليد الموروثة .

واقول ثانيا : ان مذاهبنا الادبية الحديثة او الراهنة لا تصلح لنا باية حال من الاحوال لانها بعيدة عن حياتنا واهدافنا وآمالنا وآلامنا ، وعن واقعنا الذى نعيشه ، انها لا تعبر عنا ، وليس لها طابع اصيل خاص بنا .

واقول ثالثا : اننا فى حاجة الى مذهب ادبي جديد، يستمد لغته من لغة القرآن ، ويستمد حقائقه من حقائق حياتنا ويستمد افكاره من آمالنا وغاياتنا .

نريد أدبا عربيا جديدا يعرف موقفه وغايته

يعرف ان الغرب الذى تآمر على حياتنا وحرياتنا وتقاليدنا وسرق حضارتنا وثقافتنا وادبنا وكنوزنا يقف اليوم ليحولنا الى غربيين تماما انه لا يرضى بأن يتركنا مسلمين بالاسم وغربيين بالفعل ، بل يريد ان ينسينا الاسلام جملة ، وان يصرفنا عنه ، ولماذا ؟ لانه النبع الذى سوف يعود الى الفوران والانبثاق والتدافع مرة اخرى ، ان لم يكن اليوم فغدا ، والا فبعد غد .

فالصراع اليوم بين العرب والغرب بأذنابه من صليبيين وصهيونيين وشيوعيين ، انما هو صراع حول الحياة .

ولابد لادبنا ان يعبر عن حقائق هذا الصراع ، وان يقف ادباؤنا انفسهم لرفع الغشاوة عن اعين جماهيرنا المسلمة ، لتعرف ان الاسلام باق ابدا فى رقعتنا العربية المسلمة، وانه سيظل نورا حضاريا وهاجا يمد العالم بأصول حياته الروحية والمادية .

والمذهب الادبي الجديد الذى ادعو اليه يقوم على الاسس الآتية :

1 ــ ايديولوجية فكرية اسلامية عميقة الجذور .

2 ــ ايمان مطلق بتراث الاسلام الحضاري والادبي .

3 ــ يقين تام بأن لغة القرآن الكريم هي ارقى لغة عالمية وهي اللغة الصالحة لاداء رسالة ادبنا الى العالم كافة .

4 ــ عالم موحد النزعات فى ظلال سلام دائم ، يعتنق عقيدة واحدة هي الاسلام العظيم الكريم .

5 ــ اهداف الادب يجب ان تسير مع اهداف الاسلام ومثله وقيمه الروحية والاجتماعية والحضارية .

ولنسم هذا المذهب الادبي الجديد بأي اسم نشاء ، لنقل عنه انه مذهب ادبي اسلامي ان شئنا

او لنقل : اننا ندعو الى مذهب ادبي عربي خالص ان اردنا

او لنقل : ان دعوتنا هي الى مذهب **حضاري** او **انساني** فى الادب

لا ضير ما دمت ادعو الى الاسلامية فى الادب، او الى الحضارية ، او الى الانسانية ــ بهذا المعنى ــ فيه .

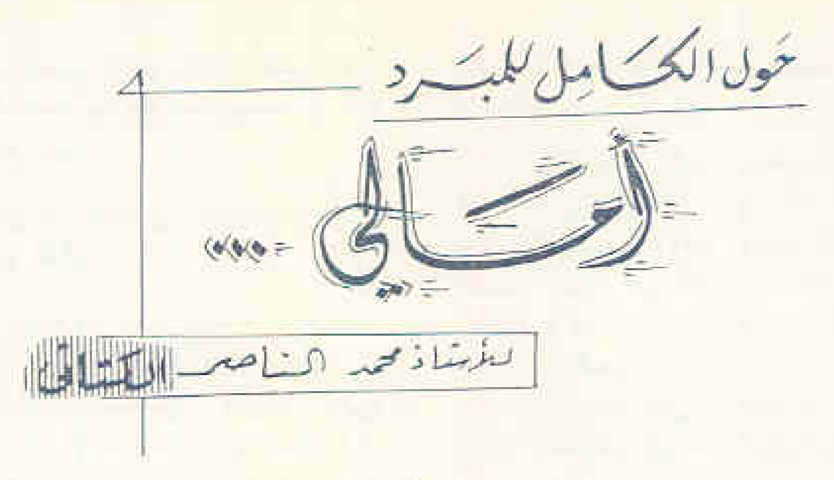
وما توفيقي الا بالله

المملكة السعودية ــ د. محمد عبد المنعم خفاجى

لغــويــات

الضفر : القتل ، يقال : ضفرت المراة شعرها لها ضفيرتان ، والظاء فيه خطأ ، والكتاب يقولون: نحن نتضافر على هذا الامر ، وهو صحيح لان المراد ان نتقابل اي نتفادى ونتعاضد ، فأما الظاء فان المعنى يستحيل لانه يصير من الظفر فكانه يكون: هذا ظافر بهذا، وهذا ظافر بهذا ، وليس الغرض ذلك .

التوحيــدي



- 2 -

« قال المبرد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باحبكم الي ، واقربكم مني مجالس يوم القيامة : احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون الا اخبركم بابغضكم الي وابعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون » .

هذا الحديث اخرجه الترمذي في السنن عن جابر بن عبد الله بعنوان باب ما جاء في معالي الاخلاق وقال هذا حديث حسن غريب . العارضة ج 8 ص 174 .

وروى البخاري شطره الاول عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ : ان من احبكم الي احسنكم اخلاقا . ج 7 فتح الباري ص 80 ط. بولاق ، ورواه احمد عن ابي ثعلبة الخشني ورواته رواة الصحيح قال الحافظ المنذري والمتفيهق في الحديث اصله من الفهق وهو الامتلاء وهو بمعنى المتشدق لانه الذي يملا فمه بالكلام ، وتوسع فيه اظهارا لفصاحته وفضله واستعلاء على غيره ، ولهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالمتكبر (الترغيب والترهيب — ص 489 — ط الهند).

واخرج احمد وابو داوود عن رافع بن مكيث وكان من شهداء الحديبية ان رسول الله (ص) قال : حسن الخلق نماء وسوء الخلق شؤم وفي اسنادهما راو لم يسم وبقية اسناده ثقات .

وكلمة احاسنكم الواردة في الحديث جاءت بلفظ الجمع ، وافعل التفضيل اذا كان مضافا الى معرفة جاز فيه ان يطابق موصوفه والا يطابقه ، اما اذا لم يقصد به التفضيل فتجب فيه المطابقة ، وهو هنا جاء بلفظ الجمع احاسنكم واحده احسن قال في المنجد الاحسن تفضيل الحسن ج احاسن م حسنى وقد صغروه شذوذا فقالوا ما أحيسن فلانا واحاسن القوم حسانهم اهـ .. وهم حسنو الاخلاق الموطئو الاكناف ممن بشرهم النبي (ص) انهم سيكونون احب اصحابه اليه واقربهم مجالس منه في الدار الآخرة .

ولا يفهم من كلمة احاسن هنا ما تفيده صيغة أفعل من التفضيل بل يراد به من اتصف بكريم الاخلاق وحسنها بدليل قوله الموطئون اكنافا فليس احب الى رسول الله (ص) واقرب الى مجلسه من كان احسن اخلاقا واكثر زيادة فيها فقط بل تشمل الصفتان العليتان من هذه صفته ، ومن كان حسن الاخلاق كريمها موطا الاكناف كريم المعشر سهلا لينا . وقد وصف الله تعالى اصحاب النبي (ص) في القرآن فقال عنهم : « اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .. ووصفهم بالجد واليقظة والصلابة في الدين فقال : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار » .

ووصف هند بن ابي هالة خال الحسن بن علي ابن فاطمة رضي الله عنهم مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه فقال :

كان مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم ، ولا تثنى فلتاته ، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير يؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب اذا تكلم اطرق

جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه .

اخرجه الترمذي في الشمائل عن الحسن بن علي قال سالت خالي فذكره .

قال ابن الاثير مادة وطا من كتاب النهاية قوله صلى الله عليه وسلم الموطئون اكنافا مثل وحقيقته من التوطئة وهي التمهيد والتذليل ، وفراش وطيء لا يؤذي جنب النائم ، والاكناف الجوانب ، اراد الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتاذى .

وتقول وطؤ يوطؤ وطاءة ووطوءة صار وطيئا سهلا ، ووطاه هياه وسهله ، واستوطا المركب وجده وطيئا ، والطئة والطاة كالجعة والجعة ومنه قول الكميت :

اغشى المكاره احيانا ويحملني
منه على طئة والدهر ذو نوب

اي على حالة لينة وهو مجاز .

ويقال للمضياف على سبيل المجاز رجل موطا الاكناف اذا كان كريما دمث الاخلاق وهو في عيش وطيء ، وانا احب وطاءة العيش .

« قال ابو العباس المبرد : والثرثارون يعني الذين يكثرون الكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحق» اهـ .. ويقال رجل ثر ، وثرثار متشدق كثير الكلام ، والانثى ثرة وثرثارة ، والثرثرة في الكلام الكثرة والترديد ، وفي الاكل الاكثار في تخليط قال المبرد : والثرثار نهر بعينه وانما سمي به لكثرة مائه . قال البلاذري في الانساب هو نهر ينزع من هرماس نصيبين ويفرغ في دجلة بين الكحيل وراس الايل وله يوم معروف .

قال الاخطل :

لعمري لقد لاقت سليم وعامر
على جانب الثرثار راغية البكر

قال الزمخشري في اساس البلاغة مادة «رغا» وكانت عليهم كراغية البكر اي اشتدت عليهم كرغاء سقب ناقة صالح ثم انشد البيت قال اي الشدة والشؤم .

وقال سيد علي المرصفي في شرح الكامل ص 21 ج 1 يريد براغية البكر رغاء البكر توضع راغية موضع المصدر وهذه احدى كلمات توضع موضع المصدر جاءت على فاعلة منها : لاغية ، وثاغية ، وعاقبة ، وعافية ، وخاتمة ، والرغاء صوت الابل يقال رغا البعير ، ورغت الناقة ترغو اذا صوت ، ومن المجاز اتاك خير له رغاء اذا كان كثيرا ، وفلان يرغينا الحديث يقل منه كالرغوة ومنه قول الشاعر :

من البيض ترغينا سقاط حديثها
وتنكدنا لهو الحديث الممنع

اي تستخرج منا الحديث الذي تمنعه الا منها.

« قال المبرد قولة راغية البكر اراد ان بكر ثمود رغا فيهم فاهلكوا فضربته العرب مثلا واكثرت فيه »

وراغية البكر من امثال العرب ، وعن ابي عمرو قولهم كانت عليهم كراغية البكر اي استؤصلوا استئصالا ، ويقال ايضا : كانت عليهم كراغية السقب يعنون رغاء بكر ثمود حين عقر الناقة قداد ، وهو احمر ثمود قال علقمة بن عبدة : رغا فوقهم سقب السماء فداحض والداحض والفاحص والماحص سواء يقال للشاة اذا ذبحت دحصت برجلها اي ضربت بها وقال الجعدي :

رايت البكر بكر بني ثمود
وانت اراك بكر الاشعرينا

قاله لابي موسى الاشعري رضي الله عنه ، وقال ايضا :

ورغا لهم سقب السماء وخنقت
مهج النفوس بكارب مترلف

كارب يملأ النفوس كربا ، ومترلف دان ، وقال اوس بن حجر :

رغا البكر فيهم رغوة حين ادبروا
فما كان عنهم رغوة البكر تقلع

وانما ضرب البكر مثلا للحرب

«ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب» لابي منصور الثعالبي ص 282 .

وثمود قبيلة صالح نبي الله ورسوله ، وكانت مساكنها بالحجر وموقعها بين الحجاز والشام الى وادي القرى ، ومدائن صالح ظاهرة الى اليوم ، والمكان الذى فيه ديارهم يعرف الى اليوم بفج الناقة، ويزعم اهل حضرموت ان ديار ثمود كانت من مستعمرات عاد وقد يؤيده قول الله تعالى حكاية لقول صالح لقومه : « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا » .

وكانت ثمود قبل زمن موسى ، وكان دينها عبادة الاصنام يشركونها مع الله تعالى فارسل الله اليهم صالحا واعظا ومذكرا لهم بنعم الله عليهم وآياته ، واقام لهم الادلة القاطعة على ضلالهم فى عبادتهم ، وعلى ان الله هو الذي تجب عبادته ، وكانت آيته التى ايده الله بها فتنة لهم هي الناقة ، وانهم سيبقون سالمين على حال حسنة ما دامت سليمة لم يمسوها بسوء فاذا خالفوا امر الله فيها حلت بهم نقمته قال تعالى فى سورة الاعراف :

«والى ثمود اخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تاكل فى ارض الله ، ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم».

وكان لها شرب ولقومه شرب يوم معلوم ومجموع الآيات الواردة فى القرآن بشأن الناقة تدل على ان اية الله فيها الا يتعرض لها احد من ثمود بسوء فى نفسها ولا فى اكلها وشربها فى الماء الخاص بها والذى كان قسمة بينهم وبينها . واراد اشرافهم ان يؤمنوا بصالح فمنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب اوثانهم وكاهنهم ، ولم يزالو فى سعة ورغد وكانت الناقة تصيف اذا جاء الحر بظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم وتهبط الى بطن الوادي فى حره وجدبه ، وتشتو فى بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فى برد وجدب فاضر ذلك بمواشيهم للامر الذي يريده الله بهم من البلاء والاختبار ، فكبر ذلك عليهم فعتوا عن امر ربهم فاجمعوا على عقرها فعقروها وذهبوا وراء سقبها ففر منهم الى الجبل ورغا ثلاثا فرماه احدهم بسهم فاصاب قلبه ثم وضعوا لحمه على لحم امه واقتسموا لحمهما ، فانذرهم صالح بان العذاب يحل بهم بعد ثلاث لما انتهكوا من حرمة الله ، فكانوا يهزأون منه، ويستنجزونه ما أوعدهم به من العذاب، ثم استقر رأيهم على ان يقتلوه قبل مرور الثلاثة ايام ويفرغوا منه ومن اهله قبل ان يفرغ منهم ، «فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين ، فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، ولكن لا تحبون الناصحين » ــ « فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ، ان ربك هو القوي العزيز ، واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها ، الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود » .

(قصص الانبياء) للنجار ص 59 وما بعدها

وكان هلاك قوم صالح بالصاعقة ارسلت عليهم فدمرتهم ، وقد عبر الله تعالى عنها تارة بالرجفة واخرى بالطاغية وتارة بالصيحة .

اما صالح والذين معه فقد نجو وذهبوا بعد هلاك قومهم الى ناحية الرملة بفلسطين واقاموا بها ، وكانوا مائة وعشرين ، اما الهالكون فكانوا خمسة آلاف بيت .

وقد اخرج «عبد الله بن حميد» فى مسنده عن ابن ابي شيبة باسناده عن جابر بن عبد الله قال : اجتمع قريش يوما فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ما يرد عليه ، فقالوا ما نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا انت يا ابا الوليد فاتاه عتبة فقال يا محمد انت خير ام عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال انت خير ام عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، انا والله ما راينا سخلة قط اشأم على قومه منك ، فرقت جماعتنا وشتتت امرنا وعبت ديننا وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم ان فى قريش ساحرا ، وان فى قريش كاهنا ، والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى ايها الرجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون اغنى قريش رجلا ، وان كان انما بك الباءة فاختر اي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرغت ؟ .. قال : نعم !.. فقال رسول الله (ص) : « بسم الله الرحمن الرحيم حم،

تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا. فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون ... الى قوله تعالى : فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » .

فقال عتبة : حسبك ! ما عندك غير هذا ؟ قال لا ! فرجع الى قريش فقالوا: ما وراءك ؟.. قال: ما تركت شيئا ارى انكم تكلمونه الا كلمته ! قالوا: فهل اجابك ؟ فقال نعم ! ثم قال لا والذى نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير انه انذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، وقالوا ويلك ! يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال !.. قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير الصاعقة .

رواه البيهقي وغيره عن الحاكم بزيادة قال الحافظ الهيثمي وفيه الاجلح الكندي وثقه يحيى بن معين وغيره وضعفه النسائي وبقية رجاله ثقات « حياة الصحابة ج 1 ص 30 »

« الكامل للمبرد » قال علقمة بن عبدة الفحل :

رغا فوقهم سقب السماء فداحض
بشكته لم يستلب وسليب

هذا علقمة التميمي ينتهي نسبه الى نزار ، ويقال له الفحل لانه عارض امرأ القيس بشعره فغلبه ، وكل شاعر غلب من هاجاه من الشعراء يلقب بالفحل .

وكان من خبره ان امرأ القيس تزوج امرأة من طي فنزل بهم علقمة فقال كل واحد منهما لصاحبه انا اشعر منك فتحاكما اليها فانشدها امرؤ القيس قوله :

خليلي مرا بي على أم جندب
لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

حتى مر بقوله منها :

فللسوط الهوب وللساق درة (1)
وللزجر منه وقع اهوج متعب

وانشدها علقمه قوله :

ذهبت من الهجران فى غير مذهب
. . . . . . حتى انتهى الى قوله :

فادركهن ثانيا من عنانه
يمر كغيث رائح متحلب (2)

فقالت له : علقمة اشعر منك ! قال وكيف ؟ قالت لانك زجرت فرسك وحركته بساقك وضربته بسوطك ، وجاء هذا للصيد ثانيا من عنان ، فغضب امرؤ القيس وقال ليس كما قلت ولكنك هويته ، فطلقها فتزوجها علقمة بعد ذلك فسمي علقمة الفحل ، وما زالت العرب تسميه بذلك .

وسقب السماء ولد الناقة الذكر يريد اصابهم حادث عظيم من جهة السماء لا تصل ايديهم الى دفعه ، والداحض الساقط ، ومنه قول الله تعالى « حجتهم داحضة » .

قال سيد علي المرصفي : والاجود رواية فداحص بالصاد وهو الذي يفحص بيديه ورجليه وهو يجود بنفسه ، والشكة اسم لما يلبس من السلاح من شك فى ثيابه يشك شكا لبسه ، وكل شيء ادخلته فى شيء فقد شككته ، لم يستلب : لم يؤخذ ما عليه من سلاح ، وسليب قد اخذ سلاحه .

وهذا البيت :

رغا فوقهم سقب السماء فداحض
بشكته لم يستلب وسليب

من قصيدة له طويلة يمدح بها الحرث بن جبلة الغساني ، وكان اسر اخاه شاسا فرحل اليه يطلب فكه ومطلعها :

طحا بك قلب فى الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب

---

(1) السوط يضرب به ج درر

(2) مخادع

يكلفني ليلى وقد شط وليها
وعادت عواد بيننا وخطوب

الى ان يقول :

فان تسألوني بالنساء فانني
خبير بادواء النساء طبيب

اذا شاب راس المرء او قل ماله
فليس له من ودهن نصيب

يردن ثراء المال حيث علمنه
وشرخ شباب عندهن عجيب

« الكامل للمبرد : وكذلك عين ثرة فانما معناها غزيرة واسعة ، قال عنترة :

جادت عليها كل عين ثرة
فتركن كل حديقة كالدرهم

وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثرثار ولكنها في معناها ، ويجب ان يكون من الثرة ثرثارة »

يقول ابو العباس : ان العين من عيون الماء اذا كانت واسعة كما يقال لها ثرثارة يقال لها ثرة ، وكلمة الثرثار ماخوذة منها لانها لفظ ثلاثي وثرثار مزيد فيه .

وعنترة بن عمرو بن شداد ، كانت امه حبشية يقال لها زبيبة وهو احد اغربة العرب الثلاثة الذين كانت امهاتهم سوداوات ، وثانيهم خفاف بن ندبة ، والثالث السليك بن السلكة ، وهذا البيت من قصيدته الطويلة المشهورة :

هل غادر الشعراء من متردم
ام هل عرفت الدار بعد توهم

والضمير في جادت عليها يعود الى الروضة المذكورة في البيت قبله ، والضمير في تركن كل حديقة كالدرهم يعود الى « كل عين ثرة » وتشبيه الحديقة التي غمرها الماء بالدرهم تشبيه لبياض ذلك الماء ببياض ذلك الدرهم ، وفسره الاصمعي بان الماء لما اجتمع استدار اعلاه فصار كدور الدرهم

شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص 190 .

« الكامل للمبرد : وقوله صلى الله عليه وسلم المتفيهقون انما هو بمنزلة قوله الثرثارون توكيد له ، ومتفيهق متفيعل من قولهم فهق الغدير يفهق اذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد » .

هذا ما قاله المبرد ، والذى فى نص الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال : وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتفيهقون قالوا قد علمنا الثرثارون فما المتفيهقون قال المتكبرون . قال الحافظ المنذري هو المتكلم بملء شدقه تفاصحا وتعاظما واستعلاء على غيره وهو معنى التشدق ، وقد ورد لفظه في الحديث كذلك. (الترغيب والترهيب ص 525 ط الهند)

وقال في ص 489 المتفيهق اصله من الفهق وهو الامتلاء وهو بمعنى المتشدق لانه الذى يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه اظهارا لفصاحته وفضله واستعلاء على غيره ولهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالمتكبر .

فليس الثرثارون بمنزلة : « المتفيهقون » ذلك بمعنى كثير الكلام المتكلف المتجاوز للحق ، وهذا معناه المتشدق المتكبر المتلىء عجبا بنفسه المتنفخ زهوا بامتلاء شدقيه بالكلام اعتدادا بنفسه انه من ذوي البيان والفصاحة والمنطق.

« الكامل للمبرد : قال الاعشى :

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقي تفهق »

الاعشى : هو الاعشى الاكبر ، واسمه ميمون ابن قيس ، وكان يقال لابيه قتيل الجوع ، سمي بذلك لانه دخل غارا ليستظل به من الحر فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا، وهو احد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولها ، وهو اول من سال بشعره وانتجع به اقاصي البلاد ، وكان يغنى بشعره فكانت العرب تسميه صناجة (1)

(1) الصنج آلة للطرب لها اوتار ، والصناجة صاحب الصنج .

العرب وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه بقصيدته التي اولها :

الم تكتحل عيناك ليلة ارمدا
وعادك ما عاد السليم المسهدا

وفيها يقول لناقته :

فآليت لا اوتي لها من كلالة
ولا من حفى حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا يرون وذكره
اغار لعمري في البلاد وانجدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم
تراحي وتلقي من فواضله يدا

فبلغ خبره قريشا وحاولوا صده ، وما زال به ابو سفيان بن حرب حتى رده عن قصده ووفادته فجمعت له قريش مائة من الابل بتحريض من ابي سفيان قالوا له ارجع الى بلدك سنتك هذه حتى تنظر ما يصير اليه امره فان ظهرنا عليه كنت قد كسبت المائة الناقة ، وان ظهر علينا اتيته فاخذها وانطلق الى بلده ، فلما كان في طريقه اليها رماه بعيره فقتله ، وكان فتيان العرب اذا ارادوا ان يشربوا الخمر خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبوا عليه فضلات اقداحهم .

واما بيت الاعشى الذي استشهد به المبرد فقد انشده الجوهري هكذا :

تروح على آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقي تفهق

قال الراغب : يقال جبيت الماء في الحوض جمعته ، والحوض الجامع له جابية وجمعها جواب قال الله تعالى : « وجفان كالجوابي » ومنه استعير جبيت الخراج جباية ، ومنه قول الله تعالى : « تجبى اليه ثمرات كل شيء » اهـ

والجابية الحوض الذي يجبي فيه الماء للابل ، والجابية الحوض الضخم ويقال لفلان قدر كالخابية، وجفنة كالجابية ومن المجاز فلان يجتبي جبى المجد اي يقوم بالمجد ويجمعه لنفسه قال ذو الرمة :

وما زالت تسمو بالمعالي وتجتبي
جبى المجد قد شدت عليك المآزر

والجفنة في بيت الاعشى القصعة الكبيرة خصت بوعاء الاطعمة ، وقيل للبئر الصغيرة جفنة تشبيها بها .

والمحلق على وزن معظم كما في القاموس لقب عبد العزى بن ختم لان حصانا له عضه في خده وكانت العضة كالحلقة ، هذا قول ابي عبيدة وفي لسان العرب انه بكسر اللام ممدوح الاعشى واياه عنى بقوله :

فشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق

وقال ايضا :

تروح على آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقي تفهق

« الكامل للمبرد : قال ابو العباس : وذلك ان العراقي اذا تمكن من الماء ملأ جابيته لانه حضري فلا يعرف مواقع الماء ولا محاله ، وسمعت اعرابية تنشد : كجابية السيح تريد النهر الذي يجري على جابيته فماؤها لا ينقطع لان النهر يمده ، ومثل قول البصريين فيما ذكروا به الشيخ العراقي قول الشاعر :

لها ذنب ضاف وذفرى اسيلة
وخد كمرآة الغريبة اسجح

الشاعر هو ذو الرمة ابو الحارث غيلان بن عقبة ، ينتهي نسبه لنزار وهو احد فحول الشعراء، واحد عشاق العرب المشهورين ، وصاحبته مية ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري ، وقيس بن عاصم هو الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم فاكرمه وقال له انت سيد اهل الوبر (1) ، وكان ذو الرمة كثير

(1) اهل الوبر اهل البدو

التشبيب بها في شعره ، ومكثت زمانا تسمع شعره ولا تراه ، فجعلت لله اذا راته ان تنحر بدنة ، فلما راته رات رجلا اسود ذميما وكانت من اهل الجمال فقالت واسوءتاه وابؤساه فقال ذو الرمة :

على وجه مي مسحة من ملاحة
وتحت الثياب العار لو كان باديا

الم تر ان الماء يخبث طعمه
وان كان لون الماء ابيض صافيا

فيا ضيعة الشعر الذي لج فانقضى
بمي فلم املك ضلال فؤاديا

ثم شبب بخرقاء من بني البطاء بن عامر ، والخرقاء التي لا تعمل شيئا لكرامتها على اهلها .

ومر بها المفضل الضبي فسالته هل حججت قط قال غير مرة قالت فما منعك من زيارتي اما علمت اني منسك من مناسك الحج قال وكيف ذلك قالت اما سمعت قول عمك ذي الرمة :

تمام الحج ان تقف المطايا
على خرقاء واضعة اللثام

ولما حضرته الوفاة قال :

يا قابض الروح عن نفسي اذا احتضرت
وغافر الذنب زحزحني عن النار

وتوفي سنة سبع عشرة ومائة رحمه الله .

ـ معاهد التنصيص ـ

وبيت ذي الرمة الذي استشهد به المبرد من قصيدته الطويلة التي يشبب بها بمية ويصف ناقته « صيدحا » وسيره مع رفقة له ومطلعها :

امنزلتي مي سلام عليكما
على النأي والنائي يود وينصح

الى ان قال في آواخرها :

اذا ارفض اطراف السياط وهللت
جروم المطايا عذبتهن صيدح

لها اذن حشر وذفرى اسيلة
ووجه كمرآة الغريبة اسجح

قال سيد علي المرصفي : رواية ذنب خاف غلط ورواية ديوانه له اذن حشر يصف ناقته صيدحا ، وحشر بفتح وسكون دقيقة الطرف، وهو في الاصل مصدر حشر السكين والسنان يحشره احده فارقه والطفه ، يوصف به الواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد اهـ .

قال الزمخشري في الاساس : واذن حشر وحشرة لطيفة مجتمعة ، وفي لسان العرب قال ابن الاعرابي يستحب في البعير ان يكون حشر الاذن وكذلك يستحب في الناقة قال ذو الرمة :

لها اذن حشر وذفرى لطيفة
وخد كمرآة الغريبة اسجح

قال الجوهري : آذان حشر لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل مثل قولهم ماء غور وماء سكب وقد قيل اذن حشرة .

واما الذفرى فهي من الناس ومن جميع الدواب من لدن المقذ (1) الى نصف القذال (2) والفها للتانيث ، ومن العرب من يقول هذه ذفرى فيصرفها كانهم يجعلون الالف فيها اصلية ويجمعونها على الذفارى .

وخد الناقة كمرآة الغريبة البعيدة عن دارها ومجتمعها فهي في وسط غريب يقول المبرد في تفسير هذا التشبيه ان الغريبة لا ناصح لها في وجهها لبعدها عن اهلها فمرآتها دائما مجلوة لفرط حاجتها اليها ، ولذلك جعل المبرد حرص الشيخ العراقي اذا تمكن من الماء ان يملأ جابيته مثل حرص المراة الغريبة في هذا البيت على العناية بمرآتها والتعهد لها .

(1) المقذ اصل الاذن
(2) القذال ما بين الاذنين من مؤخر الراس

وقال ابو منصور الثعالبي : مرآة الغريبة مثل يضرب به فيقال انقى من مرآة الغريبة لان المراة الغريبة تتعهد مرآتها من الجلاء بما لا يتعهده غيرها وتتفقد من محاسنها ومحاسن وجهها ما لا يتفقده سواها ، فمرآتها ابدا مجلوة نقية ، ثم قال : قال ذو الرمة :

وخد كمرآة الغريبة اسجح

(ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ص 255)

وقال ابن بري خص مرآة الغريبة وهي التى لم تتزوج فى قومها فلا تجد فى نساء ذلك الحي من يعنى بها ويبين لها ما تحتاج الى اصلاحه من عيب ونحوه فهي محتاجة الى مرآتها التى ترى فيها ما ينكره فيها من رآها ، فمرآتها لا تزال ابدا مجلوة.
ــ لسان العرب مادة سجح ــ

واسجح فى بيت ذي الرمة :

لها ذنب ضاف وذفرى اسيلة
وخد كمرآة الغريبة اسجح

من السجح وهو لين الخد ، وخد اسجح سهل طويل قليل اللحم واسع ، وقد سجح سجحا ، وخلق سجيح لين سهل ، ويقال مشى فلان مشيا سجحا ، ومشية سجح اي سهلة ، وورد فى حديث علي رضي الله عنه يحرض اصحابه على القتال : وامشوا الى الموت مشية سجحا .
واورد صاحب لسان العرب بيت ذي الرمة هكذا:

لها اذن حشر وذفرى اسيلة
ووجه كمرآة الغريبة اسجح

فقال وجه اسجح بين السجح اي حسن معتدل ثم انشد البيت قال واورد الازهري هذا البيت شاهدا على لين الخد ، قال والرواية المشهورة فى البيت وخد اسجح .

« الكامل للمبرد : وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يريد الصدق فى المنطق والقصد وترك ما لا يحتاج اليه قوله لجرير بن عبد الله البجلي : يا جرير اذا قلت فاوجز، واذا بلغت حاجتك فلا تتكلف » .

يشير المبرد الى قول النبي صلى الله عليه وسلم الذى فسرناه آنفا : الا اخبركم بابغضكم الي وابعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون ، ويريد بالقصد التوسط فى منطق المتكلم بين طرف الافراط والثرثرة والتفيهق وطرف التفريط وهي العجز والعي .

وجرير هو سيد قبيلته بجيلة وهي اسم امهم وكان لهم امر عظيم فى فتح القادسية وقدمه عمر فى هذه الحرب ، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني فى الاوسط عن جرير اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ، وقال فيه الشاعر :

لولا جرير هلكت بجيلة
نعم الفتى وبئست القبيلة

فقال عمر ما مدح من هجي قومه ، وكان رسول علي الى معاوية فحبسه مدة طويلة ثم رده فاعتزلهما معا ، وسكن قرقيسيا حتى مات سنة 51 ، وفي الصحيح عنه قال ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم ، وكان طويلا جميلا يشبه بيوسف لفرط جماله ، رآه عمر متجردا فقال ما ارى احدا من الناس صور صورته هذا الا ما ذكر عن يوسف .

والتكلف فى حديثه المنسوب له صلى الله عليه وسلم : « اذا بلغت حاجتك فلا تتكلف » اسم لما يفعل بمشقة ، او تصنع او تشبع ، ولذلك صار التكلف على ضربين : محمود وهو ما يتحراه الانسان ليتوصل به الى ان يصير الفعل الذى يتعاطاه سهلا عليه ، ويصير كلفا به ومحبا له ، وبهذا النظر يستعمل التكليف فى تكالف العبادات ، والثاني وهو المراد من الحديث وهو المذموم : ما يتحراه الانسان مراءاة واياه عنى بقوله تعالى : « قل ما اسالكم عليه من اجر، وما انا من المتكلفين » ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : انا وامتي برءاء من التكلف.
ــ الراغب فى مفرداته ــ

فالمراد به اذن التصنع والتشبع والمراءاة ، وقد صارت الكلفة في التعارف اسما للمشقة ، ومن المعنى المحمود قولهم من لم يصبر على الكلف لم يصل الى الزلف ، وبمعنى المشقة والمصاعب قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا ابا لك يسأم

والمتكلف المتعرض لما لا يعنيه .

الرباط : محمد الناصر الكتاني



– 2 –

فالحرف الساكن ليست حاله اذا ادرجته ووصلته بما بعده كحاله لو وقفت عليه ــ ذلك أن من الحروف حروفا اذا وقفت عليها لحقها صويت ما من بعدها ، واذا وصلتها بما بعدها ضعف ذلك الصويت لذا الوقف ــ فاذا ادرجنا الحرف الى اث ــ اف ــ اخ ــ الك ــ فها نحن نجد رنة هذا الصويت لذا الوقف ــ فاذا ادرجنا الحرف الى ما بعده وقلنا ، يحرد ، يصبر ، يشرد ، يفتح ، يخرج ، خفي الصويت وقل ــ وضعف ما كان له من جرس عند الوقوف عليه ــ وينشا هذا الجرس حالة الوقف حيث لم يتطاول المتكلم الى النطق بحرف آخر بعده بل تريث عليه ولم يسرع الانتقال عنه ــ فقدر بذلك التوقف واللبث على اتباع ذلك الصوت إياه فاعطى بالطبع **تلك الرنة** ــ اما اذا تاهب القارىء للنطق بما بعد من حروف وتهيا له وتشم فيه (1) فقد حال ذلك بينه وبين الوقفة التي يتمكن فيها من اشباع ذلك الصويت ــ فيستهلك ادراجه إياه طرفا من الصوت الذي كان الوقف يقره عليه ويسوغه امداده إياه به . ولاهمية الوقف وما يلعبه من أدوار صوتية في اللغة ــ الف فيه برهان الدين ابراهيم الكركي الشافعي ت 853 هـ ــ 1449 م ما أسماه : « الآلة ، في معرفة الوقف والامالة ». علاوة على ما لعلماء العربية حوله من بحوث فيما عقدوه من فصول في كيفيته واصنافه من هذا ما حكاه ابن جني في خصائصه (2) قال : يحكى ان رجلا من العرب بايع (3) ان يشرب علبة لبن ولا يتنحنح ، فلما شرب بعضه كده الامر « شق عليه » فقال : كبش املح . فقيل له : ما هذا ! تنحنحت .. فقال : من تنحنح ، فلا افلح . فنطق بالحاءات كلها سواكن غير متحركة ليكون ما يتبعها من ذلك عونا له على ما كده .

ترتيب الحروف :

راعى العرب في ترتيب اكثرية الحروف ترتيبها في الحروف الابجدية ــ مثل الكاف واللام ، والميم والنون ، في (كلمن) وما شذ من هذا فقدم بحسب المخارج ، وكابجد نفسها ــ فالترتيب جاء على ضوئها ، ونرى ابا الحجاج البلوي يطلع علينا بمعنى اخلاقي لطيف فيقول في ابجد من كتابه الف با : ص 174 جـ 1 ؛ ويحتمل ان يكونوا قدموا هذه النقطة ــ لان تصحيفه ــ ا ب جد كانه ينبيك انه جد فجد فجد انت ، وقدموا الاب على الجد ــ لان الاب اقرب الى الانسان من جده

وها عندما نراهم اضافوا للجيم الحاء ــ تركوها دون نقط ونقطوا الخاء للفرق وهكذا سائر

(1) تشم فيه ابتدا فيه

(2) جزء اول ص 58 طبعه دار الكتاب المصرية سنة 1952

(3) عاهد وعاقد ــ والقصة في اذكياء ابن الجزي في باب المنقول عن العرب وعلماء العربية .

الازواج مثل الـدال ـ والذال ـ والراء ـ والزاي ـ والطاء والظـاء ـ والصاد والضـاد ـ والعيـن والغين ـ والسين والشين ، وتلك علة ترتيبها لـدا المشارقة وهي على غير ترتيبها بالمغرب ـ وقد اشبع الحديث عن هذا البحث ـ ابو عمر وعثمان بن سعد الداني ت : 444 ـ 1052 م في كتابه «المحكم في نقط القرآن » كتاب اصدرته وزارة الثقافة والارشاد القومي في مصر انظر عدد 47 من « المجلة » شهر نونبر سنة 1960 .

واذا تحدثنا عن هذا الترتيب وتناول كما راينا الحروف الابجدية ولا عجب ما دام له علاقة بها جد وشيجة ـ فلا ضير ان نعيرها التفاتة ولو قصيـرة تلقي الاضواء الكاشفة عن حقائقها . يقول مجد الدين الفيروزابادي في قاموسه المحيط ـ مادة : بجد : وابجد الى قرشت وكلمن رءيسهم : ملوك مدين ، ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف اسمائهم ، هلكوا يوم الظلة (1) فقالت ابنة كلمن

كلمـن هــدم ركنـي
هلكـه وسـط المحلـه

سـيـد القـوم اتـاه الـ
ـحتـف نارا وسط ظلـه

جعـلت نـارا عليـهم
دارهـم كالمضمحـلـه

ثم وجدوا بعدهم حروفا في الالفاظ ليست في اسمائهم ـ الثاء ، الخاء ، الذال ، الضاد ، الظاء ، الغين ـ تخـذ ضظغ فسموها الروادف .

وجاء في دائرة المعارف الاسلاميـة ، وتذكـر رواية اخرى ان الاسماء الستة الاولى هي اسمـاء مردة وشياطين ، واخيرا تذكر رواية ثالثـة ـ ان هذه الاسماء ما هي الا اسماء ايام الاسبوع . ومـع ذلك فاننا نجد بين العرب انفسهم نحاة ذوي بصيرة نافذة ـ كالمبـرد والسيرافـي لم يقتنـعوا بهـذه التفسيرات الخرافية للابجد واعلنوا في صراحة ـ ان هذه الكلمات لابد ان تكون من اصل اجنبي .

ونجد الاستاذ احمد عطية في الجزء الاول من كتابه القاموس الاسلامي بعد كلمة يقول : ويرى ان مطابقة هذا الترتيب لمثيله في اللغتين الآرامية والعبرية مما يؤيد علاقة اللغة العربية باللغات السامية القديمة بما في ذلك النبطية .

ومن اللطائف هنا : ما نقله ابو الحجاج البلوي في كتابه (الف با) جـ 1 ص 76 . عن كتاب المبتدا ـ ان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لما بلغ 9 سنين اسلمته امه الى الكتاب عند رجـل من المستكتبيـن يعلمه كما يعلم الغلمان فلا يسأله عن شيء الا يدره عيسى الى علمـه قبـل ان يعلمـه اياه ـ فعلمـه ـ ابا جاد ـ فقال عيسى عليه السلام ، وما ابو جاد ؟ قال المعلم : لا ادري ؟.. فقال عيسى : كيف تعلم ما لا تدري ما هو ؟ فقال المعلم : فعلمني اذا . فقال له عيسى عليه السلام : قم من مجلسـك ، فقـام فجلس عيسى مجلسـه . وقال سلني !.. فقال المعلم : ما ابو جاد ؟.. فقال عيسى : الالف ءالاء الله ، والباء بهاء الله ، والجيم جمال الله وبهجته ، والدال دين الله .

فعجب المعلم من ذلك ـ فكان اول من فسر ابا جاد عيسى بن مريم عليه السلام .

والحوار هذا بين معلـم ومتعلـم ـ عيسـى واستاذه قد يكون وقد لا يكون حقيقيا ، او خياليـا يدخل في عداد الاساطير الغابرة ـ فنحـن بدورنـا نستفيد من بين سطوره الى اي حد تبلغ الدعـوى بالانسان الفارغ ومن داءها القاصم له مداه البعيد وتاريخه الشاحط ـ فهو حوار ينطوي في مفهومه على موعظة غالية تبصر القاصر عن الفهم او الجاهل بالمرة ليرجع الى نفسه فيضعهـا مكانتهـا متحاميـا التصدر لالقاء ما يجهل او طمس معالمـه او حاول كشف حقيقته الغامضة .

وهذا لون من الوان الوقاحة او الجبهة قد لا يقل وجوده اليوم في ادعياء الاستاذية ومساومتها دون حذق وكفاية ـ فيرمي بهم التهور او الجـراة لحشر انفسهم في صف هو منهم براء .

ويرحم الله شيخنا السلفي ابا شعيب الدكالي ـ فقد كان كثيرا ما يردد في دروسه الكلمة التالية: ينبغي للتلميذ ان يعرق جبهة الشيخ ويغمره بطرح الاسئلة الموضوعية مكتشفا حقيقته الثقافية . وحتى الشهادات في المجموع والورقات التي يتوفر عليها

---

(1) يوم الظلة ـ سحابة اظلتهم بعد حر شديـد اصابهم فامطرت عليهم نارا فاحترقوا .

بعض الاساتيذ المتصدرين – كوثيقة – قد لا تبرهن في عمقها عن حقيقة وروح – فما مثلها الا كمثل بعض الاجازات العلمية التي تحمل نصوصها : قد اجزناك ، واجزنا اولادك واحفادك ومن سينفصل عن عرقك الى ما شاء الله.

ومن لطائف هذه الحروف الابجدية وما تلعبه من ادوار في تبادلها وضعا ومكانا – ما نستلهمه من كلمتي علم وعمل – اللتين اتفقت حروفهما في العدد الموحى به من حرفية الجمل فنجد كلا منهما يعطينا – مائة واربعين عند استنطاقه .

ومن العجيب ان ما لوحظ في هذا الاتحاد العددي يلاحظ ايضا في تلازم مدلول الكلمتين لمن اراد الاعتداد بكل منهما ماديا وروحيا .

ذلك ان العلم بلا عمل لا يكاد يخرج حيث هو كجسد بلا روح ، وشجر بلا ثمر . والعمل بلا علم جهل في جهل – فقلة العمل مع العلم نافعة ، وكثرة العمل مع الجهل وبال على العامل ، فها نحن نرى ما بين الكلمتين من التلازم المادي والروحي .

وهاتان كلمتا قياس وسماع نجد كلا منهما يؤدي اربعمائة واحد عشر حسبما تعطيه حروف الجمل .

لكن هذا الاتفاق جاء ضمن تباين الكلمتين ما صدقا ومفهوما .

ولا تقل يعسى ولا ذا عاس
ان السماع مانع القياس

لهذا المدلول يشير الاديب في تعجب من هذا الاتفاق الرقمي داخل التباين المقرر عربية قائلا :

ومن عجيب الامر عند الناس
ان السماع جاء كالقياس

وهذا شيء مطروق في اللسان العربي لبلاغته وفصاحته واتساعه لكل ما تهدف اليه الحياة اليوم من تقنية وفن ويرمي الى الموضوع دلالة اللفظ بجوهره الحرفي على ما يراد منه بطريق العملية الابجدية مثل لفظة لطيف الحاملة حروفها : 129 مرة كمدلول للطيف الصغير المقابل للاوسط والكبير – وهذا شيء من هذا القبيل غزير ومديد لا يكاد يأتي عليه الحصر – كما يدل في نفس الوقت على ثروة اللغة العربية وغناها ومرونتها .

ونراها تلعب ادوارا في الرمزية والاشارة الى الشيوخ والقراء خاصة فتدني البعيد عن الاذهان وتزيل ما يمكن ان يعترض الطالب من غموض في فهم رجال القراءات وتمييز بعضهم عن بعض كما لمح لذلك ابو محمد الرعيني الشاطبي في لاميته قال :

جعلت ابا جاد على كل قارىء
دليلا على المنظوم اول اولا

فجعل هذه الحروف علامة على كل قارىء من القراء السبعة ورواتهم في ترتيب متناسق – كأبج – لنافع وراوييه – فالهمزة لنافع ، والباء لقالون ، والجيم لورش وهكذا – دهز – كلم – نصع – فضق – رست .

ولكن بنوع مخالفة لترتيبها الحسابي : ابجد – هوز – حطي – كلمن – صعفض – قرست – تخذ – ظغش .

هذا فضلا عما تستعمل فيه من تمييح لتاريخ الوقائع والوفيات ، وكمثال لذلك يقول الغستالي في وفياته :

سيوطهم غيا وزقاق لم يغب
عن الحق الا انه لم يبجل

فغيا – رمز بها لوفاة العلامة السيوطي 911 – الغين بتسعمائة – والياء بعشرة – والالف بواحد – ورمز (يغب) – للزقاق : 912 .
وهذا محمود قابادو الشاعر التونسي ت : 1871 م 1288 هـ كان لا يجاري في التاريخ الشعري (بحساب الجمل) فله قصيدة دالية هنأ بها السلطان عبد المجيد بانتصاره على (الروس) يستخرج تاريخ عام الانتصار من جميع ابياتها من مهملها ومعجمها ، وصدورها واعجازها – بحيث تحصل منها الآلاف حتى جعل لها جدولا في طريقة استخراجها .

اختصاص الضاد والظاء باللغة العربية :

هذان الحرفان – الضاد والظاء خاصان باللغة العربية – يقول شهاب الدين الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » ص 7 : ولا توجد الضاد والظاء في غير كلام العرب – اما الضاد فبلا نزاع . واما قوله : « انا افصح من نطق بالضاد» فقال الزركشي والسيوطي انه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يصح الاستدلال به . ويقول الحافظ ابو الخير ابن الجزري في النشر

فالضاد المنفرد بالاستطالة – ليس في الحرف ما يعسر على اللسان مثله – لهذا كانت السنة الناس فيه مختلفة وقل من يحسنه – فمنهم من يخرجه ظاء . ومنهم من يمزجه بالذال ومنهم من يجعله لاما مفخماء ومنهم من يشمه الزاي ، وكل ذلك محظور – فليحذر من قلبه الى الظاء لاسيما فيما يشتبه بلفظه نحو ضل من تدعون – فانه يشتبه بقوله : ظل وجهه مسودا ؛ وليعمل الرياضة في احكام لفظه خصوصا اذا جاوره ظاء – نحو – انقض ظهرك – يعض الظالم – او وليه حرف مفخم نحو ارض الله ، وكذا اذا سكن واتى بعده حرف اطباق مثل – فمن اضطر .

وقد يسهل على الشخص النطق به ما عرف مخرجه – الذي هو طرف اللسان مستطيلا الى ما يلي الاضراس من اليسار ، وهو اكثر وايسر او من اليمين وهو قليل وعسير او منهما وهو اقل واعسر . ويقال هنا : ان عمر الفاروق رضي الله عنه – كان يخرجه منهما .

واما الظاء فلا توجد هي الاخرى بمخرجها المخصوص – وتسمى مشالة لرفع خطها بالالف فرقا بينها وبين الضاد ، من شال بمعنى ارتفع – وفي همزية المديح للبوصيري :

وبهم فخر كل من نطق الضا
د فقامت تغار منها الظاء

فعند الغيرة والحدة يقوم الشخص – لهذا يكنى عن الامر العظيم – بالمقيم المقعد – ولابن نباتة من قصيدة نبوية :

سرى بي في حروف اللفظ سر
لمنطقه والضاد اجتباء

الم تر انها جلست لفخر
وقامت غيرة للضاد ظاء

تسمية الكتب ببعض الحروف :

سمى بعض ائمة اللغة كتبهم بحروف – ككتاب الجيم – وكتاب العين

فهذا تصنيف اللغوي الكبير ابي عمرو اسحاق ابن مروان الشيباني (ت 606 – 821 م) تلميذ الامام احمد بن حنبل – يسميه كتاب الجيم – لان اوله حرف الجيم كما اجاب بهذا تاج ابن مكتوم القيسي (ت 749 هـ 1348 م لما سئل عن هذه التسمية (1) كما سمي كتاب العين لان اوله حرف العين . وانما اختار الخليل حرف العين دون بقية الحروف – لانها اقصى الحروف مخرجا قال ابو طالب المفضل الكوفي :

والذي ذكره سيبويه – ان الهمزة اقصى الحروف مخرجا فلو قال : بدات بالعين لانها اكثر في الكلام واشد اختلاطا بالحروف لكان اولى نقلا عن السيوطي في المزهرة (ص 90 ج 1) . وعن المصدر نفسه يقول ابن كيسان : سمعت من يذكر عن الخليل ابن احمد انه قال : لم ابدا النقص بالهمزة ، لانها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالالف – لانها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل الا زائدة او مبدلة ولا بالهاء لانها مهموسة خفية لا صوت لها – فنزلت الى الحيز وفيه العين والحاء – فوجدت العين انصع الحرفين فابتدات به ليكون احسن في التاليف

وليس العلم بتقدم شيء على شيء – لانه كله مما يحتاج الى معرفته ، فباي بدات كان حسنا واولاها بالتقديم اكثرها تصرفا .

والكتاب هذا يعد الاصل الاول في نهج طريقة تاليف اللغة على الحروف .

وقديما اعتنى به العلماء ، وقبله جهابذتهم – فكان ابو العباس المبرد يرفع من قدره، ويكاد لا يوجد لابي اسحاق الزجاجي حكاية الا منه اذ كان له العمدة في بحوثه اللغوية . وحديث الناس عنه مستفيض مشهور .

نعم اصح كتاب وضع في اللغة – بارع ابي علي البغدادي ، وموعب (2) ابن التياني الاندلسي (ت : 436 – 1044 م

وقد لهج الناس كثيرا بمختصر العين لابي بكر الزبيدي الاشبيلي (ت : 379 – 989 م فاستعملوه وفضلوه على الاصل (كتاب العين) لكونه حذف ما جاء في الاصل من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلفة – وقدموه على سائر ما الف على حروف المعجم من كتب اللغة وقد اعتنت وزارة

---

(1) من المزهر جـ 1 ص 91 طبعة دار احياء الكتب العربية .
(2) مخطوط في اللغة قيل : لم يؤلف مثله اختصارا واكتنازا من قاموس الزركلي جـ 2 ص 70

الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية بطبعه كاول باكورة من « السلسلة اللغوية » قوم نصه وعلق حواشيه وقدم له الاستاذان : علال الفاسي ومحمد ابن تاويت الطنجي ، وطبع سنة 1963 م وللمختصرات قيمتها العلمية ، ايجازا واكتنازا وبعثا على القراءة والاطلاع .

قال ابو الحسن الشاري في فهرسته " كان شيخنا ابو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الامهات اربعة : مختصر العين للزبيدي ، ومختصر الزاهر (1) للزجاجي ، ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ، ومختصر الواضحة (2) للفضل بن سلمة .

الحرف من حيث المبنى والمعنى :

الحرف يعود في اصله اللغوي الى نوعين :

1 ـ الحرف الذي تتكون منه الكلمة وتبنى من جوهره ـ كالباء والتاء الى الياء ـ حروف الهجاء . وتعرف بحروف المباني

2 ـ حرف المعنى وهو ما يهدف لمدلول لا يتحقق الا في غيره ـ كهل وفي ولم ـ من حروف الجر والاستفهام والشرط ، والحرف هذا في تركيبه لا يخرج عن كونه ذا حرف واحد او اثنين الى خمسة وعندها يقف ولم يات من الحروف الخماسية في اللغة العربية سوى حرف واحد ـ هو لكن للاستدراك .

وحروف الجر كما يعلم الكل لابد لها من متعلق تمتزج به تكملة لمفهوم التركيب الكلامي يقول ابن هشام في مغنيه جـ 2 ص 78 ـ لان معنى التعلق الارتباط المعنوي ـ والاصل ـ ان افعالا قصرت عن الوصول الى الاسماء فأعينت على ذلك بحروف الجر .

من هنا تبين ان الحرف الزائد في التركيب لا يتعلق حيث لم يوت به للربط بل للتقوية والتاكيد ـ تقول اليست الدرة باية ـ فلم تفدنا الباء سوى التقوية فبدل ان يقال اية اية اكتفى عن هذا التكرار بالباء . وهذا المعنى ما يقول عنه ائمة العربية واللغة : كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام تكرار الجملة ، وهذا ما ينبيء في وضوح عن قوة الحرف وسره في اللغة العربية الذي يندر وجوده في غيرها من اللغات ان لم ينعدم بالمرة .

ما اختص به العرب من الحروف :

في مزهر الجلال السيوطي جـ 1 ص 328 : قال ابن فارس انفردت العرب بالهمز في عرض الكلام مثل قرا ولا يكون في شيء من اللغات الا ابتداء قال: ومما اختصت به لغة العرب : الحاء والظاء ـ وزعم قوم ان الضاد مقصورة على العرب دون سائر الامم.

وقال ابو عبيد : قد انفردت العرب بالالف واللام التي للتعريف كالرجل والنفوس ـ (البيت والقاعة) فليستا في شيء من لغات الامم غير العرب .

اما الحرف وسره لذا القوم فقد تحدث ابن خلدون عن خفاياه وتاثيراته المادية التي لا يتعرض لها لا بتصديق ولا بتكذيب حيث الممكنات لا تنحصر، وما خفي عنا من قوى الاشياء اكثر بكثير مما ظهر ـ موردا ما لغلاة الصوفية او المتصوفة من ادعاءات استقوها من علم الطلسمات جانحين فيها الى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على ايديهم كنتيجة للحرف .

واما ابن عربي الحاتمي في فتوحاته فقد افاض الحديث في الموضوع الى حد وضعه لكل حرف من الحروف فصلا خاصا يستجلي فيه ما وراء حرفيته من اسرار .

ذلك ما جعلهم يؤيدون دعواهم بالتحليل التالي ـ قائلين : ان الحروف عند وصولها الى المخ عن طريق الاذن ـ تحدث تاثيرا من الداخل ـ وطبعا تكون لها قوى اخرى تؤثر على الاجسام من الخارج ـ كما كان ذلك من الداخل ـ ومن هنا بدا البحث في معرفة قوة كل حرف منفردا والمعنى المستكن فيه ، وجوهر فعله في التاثير داخلا وخارجا على الانسان .

واذ كان البحث هذا لا يتصل بوشيج الصلات ببحثنا اللغوي الصرف ـ ارتضيت ان اخصص له بحثا يتفق والحرف في عالم الاوفاق وما له من تداخل وارتباط ما مع الطلسمات والاختياريات والسحريات .

الرباط ـ عبد الله الجراري

---

(1) الزاهر في معاني الكلام لابي بكر محمد الانباري النحوي (ت : 328 هـ 939 م)
(2) في 22 بيتا للشيخ برهان الدين بن عمر (ت : 732 هـ ـ 1331 م)

كلمة في المماليك

نشأتهم ودولتهم ورسومهم

للشيخ طه الولي

يقول بعض المؤرخين « ان اول من استخدم المماليك الاتراك فى مصر ، وجلبهم اليها واستعان بهم على تثبيت سلطانهم ، هم خلفاء الفاطميين ، وذلك تشبها منهم ببني العباس ، ثم اقتفى اثرهم فى ذلك ملوك الدولة الايوبية » .

على ان ابا العباس القلقشندي الذى عاش فى ايام المماليك وكان فى جملة موظفي حكومتهم بمصر يقول فى موسوعته الضخمة ، «صبح الاعشى فى صناعة الانشا» : « ان حاكم مصر احمد بن طولون هو اول من جلب مماليك الترك الى الديار المصرية ، واستخدمهم فى عسكرها ، وذلك عندما ولي امر هذه الديار من قبل الخليفة العباسي المعتمد فى سنة 266 هـ (879 م) غير ان هؤلاء الارقاء الذين اشتراهم ابن طولون واستعان بهم لاقرار الامن فى امارته لم يكن لهم فى الواقع اي صلة باولئك الذين اشتهروا بهذا الاسم ، حين اصبحت لهم الدولة والصولة بعد ان وثبوا على الحكم واستبدوا بالسلطة لانفسهم عندما انتزعوا الحكم من الايوبيين سنة 648 هـ (1250 م)

وسبب قيام هذه الطبقة الغريبة من الحكام فى المجتمع الاسلامي ، هو تكاثر افرادها مع الزمن خلال الحروب التى توالت فى آسيا بعد تعدد غزوات التتار. ففى هذه الاثناء ، كان كثير من ابناء المناطق التى تأثرت بهذه الغزوات ، ينزحون عن مدنهم واراضيهم فرارا بانفسهم واولادهم من المصير القاتم الذى كان يتهددهم تحت حكم الغزاة البرابرة ، فلقد افاد الحكام المسلمون من توافر هذه المجموعات البشرية الهاربة ، فى حالة مريعة من الفقر والفاقة والعوز ، واقبلوا على شراء العديد من هؤلاء الهاربين لاسيما الذين كانوا يتمتعون بقسط ملحوظ من مخايل النباهة ومظاهر الصحة والنشاط من اجل استخدامهم فى مختلف الاغراض من خاصة او عامة.

وكان اكثر هؤلاء الارقاء ، لاسيما الصغار فى السن منهم ، يجمعون فى امكنة مستقلة ويوضعون تحت تصرف مدربين من العسكريين الاخصائيين لينشؤوهم على تعلم فنون الفروسية وطرائق القتال كي يصبحوا قادرين على ممارسة الحروب ، بعد ان يعلموهم شعائر الدين الاسلامي ويحملوهم على حفظ القرآن الكريم ومن ثم يؤلفون منهم فرقا عسكرية نظامية فى ظل راية الدولة الاسلامية لتذود عن حياض البلاد التى كان يتهددها العدوان من قبل المغول او من قبل الفرنجة على حد سواء .

ولقد كانت صفة الرق التى بدا بها هؤلاء المماليك حياتهم من الوصمات التى عيبت على سلاطينهم واخذت عليهم فيما بعد ، وذلك بالرغم من المآثر الكريمة التى بدرت عن هؤلاء السلاطين فى سبيل عزة الاسلام ونصرة المسلمين . فلقد ذكر المؤرخون انه « حينما اراد الملك الظاهر بيبرس ، قاهر المغول والصليبيين ، ان يأخذ لنفسه البيعة بالسلطنة ، بعد القضاء على سلفه سيف الدين قطز ، جمع الناس من الامراء والقضاة وعلية القوم ، وكادت البيعة تنعقد له ، لولا ان امتنع الشيخ عز الدين ابن عبد السلام عن مبايعته ، لانه لم يثبت له عتق بيبرس وحريته وقال له :

« يا ركن الدين ، انا اعرفك مملوك البندقدار »

فاستحضر بيبرس شهودا ، شهدوا بخروجه من ملك البندقدار وانه صار حرا ، فبايعه الشيخ .

ومن طريف ما يروى عن هؤلاء المماليك الذين اصبحوا فيما بعد ملوكا على الذين كانوا من قبل مالكيهم بالرق ، انهم اذا اشتجر فيما بينهم خلاف على امر من الامور ، لا يتورعون عن التنابز بنعت « مملوك » وتذكير بعضهم بعضا بتلك الايام التي بداوا فيها حياتهم ، اذ هم سلعة مزجاة ، يعرضهم تجار الرقيق من اليهود بثمن قد يرتفع وقد يتدنى تبعا لشكل المملوك أو صحته او نباهته .

والى جانب ذلك ، فان هؤلاء كانوا لا يتورعون عن استعمال لقب مملوك في الرسائل التي كانوا يتبادلونها فيما بينهم ، دون ان يجدوا في هذا اللقب ما يجرح كرامتهم الشخصية او يسيء الى مكانتهم الرسمية ، بل بالعكس فانهم كانوا يعتبرونه من عناوين تواضعهم بعضهم لبعض .

وهكذا ، فان المماليك ، كانوا اذا اختصموا يتبادلون النبز بلقب المملوك بقصد الاهانة والتحقير، كما كانوا اذا تعاطفوا يتبادلون ادعاء هذا اللقب ، بقصد التحبب والتواضع .

وهؤلاء المماليك الذين لازمهم اللقب الذي بقي يدل على نشاتهم الوضيعة لعبوا في التاريخ الاسلامي دورا بارزا جعلهم يتمتعون بالقاب البطولة والخلود والسؤدد لاسيما في المعارك الحاسمة التي خاضوها دفاعا عن الاسلام والمسلمين ضد الغزو المغولي والاحتلال الصليبي في بلاد الشرق العربي .

ففي رمضان من سنة 657 هـ التقى العسكر المملوكي بقيادة السلطان سيف الدين قطز بالعسكر التتاري بقيادة كتيغا عند قرية عين جالوت بفلسطين (ردها الله للاسلام والعروبة) وحمي وطيس الطعن والضرب بين الفريقين وتقاتلا قتالا شديدا لم ير مثله من قبل حتى قتل منهما جماعة كثيرة واشرف المسلمون على شفير الهزيمة ، عند ذلك وثب قطز من بين الصفوف ، وانتزع من على راسه خوذته الفولاذية ورمى بها الى الارض صارخا باعلى صوته (... وا اسلاماه ! ... » فحدثت المعجزة الالهية وتحول المسلمون من فرار الهزيمة الى هجوم الانتصار وبذلك تحولت الانسانية من حالة الجزع والياس الى حالة الطمانينة والامل . وبالفعل، فان معركة عين جالوت ، تعتبر من الوقائع الفاصلة في التاريخ الاسلامي نظرا لما ترتب عليها من نتائج خطيرة وآثار حاسمة ، فلو ان المغول استطاعوا في حينها من التغلب على المسلمين لمرت البلدان العربية في الشرق الادنى ، في دور حالك مظلم طويل تحت حكم المغول ولتعثر سير الحضارة والتمدن لمدة طويلة من الزمن .

ولقد اطلق انتصار سلطان المماليك قطز على طاغية التتار كتبغا السنة الشعراء في تلك الايام فقال قائلهم :

هلك الكفر في الشام جميعا
واستجد الاسلام بعد دحوضه

بالمليك المظفر الار
وع سيف الاسلام عند نهوضه

ملك جاءنا بعزم وحزم
فاعتززنا بسمره وبيضه

اوجب الله شكر ذاك علينا
دائما مثل واجبات فروضه

ولم يكن جهاد المماليك في الصليبيين اقل روعة وبطولة من جهادهم في التتار ، ذلك انهم بعد ان ازاحوا عن بلاد الشام الكابوس المغولي الوبيل ، وجهوا همتهم الى اقالة هذه البلاد من عثرتها بالاحتلال الصليبي فخاضوا ضد هؤلاء الدخلاء حروبا ضاربة لم تنته الا بعد انهاء هذا الاحتلال البغيض عن ساحل البلاد وداخلها على يد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ثم من بعده على يد السلطان قلاوون وابنه الملك الاشرف خليل مما جعل السنة الشعراء تنطلق مرة اخرى بالتعبير عن فرحة المسلمين بما انتهوا اليه من عزة وكرامة وتحرر . فقال احدهم يخاطب قلاوون عندما وفقه الله الى تحرير طرابلس الشام :

علينا لمن اولاك نعمة الشكر
لانك للاسلام يا سيفه ؛ ذخر

ومثالك الاخلاص في صالح الدعا
الى من له في امر نصرتك ، الامر

وله في اعلاء ملكك في الورى
مراد. وفي التاييد يوم الوغى، سر

الا هكذا يا وارث الملك فليكن
جهاد العدى لا ما توالى به الدهر

والى جانب الانتصارات الحربية التي حققها المماليك وادت الى تخليص الشرق العربي من غائلة

المغول والاحتلال الصليبي . الى جانب ذلك ، فان المماليك ادوا للاسلام والمسلمين اعظم خدمة دينية ومعنوية وذلك باعادتهم الخلافة بعد أن درس هولاكو معالمها بقتل آخر خليفة عباسي ببغداد ، المستعصم بالله .

وخبر ذلك انه عندما اجتاح التتار بقيادة هولاكو بغداد ، اعتقد ابن العلقمي وزير الخليفة المستعصم العباسي ان الفرصة اصبحت مواتية للانقلاب على العباسيين فاغرى الخليفة المذكور بالكف عن مقاومة الغازي التتاري وزين له الاستسلام حفظا لحياته . فانطلت الدسيسة على المستعصم وحمل نفسه واركان دولته واعيان البلاد الى معسكر هولاكو الذي بادر الى اعدام جميع هؤلاء بما فيهم الخليفة نفسه . ولم تكن عاقبة ابن العلقمي خيرا من الذين غرر بهم لان هولاكو ما لبث ان اتبعه بضحاياه لان من يخون امته وبلاده لا يمكن ان يكون محل ثقة الاجنبي عن الوطن والدين .

وكان قتل الخليفة المستعصم في اليوم العاشر من محرم سنة 656 هـ (1258 م) وبذلك قتل آخر خليفة عباسي ببغداد بعد ان دامت الخلافة العباسية 524 سنة .

وعندما وثب الملك الظاهر على الحكم بعد قتله قطز اراد القيام بعمل جليل يكتسب عن طريقه الرأي العام الاسلامي الى جانبه . وكانت الخلافة هي الامنية التي يتطلع الى تحقيقها المسلمون في ذلك الحين ، لان كل مسلم يعتقد بان الخلافة هي المؤسسة الدينية والقومية التي تمثل وحدة الامة الاسلامية ، وان زوالها مخل بالشعائر وتمام العقيدة .

وعلى هذا فان الملك الظاهر بيبرس ، ما ان سمع بان واحدا من آل عباس قادم الى مصر ، حتى بادر الى ملاقاته وتوجيه الانظار اليه ليجعله خليفة للمسلمين وسط مراسم حكومية وشعبية بلغت منتهى الفخامة والابهة .

وبذلك توطد حكم بيبرس واطمأنت اليه نفوس المسلمين في مشارق الارض ومغاربها

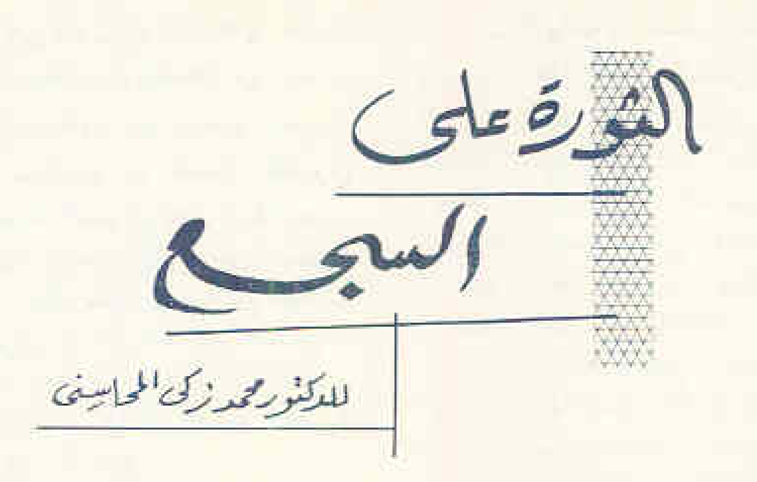
وبالرغم من ان المماليك ، كانوا في الواقع يشكلون الطبقة العسكرية في المجتمع الاسلامي ، وبالرغم من أن عهدهم كان نتيجة طبيعية للمعارك الحربية التي خاضوا غمارها في الخارج ضد الغزو التتاري والاحتلال الصليبي ، وفي الداخل من اجل اغتصاب السلطة والوثوب على دست الحكم . بالرغم من ذلك كله ، فانهم تركوا في سجل التراث الفكري للاسلام صفحات مشرقة زخرت بالعديد من المؤلفات العلمية والادبية والتاريخية والتشريعية مما صنفه العلماء المسلمون في ايامهم وتحت ظل سيادتهم . فلقد كان هؤلاء العلماء يجدون من سلاطين المماليك وامرائهم وقوادهم من التشجيع والمساندة المادية ما مكنهم من اتحاف المكتبة العربية بعشرات بل مئات من الكتب التي اصبحت فيما بعد ، من المصادر والمراجع التي لا يستغني عنها اهل القلم من الذين يعنون بالدراسات الاسلامية على مختلف الوانها وفنونها وفروعها .

ولقد لفتت ظاهرة النشاط الفكري في عهد المماليك انتباه العالم الاجتماعي الكبير عبد الرحمن ابن خلدون فذهب الى تعليل هذه الظاهرة بقوله : « ان امراء الترك (أي المماليك) في دولتهم ، كانوا يخشون عادية سلطانهم على من يخلفون من ذريتهم لما له عليهم من الرق والولاء ، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته ، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ، ووقفوا عليها الاوقاف المغلة ، يجعلون فيها شرطا لاولادهم ، بنظر او نصيب منها ، مع مافيهم غالبا من الجنوح الى الخير والتماس الاجور في المقاصد والافعال ، فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طلب العلم بكثرة جراياتهم وارتحل الى مصر الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ، ونفقت بها اسواق العلوم وزخرت بحارها .. والله يخلق ما يشاء .

وبعد ،

فانه لابد لنا من القول باننا معشر المسلمين ، مدينون الى هؤلاء المماليك ليس فقط في انقاذ بلادنا من همجية الغزو التتاري وغائلة الاحتلال الصليبي ، بل نحن مدينون اليهم كذلك بهذا البحر الزاخر من المنشآت العمرانية ، كالمساجد والمدارس وما اليها من صروح العبادة والمعاهد العلمية ، مع ما امتلأت به اروقة كل منهما ، من الكتب المفيدة والمصنفات العديدة ذات المعين الذي لا ينضب من التشريع والمعارف والفنون الثقافية المختلفة .

بيروت ـ طه الولي



الثورات الفكرية هي التي تهز التراث في الادب والفن ، وقد يثور الفكر كما يثور الجسم ، يرغي ويزبد ويصيح ويتوعد ، ولكن في صمت وهدوء ، وضمن الانسان في جوفه وباطنه ، وهذا ما يسميه الفلاسفة بثورة القوة التي تموج ضمن الارض كثار البركان حتى تنفذ في قواها الى سطح الارض ، فيعلو دخانها الاجواء ويسيل جبروتها في السهول والاودية ، فيهز الوجود هزا عنيفا . وكذلك قوى العقل والفكر تحتدم بدواخلها احتداما ، ثم تندفع نحو الاعصاب فتتمكنها وتقودها في مرامها المنشود ، فاذا الجسم كله مسخر لاطاعة الثورة الفكرية الداخلية .

لقد ثار «فيرلين» في الادب واقتحم باستيل البلاغة ، وكان الادب الفرنسي مسيطرا على الادب الغربي في عصر النهضة، اي بعد عهد الثورة الفرنسية. وكان الادب يرزح تحت اعباء بلاغية في الكتابة والكلام كلها تنطع وحذلقة وخاصة النساء المتاديات، فكن يبالغن في استعمال الاستعارات فكانت السيدة تقول لخادمتها في صلف وهي من ذوات الدلال والغنى :

– اعطني التي تبدد ظلمات الليل .
وهي تريد الشمعة .
ويقول الفارس المغوار :
– انا املك الذى يطيح بالرؤوس .
وتريد السيف الباتر .

ووجد «فرلين» وصحبه من المجددين ان اللغة بحاجة الى ثورة فهب يقول شعرا في تحطيم القواعد التى نظم فيها «بوالو» قصيدة طويلة ويشبهها في أدبنا العربي ما نظمه الرجاز من منظومات علمية كالفية ابن مالك في النحو والشاطبية والحاجبية للشاطبي وابن الحاجب .

فكانت قصيدة «فيولين» التى يقول فيها :

خذ البلاغة واقصف لها رقبتها .

اعلان الثورة على البلاغة في الادب الفرنسي الحديث :

ولست اشك بان «ادوار هيريو» السياسي العظيم الذى كان محافظا شرفيا لمدينة ليون طول عمره ، فقد كان يتبرم بقول «فيولين» ويعده هداما لتراث البلاغة في ادب قومه اذ كان هيريو استاذ البلاغة في السوربون

فاذا انتحينا في القول منحى ادبنا العربي وشاهدنا عالم البلاغة فيه ، راينا دواهش وصعابا . فمن اين لنا ان نثور على بلاغتنا ؟ انها ذات حصون شواهق ، تتصل بتراث بعيد كبير ولهذه الحصون ابواب ضعيفة لا يهدها السلاح القديم ، ولا ارى لنا سلاحا جديدا يستطيع ان يقتحم شرفاتها المنيفة التي لاشاهد عليها القاضي الجرجاني معتجرا عمامته، وبيده قلم كالرمح ، واشاهد الى جانبه سميه عبد القاهر الجرجاني صاحب كتاب « اعجاز البلاغة » وكانه متنكب قوسه ، كما كان يتنكبه الحجاج ، وعلى ابراج هذا الحصن يقف ابو هلال العسكري صاحب كتاب « الصناعتين النثر والشعر » الذى سن قواعد محكمة فيهما لا يستطيع تجاوزها العادون والمقتحمون ، ولم اصف بعد في حماة هذا الحصن الاعظم البديعيين الذين افتنوا علم البديع في البلاغة وهو علم المحسنات المعنوية واللفظية ، كالجناس والطباق ورد العجز على الصدر والتورية وذكر

الشيء وما يناسبه ، وهي فنون بلغ بها غلاتها حدودا لا تحصى من حصرها ، وطلب شواهدها من شعر العرب ، وكان البلغاء يتخذون من شعر العرب دريئة لهم وقد كشف ستائرهم ابو العلاء المعري — يرحمه الله — في رسالة الغفران حين اخذ يعجب باقوال النحاة والبلغاء وتزويرهم الاقاويل عن الشعراء القدامى وقد بعثهم ابو العلاء لعلي بن منصور الاديب الحلبي الذي طاف المعري به على مقاصير الجنان ، فينكر الشعراء ما كان يقول فيهم اهل النحو والبلاغة . ولم يكونوا قد ذهبوا في تلك الصيغ مذهب هؤلاء في الاعراب والبديع .

وقد عرض ابو العلاء المعري في رسالة الغفران مشاهد كثيرة في النقد اللغوي والبلاغي بين ابي منصور الحلبي والشعراء الاقدمين حتى وقفه على امريء القيس في مقصورته في الجنة ، فراح يسأله علي بن منصور بلسان المعري :

— اخبرني عن قولك :

الا رب يوم لك منهن صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل

اتنشده لك منهن صالح فتزاحف (اي فترتكب في وزن شعرك الزحاف وهو علة من علل الوزن في الشعر سنها الخليل بن احمد الفراهيدي فيما سن من العلل) . فاذا سمع امرؤ القيس من الاديب الحلبي قوله : « ام تنشده على الرواية الاخرى ، فاما يوم فيجوز فيه النصب والخفض والرفع » .

ثم يكرر له باسباب الاعراب ما قال البصريون والكوفيون وما قال سيبويه وما صنع الفرزدق فيقول امرؤ القيس :

— اما انا فما قلت في الجاهلية الا بزحاف (وكان امرؤ القيس فيما احسب تعلم كلمة الزحاف ومصطلحها من علي بن منصور بلسان المعري) ، واما المعلمون فيقرؤنه على حسب ما يريدون . ثم يسمع الاديب الحلبي امرأ القيس طرفا من شعر منسوب اليه ، فيقول شاعر الجاهلية الاعظم :

— لا والله ما سمعت هذا قط وان الكذب لكثير واحسب هذا بعض الشعراء ولقد ظلمني واساء الي . وكذلك يقول الشراح والمؤلفون في كثير من قضايا الادب القديم الذي جاء قبلهم وبخاصة ادب الجاهلية . وكان كل ذلك مقبولا حتى الاعهد المتاخرة التي كادت تشرف على عصور الانحطاط ، حين برز السجع المتكلف مستوليا على المنثور كله ففشاه بوشيه وزخارفه المصطنعة اللفظية المتمثلة وكانت رسائل الملوك في السلم والحرب وما يكتب الادباء بعضهم الى بعض اذا شاءوا التانق من بعد القرن الرابع للهجرة بالسجع عامة . وتناول صناعة النثر من اهل فارس وبلاد العجم جماعات زادوا في تحاسينها مقابح ، حتى كانت آثارهم المسجوعة مثل رقعة من رقاع النسيج او البسط ملأى بالتزويق السمج وغلا بعد هؤلاء جماعة جعلوا كتابة المؤلفات في التاريخ والدراسات الادبية والاخبار سجعا مترادفا بجمل مزدوجة تنتهي كل واحدة منها بسجعة كالقافية او بسجعتين . وقد ضل هذا الضرب من التاليف مسحبا حتى العصر الغابر في سائر الديار العربية . واني لاضع انموذجا كتب في القرن الحادي عشر للهجرة منذ ثلاثمائة عام ليراه القاريء متعجبا ، وقد اقتطفت هذا النص المتقصد اليه من كتاب مخطوط نادر هو (نفحة الريحانة ورشفة طلاء الحانة) . وفي العنوان ادلة السجع المكين ، والمؤلف هو « محمد بن فضل الله المحبي الدمشقي » عاش اواخر القرن العاشر واوائل الحادي عشر للهجرة .

حقا ان كتابه هذا لمن اندر الكتب واجلها واكثرها نفاسة وفنية (1) يسجل نماذج من الشعر لشعراء زمنه وقد عرفهم باعيانهم وكان يسعى الى لقاء الكثير منهم بالاسفار والرحلات ، حتى ورد ديار الترك وسكن القسطنطينية زمنا وكتب عن شعراء كانوا قضاة هناك ومن علماء العرب الساكنين في هاتيك الديار فهو يقول في فاتحة كتابه :

— (فاني منذ القيت الالواح وميزت بين الصباح والمصباح ، جعلت الادب لناظري ملمحا ، واتخذته لفكري من المطامح مطمحا ، وكنت أعده للطائف الشمايل عنوانا ، وارتب لبيت قصيده في

(1) يقوم الدكتور زكي المحاسني في هذه الآونة بتحقيق هذا المخطوط الذي يبلغ بصفحات اوراقه الفا معتمدا النسخ الموجودة في مكتبات الشرق والغرب لهذا المخطوط النفيس وهو يبدا بشعراء الشام .

بديع المأثر ديوانا . واشيم من آفاقه بوارق السحر، واشتم من ارادانه روائح الشجر) .

وقد جرى فى كتابه كله على هذا المنهج فى القول المسجوع والجمل المرصوفة المحكمة ببيان شعري رتيب دون كلل او ملل . واذا ادركنا عسر التفكير فى انتقاء العبارة المسجوعة وما يلزم صاحبها نفسه من العنت والمتاعب ، عرفنا مقدار العناء الذى عاناه الشيخ المحبي فى كتابه (الريحانة) .

ولم يكن له من ذنب ، اذ انه سار على غرار عصره وانعكست فى ادبه الاتباعية التى عاشت الاقلام فى زمنه وما سبقه فى طراز الكتابة وفن التعبير . واذا حصرنا فى سلم المتبعات من اجل السجع المتكلف ـ واريد بالمتكلف السجع السمج الذى لا غناء للمعاني فيه فهو اشبه بالحجارة المرصوفة فى غير جمال ـ وجدنا تلقاءنا علمين من أعلامه وقفا فى وسط التاريخ الادبي الآتي الينا من نحو الاقدمين فغيرا مجرى نهره المتساح المراح ـ واراني وقفت فى كلمة مسجوعة ولست اشك ان هذا عدوى مستني من هذا الكلام وانا اعده واكتبه ـ وهذان الجباران الساجعان هما الهمذاني وابو القاسم الحريري فلكل منهما مقامات وهي قطع قصصية قصيرة تمثل مشهدا من المشاهد المعاصرة للكاتبين جريا فى تعبيرهما مجرى السجع الغريب ، حتى ان الحريري لم يشفق على قرائه وسامعيه حين وصف بليغا من البلغاء وقف يتكلم فى الجمهور فاعجب به «الحارث بن همام» اذ سحرته بلاغته ولم يكن هذا البليغ الا ذا الحيل الكثيرة ، ابا زيد السروجي بطل المقامات الحريرية . وقد جاء وصف الحريري لبلاغة ذلك البليغ بقوله :

يطبع الاسجاع بجواهر لفظه

ويقرع الاسماع بزواجر وعظه

فجاءت كل سجعة من الجملة الاولى تقابلها سجعة من الجملة الثانية فى اربع سجعات متواليات متطابقات واحسبهن اربع كلفات علقن بنثر العرب الجميل الخالي من هذه الاسجاع المصطنعة النابية. على اني لا اناصب السجع كل هذا العداء وربما جرى قلمي فى بعضه من غير حذر او تكلف ، ولست ابغض اهليه ولاسيما المعاصرين ، فان فى عصرنا من سادة الاقلام ملأ ما زال يكتب بطريقة السجع المحبب الجميل كالكاتب الاجل الاستاذ احمد حسن الزيات والكاتب الكبير الاستاذ نظير زيتون وهو شاهر فى نثره المسجوع عليهما رحمات الرحمان . وكان يجري على هذا الغرار الكاتب الفيلسوف امين الريحاني فى بعض آثاره القلمية وكان راوية الادب اسعاف النشاشيبي من ابطال هذه الطريقة ، وان يكن عصرنا يتجهم لهذه الطريقة وقد آن للاقلام ان تخالف عنها .

وقد كان فى علماء الادب فى القرن العشرين الاستاذ « احمد امين » يرحمه الله يعرب فى كثير من مجالسه التى كانت مجالا لنقاش اقضية الادب ، بانه يكره علم البلاغة كرها شديدا ، وقد وجدته مقيما على هذا الكره وسمعته فى قرب وقراءته فى بعد ولقاء وكان دائبا على نكران البلاغة (1) حتى الف فى هذا الموضوع ودرس اذ كان فى مدرسة القضاء الشرعي، كما حدثنا فى كتبه ولقائه، وهو حين كتب كتابه فى فن النقد اتى على مذاهب النقد جميعا عند الغربيين والعرب ولكنه لم يمعن بحثا فى قضية البلاغة العربية ، وكان ذلك الموضع جديرا بمكانها من بحثه القيم لو شاء .

وكيف اتفق الامر فى البلاغة وعلومها ، فانها كانت منذ حدثت ضرورة مقضية من الضرورات التى قامت فى علوم اللغة العربية وآدابها لتبيان فصاحة القرآن وبلاغته ، اول امرها ، ولتكون اقيستها حدودا للحكم والالتزام .

وانا لست اقول من اجل البلاغة كما قال المغالي الكبير الشاعر « فيرلين » الذى كان متهورا فى خلقه وادبه :

ـ خذ البلاغة واقصف لها عنقها .

وانما اقول مستأنيا مترفقا ، ومكبرا معجبا بالبلاغة العربية التى وسمت منظورهم ومنثورهم ، وكانت منذ وضعت ميزان الاعتدال فى تقرير البدائع والمحسنات الجميلة :

ـ خذ البلاغة وامشط لها شعرها .

الدكتور زكي المحاسني

---

(1) للدكتور المحاسني كتابه (احمد امين) محاضرات على طلاب الدراسات العليا فى معهدها فى جامعة الدول العربية سنة 1963 وفيه فصل عن البلاغة فى رأي الاستاذ احمد امين .



التجديد في الشعر الفارسي

للدكتور عبد اللطيف السعدني

ان حديث الشعر لذو طراوة ، وهو الى ذلك ندي الموضوع خصب الارجاء . وحق له ان يكون هكذا فهو يعيش ابدا اطوار الشباب .. وحري بهذا النوع البديع من الادب ان يوقع نغماته على اوتار العواطف الرقيقة وبين الحان البلابل ورقصات الورود في عرصات ايران البديعة ، ففيها عرف الشعر ارق الحانه واعذبها .

عرف الشعر مكانة سامية في نفوس الايرانيين ، وخبروه فاستجاب لبيانهم ولغتهم المطواع ، فكثرت مادته وغزرت وعمت المثقف وابن السوقة . وبذل الفرس من انفسهم له كل المعاني التي عرفها الانسان . وهو يكن اليوم الجزء الاكبر من الادب الفارسي ، حتى ان الشاعر الواحد لينشد الثلاثين والخمسين الف بيت ، والمائة الف ، بل لقد قيل عن اب الشعر الفارسي الرودكي انه خلف مليون بيت من الشعر . ولقد تنوعت الموضوعات وكثرت بكثرة هذا الشعر ، فلم يعد هناك فج موضوع الا سلكه ولا باب معنى الا طرقه ، ولكن اللون اللامع البارز فيه هو ذلك الذي انسجم مع روحية الشخصية الفارسية المرهفة الحس الفنانة الطبع ، ذلك هو شعر الغزل . ورق هذا الشعر فراق وتداولته الاحساسات الناعمة تحتضنه وتسلمه الى قلوب المحبين في رفق وصفاء .. ولقد رق هذا اللون من الشعر ابدع ما يكون عندما اكتسى حلة الروحانية والمحبة الالهية ، عندما اصبح غزلا عرفانيا ممتزجا بهذه الروح منذ القرن السادس الهجري ، وبذلك سما الى اعلى مقام يمكن ان يصله الذوق البشري .

هكذا عرف الفرس الشعر ، وهكذا استمرت معاناتهم الفكرية والنفسية انشادا وسماعا ، ولم تؤثر السنين – الى يومنا هذا – في شيء من هذا الفن الذي جمع كل خصائص الفنون الاخرى . غير ان هناك ظاهرة واضحة وسمت اللغة الفارسية وبالتالي الادب وخصوصا الشعر منذ الفتح الاسلامي لهذه البلاد ، تلك هي اللغة العربية بكل مقوماتها وعلومها ، فقد قطف الشعر الفارسي منها جني دعائمه الاساسية من اساليب بديعية وتراكيب بيانية واوزان وقوافي . ومنذ ذلك الحين اصبحت حركته في اتجاهين متعاكسين ، أحدهما يشده الى مجاراة المنبع الذي استقى منه وهو الشعر العربي مضمونا ووزنا وقافية . والآخر يدفعه الى تغيير ملامح هذا الشكل واكتساب شخصية تامة الاجزاء والتركيب ، فكان القالب عربيا واللغة فارسية .

والحقيقة ان الكلمة الفارسية بالدرجة الاولى قاومت القيود التي فرضها عليها الوزن العروضي المنحصر في البحور الستة عشر والقافية الضيقة . وليس السبب كما يتبادر الى الذهن هو ضيق في الكلمة الفارسية حال دون ان تنضغط في الوزن ، بل هو على العكس من ذلك تماما ، فالكلمة والجملة

الفارسيتان تأتيان عفويا موزونتان يستوعبهما الوزن الخليلي وغيره ، حتى لنرى فى كثير من الاحيان حديث الناس اليومي موزونا كانما يتخاطبون شعرا ، وما هو بالشعر ، ولكن مادة الموسيقى فى اللفظ الفارسي غزيرة ، ولحن الحديث اغزر .

لهذا تنوعت البحور مع الاخلاص للتفاعيل العروضية وكثر الابتكار والتنويع فى القافية واتى الشعر الفارسي فى ذلك بالعجيب مما لم يتيسر ابدا فى نطاق وحدود اللغة العربية . وقد اصبحت اوزان الشعر وبحوره المستخرجة من البحور الستة عشر تنيف على المائة . وبرزت منذ بداية الشعر الفارسي أنواع جديدة من الاشعار وهي :

الربــاعي : (ذو الاربعة اشطر) وهو ارق اقسام الشعر الفارسي واخفها وزنا ومعنى . بلغت اوزانه اربعا وعشرين وزنا مستخرجة كلها من بحر الهزج ، اما قافيته فهي متحدة فى المصراع الاول والثاني والرابع متفردة فى المصراع الثالث . على ان من الشعراء من جعل المصاريع الاربعة على قافية واحدة ، مما جوز ان تكون هذه القوافي متفقة كلها. ويشترط ان تترك نهاية الرباعية اثرا فى الذهن ورعشات فى العواطف وانتفاضة فى القلب ، لان المقصود منه هو التعبير عن خاطرة وابقاء فكرة . وقد اكتسب هذا الفن من الشعر فى القرنين الاخيرين اكبر شهرة بسبب رباعيات الخيام ، حتى اقترنت الرباعيات باسمه ، وعرف به من بين سائر الشعراء . ويتفق مع الرباعي فى المضمون والغرض وعدد الابيات وحكم القافية نوع آخر من الشعر قريب منه هو : **الـ « دوبيتي »** = الثنائي البيت (1) . ولكنه يختلف عنه فى أوزانه وقد فتح شعراء معاصرون بابا للتجديد من الدوبيتي حيث ركبوا قطعا مكونة الاجزاء من عدد الدوبيتي متصلة الموضوع ، وتصرفوا فى القافية فوحدوها تارة فى المصاريع الثانية والرابعة فقط فى سائر القطعة من دون التزام قافية فى المصاريع الاخرى ، وتارة جعلوا المصاريع الاولى والثالثة على قافية والثانية والرابعة على قافية اخرى . ومنهم من جعل للمصاريع الاولى والرابعة قافية ، وللمصاريع الثانية والثالثة قافية اخرى بهذا الشكل :

	ا		ب		ج
4 — 2		3 — 1		4 — 1	
— — —		4 — 2		3 — 2	

فكان ذلك مظهر شكل تجديدي حديث من الشعر الفارسي .

المثنــوي : وهو ضرب من الشعر مزدوج القافية فى البيت الواحد ، تتغير بتغير الابيات . ووزنه بحر الرمل مسدسا او مثمنا وفيه قيلت المواضيع الطويلة كالملاحم . واشهر منظوماته مثنوي جلال الدين الرومي فى التصوف (مثنوي معنوي) التى بلغت ابياته ستا وعشرين الف بيت ، وشاه نامة ابي القاسم الفردوسي ذات الستين الف بيت . ومثاله فى الشعر العربي قول ابي العتاهية :

حسبك مما تبتغيه القوت
ما اكثر القوت لمن يموت

الفقر فيما جاوز الكفاف
من اتقى الله رجا وخاف ..

المسمــط : وفيه يبني الشاعر منظومته على اجزاء تتفق اوائلها فى الروى وتكون اواخرها موافقة لنظائرها فى القصيدة كلها .

ومثاله قول الحريري :

خل ادكار الاربع والمعهد المرتبع
والظاعن المودع وعد عنه ودع

واندب زمانا سلفا سودت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا على القبيح الشنع

كم ليلة اودعتها مآثما ابدعتها
لشهوة أطعتها فى مرقد ومضجع (2)

وقد اختار الشاعر منوجهري فى القرن الرابع الهجري هذا النوع من الشعر وعرف به ، وقد اعطاه

---

(1) عد بعضهم الرباعي والدوبيتي نوعا واحدا ، وانما الفرق فى التسمية التى راعت فى الرباعي كونه مكونا من اربعة اشطر وفى الدوبيتي كونه مكونا من بيتين .

(2) تاريخ الادب فى ايران . ادوار براون ، ترجمة الدكتور ابراهيم امين لشواربي ج 2 ص 57 .

شكلا مميزا بان جعله يتكون من وحدات تشتمل كل منها على خمسة مصاريع متحدة القافية ومصراع سادس مخالف لقافية المصاريع الاخرى . وقد سرى مفعول هذا النوع الجديد — حسب رأي بعض النقاد — الى الشعر العربي فيما بعد ذلك اذ يقال ان المسمط هو اصل الموشح الاندلسي

الترجيع بند والتركيب بند : وهو عبارة عن تقسيم القصيدة الى قطع متساوية تتفق كلها في الوزن وتختلف في القوافي ويفصل بين كل قطعتين بيت على حدة مستقل القافية وهو البند ، فان تردد هذا البيت (بند) في سائر الاجزاء الى الاخير سمي ذلك ترجيع . وان تغير في كل مقطع سمي تركيب . ثم زاد الفرس من تنويع اقسام الشعر ، حيث اعطوا مدلولا جديدا للقصيدة التقليدية ، وفرعوا منها اقساما يعتمد تقسيمها على الشكل والمضمون ، وحددوا لكل موضوعه واوزانه وعدد ابياته فجعلوا :

القصيدة : تتكون من خمسة عشر او عشرين بيتا وقد تتعداها الى الثلاثين والخمسين بيتا ، ويجب ان تتفق كلها في وزن واحد كما يجب ان تصدر بمطلع مصرع القافية الموحدة في سائر الابيات ، وجوزوا ان يكون للقصيدة اكثر من مطلع واحد يتجدد خلالها ، وخصوا للقصيدة بالمدح واقسامه وبالموضوعات الاخلاقية والحكمية ، كما انها تناولت باقي الموضوعات الاخرى .

واستخلصوا من القصيدة قسما آخر هو :

القطعة : وتتكون القطعة من بيتين او خمسة ابيات الى اثني عشر بيتا ، متحدة الوزن متحدة القافية . وليس للقطعة مطلع .

وفصلوا الغزل عن القصيدة وجعلوا قسما قائما بذاته **فعرفوا :**

الغـــزل : بانه يتفق مع القصيدة في تقيده بالمطلع المصرع ، ولكنه نوع آخر من الشعر عدد ابياته بين السبعة والعشرة ؛ اما موضوعه فهو التغزل والتشبيب والعشق المجازي والحقيقي . وقد دأب شعراء الغزل ان يذكروا في البيت الاخير منه اسما ادبيا لهم يعرفون به « التخلص » فأصبح هذا ايضا من مختصات الغزل .

واذا اضفنا الى كل هذا تلك الحركات التجديدية التي خاضها الفرس في الشعر العربي ذاتا وروحا منذ عهود الامتزاج بين الفرس والعرب، وعلى الخصوص في العصر العباسي . تكون هذه اولى البوادر لتحرر الشعر الفارسي من القيود التقليدية التي عرفها الشعر العربي. ومع ذلك فان الاطار العام للشعر لم يتغير ، لان كل هذه الاشكال وان تنوعت وتعددت أوزانها وقوافيها فهي في الحقيقة مستخرجة من القصيدة العربية .

فالشعر الفارسي كما رأينا قد اكتسب منذ تاريخه البعيد كل المقومات الفنية من وزن خفيف ومعنى شفاف ولفظ طروب وتعبيرات متراقصة النغم ، ولذلك ارتباط متين بالشخصية الفارسية الذواقة ، ذات الطبع الفني الذي برز في فنون اليد كما برز في فنون النغم والقول . وهذا ما جعله يستجيب للمسات الخفيفة لهمسات المعاني ونفحات العواطف في الشعر الحديث .. ومن هنا عرف الشعر الفارسي طفرة كبرى وتحولا جذريا في السنوات الاخيرة ، وكان ضروري لموجات التجديد في المجتمع العربي ، وتغير معالم الثقافة ومدلول المدنية التي ظهرت ملامحها على الشعر العربي ان يسري اثرها الى اللغة الفارسية التي قام ادبها على دعامة مقومات الادب العربي كما انه كان لفعل الاتصال المباشر بالغرب وثقافته من خلال الترجمات وعن طريق الادباء الذين عرفوا حياة الغرب ولغته ، كما اشار مؤسس الحركة الجديدة في الشعر الفارسي الى ذلك بقوله : « ان اطلاعي على اللغة الاجنبية مهد طريقا جديدا لخطواتي » . كان لذلك كله الاثر الاكبر في ان يتساءل الشاعر الايراني خصوصا وهو من الفصيلة التي تكون الاوربي عن الانطلاقة التي تمكن له من التفتح أمام معطيات الفن في العصر الجديد : والتعبير عن خلجاته ، افراحه وآلامه من خلال اصباغ هذه المدنية الغربية التي بلغت ابعاد حريتها الانسان الداخلي في الشخص ، وارادت بذلك ان تراقب من الخلف حركة اجراس العواطف البشرية لتبثها على صفحة الملامح والصور وتجانس بينها في مسيرة الزمن ؛ علة يرسم الصدق ليعيشه . والصدق في التعبير وفي التفكير وفي العمل من اسس العقيدة الايرانية منذ القديم .

وقد بدأ الشعر الجديد المرحلة الاولى باستعمال معان جديدة في قالبه الجديد، ثم بدت بعض محاولات البيت والبيتين ، مختلفة في بيت ، مغايرة في البيت والبيتين ، مختلفة في بيت ، مغايرة في الباقي .

ومهما يكن من امر فقد نشأ الشعر الجديد وتربى في كنف التراث القديم فعرف كثيرا من الخصائص التي ميزتها الشعر الفارسي القديم ، واستقى من تطور الحركة الادبية والفكرية في البلاد العربية ومن المد الثقافي الاوربي . كما انه التحم بالشخصية الايرانية الآرية ولقتها فوجد الاستجابة لدعمه ولانطلاق به في السبيل الجديد .

غير انه يفقد التقاله بالشعر القديم ؛ ذلك الذي يكون عنصرا من اسباب نجاحه . فقد ابتعد عنه كثيرا في ميادين اخرى. واهم هذه الميادين هو الثقافة الاسلامية التي ظلت تصبغ الشعر الفارسي في مختلف اشكاله وجميع اطواره . ودعمت وجوده واغنت مضامينه ووسعت افقه وجعلته يعبر بعمق عن التجربة العقائدية للمجتمع الذي يحياه هذا الشعر . فقد ابتعد الشعر الجديد عن هذه الثقافة ؛ وسلخ عن هيكله حلتها ؛ فلم نعد نرى ما يموج وراء التعبير والرؤيا من الافكار المرتبطة بالعقيدة الاسلامية والجو الفكري الذي ازدهرت فيه ولكنا فوجئنا بشخصية أخرى غريبة على مجتمعها تبرز من وراء هذه المفاهيم الجديدة التي تبنتها . وبذلك تنكر الشعر الحديث لثقافة لغته وحضارة بلاده وعقائد شخصيته .

ثم هو اختلف مع الشعر القديم في الاساس ، فتباعدا في فهم المدلول الفني للشعر وتوضيح هدفه ومكانه في نفس الانسان وحياته . ويبدو ذلك بوضوح في تعريفين للشعر الفارسي قديمه وحديثه :

جاء في كتاب جهار مقالة « المقالات الاربع » للنظامي العروضي السمرقندي المؤلف في القرن السادس الهجري تعريف للشعر : قال ما ترجمته : « المقالة الثانية في ماهية الشعر وصلاحية الشاعر »

« الشعر صناعة يؤلف بها الشاعر المقدمات الموهمة ، والقياسات المنتجة على وجه يجعل المعنى الصغير كبيرا والكبير صغيرا ، ويرد الحسن في زي القبيح ، ويجلو القبيح في صورة الحسن ، ويثير بالايهام القوى الغضبية والشهوانية : فيحدث بهذا الايهام انقباض وانبساط للطباع ، وتنشأ في العالم الامور العظام » (1)

ولا اريد ان اقف عند هذا التعريف ، فالشعر عنده صناعة وليس بيانا ؛ واعذبه — كما قيل — اكذبه .

اما التعريف الثاني فهو قطعة من نماذج الشعر الحديث لشاعر المعاصر نادر نادربور عنوانها « تصميم الشعر » يقول ما ترجمته :

يا حورية حديقة خيالي العارية
انت اكثر بياضا من الصفصاف واكثر جاذبية
فاياك ان تنفشي تصميم قامتك في الهواء عبثا
فانت معروفة لدى اكثر من كل الناس
لقد ازحت، اناء، الستار عن ربيع وجهك
وسلخت جثتك البيضاء يا شجرة الصفصاف
بمخالبي الوحشية

لان الصفصاف المسلوخ جديد طري
اكثر شفافية من الماء وابرد من المرمر
اني رايت ان سمك شفاهك الحمراء
يتنزه في ماء تجاعيد جبينك
ووراء اسماك شفتك برق الضحكات
المليئة بالحنان كشمس صباح الخريف
فحينا ترين في اذرعي ابتلال الغمام من الحرارة
التي اخفيتها في جسدك

وحينا تخلقين في دموعي من ابتسامتك لون قوس
الفرح والحزن
يا حورية حديقة خيالي العارية
ملئت منك كاس شعري الزلال

هذه هي الهيئة التي ينشدها الشاعر الحديث في شعره ، فالى اي حد تم له ما اراد منها ؟

لقد اطلق على هذا النوع من الشعر في ايران « شعرنو = الشعر الجديد » و « شعر آزاد » وسمي شعراؤه « نوبردازان = المجددون » . وقد بدا بداية فردية موفقة كل التوفيق في اوائل الربع الثاني من القرن العشرين وكان بانيها ودعامة اسسها هو الشاعر نيمايوشيج ، فاليه ينتسب الشعر الحديث واوزانه الجديدة . وتبدو في الملاحظات التي ذكرها هذا الشاعر عن اقدامه على اقتحام هذا المضمار القواعد الاولى التي كانت بداية انطلاقه والاسباب التي دفعت الشاعر الايراني المعاصر الى تغيير اتجاهه في سبك القول . يقول :

« كان الوزن حسب الاصول الكلاسيكية رتيبا ؛ وكان يوضع مناسبا للالحان الموسيقية . وان

---

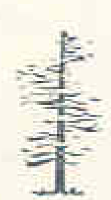
(1) جهار مقاله (المقالات الاربع) ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب . مصر 1949 .

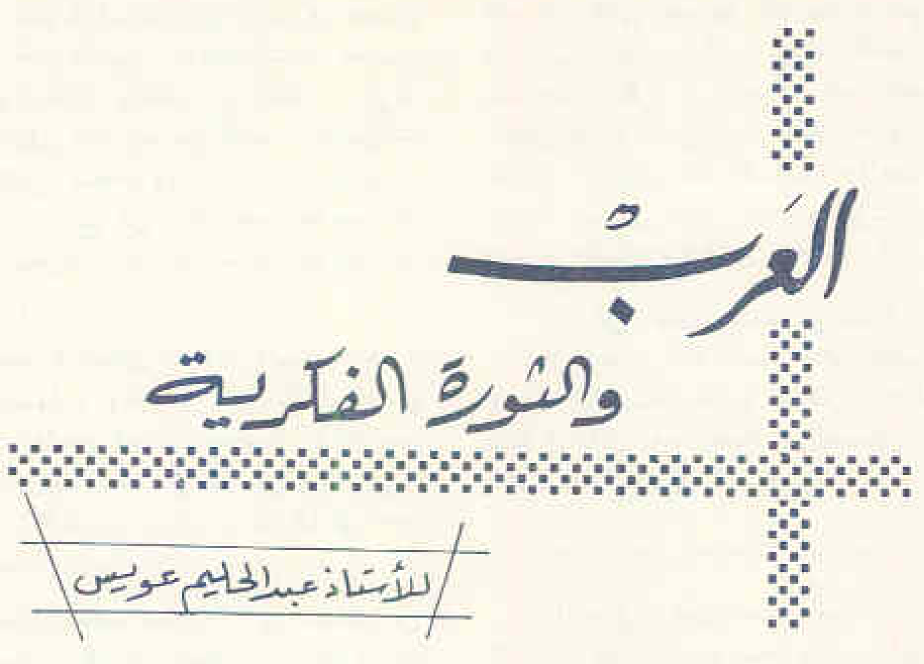
محاولاتي في هذه السنين الاخيرة هي ان افصل الوزن عن القيد تبعا للالقاء Déclamation الطبيعي ، وان اوجده حسب معاني الشعر وموضوعاته المختلفة ، وهذا ايضا نوع من انواع الشعر . **فاساس هذه الاوزان هي البحور العروضية بذاتها** غير اني لا اريد ان تتحكم البحور العروضية فينا ، يجب ان نتحكم في البحور العروضية تبعا لحالات وعواطف نفوسنا المتفاوتة. ان قصر المصاريع وطولها ليس عشوائيا ، انه في الحقيقة تجسس ؛ تجسس لباس انسب لمفاهيم شعرية ان الفن هو ان نعطي كل قطعة وزنا مناسبا بحيث تتحول الى جاذبية في الاذن ــ عندما يتوفر الالقاء ــ بواسطة طول المصاريع وقصرها . »

فالوزن هو العلة الاولى . وان مما زاد من حدة هذه المسالة هو ان الاوزان الخليلية تكون معضلة بالنسبة للغة الفارسية ؛ وان هناك مفارقات لم يتمكن حتى الشعر القديم من تحملها ابدا ؛ وذلك مما دعي الى التفكير في ايجاد ميزان جديد لهذا الشعر .

ــ يتبع ــ

فاس ــ الدكتور عبد اللطيف السعداني





ينطلق صاحب هذا البحث من ايمان مطلق بانحطاط النعرات الجنسية التعصبية ، لكن صاحب هذا البحث يؤمن ايمانا كاملا بان دورا هاما ينتظر ما يعرف بالامة العربية ، ويؤمن بان اية حركة احياء للحضارة الاسلامية تتجاهل الامة العربية هي حركة مبتورة تفتقد ابرز اسلحتها .. هي قضية منطقية اثبت التاريخ صحة نتائجها « .. فى عزة الاسلام عزة للعرب وعند سقوط العرب لا يبقى لهم من طريق نجاة غير الاسلام حتى ولو حمل الراية الاسلامية مسلم كردي او مسلم تتري » .. فقط ان تنجح هذه القيادة فى لم شعث الامة العربية ، لكن هذه الامة العربية فى تاريخها الحديث امة تائهة بيقين .. امة مغزوة فكريا وعسكريا واقتصاديا .. منطقة فراغ يتسابق عليها كل شذاذ الآفاق فى الارض .. امة تحتل اقل درجات السلم الحضاري وهي مكبلة لا تستطيع عنه حولا .. فكيف لهذه الامة التى كانت قائدة الارض والتى صارت هوانا على التاريخ ان تعود من جديد ـ امام افلاس الحضارات المعاصرة ـ لتقود ركب البشرية الى الطريق القويم ؟

هل تحتاج هذه الامة الى ثورة علمية؟ .. نعم

هل تحتاج هذه الامة الى ثورة اقتصادية؟ .. نعم

هل تحتاج هذه الامة الى ثورة سياسية ؟.. نعم

... لكن قبل ذلك وبعده تحتاج هذه الامة الى (ثورة فكرية) تحدد بها ابعادها التاريخية واستشراقاتها المستقبلية .. نعم تحتاج هذه الامة الى (ثورة فكرية) تستعيد بها بناء كيان الفرد الحضاري الذى تهدم وبناء الكيان الاجتماعي الذى اصبح لبنات متناثرة لا تنسجم كل منها مع الاخرى ...

ثلاث عشرة سنة كان لابد من ان يقضيها الرسول فى مكة يبني بها الانسان العقائدي .. حتى اذا ما انتقل الرسول الى مرحلة « بناء الدولة » فى المدينة التحمت اللبنات الاسلامية المعدة عقائديا فى اروع واسرع عملية التحام او « اخاء » عرفها التاريخ ..

من غير مرحلة بناء الانسان العقائدي لا يمكن ان تبدأ الامة العربية مسيرتها التاريخية وهذا يتطلب تحديدا جديدا لمصطلح « الثورية » و « الانسان الثوري » .. كما يتطلب نظرة جديدة الى «الفرد» والى «العلاقة» التى تربطه بالمجتمع .. ان هناك فرقا كبيرا يلزم ايضاحه هنا بين الاعداد للانتصار فى معركة وبين الاعداد لبناء امة ، وربما اندفعت الجماهير تحت راية كلمات حماسية نحو عمل مؤقت، لكن ارساء دعائم حضارة يحتاج الى تغيير فى النفسية من الداخل لكي تنمو البذور الحضارية فى مناخ سليم ولكي تطرد عملية الاثراء وتزدهر ..

لقد حاولت حكومة امريكا منع الخمر فى غضون العشرينات من هذا القرن واستعملت جميع الوسائل المدنية والدعائية وانفقت فى ذلك ما يزيد على 250 مليون دولار ونشرت من الكتب والنشرات ما يزيد على 10 بلايين صفحة واعدمت مئات وسجنت عشرات الالوف .. ومع كل ذلك فقد فشلت كل هذه المحاولات واضطرت الحكومة سنة 1933 الى سحب القانون ...

وبالطبع فالخمر، احدى سمات المدنية الحديثة واحدى عوامل هدمها . وحقيقة فان التفوق المادي والعلمي يستر كثيرا من اعمال السقوط الاخلاقي ويبطيء مفعولها فى انهيار المجتمع الاوربي والامريكي. لكنها ــ فى النهاية ــ لابد من ان تؤدي دورها فى هدم هذه الحضارة المنحلة ...

اطرح الى جانب هذه الصورة التى حدثت فى القرن العشرين والتى فشلت فيها ارقى حكومات المدنية الحديثة .. صورة اخرى حدثت فى غضون القرن الاول للهجرة (القرن السابع الميلادي) حين نزل القرار الاخير بتحريم الخمر كلية « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون ؟ »

.. فدوت فى ارجاء المدينة اصداء كلمات الصحابة « انتهينا يارب » ولقد نزل التحريم وان الكؤوس لتقترب من شفاه بعضهم فحال امر الله بينهم وبينها فسالت بها طرقات المدينة وكسروا بايديهم دنان الخمر .. نعم سالت طرقات المدينة بالخمر وانتهى المسلمون عنها دون 10 بلايين صفحة و 250 مليون دولار واعدام المئات وسجن عشرات الالوف ..

اي منهج اذن يليق بالامة العربية ..؟ لا شك فى ان الامة العربية والامة الاسلامية قد جربت الطريق الجزئي فى الاصلاح .. وبالطبع لا مراء فى ان الفشل كان خاتمة المطاف فى كثير من الاصلاحات الجزئية التى قامت بها ... ولا مراء فى ان طريقا واحدا لا يزال هو الاقدر على بناء حضارة ..

لندع الخمر ــ الزنى ــ السرقة ــ البطالة ــ الرشوة ــ البخل والاسراف ــ الانانية ــ الجهل والامية ــ الفقر والركود والتخلف .. لندع عشرات الامراض التى تعج بها المجتمعات العربية والاسلامية ونسأل : كم من السنوات والامكانات والجهود يحتاجها اصلاح كل عيب من هذه العيوب؟ لكن عندما ننطلق من « ايديولوجية اسلامية ثورية » فسوف لا نحتاج الى كل هذه الامكانات والجهود والسنوات . وفقط سنبني فردا ومجتمعا يرسم بعرقه ودمه صورة حضارة مادية روحية جديدة ..

الرجل الذى سمع الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » فتاقف ولم يملك نفسه ان قال : « فكيف انصره ظالما » فقال عليه الصلاة والسلام : « تمنعه من الظلم فهذا نصرك اياه »

هذا رجل اشتعلت فى اعماقه «ثورة فكرية»!!

الاعرابي الذى اسلم فلما كانت خيبر قسم له الرسول من المال فرفضه وذهب الى الرسول يقول له : ما هذا ؟ قال الرسول : قسم قسمته لك ...

قال : ما على هذا اتبعتك ولكن اتبعتك على ان ارمى ها هنا (واشار الى حلقه بسهم) فاموت فادخل الجنة

هذا رجل اشتعلت فى اعماقه « ثورة فكرية »!!!

« ماعز » الذى ذهب الى الرسول ثلاث مرات يطلب الموت لانه زنى

هذا كذلك اشتعلت فى اعماقه « ثورة فكرية » !!

الرجل الذى قال لعمر وهو على المنبر « لا سمع ولا طاعة »

هذا ايضا تشتعل فى اعماقه « ثورة فكرية »

« ربعي بن عامر » الذى داس بفرسه طرف بساط رستم ثم نزل وربط فرسه ببعض الوسائد ورفض ان يضع سلاحه امام رستم ودوت كلماته فى وجه رستم : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام »

ربعي كذلك اشتعلت فى اعماقه « ثورة فكرية » !!

ومرة ثانية : اي قالب حضاري اجدر بالامة العربية والاسلامية ؟ وايها كذلك مضمون الفعالية والتاثير متفق مع ظروفها التاريخية ووضعياتها الحياتية وتعبئة الجماهير ؟

وحين نختار طريقا آخر : أين الضمانات الكفيلة بالنجاح ؟ ولماذا لم تنجح الطرق الاخرى سلفا ؟.. لربما استطاعت الطرق الاخرى ان تجد بعض الناعقين وان تجد نفسها متمركزة فى ادمغة بعض ادعياء الفكر .. لكن ابدا لم تنجح – كما اثبتت حوادث التاريخ – قشرة جديدة تريد ان تفرض نفسها على جسم هي غريبة عنه .. وابدا من كل اعماق اعمق الهزائم انطلق ضمير الامة الاسلامية يبحث عن الاسلام .. حتى المسيحيين العرب المخلصين آمنوا بان طريق العرب ليس الا طريق الاسلام وعرفوا ان الحكاية ليست حكاية دين .. وانما هي حضارة تمثلت فى الاسلام فبموت الاسلام تموت

وكان « وليم مكرم عبيد » المصري المسيحي يقول : « انا مسلم وطنا مسيحي دينا »

وتبنى المسيحيون فى لبنان قبل المسلمين احياء التراث الاسلامي وكانوا اسبق فى الحفاظ عليه من المسلمين ، وتزعم ناصف اليازجي المسيحي فكرة احياء التراث وكان هو نفسه يحفظ القرآن

ان كثيرين يخطئون اذ يحسبون ان المعركة فى العالم الآن تنحصر فى دائرة الاقتصاد والسلاح .. ابدا فالمعركة معركة حضارية . وروسيا وامريكا تعولان شعوبا كاملة الآن من اجل غزو «حضاري».. والصهيونية التى نحاربها .. هي عقيدة متعصبة طائفية .. هاجرت من ارقى بلاد العالم حيث كانت تمتلك اكثر ثروات العالم لتعيش فى بلاد بدائية متخلفة وتصنع منها – من جديد باسم العقيدة – حضارة يهودية عصرية

نعم .. ليس هناك الا حل واحد للازمة العربية الحضارية

ليس هناك الا الاسلام ..

لقد طفت على سطح الواقع العربي مناهج حياة كثيرة سطحية لكن الذين استطاعوا ان ينظروا الى الاعماق قد وجدوا المنهج الوحيد القادر على الاينعات

.. انه المنهج الذى وحد الامة العربية واخرجها من العدم الى الوجود الحقيقي .. الوجود الذى البنى على الفكر وقدرته على خلق الثورة فى جميع الابعاد وعلى مختلف المستويات .

« نحن فى حاجة الى البحث عن العناصر السليمة فى تاريخنا الطويل بما فيه من هزائم وانتصارات ، وما فيه من ايام لنا وايام علينا ، وما فيه من معتقدات كانت ملجأنا وقت الشدة وما فيه من تقاليد اتخذناها فى ظروف معينة لنستخلص من جميع ذلك القاعدة الاساسية التى انبنى عليها فكرنا .. ومن هذا الفكر الضارب فى اعماق التاريخ تنطلق ثورتنا لتفتح الآفاق الواسعة عبر الزمان والمكان اللذين تملكهما الامة العربية الحية .. الامة العربية التى بعثها القرآن فى فترة من فترات التاريخ ، والتى علينا ان نعيدها ، وان نعمل للحياة من اجلها اذا اردنا ان ننتصر فى هذه المعركة التى نخوضها اليوم ضد الصهاينة وضد الامبريالية والاستعمار ، ومن يدري ضد من نخوضها غدا ...!!

القاهرة – عبد الحليم عويس



للأستاذ محمد محمد الخطابي

من الخطأ البين الذي يقع فيه بعض الباحثين قولهم ان العربية لغة « تكاد » تصل الى ما وصلت اليه سائر اللغات الحية من تطور ورقي يسايران العصر ويعبران عنه خير تعبير ! والحقيقة ان كلمة « تكاد » هذه ـ التي أضع تحتها خطين ـ تتضمن تشنيعا ولغوا كبيرين ، **ذلك ان العربية ما كادت** تصبح وتساير .. بل هي اصبحت وسايرت فعلا ، كل متطلبات الحياة العربية على امتداد التاريخ بفضل قدرتها الهائلة التي لم تكتسبها بمنافسة منها لغيرها من اللغات الحية ، وانما هي قدرة كامنة فيها نابعة منها ، ملازمة اياها منذ كانت . لذا رأى انه من الواجب على كل « ناطق بالضاد » ان ينبذ الشعور بالنقيصة من نفسه ازاء لغته ، وأن يعرف عن يقين ـ ان لغته فوق عطف هؤلاء الذين يقولون ـ عن حسن نية او سوئها ـ ان العربية قادرة على مجاراة العصر شريطة أن يعمل أبناؤها على تطويرها .. ! ونحن نقول لهؤلاء : اي تطور يقصدون ؟ ثم متى كان الافراد هم الذين يعملون تعمدا منهم على تطوير لغة ما ؟ ! آخذين في الاعتبار ان اللغة كأي كائن حي يؤثر ويتأثر متطورا مع الزمن بشكل تلقائي دون انقطاع .

اذا كان الامر كذلك فما حاجتنا الى ما ندعو اليه باسم التعريب ؟ والاجابة : ان التعريب ليس معناه تطوير اللغة نهائيا ، فالتطور كما قلنا آنفا يخضع لمؤثرات وملابسات خارجية ، اما معنى التعريب ببساطة فهو : احلال العربية بدل لغة الاجنبي المستعمر .. ومعناه أيضا هو تتبع جميع اشكال التقدم العلمي والحضاري الذي ما عرف التاريخ يوما نظيرا له من قبل ، ولقد كانت حاجتنا الى التعريب ماسة لانه ضرورة لا مناص منها . خاصة وان الركب العربي عرف نوعا من التقهقر في القرون الاخيرة بعد ان تعرض للغزو الاجنبي الذي شل حركته زمنا غير قصير . والآن بعد أن عرفت جميع الاقطار العربية الاستقلال اصبح لزاما عليها ان تلجأ الى التعريب كضرورة قومية ومطلب حضاري لا بد ان تعمل على بلوغها ان ارادت لنفسها ولاوطانها اللحاق بالركب الذي فاتها ، والا فهي ستظل تابعة غير مكتملة النضج « حضاريا » وذلك لانها فرطت في اولى دعائم النهوض لاي امة الا وهي اللغة .. ومن هنا كانت مسالة التعريب من أولى المسائل التي ظلت تلح على جميع الاقطار العربية غداة استقلالها ، ولقد تمثلت ردود الفعل الطيبة لهذا الامر القومي الخطير في عقد اول مؤتمر عربي للتعريب بتاريخ 3 الى 7 ابريل 1961 ، وكان من نتائجه ان انبثق عنه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي وكانت « الغاية من وجوده تنسيق جهود الدول العربية في ميدان التعريب ، وتلقي وتتبع ما تنتهي اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والمترجمين ثم القيام بتنسيق ذلك كله ومقارنته وتصنيفه » .

مهمة هذا المكتب :

راينا قبل قليل أن الغاية التي من اجلها كان مكتب التعريب هي القيام بعملية « تنسيق » بين جميع ما يتلقاه من الدول العربية من بحوث العلماء والمجامع اللغوية وتتبع جميع أنواع الترجمة وغيرها، المكتب اذن يضطلع بجميع أوجه النشاط « اللغوي » فى العالم العربي ، واذا كانت مهمة « المجامع اللغوية» هي البحث والتنقيب عن المصطلحات العلمية الدقيقة التي تساير العصر ، وهي حذف كلمة وبطلان فعل اخرى أو ادخال ثالثة ، ومناقشة أسماء المسميات العصرية ، وتتبع جميع أشكال البحث العلمي فى جميع انحاء العالم ، ووضع المصطلحات المستحدثة التي تقابل المصطلح الاجنبي ، والمحافظة على سلامة اللغة والعمل على النهوض بها .. اذا كان هذا بعض من الدور الكبير الذي تقوم به المجامع اللغوية العربية فان مهمة المكتب تنصب على القيام بعملية «التنسيق» واختيار ومقارنة ثم العمل على الوصول الى صيغة موحدة لمصطلح العربي ؛ وليست هذه المهمة وقفا على « التنسيق » فقط ، وانما هي ذات اوجه عديدة، سنحاول الاشارة اليها ولو بايجاز فى النقاط التالية:

1 — تتجلى هذه المهمة فى اصداره العديد من المعاجم العلمية المختلفة فى الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء ، والفقه والقانون ، والاشغال العمومية ، والسياحة ، والطحانة ، والخبازة والفرانة ، والسيارة ، وذلك بالتعاون مع المجامع اللغوية العربية ، وقد وزعت هذه المعاجم فى حينها على الدول العربية .

كما اعد المكتب تصميما عشاريا للتعريب من اجل أعداد معجم علمي تقني ، ولقد اجتمع لديه — حتى الان — فى هذا الصدد ما ينيف عن للاثمائة الف جزازة ، وما زال عددها فى نمو بصفة مطردة .

2 وفى هذا الاطار اصدر المكتب عدة معاجم منها :

— معجم المعاني (وهو عبارة عن سلسلة معاجم صغيرة تعنى بالمصطلحات الحضارية) كمعجم السماكة والاسماك — ومعجم الاجهزة والآلات ، ومعجم أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم ، ومعجم الالعاب واللعب العربية القديمة ، ومعجم الاطعمة ، والمعجم المنزلي .

— معجم الحساب الابتدائي (فرنسي — عربي) وهو خاص بالمدارس الابتدائية صدر فى (20.000) نسخة ، سيوزع على المدارس بالمغرب ، والهيئات التعليمية فى الشرق العربي ، وكذا صدر ضمن العدد السابع من مجلة المكتب الدورية « اللسان العربي » المعجم الاحراطي المتعدد اللغات .

— معجم الاقتصاد والقانون ، ولقد صدر منه جزء واحد حتى الآن يضم الحروف (A, B, C, D)

3 — وما دمنا فى صدد الحديث عن المعاجم لا يفوتني ان اشير الى عمل كبير اعد له المكتب تصميما عشاريا الا وهو موسوعة المغرب العربي التى تعنى بالمظاهر الثقافية الاقتصادية والاجتماعية وبمختلف المجالات الحضارية الاخرى . ولقد سالني بعضهم — مرة — مستنكرا : ان لماذا موسوعة خاصة بالمغرب العربي وحسب ..؟ فجاءته الاجابة بداهة، وهي ان هذا العمل ان هو — فى الواقع — الا خطوة اولى او لبنة اولى من اجل اصدار دائرة للمعارف تشمل العالم كله ، وبالفعل لقد بادر المكتب الدائم منذ أن عرض الفكرة على جامعة الدول العربية ، الى الاعراب عن أمله فى ان يقوم كل قطر عربي بوضع موسوعة اقليمية او مشتركة حتى يتم — بعد ذلك — ادماجها نهائيا فى دائرة المعارف العربية الكبرى ، ولقد قطع المكتب فى هذا المشروع — خطواته الاولى وذلك باعداده القسم الاول منها والذى يحتوي على الاعلام الحضارية والبشرية للمغرب العربي .

4 — من نشاطات المكتب :

وتجدر الاشارة ايضا الى ان المكتب يقوم بنشاطات عديدة فى مختلف الميادين وذلك مثلا كتنظيمه للاستفتاءات ، كالاستفتاء الذى نظمه حول صلاحية اللغة العربية للتعليم العالي ، والاستفتاء حول ارتباط لغة القرآن بالاسلام .. الخ .

وبالاضافة الى ما سبق نظم المكتب حملة على صعيد الوطن العربي ضد الدخيل الاجنبي فى اللغة العربية ، ولقد اصدر بالنسبة لاقطار المغرب العربي معجما صغيرا بعنوان « قل ولا تقل » (يحتوي على الف كلمة) ولقد كان محل اهتمام بالغ من لدن اجهزة الاعلام فى اقطار المغرب العربي ، وفى هذا المعجم يجد الطالب والدارس والمدرس والتاجر والبائع .. الخ . كل ما يشبه عن لوك الفاظ اجنبية

دخيلة غريبة عنه وعن لغته ، الشيء الذي يشوه من نطقه ويجعله في حال هو ليس فيها بعربي ولا باجنبي .. وانني أتساءل لماذا لا تاخذ الصحافة واجهزة الاعلام الاخرى المسموعة والمرئية على عاتقها مهمة نشر هذه الكلمات الصحيحة بدل الالفاظ الدخيلة التي طغى سيلها على جميع مرافق حياتنا العامة والخاصة ..؟

ومن نشاطات المكتب ايضا مشاركته في عدة مؤتمرات عربية كبرى مثل معرض طرابلس سنة 1963 واشرافه بجانب الجامعة العربية على المؤتمر الثاني للمصطلحات العربية بالجزائر سنة 1964 ؛ وكذلك في تنظيمه لسلسلة من المهرجانات ، كأسبوع التعريب بالمغرب سنة 1964 ؛ وعدة مواسم ثقافية من محاضرات ومعارض وغيرها ، قصد التعريف بجهود الدول العربية في حقل التعريب ، والعمل على توعية الجماهير بالعناية باللغة العربية ، وخاصة في المغرب العربي الذي هو في حاجة ماسة اكثر من غيره الى التوعية والتعريب .

ورغبة في فتح مجالات اوسع للثقافة وجعلها في متناول الجميع ، انشا المكتب مكتبة في شارع المرابطين (بالرباط) وتحتوي هذه المكتبة على كتب عديدة ومجلات علمية وثقافية هي في متناول كل من يرغب في الاطلاع عليها من اساتذة وباحثين وطلاب علم .

ومن اجل توسيع شبكة البحوث في ميدان التعريب والثقافة العربية قرر المكتب تنظيم مسابقة سنوية تمنح فيها جوائز هامة (على ان تنظم مسابقة كل سنة باسم دولة عربية) ولقد كانت جائزة هذا العام باسم المغرب .

5 ـ « اللسان العربي » :

وهي مجلة دورية تعنى بمختلف الدراسات اللغوية والعلمية والادبية ، وكذا بمختلف نشاطات المكتب والمجامع ، والجمعيات والشخصيات العلمية في الوطن العربي ، ويشترك فيها غير قليل من جهابذة القلم في العالم العربي والاسلامي . ولقد صدر منها سبعة اعداد في مجلدات ضخمة ، والمكتب عاكف الآن على مراجعة العدد الثامن منها (في ثلاثة اجزاء) الذي سيصدر في طبعة دولية .

6 ـ ومن مشاريع المكتب سنة 70 ـ 71 القيام بعملية تنسيق لعدة معاجم بتكليف من جامعة الدول العربية . كمعجم الرياضيات ، ومعجم الكيمياء ، ومعجم الطبيعة (الفيزياء) ومعجم الحيوان ، ومعجم الجيولوجيا ، ومعجم النبات ، ومن مشاريعه ايضا سنة 1971 (بخلاف اصداره لمجلة اللسان العربية في طبعة دولية) سيعمل على استمرار اصدار سلسلة معجم المعاني ، ثم معجم اللافتات والاشهار التجاري والصناعي ، معجم الاقتصاد والقانون (الجزء الثاني) ، معجم الرياضيات ، والمعجم الاخراطي او (الطبوغرافي) ، ومعجم الاعلام الحضارية والبشرية للمغرب العربي ـ كمدخل لموسوعة المغرب العربي ، فمعجم المصطلحات العلمية للطور الاول من التعليم الابتدائي ، بالاضافة الى مشاريع اخرى عديدة .

الرباط ـ محمد محمد الخطابي

مشهد من "شاهنامة" الفردوسي

تعريب وتقديم
الأستاذ محمد عبد الصاحب دفعة

يعتبر الفردوسي،ابو القاسم :«329 – 411هـ، 933 – 1020 م » (1) اعظم رواد الشعر الحماسي الفارسي ، وتعتبر الشاهنامة التي نظم فيها تاريخ وامجاد واساطير الفرس ، منذ فجر تاريخهم ، اعظم ملحمة كتبها شاعر شرقي ، واضخم ما ظهر في العصر الوسيط من ملاحم في العالم .

بدا الفردوسي نظم ملحمته العظيمة ، التي تقع في حوالي ستين الف بيت من الشعر ، في العهد الساماني ، وانتهى من نظمها في العهد الغزنوي ، ايام السلطان محمود . واستغرق نظمها حوالي خمسة وعشرين عاما (2) .

ولا نزعم اننا سنحيط في هذه العجالة بشاهنامة الفردوسي او بشخصيته بحثا وتحليلا . وانما نجد اننا مضطرون الى سوق حديث جد مقتضب عن الملحمة وصاحبها . عن موضوعها والبواعث التي حفزت الشاعر على نظمها . وهدفنا من ذلك يقتصر على تحديد الاطار الخاص بالمشهد الذي ننقله . فما هو الباعث الاساسي الذي وجه الفردوسي الى نظم ملحمته ؟ وما هو موضوع هذه الملحمة وما المادة التي استغلها فيها ؟ وما هي الغاية التي كان الشاعر يرمي اليها وراء عمله الضخم ؟

اما عن الموضوع فهو تاريخ الفرس ، قديمه وحديثه . واما اعداده فهي الاحداث التاريخية الفارسية منذ اقدم العصور الى العهد الغزنوي في القرن الرابع الهجري . بالاضافة الى كل رصيد الفرس من الاساطير والاخبار الميثولوجية .

اما الباعث والهدف ؛ فارى أن من اللازم للاجابة عن السؤالين ان نربط هذه الاجابة بالاحداث التاريخية ، والحالة الاجتماعية والسياسية التي عايشها الشاعر .

فقد بدا الفردوسي نظم ملحمته في العهد الساماني ، وهو عهد افلح فيه الفرس في احياء مجد

1) اعتمدنا في هذه العجالة على الموسوعة العربية الميسرة . وعلى كتاب « الادب الفارسي » تاليف الدكتور محمد محمدي . استاذ الادب العربي بجامعة طهران . وخاصة الفصل الخاص بالفردوسي (من صفحة 214 الى صفحة 228) وهو اصلا محاضرة القاها الدكتور علي اكبر فياض عميد كلية الاداب بجامعة مشهد . وذلك في جامعة القاهرة .
واخيرا على المحاضرة التي القاها الدكتور عبد اللطيف السعداني بكلية الاداب .

2) من غريب الصدفة ان المستشرق الالماني نودلكه استغرق خمسا وعشرين سنة في نقل الشاهنامة الى اللغة الالمانية . (محاضرة الدكتور السعداني) .

امتهم ، فحققوا الاستقلال في الحكم ، وبعثوا الشخصية الفارسية بان ارتدوا الى اللغة الفارسية كلغة رسمية في شؤون الادارة والفكر والفن كلها ، وهو حلم ظل يراودهم منذ الفتح الاسلامي . ولكنهم غلبوا على امرهم طيلة عصور ازدهار الحكم العربي ، سواء تحت الامويين أو العباسيين . وليس يخاف ما خاض الفرس من معارك عرقية ، مستقلين في ذلك جميع مناحي النشاط الفكري والحضاري ، في المنافحة عن حضارتهم العريقة ، والافتخار باصالتها ، وهو امر حفظته لنا كتب الادب والتاريخ والسير في كلتا اللغتين ، العربية والفارسية . تحت اسم « الشعوبية » وقد كان السامانيون من أشد الفرس تعصبا لعرقهم وحضارتهم ولغتهم لدرجة ان جدهم سامان ظل يحتفظ بديانته الفارسية في ظل الاسلام ، حتى وهو عامل على بلخ من طرف « اسد بن عبد الله القشري » امير خراسان في العهد الاموي المتأخر ، ولم يسلم الا على يد المأمون العباسي منذ ما كان واليا لابيه على خراسان .

عن هذا الرجل تنحدر الاسرة السامانية التي استجدت مجد الفرس واستحيت لغتهم ، وبعثت شخصيتهم ، فانبعث معها تحمسهم واعتزازهم واحتدت عصبيتهم . فكان طبيعيا أن يبدأ الفردوسي نظم ملحمته في ظل هذه الدولة ، تمشيا مع الحماس المتهيج في امته ، وسعيا منه في الاسهام في بناء مجد اجداده انطلاقا من تذكير احفادهم بهم ، فخلد هذه الامجاد في هالة من التقديس والاجلال ، التحمت فيها الحقيقة التاريخية بالاساطير الميثولوجية عبر اربعة آلاف سنة من تاريخ الفرس . ولعل غزارة المادة التاريخية ، وغنى الميثولوجيا الفارسية ، قد تضافرت مع عبقرية الشاعر وقدرته على التعبير ، وتضافر معها ايمانه الحار بعظمة امته ، وشعوره بانه يؤدي بنظم ملحمته واجبا وطنيا نحو امته التي بخستها « العنصرية » العربية حقوقها ، وحاولت « طمس » معالمها حينما « استعمرت » العربية ادارتهم وحضارتهم وفكرهم .

اصل من هذا الى أن ابرز حافز للفردوسي كان « شعوبيته » (3) . وقد انتبه القدامى انفسهم لهذا مضوا على ان الفردوسي « نظم ملحمته في ستين الف بيت ، وتحرى فيها الا يذكر لفظا من اصل عربي » .

هذا بالرغم من أن بعض الباحثين ينفون هذه الغاية عن الفردوسي ، وينصون على أن الفاظا كثيرة من اصل عربي قد تسربت الى نص الشاهنامة . ويقررون ان غاية الفردوسي من عمله الضخم كانت هي الجائزة التي كان يقدر ان تكون كبيرة تسمح له بتجهيز ابنته (الوحيدة) واذا كان معنى (تجهيز ابنته الوحيدة) اعداد جهاز عرسها فان سؤالين اثنين يلحان علي : كم كان عمر الفتاة عندما فكر الاب في تجهيزها وبدأ ينظم ؟ وكم يصير عمرها بعد أن يقضي الشاعر خمسة وعشرين سنة في النظم ؟

— * —

كان امل الفردوسي ان يرفع ملحمته الى الملك الساماني ، المعتز بفارسيته والمتعصب بها . لكن الاسرة السامانية سقطت ، وخلفتها الاسرة الغزنوية ، قبل ان يتم الشاعر ملحمته . والاسرة الغزنوية من اصل غير فارسي ، ومحمود (4) الغزنوي لم يكن يهتم كثيرا الشعر . بالاضافة الى ان الحسدة حقروا عمل الفردوسي عنده ، واوغروا قلبه عليه بان ذكروه بتشيعه ورافضيته ، فلم ينل الفردوسي الا 20 الف درهم جزاء عمله الضخم . واحتدمت مراره الخفية في صدره « فدخل حماما وشرب فقاعا ثم قسم الدراهم بين الحمامي والفقاعي » وفر خوفا من بطش محمود الغزنوي . على ان محمودا ندم فيما بعد ، واراد ان يجازي الشاعر العظيم . فبعث اليه بستين الف دينار . « دينار عن كل بيت » . لكن الجائزة لم تصل الى الشاعر ، فقد دخلت هي من بوابة ، وجنازته تخرج من بوابة اخرى » . ودفن الفردوسي خارج مدينة طوس . حيث توفي . وقد امتنعت ابنته عن قبول جائزة ابيها فانشىء بها « رباط » بين مرو ونيسابور حسب ما ترويه بعض المصادر .

— * —

هذه عجالة عن « شاهنامة » الفردوسي لم يكن منها بد لوضع المشهد الذي نحن بصدده في اطاره .

3) راي خاص في باعث (الشاهنامة) وربما كان مغامرة ، لكن النصوص التي وقفت عليها تؤيده .

4) اليه رفع الفردوسي « الشاهنامة » لكن ضآلة المكافأة جعلته يهجوه بمائة بيت من الشعر لكن « شهريار » ملك طبرستان اقنعه بمحو الهجاء وتنبأ له بأن السلطان محمودا سوف يندم ويجازيه . الجزاء الذي يستحقه .

والمشهد هو خاتمة القصة المشهورة تحت عنـــوان « قصة رستم وسهراب » .

وتتلخص القصة في ان « رستم » بطل فارسي له قيمة في تاريخ الدولة الساسانية ، ينحدر اصله من ساسان . وابوه « درزال » ايضا كان من الابطال المرموقيـن .

خرج « رستم » يريد الصيد فاضاع حصانـه وظل يتعقب اثره الى أن صار الى مدينة تركية على حدود إيران ، نزل ضيفا على مالكها . وكانت لهـذا الملك ابنة معجبة ببطولة « رستم » وشجاعتـــه . فتعلقت به ، وسعت اليه ، فتزوجها خفية . ثم رحل الى بلده بعد ان عثر على فرسه .

ومضت الايام فوضعت الاميرة التركية طفلها « سهراب » ثمرة لقائها مع « رستم » . وورث الابن بطولة وشجاعة أبيه ، فما أن اكتمل عوده حتى اخذ يحارب الملوك بحثا عن ابيه الذي افاضـت أمـه في وصف بطولته . وكان ملك إيران اول ملك يقصـد « سهراب » الى منازلته . وغرضه البحث عن ابيه في إيران . ويسمع ملك ايران بغزو « سهراب » لاراضيه فيكلف « رستم » بامارة جيش لرد الهجوم .

ويلتقي البطلان ، كل منهما يجهل حقيقة الاخر . وينسى سهراب أن يظهر العلامة التي أعطته امه اياها كوسيلة ليتعرف « رستم » بواسطتها على ولده .

ويتقابل البطلان يومين دون أن ينهزم أي منهما، وفي اليوم الثالث يقترح (سهراب) الصلـح ، لكـن (رستم) يرفض . ويستانف القتال فينهزم (رستم)، لكن (سهراب) يتردد في قتله ، ويفلت (رستم) بحيله . وفي كرة ثانية ينهزم (سهراب) فيشـق رستم صدر ابنه بخنجره .

هذا ملخص القصة ، والمشهد الذي نعربه هو المشهد الاخير ، خاتمة القصة حيـن تنقل جثـة (سهراب) وعدته الى امه . وتخبر بأن قاتل ابنها هو (رستم) وليس يعلم احد غيرها أن (رستم) هو والد (سهراب) .

وقبل تقديـم المشهد احـب ان اشيـر الى ان تعريبه تم سنة 1967 ، تحت اشراف ، وبايعـاز من الدكتور عبد اللطيف السعداني ، أستاذ اللغة الفارسية في جامعة محمد الخامس :

واخبر الام : « سهراب البطل
بسيف رستم ابيـه اقتـــل »

فاعولت وقدت مـا ترتـــدي
على فقيدها ، فلـم يرشـــد

تمسح تارة دمـوع الدمـــاء
وتارة كانت تعانــي الغمـــاء

اوت على الضفيـرة الانمـــلا
واقتلعته ، شعرهـا المرســـلا

وهي تهتف : يا روحي الظمـي
اليك رأسي في الثرى والـــدم

عيناي كانتـا بكـل ممـــر
عن رستم وابني ترعان الخبـــر

ما كنت انتظر من مخبـــري :
« رستم غال ابنه بالخنجـــر »

اما اثار العطف في الوالـــد
بالقامة الفرعـاء والساعــد

كم ذقت في تربيبه من سهـــر ،
ونلت فيه كل حلو ومـــر .

ها هو ذا في دمه قد غـــرق
تلف جسمه الطهور الخـــرق

من ذا الذي يكون لي مؤنســـا
ويسعف القلب بليل الاســـى ؟

والهفـي لمقلة في الثـــرى
وملكها اغلى قصور الـــورى

يا بطلي ، نزحت ترجو ابـــاك .
فنالك القبر بعـز صبـــاك

من قبل ان يستـل من غمـده
خنجره ، صبـه في كبـــده

علامتي لـلاب لـم تنجـــل
لو انــه رآها لـم اثكـــل

اعطتك امـك دليـــل الاب
علام لم تبده ؟ .. لم اكـذب .

تقولها ، واظفـر مرسلـــه
تفترس الخد لفرط الولـــه

انينها والدم في خدهـا
أبكى جموع الناس من وجدها

وسقطت على الثرى في الم
كميت او مشتك لوث دم

واستيقظت فعاد طيف ابنها
يثير ما نهنه من حزنها

ضمت حصانه الى صدرها
والناس يعجبون من أمرها

تلثمه في الرأس والناظر
ودمها يجري على الحافر

وعانقت لباسه المكي
تخال ان على ابنها تتكي

وجمعت عدته في ركام :
قوسه والدرع واغلى حسام

وسرجه وترسه واللجام ؛
وجعلت تنطحه في احتدام

والتفعت بثوبه الازرق
فدمه عليه طهر يقي

وعاشت من بعد « سهراب » سنه
تبكيه ، ما ذاقت بليل سنه

ثم قضت ، من بعد ، من حزنها
وسمت الروح للقيا ابنها

— * —

اعطاك نوبته يوما ابوك
لا عجب اليوم اذا غيبوك

السر خلف الكون لن يظهرا
يا اعمى لا تطلبه بين الثرى

اضعت عمرك أدراج الرياح .
والسر يستحيل فيه انفتاح

فاربا بنفسك عن حب الدنى
فهي لا تساوي هذا الضنى .

محمد عبد الله بن دفعة

بين العلم والعمل

قال ميمون بن مهران : لو ان اقصركم علما عمل بما يعلم لدخل الجنة، ما منكم الا من يعلم ان الصلاة خير من تركها ، والامانة خير من الخيانة، والصدق خير من الكذب ،والوفاء بالعهد خير من نقضه ، والصلة خير من القطيعة .



عنترة بن شداد

شاعر البطولة والحب العفيف

للدكتور محمد عبده حتاملة

هو ابو المغلس عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي ، الشاعر المشهور من اهل نجد ، من فحول شعراء الطبقة الاولى ، وكانت والدته امة حبشية سوداء واسمها زبيبة . ويعتبر عنترة ثالث ثلاثة كانت امهاتهم سوداوات فلقبوا باغربة العرب والآخران هما خفاف بن ندبة والسليك بن سلكة التميمي . وكان عنترة من اشد العرب باسا واشهرهم بطولة واكرمهم يدا واعفهم حبا .

بين شداد وزبيبة :

هناك باطراف نجد على حدود بلاد الحجاز بين مكة ويثرب كانت تقطن قبائل عربية اصيلة وكانت تغزو بعضها البعض ، وهذه البقعة كانت تسمى يومئذ بارض الشربة والعلم السعدي ، وفي احدى هذه الغزوات سبى شداد زبيبة التي كانت بالرغم من سواد لونها آية في الجمال والذكاء فاحبها شداد وقربها منه فاستولدها عنترة وسرى اليه السواد من جهة امه زبيبة التي كان لها ايضا ولد من غير شداد .

عبودية عنترة :

كان شداد بن معاوية موصوفا بالحلم مشهورا بالجود معروفا بالتقدم والشجاعة محظوظا في العشيرة وكان سيد قبيلته وعميد قومه ، ولمركزه الاجتماعي بين قومه والقبائل المجاورة تنكر لعنترة ولم يعترف به ابنا له ، انفة منه ، لكونه ابن امة سوداء فكان عنده بمنزلة العبيد . ومما يدل على مكانة شداد تلك الابيات الشعرية التي رثته بها زوجته سمية فاحسنت الرثاء . قالت :

جفاني الكرى وانا في الفلق
وساعدني الدمع لما اندفق

لفقد همام مضى وانقضى
وقد زاد مني عليه القلق

فمن بعد شداد يحمي الحريم
اذا الحرب قامت وسال العرق

ومن يردع الخيل يوم الوغى
ومن يطعن الخصم وسط الحدق

ومن يكرم الضيف في ارضه
ومن للمنادي اذا ما زعق

لقد صرت من بعده في ضنى
وقلبي لاجل الفراق احترق

مركز عنترة بين قومه :

اقام عنترة زمانا يرعى الابل مع العبيد وهو يانف من ذلك ، وكان غير معتبر بين قومه ويعامل

معاملة سيئة جدا لسواد لونه ، حتى ان قومه كانت تعيره بذلك بدليل قاله :

يعيبون لوني بالسواد جهالة
واولا سواد الليل ما طلع الفجر

وان كان لوني اسودا فخصالي
بياض ومن كفي يستنزل القطر

فلما كثرت عليه الاقاويل من ذويه وعشيرته انشد متألما من البيئة التى تحيطه والعيش الذى هو فيه :

لئن اك اسودا فالمسك لوني
وما لسواد جلدي من دواء

ولكن تبعد الفحشاء عني
كبعد الارض من جو السماء

حربة عنترة :

وحدث ذات مرة ان اغارت بعض القبائل والاحياء المجاورة من طي على بني عبس وكانت منازل عبس يومئذ بارض الشربة والعلم السعدي كما اشرنا من قبل فدب الذعر فى نفوس بني عبس ، وكان العويل والصراخ في كل بيت ومكان وقتلوا انفارا من الحي وسبوا نساء وكان عنترة معتزلا عنهم فتقاعس عن المدافعة حتى جاءه والده عاريا لاهثا مخاطبا اياه قائلا :

دونك يا ولدي ما حل بنا ، نرجوك ان تكر وتنتقم من هؤلاء القوم . فاجابه عنترة : « العبد لا يحسن الكر وانما يحسن الحلب والصر » فقال له ابوه والدمع يذرف من عينيه « كر وانت حر » وما زال به حتى ثار فى وجه الغزاة وهبت فى اثره رجال عبس ولحقوا بالفئة المغيرة والتحموا وابدى عنترة فروسية الابطال الصناديد وابلى فى المعركة احسن البلاء حتى تمكن من رد الغنائم والسبايا التى كان قد غنمها هؤلاء الغزاة حينئذ اعترف والده ببنوته رسميا وطار صيته واشتهرت شجاعته بين العرب .

صفات عنترة :

كان عنترة طليق اللسان فصيح الكلام من احسن قومه شيمة واعلاهم همة واعزهم نفسا وكان مع شدة بطشه حليما كريما عفيف النفس شديد النخوة لطيف المحاضرة رقيق الشعر لا ياخذ ماخذ الجاهلية فى ضخامة الالفاظ ونفورها كما كان بصيرا باساليب الشعر وفنونه حسن التصرف فى المعاني ومحاسن الافعال .

غرامه بابنة عمه عبلة :

كان عنترة يهوى ابنة عمه عبلة بنت مالك بن قراد العبسي وقد تغنى بها وردد اسمها مرارا وتكرارا فى شعره حتى لا تكاد تخلو قصيدة له من ذكرها وكانت بدورها تبادله نفس الشعور والحب والغرام بالرغم من الصعوبات والعراقيل التى وضعها والد عبلة فى طريق الحبيبين لانه كان يانف ان تتزوج ابنته بعبد اسود ، وقد هام بها عنترة واشتد وجده منذ الصغر فقد قال وهو فى ميعة الصبا :

يا عبل مثل هواك واضعافه
عندي اذا وقع الاياس رجاء

ان كان يسعدني الزمان فانني
فى همتي لصروفه ارزاء

وكان قد خرج يوما من الحي لنجدة صديق له من بني مازن يقال له حصن بن عوف . وبعد ان ساعده مكث عنده مدة اكرمه فيها ، اعترافا منه بالجميل الذى طوقه به وعند رجوعه الى دياره بعد هذا الغياب الطويل تذكر ارض الشربة والعلم السعدي حيث كانت توجد هناك محبوبته وفلذة قلبه عبلة فانشد :

اعبلة قد زاد شوقي وما
ارى الدهر يدني الي الاحبه

وكم جهد نائبة قد لقـ
ـيت لاجلك يا بنت عمي ونكبه

فلو ان عينك يوم اللقاء
ترى موقفي زدت لي فى المحبه

وان كان جلدي يرى اسودا
فلي فى المكارم عز ورتبه

مغاضبة واسترضاء :

وكثيرا ما اغضبته عشيرته مما ادى الى بعده عنهم قاصدا منازل بني عامر حيث بقي هناك مدة

طويلة حتى اذا اغارت هوازن وجشم على ديار بني عبس وكان على هوازن يومئذ دريد بن الصمة ، ارسل قيس بن زهير وكان سيد عبس يستمد عنترة ويستنجده ، فأبى هذا وامتنع ولما عظم الخطب على قبيلة بني عبس خرجت اليه جماعة من نساء القبيلة ومن جملتهن الجمانة ابنة قيس فلما قدمن عليه طلبن منه أن يرجع الى حيه وذويه لمقاومة الخصم والا انقلعت العشيرة وتشتت شملها ، واعتذرن له بدموع سخية على ما بدر منهم في حقه وسبب غضبه ، حينئذ تحمس عنترة ونهض برفقتهن طالبا ديار أهله وقال في ذلك :

سكت فغر أعدائي السكوت
وظنوني لاهلي قد نسيت

وكيف انام عن سادات قوم
انا في فضل نعمتهم ربيت

ولي بيت علا فلك الثريا
تخر لعظم هيبته البيوت

وكانت عبلة قد اسمعته يوما كلاما يكرهه فابتعد عنها غضبانا وقال في ذلك :

الى كم أداري من تريد مذلتي
وابذل جهدي في رضاها وتغضب

هجرتك فامضي حيث شئت وجربي
من الناس غيري فاللبيب يجرب

فلا تحسبي اني على البعد نادم
ولا القلب في نار الغرام يعذب

ثم اراد ان يسترضيها فانشد :

يا عبل خلي عنك قول المفترى
واصغي الى قول المحب المخبر

يا عبل دونك كل حي فاسالي
ان كان عندك شبهة في عنتر

خطبة عبلة والفرار بها :

جاء لخطبة عبلة الناس كثيرون ومن جملتهم : روضة بن منيع السعدي وعمارة بن زياد العبسي وقد وافق والدها مالك واخوها عمرو على مصاهرة عمارة لغناه وشهرته مع العلم بأن عمارة كان رغم كثرة ابله بخيلا شحيحا بماله ، وكان يحسد عنترة ويكرهه ويقول لقومه انكم اكثرتم ذكره والله لوددت اني لقيته خاليا حتى اعلمكم انه عبد . فبلغ عنترة هذا القول فقال في ذلك :

ستعلم أينا للموت ادنى
اذا ادنيت لي الاسل الحرارا

ثم انشد معاتبا اهله وقومه :

حلمت فما عرفتم حق حلمي
ولا ذكرت عشيرتكم ودادي

ساجهل بعد هذا الحلم حتى
أريق دم الحواضر والبوادي

ثم انشد بحق ابن عمه عمرو الذي وافق على زواج عبلة بعمارة :

لقد عاديت يابن العم ليثا
شجاعا لا يمل من الطراد

فكن يا عمرو منه على حذار
ولا تملا جفونك بالرقاد

وقد فر مالك بن قراد بابنته عبلة من وجه عنترة ونزل على قيس بن مسعود سيد بني شيبان ، وهذا بدوره اكرمه واحسن اليه ولما تفقد عنترة ابنة عمه وعرف أن أباها قد فر بها انشد قائلا :

لئن غبت عن عيني يا ابنة مالك
فشخصك عندي ظاهر لعياني

ثم قال :

يا عبل ما دام الوصال لياليا
حتى دهانا بعده الهجران

ليت المنازل اخبرت مستخبرا
اين استقر باهلها الاوطان

وكان لقيس بن مسعود الشيباني ولد من الفرسان يقال له بسطام ويكنى بابي اليقظان فلما نظر

الى عبلة اعجبته ووقعت فى قلبه موقعا عظيما فخطبها من ابيها الذي وعده بزواجها على شرط ان ياتي له براس عنترة فقبل بسطام فى ذلك ونهض من وقته طالبا ديار بني عبس فالتقى بعنترة فى الطريق فهجم عليه يريد برازه وانشد يقول :

حادثات الدهر تاتي بالبدع
ترفع العبد وللحر تضع

خل عنك الحرب يا لون الدجى
واتبع الحق ودع عنك الطمع

ما ركوب الخيل نوق فى الفلا
كنت ترعاها اذا الصبح طلع

لا ولا عبلة من بعض الاما
مثلها مع مثلك الدهر جمع

فاسل عنها قد حواها سيد
سيفه لو ضرب الصخر انقطع

فلما سمع عنترة من بسطام هذا الكلام استشاط غضبا فبارزه وهو يقول :

يا ابا اليقظان اغواك الطمع
سوف تلقى فارسا لا يندفع

ان تكن تشكو لاوجاع الهوى
فانا اشفيك من هذا الوجع

بحسام كلما جردته
فى يميني كيفما مال قطع

يا بني شيبان عمي ظالم
وعليكم ظلمه اليوم رجع

— ❊ —

عند مبارزته مسحل بن طراق الكندي الذى كان خطب عبلة من ابيها عندما هرب بها من بني شيبان الى ديار كندة تقلب على خصمه وارداه قتيلا وانشد :

اسحل دون ضمك والعناق
طعان بالمثقفة الدقاق

الا فاخبر لكندة ما تراه
قريبا من قتال مع محاق

واوصهم بما تختار منهم
فما لك رجعة بعد التلاقي

مهر خيالي :

ولعدم رغبة والد عبلة بزواجها مع عنترة طلب منه مهرا لا يتصوره العقل فقصد عنترة بلاد العراق فى طلب النوق العصافيرية وانشد عند خروجه :

ابا عبل ما كنت لولا هواك
قليل الصديق كثير الاعادي

وحقك لا زال ظهر الجواد
مقيلي وسيفي ودرعي وسادي

الى ان ادوس بلاد العراق
وافني حواضرها والبوادي

وارجع والنوق موقورة
تسير الهوينا وشيبوب حاد

وبعد ان وصل الى العراق فى طلب النوق العصافيرية مهرا لعبلة ، أسر هناك فتذكر عبلة وهو فى سجن المنذر بن ماء السماء فقال :

لقد ودعتني عبلة يوم بينها
وداع يقين انني غير راجع

وناحت وقالت كيف تصبح بعدنا
اذا غبت عنا فى القفار الشواسع

وحقك لا حاولت فى الدهر سلوة
ولا غيرتني عن هواك مطامعي

فكن واثقا مني بحسن مودة
وعش ناعما فى غبطة غير جازع

فيا نسمات البان بالله خبري
عبيلة عن رحلي بأي المواضع

ويا برق بلغها الغداة تحيتي
وحي دياري فى الحمى ومضاجعي

وفى داخل السجن المعتم تذكر عبلة وانشد :

ترى علمت عبيلة ما الاقي
من الاهوال فى ارض العراق

طغاني بالريا والمكر عمي
وجار علي فى طلب الصداق

فخضت بمهجتي بحر المنايا
وسرت الى العراق بلا رفاق

وسقت النوق والرعيان وحدي
وعدت اجد من نار اشتياقي

وما ابعدت حتى نار خلفي
غبار سنابك الخيل العتاق

وما قصرت حتى كل مهري
وقصر فى السباق وفى اللحاق

نزلت عن الجواد وسقت جيشا
بسيفي مثل سوقي للنياق

وفى باقي النهار ضعفت حتى
اسرت وقد عيي عضدي وساقي

وفى شوقه وحنانه الى عبلة وهو يومئذ فى العراق ومن داخل السجن انشد قائلا :

يا عبل نار الغرام فى كبدي
ترمي فؤادي باسهم الشرر

يا عبل لولا الخيال يطرقني
قضيت ليلي بالنوح والسهر

يا عبل كم من فتنة بليت بها
وخضتها بالمهند الذكر

اداقع الحادثات فيك ولا
اطيق دفع القضاء والقدر

نصيحة والدته :

وكانت امه كثيرا ما تعنفه وتلومه على ركوب الاخطار فى الوقائع والحروب خوفا عليه من القتل فتذكر كلامها يوما وهو فى بعض المعامع فقال :

تعنفني زبيبة فى الملام
على الاقدام فى يوم الزحام

تخاف علي ان القى حمامي
بطعن الرمح او ضرب الحسام

مقال ايس تقبله كرام
ولا يرضى به غير اللئام

يخوض الشيخ فى بحر المنايا
ويرجع سالما والبحر طام

ويأتي الموت طفلا فى مهود
ويلقي حتفه قبل الفطام

فلا ترضى بمنقصة وذل
وتقنع بالقليل من الحطام

فعيشك تحت ظل العز يوما
ولا تحت المذلة الف عام

وكان قد اخذ اسيرا فى حرب وقعت بين العرب والعجم وكانت عبلة من جملة السبايا فتذكر ايامه معها وهو فى السلاسل والقيود فعظم عليه الامر وخنقته العبرة وانشد :

فخر الرجال سلاسل وقيود
وكذا النساء بخانق وعقود

فالقتل لي من بعد عبلة راحة
والعيش بعد فراقها منكود

لهفي عليك اذا بقيت سبية
تدعين عنترة وهو عنك بعيد

فسطا علي الدهر سطوة غادر
والدهر يبخل تارة ويجود

وفى احدى رحلاته مع الامير شاس بن زهير راى ذات ليلة طيف عبلة فى المنام فاستفاق حائرا مدهوشا وقال فى ذلك

زار الخيال خيال عبلة فى الكرى
لمتيم نشوان محلول العرى

عربية يهتز لين قوامها
فتخاله العشاق رمحا اسمرا

يا عبل حبك فى عظامي مع دمي
لما جرت روحي بجسمي قد جرى

يا شاس جرني من غرام قاتل
ابدا ازيد به غراما مسعرا

يا شاس لولا ان سلطان الهوى
ماضي العزيمة ما تملك عنترا

وبعد تعب مضن وجهد طويل شاء القدر ان يتزوج عنترة بعبلة ويرزق منها صناديد ابطالا منهم: غصوب وميسرة وسبيع اليمن وفي شيخوخته بلغه ان ولديه غصوبا وميسرة مع صديق له من بني عبس يقال له عروة بن الورد قد اسروا في حصن العقاب وهو مكان في اليمن فخرج يريد خلاصهم وقال في ذلك :

احرقتني نار الجوى والبعاد
بعد فقد الاوطان والاولاد

شاب راسي فصار ابيض لون
بعدما كان حالكا بالسواد

قل صبري على فراق غصوب
وهو قد كان عدتي واعتمادي

وكذا عروة وميسرة حا
مي حمانا عند اصطدام الجياد

لافكن اسرهم عن قريب
من ايادي الاعداء والحساد

موت عنترة :

مات شاعرنا العربي وخلف وراءه محبوبته وقرة عينيه عبلة . وقد عاش من العمر تسعين عاما وتوفى قتيلا قبل ظهور الاسلام بسبع سنين (615) وقاتله هو وزر بن جابر النبهاني الملقب بالاسد الرهيص وذلك ان عنترة كان قد اغار على بني نبهان فاطرد لهم طريدة وهو اذ ذاك شيخ كبير وكان وزر في قترة (1) هناك فرماه بسهم وقال خذها مني يا صنديد العرب وانا ابن سلمي فقطع صلبه فتحامل بالرمية حتى وصل الى اهله مجروحا وهو يقول :

وان ابن سلمى فاعلموا عنده دمي
وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي

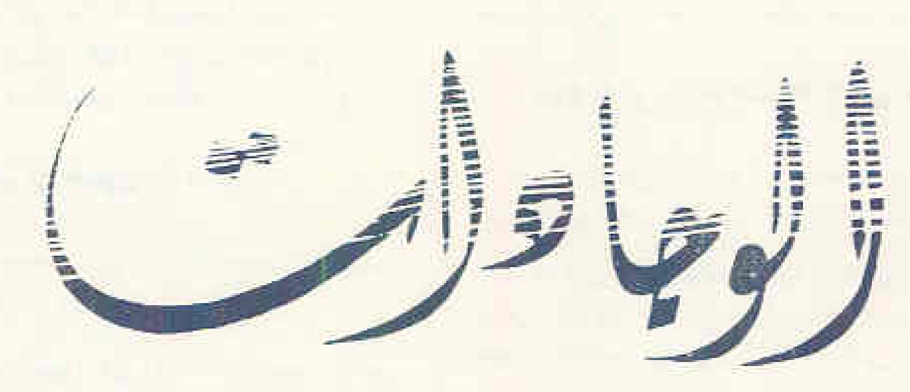
رماني ولم يدهش بازرق لهذم
عشية حلوا بين نعف ومخدم

فعاشت عبلة بعده زمنا يسيرا برفقة اولادها ، محمومة البال منحسرة الخاطر على اعز رفيق عرفته من صغرها ووهبته كل قلبها وكل ما تملك وترحمت عليه الى أن دنا اجلها ولبت داعي ربها فدفنت بالقرب منه . هكذا عاش فارسنا العربي ؛ عاش فارسا بطلا ومحبا عفيفا ومات شاعرا مجيدا .

غرناطة ـ الدكتور محمد عبده حتامله

---

(1) القترة : ما يبنيه الصائد ليختفي فيه عند صيده ، وهذا يدل على ان الشاعر العربي البطل قتل غيلة لا اقتدارا .



للأستاذ : عبد القادر زمامه

308 ـ يعلم (الآلة) بباب المدرسة ... !

وجدت في كتاب « ذكر من اشتهر أمره وانتشر ممن بعد الستين من القرن الثالث عشر .. ! » لمؤلفه الشاعر الفحل سيدي الفاطمي الصقلي ... في ترجمة سيدي عبد السلام بوغالب العلامة الشهير .. من مخطوطة خاصة ... !

« وكنا يجلس بباب مدرسة العطارين قبالتيه بعض ارباب الطرب للأخذ عنه ... ! لانه رضي الله عنه كان عارفا بالفن ...! متقنا له ...! حتى أن من اخذ عنه اللحون لا يضاهى في فنه ... »

309 ـ جامع الفناء بمراكش ... !

وجدت في كتاب (تاريخ السودان) لمؤلفه عبد الرحمن السعدي التنبكتي المطبوع بباريز سنة 1898م ص 205 .

« وقد ادركت أن الامير السلطان مولاي احمد (الذهبي) انشأ بناء الجامع ووضعه وضعا عجيبا ..! فسمي بذلك جامع الهناء ... !! ثم شغل عنه بترادف تلك المحن ولم يكمله حتى توفي .. ! فسمي :

جامع الفناء ... !! »

310 ـ باب يفتحان .. ! ويغلقان .. !

من مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب الممتعة كتاب « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » وقد جاء فيه :

« فاذا ابيضت سبلته ! وعلت سنه ! وامله العوام لتوازل دينهم . كان مثار فضيحة .. ! وجالب مضحكة .. ! فلقد كتب أحد الشيوخ ممن هذا شأنه في عقد يتضمن افتتاح باب ... ما نصه :

على ان يفتحان ... ! ـ كذا ـ

وان يغلقان ... ! ـ كذا ـ

ورد عليه بعض اصحابنا .. ! فاعاده اليه .. ! وقال لحامله : قل للفقيه :

ـ قال سيبويه تثبت النون في باب يفتحان ..! ويغلقان ... ! »

311 ـ على باب جهنم ... !!

ووجدت ايضا في كتاب : « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » :

« وقد استفقت عجوز من معارفنا كبيرا منهم . وقد حلفت بصوم العام ..! تصومه وتقومه على باب جهنم ... ! وكثيرا ما تقول النساء هذا ... ! وتحرجت المسكينة لدينها ... ! فامرها ان تصوم

وتفطر كل ليلة بباب الفرن ... ! اذ لم يوجد في هذا العالم على ما يظهر له اقرب منه الى جهنم ... ! لما عدم الادلة الشرعية . ولجا الى القياس من الفرن ..!

فكانت تحمل كل ليلة لقمة وكوزا من الماء الى باب الفرن ، فعند سماع الاذان تلوكها مدة عام ... وما زلنا نستعذب هذا العمل ونتفكه به ... !! »

312 ـ موسى بن ميمون ... !

وجدت في تفسير ابن حيان المسمى بالبحر المحيط ج 7 ص 72 :

« وكان رئيس اليهود في زمانه في مصر موسى ابن ميمون الاندلسي القرطبي قد كتب رسالته الى يهود اليمن . ان صاحبهم يظهر في سنة كذا وخمسمائة ..! وكذب عدو الله .. ! جاءت تلك السنة. وسنون بعدها كثيرة . ولم يظهر شيء مما قاله لعنه الله .

« وكان هذا اليهودي قد اظهر الاسلام . حين استسلم اليهود بعض ملوك المغرب . ! ورحل من الاندلس فيذكر انه صلى بالناس التراويح وهم على ظهر السفينة . في رمضان ! اذ كان يحفظ القرآن .

« فلما قدم مصر . وكان ذلك في دولة العبيديين .. ! وهم لا يتقيدون بشريعة ... ! رجع الى اليهودية واخبر انه كان مكرها على الاسلام .. ! فقبل منه ذلك .. ! وصنف لهم تصانيف . منهما كتاب دلالة الحائرين . وانما استفاد ما استفاد من مخالطة علماء الاندلس وتودده اليهم ... .

«والرياسة الى الان بمصر لليهود ... في كل من كان من ذريته ..! »

313 ـ وحزن بالاندلس ... !

وجدت في النص الذي نشر بحولية الجامعة التونسية من كتاب محمد بن عبد الرفيع المهاجر الاندلسي المتوفى بمكة سنة 1052 هـ ... من العدد الرابع لسنة 1967 م :

« وكان شيخنا العلامة سيدي ابراهيم الفلاري رحمه الله يقول في مجلسه مرارا حين قراءتي عليه :

« زرع العلم بمكة . ونبت بالمدينة . وحصد بمصر .. ! ودرس بالقيروان ! وحزن بالاندلس .. !! ثم يقصدني بالكلام . فيقول : انظر كيف حزن العلم ببلادك ! ولم يبق لنا الا ما يقع من الحب .. ! ثم تاخذه خشية فيبكي رحمه الله تعالى عليه » .

314 ـ يرسل « الشبكة » على حانوته ... !

وجدت في ترجمة ابن يعقوب يوسف بن علي المؤذن من كتاب (التشوف) ص 147 من طبعة الرباط

« كان ابو يعقوب عطارا بـدني .. فـاذا راى الناس تكاثروا عليه للشراء منه . وراى السوق معمورة بالناس يرسل (الشبكة) على حانوته ويقول :

ـ سبحان الله .. ! سوق الدنيا عامرة .. ! وسوق الاخرة خالية ... !

فيدع البيع والشراء ويدخل الى المسجد ويصلي فيه ما قدر له .. ! »

315 ـ طاب .. ! طاب .. !

ووجدت في ترجمة ابي الحسن العطار من (التشوف) ص 457 :

« انشدني له بعض اصحابه ابياتا في شان طائر عندهم يقول في ... كلامه ... !! طاب ... !! فسمي بذلك :

وربّ طائرة في نطقها عبر
تقول (طاب) وذاك القول لي نذر

اذا تأوله مثلي يقول انما
هو المراد وعندي ذلك الخبر

قد طاب زرعي وقد آن الحصاد له
وشاهداي بذاك الشيب والكبر

316 ـ هو الذي تمشي فيه ... !

ووجدت في ترجمة ابي الفضل ابن النحوي من التشوف ص 73 :

« ومر به رجل وهو يمشي في طرق فاس فقال لـه :

ـ اين الطريق الى سوق البقر ... !

فقال له ابو الفضل :

ــ هو الذي تمشي فيه ... !

317 ــ للوقاية من الثقلاء ... !

وجد فى كتاب (حدائق الازاهر) للقاضي ابى بكر محمد بن محمد ابن عاصم الغرناطي ص 141 :

« وكان حماد بن سلمة اذا راى من يستثقلــه قرأ الآية الكريمة من سورة الدخان : « ربنــا اكشف عنا العذاب انا مومنون »

وقال خالي الاستاذ ابو عبد الله محمد بن جزي:

وثقيــل نحــن منــه
فى عذاب وامتحـــان
قد دعونــا اذ اتانـــا
بدعاء فى ــ الدخان ــ »

318 ــ مقري آخر ... ! مجهول ... !

وجدت فى مخطوطة كتاب « قرة العيون » لابى الربيع سليمان الحوات .. بعد أن ذكر كتب الانساب التي نقل منها . قال :

« ومختصر روض التعريف فى اهــل النســب الشريف ... وكنز الاسرار ومعدن الانــوار فى آل البيت المختار ... للامام الاستــاذ المقــري ابــى العباس احمد بن محمــد بن عبــد اللــه المقـــري التلمســاني ... ! وهو غير الشيخ العلامــة الحافــظ احمد بن محمد المقري التلمساني ... ! صاحــب التآليف العديدة كنفح الطيــب وازهــار الريــاض وغيرها ... » اهـ . بنصه

وفى معجم الشيوخ ج 2 ص 136 . ان المقري المذكور مجهول ... !!

319 ــ فقيه ... ! لا يحسن اللغة ... !

وجدت فى الترجمة التي كتبها ابو العباس ابن القاضي لعبد المومن الجناتي من درة الحجال ج 2 ص 400 :

« قرئ بين يديه فى الكتــاب ... والدجــاج والاوز المخلاة وغيرها ... فقسم تقسيما حسنــا .. ثم لما فرغ من اقوال الفقهاء ... وكانه اعجب مــن نفسه .. ! قال :

ــ انظر هل يقال الدجاج ؟ او الجدد .. ؟ لان الجدد افصــح ... !! اذ هي لغــة القــرآن ... !! قال الله تعالى : « جدد بيض . وحمر مختلف الوانها وغرابيب سـود ... !! »

فضحك اهل المجلــس .. ! وكانوا ازيــد مــن اربعمائة فقيه .. ! فيهم مائة متعمم .. !

وطارت سقطته فى البلاد .. ! »

320 ــ مشيخة النساخين ... !

وجدت فى درة الحجال ج 2 ص 378 :

« عبد العزيز بن عبد الله السكتاني الكاتــب الناسخ له خطوط متعددة .. ! ولــه المشيخــة على النســاخين .. ! وهو المقدم لتعليم الخط بجامــع الشرفاء ... من مراكش المحروسة .. كمـا هـي العادة بالقاهرة وغيرها من بلاد المشرق » .

321 ــ الفحـــص ... !

وجدت فى معجم البلــدان ج 4 ص 236 مــن طبعة بيروت :

« الفحص : بفتح اوله وسكون ثانيه . وآخره صاد مهملة .. بالمغرب من ارض الاندلس مواضــع عدة تسمى الفحص ... ! وسالــت بعــض اهـــل الاندلس .. ما تعنون به ... ؟ فقال :

ــ كل موضـع يسكن سهلا كان أو جبلا ... ! بشرط ان يزرع . نسميه فحصا ... ! ثم صار علما لعدة مواضيع .. ! »

322 ــ يـــــاس ... !

وجدت فى كتاب « الزهرة » لابي بكر محمــد ابن داود الظاهري الاصفهاني المتوفى سنة 297 هـ :

« ومن جيد ما قيل فى باب التسلي عمن يئس منـــــه :

هي الشمس مسكنها فى السماء
فعز الفــؤاد عــزاء جميــــلا

فلن تستطيع اليها الصعود
ولن تستطيع اليك النزولا »

والبيتان ذكرهما كل من ابن الابار فى (التكملة) وابن القاضي فى (الجذوة) فى ترجمة الاميرة تميمة بنت يوسف بن تاشفين ... كما ذكرهما غيرهما فى ترجمتها .

وبناء على نص « الزهرة » تكون الاميرة المرابطة ... استشهدت بالبيتين .. ! وليسا من نظمها ... !

323 ـ مؤتزر يشفع فى عارية ... !!

وجدت فى مخطوطة (رياض الورد) :

« وقال ابن خاتمة يستشفع الى شيخه ابى البركات البلفيقي . فى امراة امر بسجنها بسبب دخولها الحمام غير مؤتزرة .. ! وكان امره قد خرج بالاشتداد فى ذلك :

يا قاضيا اصبح ذا سيرة
بكل عدل فى الورى سارية

سمحك فى جارية تقفت
ليست على حكم الهدى جارية

واعجب لما جار به وقتنا
مؤتزر يشفع فى عارية »

324 ـ استشهاد ... ولطف ... !

حكى بدر الدين الدماميني فى حاشيته الفريدة على كتاب المغنى لابن هشام قال :

« كنت يوما بمجلس شيخنا ابن عرفة . وذلك عند قدومه الى الاسكندرية فى شهر رمضان المعظم من سنة 792 هـ ... وانا اقرأ عليه درسا فى كتاب الحج من مختصره ... وكان شخص من الطلبة الموسومين بالتمشدق ... والاكثار بما لا يجدي حاضرا فى المجلس ... ! فمر موضع من كلام الشيخ ابن عرفة ... عاد فيه الضمير على المضاف اليه ... ! فقال ذلك الشخص :

ـ كيف اعدتم الضمير على المضاف اليه ... والنحويون بخلافه ...؟

فاجابه الشيخ ابن عرفة فورا :

ـ قال الله تعالى : « كمثل الحمار يحمل اسفارا » .... !!

قال البدر الدماميني : وفيه من اللطف ما لا يخفى ... !! »

325 ـ وكيف يصلح للكاسات عباس ... ؟

وجدت من شعر عبد السلام الزموري المتوفى سنة 1279 هـ :

« قد جاءنا الكاس يبكي وهو فى قلق
فقلت : مالك تبكي ايها الكاس

فقال لي : كيف لا ابكي وقد نصبوا
« لطبلتي » فيما يمجه الناس

وجه عبوس بلا عذر ولا سبب
وكيف يصلح للكاسات عباس ...!»

فاس : عبد القادر زمامة

ديوان المجلة

يابهجة العيد، في مغنى صبابتنا

تخليدا للذكرى العاشرة لتربع صاحب الجلالة الحسن العظيم على عرش أسلافه الخالدين

للشاعر: مفدي زكريا

اصدح بشعرك ، فالافلاك آذان ، — واعزف لشيدك ، فالاكوان الحان

واسمع لقلبك ، يطبعها بريشته — ففي تضاعيف هذا القلب أشجان

وفي حناياه ، حب فاض مندفقا — وفي الجوانح ، أشواق وتحنان

ورجع دقاته ، بحر وقافية — تسمو بها لرحاب الخلد اوزان

ومن اضالعه ، في العرش ، قائمة — يشد أسبابها بالعرش ايمان

يهفو به الوجد للاحباب في بلد — كرفرف الخلد ، بالاحرار يزدان

طارت بمهجته الذكرى ، فطار بها — بسابق الريح ، يحدوه سليمان

فأوقد الشمع (عشرا) من أنامله — يذكي شعاليلها حس ووجدان

في محفل تحسد الدنيا مباهجه — ومهرجان به ، يعتز عدنان

ويبعث المصطفى فيها تحيته — يضوع من سرها ، روح وريحان

يا سبطه ـ الحسن الثاني ـ وعترته — ومن زكا بهمو ، عدل واحسان

لك التهاني بعيد العرش ، عن ثقة — بأن عرشك للاخلاص عنوان

وان ملكك ، أخلاق ، ومجتمع — من البطولات ، للاحرار ميدان

ومن هدى الله والقرآن هيبته ... وكم سما بنظام الملك قرآن
الشعب فيه قرير العين ، مغتبط ... والناس ، فى كنف الاتفاق اخوان
والارض تزخر بالخيرات ، طافحة ... وكل شبر ، بناءات وعمران
كم عشت زحفك فى عسر وميسرة ... والنفس راضية ، والقلب جذلان
وكم تغنيت بالامجاد فى وطني ... هنا ، وللكون اصغاء واذعان
وقفت للمجد فى هذا الورى كلمي ... وللآلى شيدوه اينما كانوا
فاصبحت كلمي بالمجد شامخة ... تعنو لها فى عروش الشعر تيجان
تجثو القوافي – جليلات – على قدمي ... يحدو مواكبها للعز قحطان
بها صدقتك ، فازدادت خوالدها ... قدرا ، وكان لها سبق ورجحان
نظمت فيك اللآلي الغر مبتدعا ... ومن سجاياك ، ايضاح وتبيان
وما وصفتك الا بعد معرفة ... ما فى شهادة اهل الفضل كتمان
لو لم تكن تصنع الحسنى وتلهمها ... ما كان للوصف ابداع واتقان
كم لابن يوسف ، من آياتها عجب ... سرت به ، وبها فى الكون ركبان
كفى ابن يوسف خلدا ان وارثه ... على سجاياه آيات وبرهان
ويا سعادة شعب ، كان قائده ... يقظان ، يسنده فكر وامعان

❊ ❊ ❊

يا قمة المجد ، كم اعليتها قمما ... والعرب يحصدهم ظلم وطغيان
وبالحجى والنهى كم ظلت تجمعها ... مهما تـوزع فى الآراء اخوان
كم فى المتاهات، ضاع الرشد وانطمست ... عنا الثنايا ، وفى الاحشاء تعبان
وقبلة المسجد الاقصى مضرجة .. ... يسمى بمقدسها ، رجس وبهتان
الخزي ، فوق جبين العرب ، يغسله ... سيل الدما ... لاخلافات واضغان
والجرح يأسوه اخلاص ، وتضحية ... وليس يأسوه « يارينكو » و « ايبان »
ووحدة الصف ، ان تخلص ضمائرنا ... لن يستذل اسود العرب قطعان
وما استقام بناء العز فى وطن ... ابناؤه ، كلما عاهدتهم ، خانوا

❊ ❊ ❊

يا من رعى الوحدة الكبرى ، وآزرها ... فاخضر من عودها ، دوح واغصان
زكا (بيفران) صدق الحب، فانطلقت ... تبارك العروة الوثقى (تلمسان)
ورفرفت (بتواق الشط) اجنحة ... نشوى ، قوادمها ، فضل ورضوان
وصفقت تونس الخضراء، كم صدقت ... فيها – لوحدة هذا الصف – اذهان

خلف الحدود . خرافات، واخيلة هيهات تستأصل الارحام قضبان

وفي الجراحات والامال موعظة ان كان تجمع شمل الدار احزان

فليصنع المغرب الجبار وحدته ما دام يرعى ذمام الجار جيران

* * *

يا بهجة العيد ، في مغنى صبابتنا ويا ربوع الهوى، والعيش ريان

ويا مراعي الصبا ... هل أن سيدنا بفاس – مثلي – مشوق وولهان ؟

اعيد عرش امير المؤمنين بها ؟ ام عرش عيد .. له في فاس ايوان ؟

ان كان ذلك فلتخلد محبتنا فلن يطوف بهذا القلب سلوان !

حبي لها علوي ... كم سموت به وليس يسمو بغير الحب انسان !

قالوا : تعشقت فاسا ، وانشغلت بها عما سواها ... الم تسحرك تطوان

فقلت : لا .. والذي اصفى (لعاشقها) (حديقة) ملؤها حور وولدان

لي في مراتعها ، ذكرى مجنحة وفي مرابعها ، صحب وخلان

وكم لنا صبوات ، في مشارفها لم يفش اسرارها انس ولا جان

وفي مراكش ، كم ساجلت شاعرها حمر القوافي ، وطرف النجم وسنان

وكم ليالي حمرا .. ما التقيت بها .. مع الوقار .. وان لم يخف وجدان..

وفي الرباط .. ارتبطنا طوع مشورها فان أسواره المجد أركان

ارسى المحاسن – في اعماقها – (حسن) وصان حرمتها – في البرج – (حسان)

رايت في فاس ، كل الحسن مكتملا كأنما اتفقت عن فاس بلدان

لا لا اوزع قلبي بين ذاك وذا (فالكل) في فاس – ما في الحق نكران

* * *

يا فاس يا بهجة الوادي وفتنته بل انت من عرصات الخلد بستان

خميلة من جمال الله ساحرة كأنها لجمال الله اعلان !

كم سبح المجد من اعلى مآذنها وفي منابرها ، كم جال سحبان

وكم تدفق علم من معاهدها وكم زكا ادب فيها وعرفان

يجري نداها – كواديها – على قدر والجود في فاس ، تبتيل وقربان

(وادي الجواهر).. ام وادي الهوى عجبا كلاهما فيك فتان وهيمان

وكل ما فيك ، انغام موقعة كأن مبناك اوتار وعيدان

تخاصر النجم ، والنجم الحسود بها كما تخاصر نشوان ونشوان

والقوس غار فآلى ان ينافسها فما استطاع ، ولم تسعده الوان

وفي الفوانيس ، ذوب من كواكبها هل في السموات ، ياقوت ومرجان ؟

تغزو المجرة فى العليـا ، شمارخهـا   فينحنـي دونهـا ، صـرح وهامـان

والنهـر عربـد فى اعمـاق اسكـره   جمالها ــ فهو طول الدهـر سكـران

وفاس . كالخلد ، دار لاحساب بها   من كان فى فاس لم يفجاه حسبـان

دخلتها بـسلام ، فى حمـى ملـك ــ   وفى ذراها ــ ولي العهد ــ رضـوان

مـولاي ادريـس حيـاه وباركـه   وحفـه بجليـل اللطـف رحمـن

ان جاد فى فاس شعري ، والرشيد بها   انا (ابن ونـان) فليعتـز (ونـان)

(وابن الشمقمق) لم يكسفه (سيدنـا   سبط النبي) ولم يخصفه حرمـان !

تاجيت ملهم آياتـي ، معايـنـة   كيلا تحـد مـن الالهـام جـدران !

وهذه حسناتـي ــ جئت ابسطهـا   ان كان يوضع للقسطـاس ميـزان

حسبي ، وحسب ضميري ، انني رجل   اسمى سجاياه ، اخلاص وايمـان

الرباط ــ مفدى زكرياء

فرحة الحياة

بختان سمو ولي العهد سيدي محمد بمدينة فاس

للشاعر: مفدي زكريا

خالد الشعب ذكره فتسامى   وشدا باسمه، فراع الأناما

وتنادى الزمان، يروي السجايا   جل من ألهم الزمان الكلاما!

لست ادري؟.. الرهف السمع للدنيا، تناغيه، ام أصوغ النظاما؟!

ام أهني بعيد ذكراه شعبا   ام احيي به المليك الهماما

ام اناجي – وآل يوسف – ادريس؟! وارعى مع الدمام الذماما؟

ايه يا فاس. يا حكاية حبي   اقرئيه – يا فاس – عني السلاما

واذكري عهد من بني الدار يا د   ار، ومن بعده اقر النظاما

واغمري بالجمال – يا جارة الوا   دي – جلالا على ذراك اقاما

واستوى، يستمد من ظل عرش   علوي. بقاءه والدواما

ماجد اثر ماجد، وعظيم   من عظيم، تناسقا وانسجاما

ونفوس، تغالب القدر العاتي، ولم تدر في الحياة انهزاما

وبطولات مغرب عربي   صارعته الدنا... فلم يحن هاما

واميرو للمؤمنين جليل   شاءه الغيب، ان يكون اماما

وولي للعهد ينمو كما تنمو الاماني: انطلاقة واعتزاما

باركوا حفله – على سنة الله. فمنها ارتوى، وفيها استقاما

ولته فاس – عابقات رباها   راقصات ورودها والخزامى

ذائبات، فيها النجوم سلافا   لملات بها، اكف الندامى

اترعت كاسها خدود العذارى   فانتشينا – وما شربنا المداما

لجة من صبابة – لو رءاها   (عمر) بث في ذراها الخياما

فاس ... يا بسمة الاله على الا رض، اغمري الحفل نضرة وابتساما

واسكبي من جمال ربك في قلبي ... اكن بين ذا وذاك قواما

انا لولا الجمال ، ما صح ديني لا ولا كنت شاعرا مستهاما

والاله الجميل قدر قلبي للتصابي ، فراشة تترامى

اعذروني ــ ان شئتمو ، او فلوموا انا في الحب ، استلذ الملاما

انت ــ يا فاس ــ جنة في جحيم كلما زرت فاس ، زدت ضراما

كان فيك المقام ، نارا وبردا وعذاب الغرام كان غراما

ما احتيالي ، من العيون اللواتي سلبتني الوقار والاحتشاما

ماكرات ، تعلم السحر هاروت ، وتفتك من يديه الزماما

فاترات ، نواعس ، هدهدتنا وابى كبرياؤها أن نناما

وقدود ، تذوب فيها الجلابيب ، وتوحي للخيزران القواما

لست ادري ، هل الحمام ابتلاها بالتثني ، أم علمته الحماما ؟

كل شيء بفاس ، يبدع من الخلق ، فحلوا مجنحين كراما

واجعلوا في الهوى (محمد) مثلي كلما قيل : هذه فاس ... هاما

ختنوه بفاس ــ يتظر له الله ، ويحرس شبابه والمقاما

ختنوه ، وليشهد الحفل ادريس ، ويكبر في اصفريه الفطاما

ضمدوا جرحه الطهور بفاس أي جرح ، لم يلق فيها التئاما ؟

حدثته (المدى) بطول مداه ولكم كانت الكلام كلاما

ان من يعرف الجراح صبيا يتق الله في دموع اليتامى

والذي يحقر (المدى) وهو طفل ليس يخشى ــ مدى الزمان الحساما

والذي آلمته دنياه شبلا من سواه يخفف الآلاما ؟

احسنوا صنعه ، يكن كابيه ناصع الروح ، عبقريا عصاما

وايصنه جلالة الحسن الثاني ، يحقق رجاءه والمراما

مفدي زكرياء



شع فى الكون عيدكم واضاء واشاق الدنى فراقت بهاء
وتهادت عرائس الروض فى شوق تحاياه ، فرحة وازدهاء
والربيع الضحوك دغدغ اغصان الدوالي، وغازل الانداء
واشاق النهير شدو الحساسين ، فناجى خريره الاحناء

— ❊ —

الحنايا فى عيد عرشك اشواق ؛ بد الله باركتها احتفاء
حل ، فاليمن والبشائر نشوى تتملاه امنيات وضاء
سربلت عهده المباهج فالارض ربيع ، قد طاب زهرا وماء

— ❊ —

تاه «آذار» فى اعتزاز، وباهى الكون ، ان ضم عيدك الوضاء
الاماني للشعب تحمل يا «آذار» . فى عيد عرشه ، والهناء
فالدوالي مرنحات ، وانسام العشايا تداعب الاجواء
وتسر الاكوان نعمى الحسن الثاني ؛ وتشدو بها صباح مساء
وغدا الطير والجداول اجواق سعود ، بافقه تتراءى
والازاهير والبساتين روحا يتفيا ظلاله استمراء

— ❊ —

وجلا العيد أمنيات تهادتها الرعايا ، مصمخات .. رواء
وغرام الاشواق الحان موسيقى اشاقت رنابها الشعراء
خلبت لبهم فهاموا سكارى   بشذاها ، فراودوها حداء

— ※ —

وانا شاعر ، ترسم فى صدق هداها ، وسجل الاصداء
رام تخليد شعره وتمشى   ما اذاب الحشا وادمى الدماء
رام امجادكم ، فاعياه ما   رام ، فاغضى امامها اغضاء
ومضى يرسل الاهازيج والشعر ، ويشدو تعللا واحتداء
صاغ آلاءكم عقود جمان   اكسبت شعره المندى بهاء
وهو لو يستطيع صاغ حنايا   ه اكاليل ناطقات ولاء

— ※ —

وجرى الشعر من نداك عيونا   ثرة النبع مفعمات جداء
فجرت نبعه اياديك ، فانسا   بت به السن تضوع ثناء
غدن راحتاك ، تتدفق افضالا ، وتمحو الضراء والباساء

— ※ —

شغف الشعر – ايها الحسن الثا   ني – بعرش بولت منه السناء
عرش ابناء هاشم من بهم تهفو البرايا ، وتنشد النعماء
هو عرش اقام للدين اطناما تسامت ، وللدنى آلاء
اغدق العالمين من فيضه صيبا ، واروى من هديه ... الاراء
عز ان يدرك الورى شاوه الاسمى ، فعاشوا يستمرئون الولاء
يتمنون من جداه التفاتا   ويودون فى حماه انتماء

— ※ —

وبنو هاشم اباة ، فان حلوا بصحراء فجرت انداء
وهم شادوا بالعدالة والدين وجودا ، رسا بتى وبناء
شهد الله والملائك ان كنتم لنا حصنا قاوم الاهواء
رتب الصدع ، والتمرد امسى بهداكم تلاحما واخاء
وحد العرش راينا ، فاذا الشمل جميع ، والخلف ولى وراء
— ※ —

ايها المجتبى ـ ابا الشعب ـ اوتيت سدادا ، وحكمة ، ومضاء
لم تزل فى ضمائر الشعب رمزا   للاماني ورائدا ورعاء
منك نستوحي خالدات المعاني   ومن العرش نستمد البقاء
وبآلاك راودتنا المعالي   واحتلتنا برايك الجوزاء

— * —

ارجف القائلون انك ثان   واتاهوا التاريخ والانباء
انما انت فى المحامد فرد   عز شانا ، وهمة ، وابناء
بك باهت دنيا المفاخر واختارت مغانيك حصنها والنجاء

— * —

ورايت الامجاد تبنى نضالا   فاذا الدهر من نضالك لباء
رمت منه مآثر الخلد فاستهدف ما تبتغي ، وذاق العناء
ولقد رام عجم عودك فاستعصى : اصولا ، وموطنا ، ودماء

— * —

آمن الشعب انك الخير، محض الخير ، عرقا ، ومحتدا ، وانتماء
وتملاك تجتبيه سجاياك ، وتأتي منه الجميل ابتداء
وراى سبلكم بشائر تفرى   ونجاحا محققا وارتقاء
فمضى خلفكم يؤيد خطوات تخذتم ، وحقوق النعماء
ضل من يبتغي سواك اماما   او يرى غير ما تراه استواء
نحن آلينا ان نهجك نقفو   وعلى دربكم نسير اقتداء
فمرونا تروا سباق جياد   يتحدى صمودها البلواء
واشيروا تروا جنودا يلبون سراعا ، ويكبرون النداء
وتروا امة تفانى بنوها   فى هواكم مسترخصين الدماء
هم رأوكم فى النائبات حماة   ومصابيح فى الدجى وضياء
فاتوا مهطعين يرجون حمدا   غمر الارض نوره والسماء
وتواصوا ان سوف يرسون للعرش صروحا ، ويرفعون اللواء
انه الحب صادقا ، يتغيا الحسن الثاني، ويرجو التفاته والرضاء

— * —

حسن شاء رب عرشك نصرا   لمباديك فارتأيت البناء
وتحملت فى شهامتك المثلى، منى شعب، قد حباك الولاء
قدت فى حنكة مقاليد ما يهوى ، فالقى لك الزمام وفاء
وتعهدت شأنه غير وان   وتحملت سيره اعباء
وبلوت السراء من امره آنا ، وآنا من امره الضراء
وأرى ما وهنت يوما ، ولكن   زادك الصعب مرة ومضاء
وجلا عهدك الربيع افاض الخصب ثرا ، والعيش رغدا رخاء
والسعادات فى ذراك اناخت   وارتدى الامن فى حماك حلاء

— ❋ —

وتبنيت ـ مخلصا ـ مهيع الحق ، فارسيت اسه ارساء
واحتضنت العرفان، ان كان منجاة ، وكان النجا سواه هراء
فسننت التعليم جبرا ، وكرمت رجالاته ، رضى وعطاء
شدت للعلم سامقات المباني   عذبت منبعا ، وطابت جناء
معهد اثر معهد ، وجحور الجهل تهوى ، وتمحي اقواء

— ❋ —

ورايت التصنيع اس الحضارات ، فاعليت شأنه اعلاء
وبثثت البلاد طولا وعرضا   تقنيات حبوتها انماء
كل ركن فى المغرب الحر روته اياديك ، البر والدماء

— ❋ —

ولقد همت بالفلاحة ترعاها   وترعى ابناءها الاوفياء
ورايت السدود شريانها الحي ، فاوليت للسدود اعتناء
شدت منها خوالدا يتحدى   الصنع فيها « الاهرام » والقدماء

— ❋ —

قد تجسمت للعروبة غايات   جناها على حماهم افاء
وراوا درب رايكم خير درب   فتنادوا : ان اسلكوه اهتداء
وفلسطين يرتجيك بنوها   ويحيون بذلكم والوفاء
قد تأبت بما العروبة والدين عليكم خذلانهم والفناء

فتبنيتم امرهم ، وتعهدتم قضايا « اقصاهم » والفـــداء

— ※ —

حسن ، ما ارى مفاخرك الجلـــى لها منتهى ، فادرى ابتـــداء

عجز الشعر ان يفي حقها وصفـــا ، فامسى ينمـــق الانبـــاء

ذاك شأوى من قدرها ، فتقبلـــه ، فقد كل وصفي عنها وثناء

واقل عترة الذى بولـــي العهـــد يرجـــو فى حقه الاغضـــاء

شبل ملك لـــه الامازيـــغ والعـــرب فى اكبار يخلصون الـــولاء

— ※ —

صان ربي الشبل الاغر ولي العــهــد صونا ، والاخـــوة النجبـــاء

ورعى عبد امة « الحسن الثاني » وشعبـــا لعرشـــه فـــداء

فاس — عبد الكريم التواتي





دقت فزلزل صوتها اعصابي   واصم اسماعي صداها النابي

دقت تخبرني بان صحيفة   اخرى انطوت من باقيات كتابي !

ودفنت راسي في الوسادة هاربا   من هول دقتها على ابوابي

فسمعت دقتها تغوص بمسمعي   كالرعد يهدر من وراء سحاب

صيحاتها الذكراء عمر راحل   ومودع يمضي لغير إياب

دوى صداها في الحياة فلم تزل   مذعورة موصولة الاتعاب

كالصور في نفخاته لكنها   لا تسمع الاحداث فوق تراب

ارايت في الدنيا خطيبا واعظا   تصغى له الدنيا بغير خطاب ؟

ارايت حاكمة بلا ملك ولا   عرش ولا حرس ولا حجاب ؟

تعطي الاشارة وهي امر نافذ   يلقى مخالفه اشد عقاب

ميناؤها كاللوح قد خطت به   اقدارنا في موكب الاحقاب

وكانما هماتها قيثارة   تشدو لركب زماننا المنساب

وكانما عجلاتها الايدي التي   تزجي الحياة بنبضها الوثاب

— ※ —

دقت فارعب صوتها مقرورة   غرثى تنام على وصيد الباب

في هذه الدنيا الفسيحة لم تجد   بيتا تلوذ به بغير ذئاب

فنجت بطفليها لتحمي عرضها   والعرض غال من وحوش الغاب !

نامت وطفلاها بلا دفء ولا ... زاد ولا حب ولا احباب
وعلى خطى منها قصور شاهقا ... ت كالرواسي مجدبات كاليباب !
لم تعرف الباساء فى ابهائها ... يوما ولا عرفت شكاة مصاب
ما كان ارحم بالضحية لو اوت ... فيها وطفلاها الى سرداب !

— ※ —

احببتها وكرهتها وشربت فى ... دقاتها شهدا واكؤس صاب
كم من محب بات يرقب سيرها ... متلهفا شوقا الى الاحباب
متمنيا لو ان عقربها طوى ... جولاته كالبارق الخلاب
ومسهد عاف الكرى اجفانه ... يجتر ماضيه اسير عذاب
دقت مطارقها فرق فؤاده ... من بطء عقرب سيرها الدباب
مبهورة الانفاس من طول السرى ... تمشى الهوينى رخصة الاعصاب
شابت نواحي الدهر من حركاتها ... ومشت تواكب خطوه بشباب
قلب الزمان ، حياته فى نبضها ... فاذا توقف غاب خلف ضباب

— ※ —

كم شيعت دقاتها من موكب ... واستقبلت من فاتح غلاب !
دقت لقومي يوم ان ملكوا الدنى ... وبنوا عروشهم بغير حراب
فمتى تدق لنصر قومى ساعتي ... لنعيد ما اغتصبت يد الاوشاب
لنعيد عزة يعرب فى قدسها ... فى مسجد الاسراء ، فى الاعتاب
ستكون دقة ساعتي زغرودة ... نشوى لموكب زحفنا الوثاب
ستكون ناقوسا يشيع قرعه ... للقبر صهيونا مع الاذناب
ساصوغ منها يوم ذلك مقاطعا ... قدسية تنساب فى محرابي
ساقيم منها ربة معبودة ... لو كنت يوما عابد الانصاب
يا ساعتي دقي فلست براغب ... ان استرد من الحياة شبابي !

تطوان : محمد الحلوي

نخيلات "جليز"

للشاعر المدني الحمراوي

يا حبيبا الى فؤادي عزيزا ... ومن استودعته روحي «جليزا»
لا تسل عن اسى الفؤاد فاني ... منه اشكو تحرقا وازيزا
كلما قلت ـ من وجيبه ـ رفقا ... قال : لكث العهود لن استجيزا
فانا هاهنا بجسم طريح ... وفؤادي هناك ـ عندك ـ حيزا

— ❋ —

انه الموت يا حبيبا فرفقا ... والتمس لي السلامة طرقا
لا تدعني اموت عنك بعيدا ... فتشفع الى الغرام لابقى
فلعلي اذا نجوت احيي ... نخلات هناك بالحب تسقى
كم وقفنا ازاءها فى اصيل ... وماء نبث شجوا وشوقا

— ❋ —

و «جليز» على نجيين أمسى ... مشرفا يستبين نبسا وهمسا
شاقه ان يراهما كل يوم ... فتملى بمشهد ليس ينسى
كم جلسنا بسفحه نتناجى ... واقمنا من المنى الغر عرسا
وصعدنا على جناح خيال ... فى سماوات حلمنا نتاسى

— ❋ —

وزرعنا بين النخيل رجاء ... واستفقنا لما زرعنا السماء
ودعونا له لينبت يوما ... عيشة نستلذها خضراء

سمعتنا الربى هناك فصلت ... ليجيب الاله ذاك الدعاء
وسمعنا من النخيلات همسا ... من حفيف يميلهن انثناء

— ※ —

فترنحن حولنا فى حنان ... ناشرات ذوائب العقيان
شاهدات على مواثيق عهد ... بين قلبين مبرم بأمان
ورعين الرجاء رعي العذارى ... لهدايا ثمينة وحسان
يتبادلن فوقه امنيات ... ويباركن ما بنى قلبان

— ※ —

فاذا الدهر بغتة يتصدى ... فيصد المنى العزيزة صدا
وانبرى فى طريق قلبين يرمي ... كل شوك ويخلف الوعد عمدا
لم تتم عيشه عن المكر حتى ... شتت الشمل كيف شاء فاردى
فدهتني النوى بريم اليم ... يوم فارقت ذلك الربع فردا

— ※ —

رغم انفي رحلت لا باختياري ... فناى مرتعي وبان قراري
وتركت الرجاء يذبل هما ... وانا اكتوي هنا بجماري
والنخيلات واجمات حيارى ... نائحات على ضياع الجوار
يتطلبن فى ضراعة غيد ... سر لطف يكون فى الاقدار

— ※ —

ورأين الرجاء بين الجذوع ... ذاويا بعدما استوى للطلوع
فتحرقن حوله والهات ... مائلات — من الاسى — للوقوع
يتقطعن فوقه حسرات ... ولو اسطعن ضمنه فى الضلوع
ورآهن واجمات « جليز » ... فبكى — رقة — بغير دموع

— ※ —

وعرا تلكم الربوع شحوب ... ودهاها تجهم وقطوب
لا اصيل يروقها أو مساء ... أو وداد قد أدعته قلوب
ما رات مثلنا أليفي وداد ... لم تدنه هفوة أو عيوب
غير ان الزمان عاق خطانا ... فانتهت دون ما قصدنا دروب

— ❋ —

اي ذكرى اليمة اي ذكرى ... لم تزل في الحشا تؤجج جمرا !
يا بعيد الديار هل انت مثلي ... ذاكر ام نسيت مغنى ودهرا ؟
هل اراني اعود يوما فاحيى ... برهة فيه ، ثم ابكيه شعرا ؟
واناجي « جليز » بالشجو حينا ... وخيلاته ، وانشق عطرا

الرباط — المثني الحمراوي

مراقبة الله ...

للشاعر محمد بن محمد العلمي

رضيت بما قسم الله لي ، فنعم النصير ، ونعم الولي
اقول لقلبي الذى بالذنوب لقد ذاب من شدة الوجل :
اقلبي القريب الشريد المعنى الست المقيد فى الخجل ؟
رجوعا الى الله ، فهو الذى يرى منك كل خفي جلي
حذار حذار من الموبقات وطهر ضميرك واعتدل
ومهما تطل قسوة للعباد فربك يمهل ، لم يهمل
وربك يحيي موات النفوس ويجري العيون من الجندل
فراقب الهك فى كل حين ، وعن قدرة الله لا تغفل
فرحمته تغمر الكائنات وتظهر فى السهل والجبل
وآمن كما آمن الصادقون وعما بربك لا تسل
فان العناية اصل القبول فسارع الى الفضل واسترسل
وداؤك منك ، وفيك الشفاء من السقم المزمن المعضل
وان انقيادك للنفس ربح وسعي الى عيشك الافضل
وان الحياة بغير اهتداء تمل ، وتصبح كالحنظل
ولابد من حرقة ودموع لتنعم بالانس والقبل
وان انت تبت ، فدمعك يمحو خطاياك ، فابك ولا تمل
فسبحان من عفوه شامل وسبحانه حينما يبتلي
ففي الحركات ، وفي السكنات له المعجزات التى تنجلي

فسبحانه من قريب مجيب مجيد جواد ، عظيم علي

به حالك الظلمات انجلت وجلت به عقدة المشكل

وفيه لقلبي عرس فخيم ، وفيه انعتاقي من الملل

وفيه الحياة ، وفيه الربيع يعود الى قلبي الممحل

اذا منع الخلق عنك العطاء فذو الفضل بالفضل لم يبخل

اذا ما انقضى من سواه الرجاء ففيه لنا فسحة الامل

وفى هداة الليل يحلو الدعاء وتحلو الصلاة لمبتهل

وتقواك اثمن كنز ، فكن من النور ، ترفل فى الحلل

شفاء النفوس كثافتها ، وفى لطفها روعة المثل

وذكر الاله الجليل العظيم الذ واشهى من العسل

وبالذكر تربو الغراس وتزكو وبالذكر زهرك لم يذبل

وبالذكر تصبح فوق الثريا وتكرع من نورها الاول

فسبحان من هو حق مبين ونور البصائر والمقل

عليم بذات الصدور ، خبير بديع تقدس فى الازل

وسبحان من ملكه لا يزول اذا ما انقضت سلطة الدول

وسبحانه من محيط قديم توحد فى اجمع الملل

ففيه العزاء عن الكائنات وفيه النجاة من الزلل

وفيه الجلال ، وفيه الجمال وفيه الكمال الذى يمتلي

وفيه الكفاية عمن سواه وفيه الشفاء من العلل

شربت وما رويت مهجتي ، وفى الصحو اظهر كالثمل

اذا انت اخلصت دينك فيه فان المصاعب لم تظل

ففي الجوهر الفرد عين الكمال ونهج الخلاص لممتثل

فيا حبذا العطر وهو يفوح ! ويا حبذا النور فى المشعل

فسل عنه فى خفقان الدهور وفى الانبياء ، وفى الرسل

وفى الكتب المنزلات ، وفى جمال الصباح ، وفى الطفل

وفى الخلوات له نفحة فسل عنه فى هيبة الهيكل

وسل عنه من شربوا المترعات ومن عرفوا السر فى المنهل

وفى كل شيء له آية تسوق لنا اروع المثل

وفى كل لحظ له حضرة تهيمن فى اجمع السبل

فسل تعط ما انت تنوي من الفضل ، فى الكوثر السلسل

ودع عنك يا قلب لغو الحديث ... ودنيا الخيالات والغزل
ولابد للشهد من ابر ... ولابد للمجد من بطل
وان الجمال جمال النفوس ... وما دون ذلك لم يجمل
وهيا الى عرصات الخلود ... وحي على الجد والعمل
وحث المسير ، فان الوصول ... سبيلك ان انت لم تصل
غرورك ليس يفيدك شيئا ... ولن تبلغ القصد بالكسل
فان النجاة صفاء الضمير ... وليست نجاتك في الحيل
وسر الكمال ، طلاب الكمال ، ... وان كان قصدك لم يكمل !

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي





يا هيكلا هامت به اشواقي ... وتحيرت فى حسنه آماقي

يا رمز مجد شامخ متخلد ... لخلافة ممتدة الآفاق

بزغت على افق المغارب دعوة ... حنفية الافكار والاذواق

هبت على صوت الجهاد كأنها ... بحر هيوج زاخر الاعماق

فتدفقت نحو الشمال سيوله ... بجحافل الفرسان والسباق

جيش الجهاد بخيله وبرجاله ... غمر الربوع بموجه الدفاق

جيش السماحة والعدالة والهدى ... بالحق منتصر وبالاخلاق

بشعاره : الله اكبر قد دعا ... تحت اللواء الارفع الخفاق

خضعت لهيبته الجيوش فاعرضت ... عن وجهه فى خيبة الاخفاق

وعنت لهم شم الحصون فلم يفد ... اصحابها متوثق الاغلاق

الرعب يسبقه الى اعدائه ... بعناية المتكبر الخلاق

بـ « الارك » موقفه المخلد لم يزل ... يطوي قرون الدهر فى اشراق

ذاق «الجلالقة» العتاة نكاله ... فى يوم بأس حالك مقلاق

فتمزقوا بين نكس هارب ... اوهى فؤاده مفرط الاشفاق

ومضرج تحت السنابك واقع ... ومقرن فى محكم الاوهاق

فبكى الصليب وقد اهين لواؤه ... وعرت حماته حيرة الاطراق

اعظم بجيش الفتح قاد غزاته ... منصورنا كالسائل الرقراق

اسد الحروب وقطبها وزعيمها ... ترنو اليه لواحظ الاحداق

ومزلزل الشرك الحقود بهمة ... موروثة العادات والاعراق

ومؤيد الاسلام ، واضع رسمه — فوق الجباه ، وفي طلى الاعناق
«يعقوب» منصور اللواء عظيمه — ذكراه كنز وافر الاعلاق
بطل المعارك خاضها متحمسا — بطل المعارف مفحم الحذاق
عقل حديد الذهن علمه زاخر — متمكن متنفق الاسواق
جلى وبرز في العلوم فسلمت — له رتبة التحقيق باستحقاق
وأتاه من كل الجهات فحولها — في نهمة المتلمس التواق
في قصره وجدوا منى اوطارهم — فتمتعوا بوارف الارفاق

— * —

يا رمز نهضة أمة لما بنت — منكا مضى ، والفخر حي باق
افصحت في خرس فكنت مترجما — ناجى بصمته اعين الطراق
«حسان» ابدع من جمالك آية — دلت على ذوق رقيق راق
للعقل فيها روعة وتفنن — يمتاز بالابداع والاغراق
اثر الحضارة في حلاها شاهد — يتناسب الاجزاء والاوفاق
ولها لسان ناطق بفخامة — جمعت ضروب الفخر باستغراق
وتجسمت في دعوة قدسية — تدعو لدين الواحد الرزاق
صرح الاذان لملة التوحيد كا — ن وما يزال مقدس المصداق
«حسان» ابقى منه ــ حقا ــ شاهدا — ما مل يوما كثرة استنطاق
يطوي القرون ولم يزل متحدثا — يملي على الاقلام في الاوراق
وكأنه فوق الروابي واعظ — يلقي الحديث على «ابي رقراق»
وقفت به الدنيا هناك فلم يزل — يبدو على قدم هناك وساق
والنهر مستمع الى ايحائه — في رغبة المتشوف المشتاق
وكأنه لما استطاب حديثه — ابدى ارتياح مغرد صفاق

— * —

يا حجة «المنصور» تبدو للورى — في روعة التخليد والاطباق
ما انت الا رفعة صارت على — اعناقنا محمودة الاطواق
وشعار بلدته التي بنيت على — تقوى الاله وعروة الميثاق
بلد مباهجه الحبيبة جمة — ودياره دنيا من الاشراق
اني به وبمجده وبلطفه — ما زلت مسحورا ولا من راق
وبحسن اخلاق ونبل شمائل — في ساكنيه تهذبت اذواقي

ولما حواه من المآثر والعلى   ما زلت من اشياعه العشاق

فهو «الرباط» وللرباط فضيلة   لا كالجهاد من المخاطر واق

لحن الرباط من الفتوح ، قبالها   كأسا ، ولا شنت يد للساقي

ان الفتوح له تراث لم يزل   يحكي سيول الزاخر المقداق

من وقعة «الارك» القديمة واصلت   عصر الكفاح بمنحة الاعتاق

مدد من التاريخ جاء مباركا   يزجى بهمة قاهر سواق

— ❊ —

يا اخت «كتيبة» الجنوب سلمتما   لهفي على الاخرى ويا أشواقي !

بقيت هناك غريبة ماسورة   تبكي وتشكو لوعة الاحراق

في ارض « اندلس » نات وتشردت   في ظل شرك حاقد خناق

تشقى بصلبان واجراس ولا   تستطيع دفع غوائل السراق

الرباط ـ المدني الحمراوي



من أعلام الأندلس

القاضي أبو بكر بن العربي

(543 - 468)

للأستاذ سعيد أعراب

– 2 –

ابن العربي فى المشرق

ا – بمصـــر :

نزل الفتى والشيخ بالاسكندرية ، ثم واصلا سيرهما الى القاهرة ، ولم يطل توقفهما بذلك المرفا الجميل ، الذى يعج بالصادرين والواردين ، وكان ذلك لحاجة فى نفس يعقوب .

وقد ضرب القدر لهما موعدا آخر ، وسيطول مقامهما به ، وربما مكث به احدهما الى الابد (1) . وكان وصولهما الى القاهرة ، اواخر سنة (485 هـ) ، ولكن الظروف التى كانت تعيشها مصر لذلك العهد ، جعلت الفتى يغير نظرته اليها ، ويحول اتجاهه الى جهة اخرى .

كان الحكم آنذاك ، بيد المستنصر ابي تميم معد (2) والدعوة الفاطمية على اشدها ، فالعلماء فى خمول شامل ، واهل الادب لا يرتفع لهم صوت ، ويحدثنا ابن العربي فى هذا الصدد فيقول فالفينا بها جماعة من العلماء ، من المحدثين ، والفقهاء والمتكلمين ، والسلطان عليهم جرى ، وهم من الخمول فى سرب خفي ، ومن هجران الخلق بحيث لا يرشد اليهم حري ، لا يتبسون من العلم ببنت شفة ، ولا ينتسب احد منهم فى فن الى معرفة ، بنه الادب .. » (3)

شيوخه :

ورغم الركود العلمي الذى يصوره ابن العربي بمصر ، فقد كان هناك نفر من اهل العلم ، اخذ عنهم ابو بكر ، وعلى راسهم ، القاضي ابو الحسن الخلعي (4) ، مسند مصر ، وكبير مشيخة الشافعية فى وقته ، اعتزل بالقرافة الصغرى ، قرب ضريح الامام الشافعي ، يقول عنه ابن العربي : « شيخ منعزل ، له علو فى الرواية ، وعنده فوائد ... (5) » وحضر للشيخ ابي الحسن بن ابي داود الفارسي (6) ، بعض مجالسه بالفسطاط ، وسمع من ابي الحسن ابن مشرف ، ومهوى الوراق ، وابي عبد الله

---

(1) قدر لابن العربي (الاب) ان يلتقي مع منيته بالاسكندرية عام 493 – على ما سنذكره .

(2) هو معد بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله ، خامس خلفاء مصر من بني عبيد (420 – 487) كانت ولايته بستين سنة واربعة اشهر انظر النجوم الزاهرة لابن تغرى 5 / 140

(3) انظر قانون التأويل (ص 139 – ن)

(4) هو علي بن محمد الخلعي (405 – 492) انظر فى ترجمته طبقات ابن السبكي 3 / 296

(5) انظر طبقات السبكي 3 / 296

(6) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي 4 / 1294 ، وفهرسة ابي خير ص 168 ، والديباج لابن فرحون ص 218

العثماني ، واسالمي (7) ، والعبدري (8) ، ومحمد بن قاسم الكاتب (9) ، واخذ عنهم مسائل من علم الكلام ، وتدرب على الجدل ، وناظر الشيعة والقدرية، يقول في وصف هؤلاء الطوائف : « .. امة غلب عليها سوء الاعتقاد ، ونشات من غير نظم بلين العناد ، واستولى البأس منهم ، على ما هم فيه من الفساد ..» (10)

وتردد على مجالس القراء ، واعجب بقراءتهم، « سمعت يوما تاج القراء بمصر ، يقرأ «ومن الليل فتهجد به نافلة» وكأني ما سمعتها قط » (11)

ولم يفت ابن العربي أن يذكر من عادات نساء مصر ، واحوالهن واخلاقهن (12) .

(ب) ـ القـدس

غادر الفتى أبو بكر مصر الى الشام ، وامامه الامام ، ولعل القدس ـ ازال الله غربتها ـ كانت تعيش لهذا العهد ، نوعا من الحرية ، ويجد العلماء فيها متنفسا لافكارهم وآرائهم ، وكانت البيئة الصالحة لثقافات اسلامية ، وملتقى للديانات ، والتيارات الفكرية والمذهبية .

وكانت هناك مدارس للشافعية والحنفية ، يعقد بها الشيوخ مجالسهم ومناظراتهم ويشارك فيها العلماء ورجال الفكر ، وارباب المذاهب والنحل ، على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم .. مما جعل فتانا ابا بكر يرحل اليها ، ويؤثرها على ما سواها ، ويطول مقامه بها ثلاثة اعوام او تزيد ، ويرجيء رحلته الى الحج، رغم الحاح والده عليه. «ثم رحلنا الى الشام ، وأملنا الامام ، فدخلنا الارض المقدسة ، وبلغنا المسجد الاقصى ، فلاح لي بدر المعرفة ، فاستنرت به أزيد من ثلاثة اعوام ، وقلت لابي : ان كانت لك نية في الحج ، فامض لعزمك ، فاني لست برائم عن هذه البلدة ، حتى اعلم علم من فيها ، واجعل ذلك دستورا للعلم ، وسلما الى مراقيها ، فساعدني حين راى جدي ، وكانت صحبته لي من اسباب جدي .. (13) »

وصلا بيت المقدس ، قبيل نهاية سنة (485) (14) ، والحكم فيها للسلجوقيين (15) ، وكانوا يعتنقون المذهب السني ، ويعملون على نشر الوعي الاسلامي ، فاسسوا المدارس ، واسقطوا المكوس ، وقربوا العلماء (16) ، مما مهد لهم السبيل للسيطرة على كثير من الولايات ، فاتسع نفوذهم وقوى سلطانهم ، حتى انه عندما وشى الواشون بنظام الملك لدى ملكشاه : ـ بأن الاموال التي ينفقها على المدارس ، تقيم جيشا يركز رايته في سور القسطنطينية ـ اجاب نظام الملك ـ في معرض الدفاع عن نفسه ـ بقوله : « اني اقمت جيشا يسمى جيش الله ، اذا نامت جيوشك ليلا ، قامت جيوش الليل على اقدامها ، صفوفا بين يدي ربها ، فارسلوا دموعهم ، واطلقوا السنتهم بالدعاء لك ، ولجيشك ، فانت وجيوشك في حضانتهم تعيشون، وبدعائهم تثبتون ، وببركاتهم تمطرون وترزقون .. (17) »في هذا الجو النقي ، الذي لا تكدر صفوه النزعات والعصبيات ـ انطلق ابو بكر، يبحث عن المعرفة ، وفي يده قنديل صغير ، لا يكاد يضيء ما حوله ، ولكنه مع الايام ، اشتد نوره ، وقوى اشعاعه ، واصبح النبراس الوهاج ، وفي

---

(7) ذكر الشيوخ الثلاثة صاحب الديباج ص 218.

(8) هو ابو الحسن علي بن مسعود العبدري انظر عارضة الاحوذي لابن العربي 4 / 28

(9) انظر العارضة 4 / 414 .

(10) قانون التاويل ص 140 ـ أ

(11) انظر الاحكام لابن العربي 2 / 187

(12) انظر العارضة 10 / 6 / 2

(13) انظر قانون التأويل (ص 140 ـ أ)

(14) انظر الاحكام ب / 56

(15) واصل السلجوقيين من الاتراك فيما وراء النهر انظر النجوم الزاهرة 5 / 92 وتاريخ ابي الفداء 4 / 95 ـ 114 .

(16) انظر تاريخ ابي الفداء 4 / 65 ـ 115

(17) انظر زكي مبارك ، الاخلاق عند الغزالي ص 16

رحاب المسجد الاقصى الذى بارك الله حوله ، كان يقضي الفتى جل اوقاته (18) يتمنى من انواره، يظل نهاره فى الدرس والتحصيل ، ويبيت ليله فى التهجد والعبادة .

شيوخه :

كانت القدس تعج بالعلماء الوافدين والمستوطنين ، واكثرهم من بلاد العجم ، لان الدولة منهم ، تحمي حقوقهم ، وتضمن مصالحهم ، على ان الامراء السلاجقة ، عرفوا بحفاظهم على المذهب السني ، ورعايتهم للعلم واهله ، كما اشرنا الى ذلك آنفا . ومن المدارس التى عرفت نشاطا كبيرا ، وخرجت كثيرا من حماة الدين ــ مدرسة الشافعية بباب اسباط (19). وكانت تحت رئاسة العالم السني ، ابي الفتح المقدسي (20) .

اول درس :

ويذكر ابن العربي ، ان اول درس تلقاه عند مقدمه الى بيت المقدس ، كان بهذه المدرسة ، وكان من نصيب خليفة الرئيس ، القاضي ابي زكرياء يحيى ابن علي ، المعروف بابن الصائغ (21) . وموضوعه « الحرم لا يجير ظالما »

وكان الدرس فى مستوى المناظرة ، وقد اخذ الكلمة للمناقشة ، والدفاع عن وجهة نظر المذهب الشافعي ــ الشيخ مجلى المخزومي (22) ، فافاض ق الموضوع ، ولكن فتانا ــ وهو المعتز بذكائه ــ يعترف بأن حظه من الدرس كان ضئيلا ، وانه لم يستطع ان يفهم عن هذا الشيخ او عن اولئك القوم ــ شيئا (23). وربما كان ذلك لعيب فى اسلوب الالقاء، او فى طريقة العرض ، وابن العربي يلمح بذلك .

ومهما يكن ، فان الفتى ظل على مسموده ، وتسلح بالصبر، وعاد فاختزم كتبه ، وذهب ليحضر درسا آخر ، وقد رافقه هذه المرة والده ، وذهبا يبحثان عن شيخ ، طالما سمعوا عن علمه وتقواه ، وهو ابن بلدهم ، يفرح للقياهم ، ويأنس بوجودهم ، « ومشيت الى شيخنا ابي بكر الفهري (يعني الطرطوشي) (24) ، رحمة الله عليه ، وكان ملتزما من المسجد الاقصى ــ طهره الله ــ بموضع يقال له الغوير ، بين باب اسباط ، ومحراب زكرياء عليه السلام ، فلم نلقه به ، واقتصصنا اثره الى موضع منه ، يقال له السكينة ، فالفيناه بها ، فشاهدت هديه ، وسمعت كلامه ، فامتلأت عيني واذني منه ، واعلمه ابي بنيتي فاناب ، وطالعه بعزيمتي فاجاب ، وانفتح لي به الى العلم كل باب ، ونفعني الله به فى العلم والعمل ، وتيسر لي على يديه اعظم امل .. (25) » .

واذا كان لكل طالب استاذه المفضل ، يقتفي اثره ، وينهج نهجه ــ وفى كل الدراسات الآن ، لابد من استاذ رئيسي ، يرجع اليه الطلاب فى مشاكلهم، ويوجههم فى مراحلهم الدراسية ــ فان الاستاذ المفضل الموجه الخاص لفتانا ابي بكر ، هو العالم الورع ، ابو بكر الطرطوشي ، لازمه اكثر من خمس سنوات ، ما بين القدس والاسكندرية ، ودرس عليه اكثر مؤلفات الجدل ، وعلم الكلام، ومسائل الخلاف ، وهي علوم لم تكن تعرفها بلاد الاندلس (26)

---

(18) انظر العارضة 11 / 78
(19) قانون التأويل (140 ــ أ)
(20) ستأتي ترجمته
(21) انظر ترجمته فى طبقات السبكي 4 / 324
(22) هو مجلى بن جميع المخزومي المصري (550) انظر الطبقات 6 / 300 ــ وشذرات الذهب 4 \ 157 وتصحف فيها بـ (محلى) .
(23) انظر قانون التأويل (ص 140 ــ أ)
(24) هو ابو بكر محمد بن الوليد الفهري الاندلسي (451 ــ 520) رحل الى المشرق سنة 476 ، [illegible] وزار العراق ومصر وفلسطين ، واقام مدة فى الشام ، وسكن الاسكندرية . انظر الديباج ص 276 ووفيات الاعيان 3 / 393 ، والنفح 2 / 85
(25) قانون التأويل (ص 140 ــ أ)
(26) انظر نفس المصدر 137 ــ أ)

من ذي قبل ، او لم تشتهر بها ، واختص به فى علوم التفسير والحديث و لتاريخ والسير ، وظل الاستاذ المشرف عليه منذ اليوم الاول لدخوله الى الشام .

فيضت فراخنا .. بل طارت !

والجدير بالملاحظة، انه لم يمض على الفتى الى جانب شيخه ، غير مدة وجيزة، وتقدر بنحو ستة اشهر ، حتى اصبح يعلو منصة المناظرة ، ويقارع الخصم بالحجة ، ويتحدث فى كل فن يفيض من العلم ، مما لفت انظار اشياخه اليه ، وانتزع اعجابهم به . « .. حضر عندنا بالغوير — ونحن نتناظر — فقيه الشافعية عطاء المقدسي (27) فسمعني وانا استدل على مسألة ربوية » — وانتهى فيها الى اصل عظيم فى تحصيل مسائل الربا ، فاعجب الفهري ذلك ، والتفت الى عطاء وقال له : « فيضت فراخنا » اي ازالت قشرة البيضة عنها وخرجت ! فقال عطاء : « بل طارت » ! وكان ذلك فى الشهر الخامس او السادس من قراءتي .. »

وهذا غير غريب من ابن العربي ، فقد كان متوفرا على ذكاء خارق ، وحافظة تلتقط كل شيء ، وقد عرفنا عنه اشياء منذ طفولته ، تثير الاعجاب ، وهو فى هذه الحادثة ، لا يتجاوز الثامنة عشرة من عمره .

وقد خاض وهو فى نفس السن ، او قريبا منه — معارك كلامية، مع الكرامية، والمعتزلة، والمشبهة، واليهود (28) .. خرج منها جميعها ظافرا منتصرا. ومما زاد فى حيويته ونشاطه ، وتحمسه للكلام ، ما كان يجري امامه من خصومات دينية ومذهبية ، تشتد احيانا وتخف اخرى، كل يدافع عن مذهبه ، ويناضل عن عقيدته .

ويحدثنا عن أول مؤتمر ديني، شاهده بالقدس، وكان فى مستوى القمة، شاركت فيه كل الطوائف الدينية ، وقد تصدى للكلام فيه حبر يهودي ، يعرف بالتستري ، ويصفه ابن العربي بانه كان لقنا فيهم ، ذكيا بطريقتهم .. لكن الشيخ الطرطوشي ، كان له بالمرصاد ، فافحمه ، وقاتله بسلاحه ، فصفق الناس له طويلا « .. حضرنا يوما مجلسا عظيما ، وتكلم التستري الحبر اليهودي عن دينه فقال : « تفقنا على ان موسى نبي مؤيد بالمعجزات، معلم بالكلمات ، فمن ادعى ان غيره نبي ، فعليه الدليل — قال ابن العربي : واراد من طريق الجدل ، ان يرد الدليل فى جهتنا ، حتى يطرد له المرام ، وتمتد اطناب الكلام ، فقال له الفهري : (الطرطوشي) — ان اردت بموسى ، الذي ايد بالمعجزات ، وعلم الكلمات ، وبشر باحمد .. فقد اتفقنا عليه معكم ، وآمنا به وصدقناه ، وان اردت به موسى آخر ، فلا نعلم ما هو ؟ فاستحسن ذلك الحاضرون ، واطنبوا فى الثناء عليه ، وكانت نكتة جدلية ، عقلية قوية ، فبهت الخصم ، وانقضى الحكم .. (29) » .

ورغبة فى التعرف على المذاهب الاسلامية على اختلاف مستوياتها — وقد قضى فتانا ابو بكر مدة فى المدرسة الشافعية ، وجلس طويلا الى الامام الطرطوشي الذى كان يمثل المذهب المالكي — رأى ان يسجل نفسه فى مدرسة أخرى ، تعتبر ن اكبر مدارس القدس ، وهي مدرسة الحنفية ، وتعرف بمدرسة ابي عقبة (30) ، والمذهب الحنفي له صولة كبرى، اكتسحت جل الآفاق ، واتسع نفوذه الى اقصى الشرق .

وتعلو قيمة المرء عندنا — فى العصر الحاضر — بقدر ما له من اجازات وشهادات .. ودراسة المذهب الاسلامية ، واجازات العلماء فيها ، تعتبر بمنزلة اختصاصات ، وشهادات عليا فيها . وكان يرأس المدرسة الحنفية ، القاضي ابو الفضل الريحاني ، ومن اساتذتها البارزين : الامام الصاغاني ، والشيخ الزوزني ، وابو سعيد الزنجاني ، وابن الكازروني .. وهم جماعة من علماء خراسان ، وردوا على القدس لزيارة المسجد الاقصى وقبر الخليل عليه السلام ، وكانت خراسان تعيش — لهذا العهد — ظروفا قاسية ، وتعسفات جائرة ، مما دفع بكثير من اهل العلم الى الهجرة لعدة اقطار اسلامية ، وينوه ابن العربي بهؤلاء الجماعة ، ويذكر انهم طبقة عالية فى

(27) فقيه القدس وصوفيها — انظر العارضة 8 / 139 — 140
(28) انظر قانون التأويل (ص 141 — ب)
(29) انظر قانون التأويل (ص 141 ب)
(30) انظر نفس المصدر — والاحكام 1 / 54 .

المعرفة ، ونمط جديد في البحث والمناظرة. « .. فلما سمعت كلامهم ، رأيت انهم درجة عالية ومزية ثانية ، وبزمن المعارف اعلى ، ومنزلة في العلوم اعلى .. » (31)

بين درسين :

لم ينس ابن العربي ، او لم يرد أن ينسى الصدمة التى تلقاها اول دخوله الى مدرسة الشافعية ، فقد كان الدرس الاول الذى سمعه بها، عبارة عن ضوضاء ، لم يستطع ان يفهم منها شيئا ، ثم ياتي دور دخوله الى مدرسة الحنفية ، فيكون من غريب الاتفاق ان يسمع الدرس نفسه اول دخوله اليها ، ويفهم منه كل شيء ، وحتى ما بين السطور كما يقولون ، ثم يقارن ابن العربي بين الدرسين ، ويباعد في الفرق بين الذين تكلموا هنا ، والذين تكلموا هناك ، وسواء في الاسلوب والطريقة ، او في الاستيعاب والتعمق في البحث .

ولا تزال مشاكل « الدرس الاول » وصعوباته ــ بالنسبة للتلميذ والاستاذ ــ تشغل بال المفكرين والمربين ، ويعاني الاساتذة منها الامرين الى الآن. حتى لقد كتب بعضهم كتابا تحت عنوان « الدرس الاول » (32) .

اما بالنسبة لفتانا ابن العربي ــ فربما كان لبعد الزمانين ، والفرق الواضح بين المستوين ــ دخل في ذلك .

ولندعه يحدثنا في الموضوع ، وينوه ــ ما شاء ــ باصحاب المدرسة الثانية : « وكان من غريب الاتفاق، ان المسالة التى سمعت اول دخولي بيت المقدس ، ولم افهم كلام القوم فيها ، هي التى سمعت الصاغاني يتكلم عنها ، فرأيت انه اغوص على جواب كتاب الله ، واستنباط لا يدركه الا من اصطفاه الله، وكذلك سمعت كلام الزوزني في مسائل .. فرأيته يقرطس على عرض الصاغاني ، وينظر الى المطلوب من صومعة واحدة .. » (33) .

ثم ياخذ المسالة ، ويقلبها على شتى وجوهها ويطبق فيها طرق البحث وان شئت قلت طرق التدريس المعروفة في الشرق والغرب الاسلاميين او يرجعها الى ثلاث طرق :

1 ــ طريقة التمثيل ، وتعرف ب (الطريقة القيراونية) وهي الطريقة المتبعة في الغرب الاسلامي.

2 ــ طريقة التعليل وتسمى « الطريقة العراقية » وبها يدرس اهل الشرق الاسلامي ــ باستثناء القدس ، وما حوله من بلاد الشام .

3 ــ الجمع بين الطريقتين ، قال : وهي التى كنا نقرا بها المدونة (34) وغيرها من دواوين الفقه الاسلامي .

ولا ينسى ابن العربي ، ان ينوه ــ بصفة خاصة ــ بالشيخ الاكبر ابن الكازروني (35) « .. تمتعنا به نحو ثلاثة اعوام ، فكان يقرا بالمسجد الاقصى ، في مهد عيسى (بيت لحم) فيسمع من بالطور ، فلا يقدر احد ان يصنع شيئا دون قراءته ، الا الاصغاء اليه .. » (36)

ومن الشيوخ الذين يعترف لهم ابن العربي بالفضل : مكي بن عبد السلام الرميلي (37) ، والقاضي ابو الحسن مكرم بن مرزوق .. يقول في

---

(31) قانون التأويل (ص 140 ــ ب)

(32) من الذين كتبوا في الموضوع احمد حسن الزيات رحمه الله .

(33) قانون التأويل (ص 141 ــ ب)

(34) انظر نفس المصدر

(35) ويذكر ان العربي انه لما استولى صاحب مصر، الملقب بالافضل على القدس ، وانتزعها من يد العباسيين في محرم سنة 492 ــ وكان حنقا على اهلها لعدم استجابتهم له وقتالهم اياه ــ جابهه ابن الكازروني ، وقرا : « قل اللهم مالك الملك .. الآية » . فأجابه الافضل : « لا تثريب عليكم » .. انظر الاحكام 2 / 187

(36) انظر نفس المصدر .

(37) توفي ببيت المقدس شهيدا عند دخول الروم اليها سنة 492 ــ انظر النجوم الزاهرة 5 / 164 وانظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ص 1230 .

هذا الاخير — وقد اعيته مسالة ، او اعياه البحث عنها — « .. وقلت لدى تحصيلها : الحمد لله الذى افادني هذا الشيخ ، واعلمت أبي، انه لو لم يحصل لي غيرها لكفاني .. (38) » .

ومن رجال التصوف الذين تعرف عليهم ابن العربي ببيت المقدس — ابو عثمان ، سعيد بن حسان الطايطلي ، جاور بالمسجد الاقصى اعواما ، وطاف ببلاد المشرق اربعين عاما ، وقال انه كان مقدما في هذه الصناعة (39) » — يعني التصوف .

وهكذا سلخ فتانا ابو بكر ، نحو اربعين شهرا في القدس ، كلها عمل دائب ، وسعي متواصل في سبيل البحث والدرس (40) ، استطاع خلالها ، ان يتعرف على مختلف التيارات الفكرية، والمذهبية، ويدرس امهات الدواوين ، في التفسير والحديث ، والفقه والاصول ، والجدل وعلم الكلام ، واللغة والادب ، والتاريخ والسير .. مما جعله — وهو بعد في مقتبل عمره — يحتل مركزه في صفوف العلماء ، ويعترف له الشيوخ بالفضل والمزية (41)..

مشاهداته :

وكان مع ذلك مغرما بالتجوال في اقاصي المدينة ، يزور قبور الانبياء والصالحين ، ويتعرف على مآثرهم ، وقد سجل لنا في زياراته القريبة والبعيدة، مشاهدات حية، كان لها اثرها في نفسه، نثبت منها ما يتصل بحياته العلمية والدينية :

1 — صخرة المائدة — « شاهدتها — بطور زيتا — مرارا ، واكلت عليها كثيرا ، وذكرت الله عندها سرا وجهرا ، ارتفاعها اشف من القامة بنحو شبر . ولها درجتان قبليا ، وجنوبيا ، وهي صخرة صلود ، لا تؤثر فيها المعاول .. وكل ما حولها حجارة مثلها ، محفوفة بقصور نحتت فيها بيوت ، ابوابها منها ، ومجالسها فيها ، مقطوعة منها ، وحنايا في جوانبها .. فاذا دخلت في قصر من قصورها ، ورددت الباب ، وجعلت من ورائها صخرة ، مقدار ثمن درهم ، لم يفتحه اهل الارض ، وقد كنت اخلو فيها كثيرا للدرس ، ولكنني كنت في كل حين اكنس ما حول الباب ، مخافة مما جرى لغيري فيها .. (42) » .

2 — محراب داود عليه السلام — « بناء عظيم من حجارة صلدة ، يرى له ثلاثة اسوار ، وهو في ايام السحاب لا يظهر ، لارتفاع موضعه ، وارتفاعه هو في نفسه ، له باب صغير ، ومدرجة عريضة ، وفيه الدور والمساكن ، وفي اعلاه المسجد ، وبه كوة شرقية قدر الباب ، وفيه نجا من نجا من المسلمين، حين دخلها الروم ، حتى صالحوا على انفسهم .. وفيه رايت غريبة الدهر ، ذلك ان ثائرا ثار فيه على واليه ، وامتنع فيه بالاقوات ، فحاصره ، وحاول قتاله ، والبلد — على صغره — مستمر على حاله ، ما اغلقت لهذه الفتنة سوق ، ولا سار اليها من العامة بشر ، لا برز للحال من المسجد معتكف ، ولا انقطعت مناظرة ، ولا بطل تدريس .. ولو كان بعض هذا ببلادنا ، لاضطرمت نار الحرب في القريب والبعيد ، ولانقطعت المعايش ، وغلقت الدكاكين ، وبطل التعامل ، لكثرة فضولنا (43) وقلة فضولهم ..(44)»

3 — قبر يوسف عليه السلام ، « شاهدته في قبلة قبور آبائه : ابراهيم واسحاق وزوجاتهم ..

---

(38) انظر العارضة 3 / 257 .

(39) انظر نفس المصدر 9 / 35 .

(40) وفي هذا الصدد يقول : « .. فاتخذت بيت المقدس مباءة ، والتزمت فيه القراءة ، لا أقبل على دنيا ، ولا اكلم انسيا ، نواصل الليل بالنهار ، وخصوصا بقبة السلسلة منه ، تطلع الشمس لي على الطور ، وتغرب على محراب داود ، فيخلفها البدر طالعا وغاربا على الموضعين المكرمين، وادخل الى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم لحضور التناظر ، لا تلهينا تجارة ، ولا تشغلنا صلة رحم .. » انظر قانون التاويل (ص 140 — أ)

(41) وسنرى كيف اعجب به شيوخ بغداد ، ودهشوا من ذكائه وحفظه .. انظر قانون التاويل (ص 143 — أ)

(42) انظر الاحكام 2 / 188

(43) يعترف ابن العربي بقلة فضول اهل القدس، وكثرة فضول الاندلسيين .

(44) انظر الاحكام 2 /188

زرناه مرارا ، وذكرنا الله فيه ، وبتنا فيه ليالي آمنين .. (45) »

4 ـ قبر يونس عليه السلام ـ « قصدت قبره مرارا بقرية جلحون ، في مسيري من المسجد الاقصى الى قبر الخليل ، وبت فيه ، وتقربت الى الله بمحبته ، ودرسنا كثيرا من العلم عنده .. (46) »

5 ـ مسجد عمر ، روي انه لما فتح بيت المقدس ، وقف على الطور بشرقيه ، واتخذ به مسجدا ، رايته وصليت به ، بينه وبين المسجد واد، يدعى وادي جهنم ، وللمسجد باب ، يقال له باب التوبة والرحمة ، ويقال انه الباب الذى باطنه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب (47) .

6 ـ باب حطة ، وهو الباب الثامن من ابواب المسجد الاقصى ، من جهته القبلية ، وهو الذى قال الله فيه : « وادخلوا الباب سجدا ، وقولوا حطة ، يغفر لكم خطاياكم » ـ « دخلته سنة (486) فسجدت وخضعت، وقلت لا اله الا الله اللهم احطط عني ذنبي ، واغفر لي ، وبقيت فيه اعواما ، وكل مرة ، اكرر ذلك واكثر من الفعل والقول .. (48) »

كما تجول في ربوع القدس ، وشرق الاردن ، ورسم بعض صور من حياتها العامة ، وزار اكثر من الف قرية ومدينة ، من ذلك مدينة نابلس ، التى اقام فيها اشهرا ، ووصف نساءها بقوله : « .. ولقد دخلت نيفا على الف قرية من برية ، فما رايت اصون عيالا ، ولا اعف نساء، من نساء نابلس ، فاني اقمت فيها اشهرا ، فما رايت امراة فى طريق نهارا ، الا يوم الجمعة ، فانهن يخرجن ، حتى يمتلىء المسجد منهن، ، فاذا قضيت الصلاة ، وانقلبن الى بيوتهن، لم تقع عيني على واحدة منهن ، الى الجمعة الاخرى. وسائر القرى ، ترى نساؤها متبرجات بزينة وعطلة، متفرقات فى كل فن (49) وعضلة .. (50) .

ودخل مدينة عسقلان ، واقام بها نحو ستة اشهر ، انغمر فيها مع رجال الادب ، وتجاذبوا فنون القريض ، وغرائب النكت ، ولابد انه اخذ عن جماعة منهم ، وهم ـ كما يقول « بحر ادب يعب عبابه ، ويغب ميزابه .. (51) » .

ولا يذكر هؤلاء الشيوخ الذين لقيهم ، او سمع منهم ، كما تطبق المصادر بالصمت فى هذا الصدد (52) .

ونجد الفتى ابا بكر ، ينجذب الى هذه المدينة، ويعجب بنشاط اهلها ، وخفة روحهم ، وقد اتخذ فيها ، مع قصر المدة التى قضاها بها ، جملة من الرفقاء والاخوان ، والاصدقاء والخلان ، يتبادلون الزيارات ، ويتهادون الملح والنكات ، حتى لقد عادت به الذكرى ، الى ايام صباه بحمص الاندلس ، ولولا هاتف ديني ، وجاذب رباني ، ما كان ليريم عن هذه البلدة ، رغم الحاح والده عليه . « .. فلما كان فى بعض الاوان ، كنت منقلبا عن بعض الاخوان ، الى ان جئت لقم طريق (53) ، وقد امتلات بالناس وهم منقصفون (54) على جارية تغني فى طلق ، فوقفت اطلب طريقا ، او افكر فى المشي على غيره ، وهي تترنم التهامي (55) .

اقول لها والعيس تحدج للنوى
اعوي لفقدي ما استطعت من الصبر

اليس من الخسران ان لياليا
تمر بلا نفع وتحسب من عمري

---

(45) انظر العارضة 4 / 274 .
(46) انظر الاحكام 2 / 197
(47) العارضة 9 /46 و 13 / 277 .
(48) انظر العارضة 11 / 78
(49) عضلة : عارية من الزينة ، وعضلة شجر يشبه الدقلى ، والمراد به هنا مطلق شجر .
(50) انظر الاحكام 2 / 166
(51) قانون التأويل (ص 141 ـ ب)
(52) وفى فهرسة ابن خبير ، ان من شيوخ ابن العربي ـ ابا الحسن علي القروي نزيل عسقلان ، اخذ عنه تلخيص الجويني (انظر ص 259) .
(53) لقم الطريق : وسطه
(54) انقصف القوم : اندفعوا وتتابعوا
(55) البيتان غير موجودين فى ديوانه ، ونسبهما فى وفيات الاعيان الى الوزير ابي القاسم المغربي

فقلت : محمد ، هذا بشهادة الله وحي صوفي، وهاتف ديني ، انت المراد ، وعليك دار هذا الترداد ، ارحل من حينك الى نيتك الاولى ، وخذ بنفسك ، الى ما هو الاحرى بك والاولى ، وبادرت الى داري ، وقلت لابي : الرحيل الرحيل ، فليس هذا المنزل بمقيل ، فسر بذلك ، اذ كان قبل يراودني عليه ، وانا أمانعه .. »

فركبا البحر الى عكا ، وعرجا على طبرية وحوران ، ميممين شطر دمشق .

(ح) دمشق

ويشير سياق الرحلة ، الى ان وصولهما الى دمشق ، كان في الشهور الاولى من سنة (489) . ودمشق بلد علم وادب ، وحضارة وعمران ، اتخذها السلاجوقيون عاصمة لهم (56) ، ونافسوا بها بغداد وخراسان .. ولندع ابن العربي يحدثنا عن دمشق ــ وما ادراك ما دمشق ! « .. بلد ، ليس في البلاد مثلها . واليه آوت مريم ، وبها كان دام (57) .. مدينة بأعلاها ، ومدينة بأسفلها ، تشقها تسعة أنهار ، للقصبة نهر ، وللجامع نهر ، وباقيها للبلد ، تجري الانهار من تحتها ، كما تجري من فوقها ، ليس فيها كظامة (58) ولا كنيف ، ولا فيها دار ولا سوق ولا حمام ، الا ويشقها الماء ليلا ونهارا وفيها دور مكنوا انفسهم من سعة الاحوال بالماء حتى ان مستوقدهم عليه ساقية ، فاذا طبخ الطعام ، وضع في القصعة ، وأرسل في الساقية ، فتجري الى المجلس ، فتوضع في المائدة ، ثم ترد القصعة من الناحية الاخرى الى المستوقد فارغة ، فترسل اخرى ملأى ، هكذا حتى يتم الطعام . واذا كثر الغبار في الطرقات ، امر صاحب الماء ان يطلق النهر على الاسواق والارباض .. ولها باب جيرون (59) بن سعد بن عبادة ، وعنده القبة العظيمة ، والميقاتات ، لمعرفة الساعات ، وعليها باب الفراديس ، ليس في الارض مثله . وفيها الغوطة، مجمع الفاكهات ، ومناط الشهوات ، عليه تجري المياه ، ومنها تجنى الثمرات .. (60) »

وقد اختار ابن العربي ، باب الفراديس ــ وهو اجمل مكان بدمشق ــ مقرا له ، يتفرج منه على المدينة ، ويخلو فيه للبحث والدرس ، ويلجأ اليه عندما تطارده هموم الغربة والوحشة .. « وعنده ــ وليس في الارض مثله ــ كان مقري ، واليه من الوحشة كان مفري ، واليه كان انفرادي للدرس والتقري .. (61) »

ورغم ما كانت تتوفر عليه المدينة ، من حضارة وعمران ، وما منحتها الطبيعة من جمال وسحر ، فان فتانا ابا بكر ، لا ينشط كثيرا للحركة العلمية ، التي وجد عليها دمشق ، فهي تكاد تكون صورة طبق الاصل ، مما هي عليه في القدس ، فالعلماء هم العلماء والطريقة هي الطريقة ، والمقدسي (62) صاحب المدرسة هنا وهناك .. « .. واصحابه به متوافرون، وهم على سبيل الارض المقدسة سائرون، وفي مدرجتهم سالكون ، وبتلك الدرجة متمكنون ..(63) »

شيوخه :

واذا فاته ان يأخذ عن ابي الفتح المقدسي ــ بالقدس مباشرة ، وهو حافظ العصر ، وامام المصر ، فقد واتته الفرصة ليسمع منه ، ويأخذ عنه ما عسى ان يكون فات تلاميذه ومعاصريه ، فلازمه مدة امامته بدمشق ، وروى كتب الصحاح وغيرها « .. وانتهينا الى سماع البخاري ، بعد تقديم غيره عليه ، وكان يقرأه علينا بلفظه لثقل سمعه .. (64) »

---

(56) ملكوها سنة 468 ــ انظر تاريخ ابي الفداء 4 / 101 و ص 103 ، والنجوم الزاهرة 5 / 101 .
(57) انظر معجم البلدان 2 / 464 .
(58) كظامة : قناة في باطن الارض .
(59) انظر معجم البلدان 2 / 463 .
(60) انظر الاحكام 2 / 316 .
(61) نفس المصدر .
(62) هو أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي (409 ــ 490) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر حرف النون، وطبقات السبكي 4 / 27 ــ 28 ، والنجوم الزاهرة 5 / 160
(63) قانون التأويل (ص 142 ــ 1)
(64) نفس المصدر

وسمع من الشيخ الحافظ ابي محمد الاكفاني (65) ، والشيخ الرئيس ابي الفضل بن الفرات (66) ، والقاضي ابي سعد الهروي ، والرئيس الاديب ابي المظفر الابيوردي الشاعر ، ونسيب الدولة ابي القاسم علي ابن القاضي (67).

ولكن .. ولكن ماذا ..؟ فهل آن لهذا الظمىء ان يرتوي ، فلا يرحل الى مناهل اخرى ؟

ان ذا لبعيد ، فالمعرفة كطعام أهل الجنة ، كلما طعموا منه ، وجدوا به لذة ، لم يجدوها من قبل ، فازداد نهمهم به ، وتشوقهم اليه ..

اذن ، فماذا يعتزم هذا الفتى ؟

انه يعتزم نجعة ابعد ، ورحلة اطول ، الى بلد طالما حن له ، وتاقت نفسه اليه .

ان الفترة التى قضاها ابن العربي بالقدس ودمشق ، انما كانت توطئة لهذه الرحلة ، التى سيكون لها ما بعدها ..

« .. رحلنا الى الشام ، وأملنا الامام .. (68)»
« .. ولما سمعت كلام القوم ، استخرت الله تعالى ، في المشي الى العراق .. (69) »

فلنترك فتانا يستخير ، وعسى ان يخار الله له ، ويهيىء له اسباب الرحيل ، حتى نلتقي به في بغداد ، عاصمة الخلافة الاسلامية ، ومهد الحضارة والعرفان .

تطوان ـ سعيد اعراب

---

(65) ابو محمد هبة الله بن احمد الاكفاني محدث دمشق (444 ـ 524) انظر تاريخ دمشق حرف هاء ، وتذكرة الحفاظ ص 1275

(66) هو أحمد بن علي بن الفرات (ت 494) وهو من علماء الشيعة .

(67) انظر العارضة 11 / 146 ، والاحكام 2 / 2 / 35 .

(68) قانون التاويل (ص 140 ـ أ)

(69) نفس المصدر (ص 141 ـ أ)

الجنيد يوصي ...

قال يونس بن حبيب : شيعنا جنيدا فلما انتهينا الى حصن المكاتب قلنا : أوصنا قال : اوصيكم بتقوى الله ، واوصيكم بالقرآن فانه نور الليل المظلم ، وهدى النهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة ، فان عرض بلاء فقدم ما لك دون نفسك ، واعلم ان المحروب من حرب دينه ، والمسلوب من سلب نفسه ، انه لا غنى بعد النار ، ولا فقر بعد الجنة ، وان النار لا يفك أسيرها ، ولا يستغنى فقيرها .

من التراث الأندلسي :

أوصاف الناس في التواريخ والصلات

للوزير لسان الدين ابن الخطيب (713-776)

تحقيق ودراسة الدكتور محمد كمال شبانة

« 7 »

ومن ذلك فى وصف :

64 — ابي الحسن البربري المالقي

شاعر يتفق من سعة ، وينطق وسط المجمعة، ومطبوع لا يتكلف ، ومجيد اذا نهض البلغاء لا يتخلف. عانى النظم وزمنه كمثله غلام ، ودهره تحية وسلام. ومدح فانتفع ، وشفع شعره للملوك فشفع . ولم يزل يتصرف فى الاعمال ، ويقابل الاحسان والاجمال. (98 : ب) وقد اثبت من شعره كل محكم العقد ، شديد الوطاة على النقد .

ومن ذلك فى وصف :

65 — ابي القاسم بن مقاتل المالقي

من حسناء الطريقة وصدورها ، والمحاسن لترائبها العاطلة ونحورها .

كان ــ رحمه الله ــ هضبة وقار وسكينة ، وذا مكانة فى الفضل مكينة . الى صدر سليم، ومجد صميم . وخلق عظيم السهولة ، وسمت خليق بسن الكهولة . ولسان مفرى بالذكر ، متقلب بين الجد والشكر .

والى ذلك ، فكانت له دعابة صائبة السهم ، ونادرة يتنافس فيها اولو الفهم . ومجالسة طيبة ، وفكاهة غمامتها صيبة .

واستعمل فى الولايات النبيهة (1) ، فحمدت سيرته وحسن اثره ، وكرم خبره وخبره . وانجب عقبا جاريا على سننه ، متخلقا من السرو (2) باحسنه .

وكان له ادب غض الجنا ، طيب اللفظ والمعنى. ومقطوعة حسنة المقاطع ، سافرة عن الحسن الساطع .

ومن ذلك فى وصف :

66 — ابي زيد عبد الرحمن الينشتي

من شيوخ طريقة العمل ، المتقلبين من احوالها بين الصحو والثمل ، (99 : م) المتعللين برسومها حين اختلط المرعى بالهمل .

وهو ناظم ارجاز ، ومستعمل حقيقة ومجاز . نظم بها مختصر السيرة ، فى الالفاظ اليسيرة . ونظم جزءا من الزجر والفال ، نبه به تلك الطريقة بعد الاغفال .

ومن ذلك فى وصف :

67 — ابي جعفر المعروف بالبغيل — من اهل المرية

بقية صالحة ، وغرة فى الزمن البهيم واضحة . ارخ وقيد ، واحكم بناء العبارة وشيد . ورقم الرسائل البدائع ، وحقق ببلده الاخبار وكتب الوقائع . فمجالسه عظيمة الامتاع ، ومحاضرته مقرضة الاسماع .

وله شعر جزل ، لا يتنكب لمعانيه غزل . والفاظ صقيلة ، ومعان تتبرج تبرج العقيلة .

---

(1) الولايات النبيهة : الاقاليم الشهيرة .

(2) السرو : بتشديد السين مع الكسر وسكون الراء ، وهو السخاء والمروءة .

واغراض لا تطيش نبال نبلها ، ولا تطمس لاحبة سبلها . وقد اثبت منها ما يشهد باجادته ، ويدل على كرم مجادته .

ومن ذلك في وصف :

68 ـ ابي جعفر بن جعفر ـ من اهل مالقة

(99 : ب) اديب مجيد ، وبطل في الحساب نجيد. تقدم في الطريقة العملية وبرز ، وطرر طروسها وطرز ، ونقد فابرز . وعاني النظم فاجاده ، واستسقى غمام الادب فجاده . وسلك الالفاظ وخلصها ، واستطرد المعاني واقتنصها ، ومرت به النادرة فاقتنم فرصها . وله اخلاق رفيقة ، ونفس لكل عذري شفيقة .

وقد اثبت من شعره ما وقع في يدي ، وارتسم في خلدي .

ومن ذلك في وصف :

69 ـ ابي علي حسن بن الخطيب ابي الحسن القيجاطي (3)

حسني المذهب ، وهائم بكل عذار موشي وخد مذهب . نشا بين يدي ابيه ـ رحمه الله ـ وحلقة درسه مكنس آرام ، ومثار صبابة وغرام . ومطلع الشموس والاهلة ، من ابناء الجلة . فركض في الكلف ملء عنانه ، ومكن الجنون السود من سويداء جنانه، وعذب عنده تعذيبه ، حتى اشتهر غزله ونسيبه .

ولما تصبب عود تلك الشبيبة ، وصوح نبت تلك الرياض العجيبة ـ تعلق بالخدمة (100 : م) فانتظم في اهلها ، وسار في حزنها وسهلها . وظهرت عليه نبمات عبر لها اللجة ، وقطع الحجة ؛ واستقر ببجاية ، فارتفد وارتفق، وعرض شعره فغلا سعره ونفق . ثم ارتحل ـ على هذا العهد ـ الى ام تلك المملكة (4) ، والقائمة بحساب تلك البلاد مقام الفذلكة . فاستند الى بابها ، وارتسم في سلك كتابها .

وقد اثبت من شعره المطبوع ، ايام مقامه بهذه الربوع .

ومن ذلك في وصف :

70 ـ ابي محمد ابن المرابع (5) من اهل بليش (6)

---

(3) انظر ترجمة الاب في هذه المجلة (العدد الاول ـ السنة الثالثة عشرة ـ شعبان 1389 هـ)

(4) يقصد بها غرناطة العاصمة .

(5) هو الشاعر الغرناطي ابو محمد عبد الله بن عبد الله الازدي ، المعروف بابن المرابع من مدينة بليش مالقة، وقد تناوله ابن الخطيب في احاطته ، حيث ترجم له بافاضة ، واورد الرسائل والقصائد التي تبودلت بينهما يومئذ ، وهو من كتاب المقامة المشهورين في ذلك العصر ، وقد نقل له المؤلف مقامة ساسانية ، عرفت فيما بعد بمقامة العيد ، كان قد كتبها الى حاكم مالقة الرئيس « ابي سعيد فرج بن نصر » بغرض الحصول على اضحية العيد . وتتضمن هذه المقامة قصة قصيرة ، بطلها رجل متسول من بني ساسان بارع الحيلة ، قد صمم العزم يوما على ان يحصل على كبش من الحاكم ، ويبذل في سبيل مطلبه هذا جهودا شتى ومضنية ، الامر الذي يفسر لنا هنا حياة الكد التي صادفها المترجم له من حياته ، كل هذا في اسلوب طريف ، زانه السجع ، وتخللته الفكاهة .

توفي هذا الشاعر بوباء الطاعون الجارف الذى اجتاح منطقة البحر المتوسط وقتئذ ، ودفن ببلدته اواخر عام 750 هـ .

راجع : ابن الخطيب في مخطوطة « الاحاطة »نسخة الاسكوريال 1673 لوحة 227 ـ 230، وكذا المقري في «نفح الطيب» ج 6 ص 315 ـ 316 ج 8 ص 209 ـ 210 .

(6) بلدة متوسطة تقع قرب مالقة (على مسافة 34 كلم) ، وتنسب اليها ، وتوجد اخرى تسمى «بليش الشقراء» ، وهي قرب «لورقة»، كما ان هناك اخرى قريبة منها تسمى «بليش البيضاء» . وبهذه المناسبة نذكر ان ابن الخطيب وصف الثانية في كتابه « معيار الاختيار ، في ذكر المعاهد والديار » بانها ثغر مجاور لحدود مدينة لورقة التي كان العدو يومئذ قد استولى عليها . واما بليش مالقة فقد وصفها المؤلف ايضا في نفس المعيار . واما الثالثة فلم ترد لديه ، فربما استحدثت من بعد .

طويل القوادم والخوافي ، كلف ــ على كبر سنه ــ بمعالي القوافي . شاب فــي الادب وشب ، ونشــق ريح البيان لما هب . فجاور رفيقه وجزله ، واجاد جده واحكم هزله . فان مدح صدح ، وان وصــف انصف ، وان عصف قصــف. وان انشــا ودون ، وتقلب فى افانين البلاغة وتلــون ــ افــد ما شــاء وكون . فهو شيخ الطريقة الادبية وفتاها ، وخطيب محافلها (100 : ب) كلما أتاها . لا يتوقف عليه من اغراضها غرض ، ولا يضيع لديه منها مفترض . ولم تزل بروقه تتالق ، ومعانيه باذيال الاحسان تتعلق ــ حتى برز فى ابطال الكلام وفرسانه، وذعرت القلوب لسطوة لسانه. والقت اليه الصناعة زمامها، ووقفت عليه احكامها . فشعشــع مداحها ، ونبه خدامها . واطلع نجومها ، وارسل رجومها . وعبر البحر ــ لهذا العهد ــ منتجعا بشعــره ، ومنتقــا ــ فى سوق الكســاد ــ من سعره . فابرق وارعد ، وحذر وتوعد. وبلغ جهد امكانه فى التعريف بمكانه ، فما حرك ولا هز ، وان ذل فى طلب الرفد فقد عز .

وما برح ان رجع الى وطنــه الذى اعتــاده ، رجوع الحديث الى قتاده .

وقد اثبت من نزعاته وبعض مخترعاته ما يدل على سعة باعه ، ونهضة ذراعه . والمعت بشيء من سبب رحلته واغترابه ، وعودة مرهفه الى قرابه .

ومن ذلك فى وصف :

71 ــ ابي عبد الله المتاهل المعروف بعمامتــي من اهل وادي آش

(101 : م) ناظم ابيات ، وموضح غرر وشيات ، وصاحب توقيعــات واشــارات ، ذوات شــارات . اشتهر ببلده اشتهار الشيب بالمفارق ، وتالق بافقه تالق البارق. دخل على امير بلده المخلوع عن ملكه (7)، بعد انتثار سلكه ، وخــروج الحضــرة من ملكــه ، واستقراره بوادي آش مروع البال ، متعللا بقصيات الآمال .

ومن ذلك فى وصف :

72 ــ ابي المؤلف ــ رحمه الله (8)

---

(7) يقصد المؤلف بالملك المخلوع السلطان محمد الخامس الغني بالله ثامن ملوك بني الاحمر ، فقد اندلعت الثورة ضده فى غرناطة ، وتزعمها اخوه الاميراسماعيل ، وذلك فى رمضــان مــن عــام 760 هـ (1359م) فلجأ السلطان المخلوع الى وادي آش ومعه وزيره ابن الخطيب ، ومنها التحق بفاس لاجئا سياسيا لدى بني مرين فى 6 محرم 761هـ (8 ديسمبر 1359 م) ثم استرد الغني باللــه ملكه عام 762 هـ (1361 م) وبقي متربعا على العرش حتى توفى عام 793 هـ (1392) م .

راجع : الاحاطة ، مخطوطة الاسكوريال 1673لوحة 182، واللمحة البدرية ص 101 ، ثم « نزهة البصائر والابصار » للقاضي النباهي ، حيثحقق الجزء الخاص بدولة بنــي نصــر المستشرق الاسباني «اميليو لافونتي الكانترا» ص 63 طبعة مدريد 1859 م .

(8) اخبر عنه المؤلف فى «الاحاطة» بانه ولد فى غرناطة عام 672 هـ (1273 م) واستقر بها حينا ، ثم عاد الى «لوشة» مقر الاسرة ، ثم رجع الىغرناطة ، حيث التحق بخدمة السلطان ابي الوليــد اسماعيل الاول النصري ، فهو بهذا «غرناطي الولادة والاستيطان ، لوشي الاصــل ، طايطليــه قرطبيه » . ولما توفى هذا السلطان ، وخلفــهابنه السلطان عبد الله محمد الرابع التحق والد ابن الخطيب بديوان كتابته ايضا ، ثم بديوان اخيهالسلطان أبي الحجاج يوسف الاول ، حيث عاصــر الرئيس ابن الجياب الذى منحه لقب الوزارة.

ويعتبر المترجم له من اكابر العلماء والخاصة ،ممن اصطفاهم السلطان ابو الوليد ليعمر بهم بلاطه ، ضمن نخبة اخرى من الرؤساء والعلماء ، الذيناشرفوا على تربية ابناء السلطان ، فغرسوا فيهــم بذور العلــم والادب ، وامدوهــم بخبراتهــموتجاربهم ، كما تولوا لهم تسيير الشــؤون بعــد ابيــــهم .
توفى والد ابن الخطيب هذا قتيلا مع ولده الاكبر عبد الله ــ اخى لسان الدين ــ فى معركة طريف الشهيرة ، فى جمادى الاولى 741 هـ (اكتوبر 1340 م) .
راجع : المقري فى «نفح الطيب» جـ 6 ص 319وما بعدها ، جـ 8 ص 40 وما بعدها .

ان طال الكلام ، وجمحت الاقلام — كنت كما قيل : مادح نفسك يقرئك السلام ، وان احجمت — فما اسديت في الثنا ولا الجمت — اضعت الحقوق، وقاربت العقوق . هذا ، ولو زجرت طير البلاغة من اوكاره ، وحييته بعون البيان وابكاره — لما قضيت بعد ، ولا قلت الا بالذي علمت سعد (9) ، فقد كان ذمر حزم (10) ورجل رجاء وازم (11)

كان ببلده قطبه الذي عليه المدار ، وزعيمه الذى له الايراد والاصدار . وله الى المقام (101 : ب) النصري وسائل قربى ، ومتات الاف واربى . ولما حل الملك الاسماعيلي (12) بذلك القطر ، ولاح بافقه لياح هلال الفطر — نزع الى قريقه ، وجعل تلك الايالة قرى طريقه . وصحب ركابه الى قرارة ملكه ، ومحط فلكه . فقربه وادناه ، وشيد له العز وبناه . ولم تزل سماؤه تجوده ، وروضه يروضه جوده . واصطنعه خلفة من بعده ، الى ان دعاه الاجل لوعده . ففقدته بكائنة طريف (13) ، جبر الله عثارها ، وعجل آثارها .

حدث خطيب الجامع الاعظم ، وهو ما هو من وفور العقل ، وصحة النقل ، قال « مررت بابيك بعدما تمت الكسرة ، وخذلت تلك الاسرة . وقد كفا بأخيك الطرف ، وعرض عليه الحمام الصرف . والشيخ لم تزل قدمه ، ولا راعه عدمه . ولما يئس من الخلاص وطلابه ، صرفني وقال : انا اولى به. فقضى سعيدا شهيدا ، لم يستفزه الهول ولم يثنه، ولا ارتضى عار الفرار عن ابنه » .

وكان له في الادب فريضة ، وفي النادرة العذبة منادح عريضة ، مع انتحاله ، (102 : م) واشتغاله بحاله .

ومن ذلك في وصف :

73 — ابي بكر البلوى — من اهل المرية

بحر لرسوم المكارم ، ذو هزة للفضائل كهزة الصارم . كان — رحمه الله — ببلده في الاحسان ، بمنزلة العين من جسد الانسان ،والنطق من اللسان، والبشاشة من الصور الحسان . ان ضل السماح فبينه ماواه ، او ضل الضيف فهو ابو مثواه . الى

---

(9) مثل عربي يضرب عند اسناد الاخبار الى مصادرها الوثيقة .
(10) رجل ذمر : بفتح فسكون اي : شجاع داهية.
(11) رجل ازم : بفتح فسكون اي : يبرز في الازمات.
(12) هو السلطان ابو الوليد اسماعيل النصري ، خامس ملوك بني الاحمر . تولى السلطة في شوال من عام 713 هـ (ابريل 1313 م) ، وقتل بيد ابن عمه محمد بن اسماعيل صاحب الجزيرة لاسباب شخصية ، في اواخر رجب 725 هـ (يونيه 1325 م)، ويذكر المؤرخون عن هذا السلطان انه شدد النكير على الخارجين عن تقاليد الاسلام ، فمن ذلك تحريمه على النساء الجلوس على الموائد مع الرجال في الحفلات العامة ، ومنعه للمسكرات البتة ، الى غير ذلك .
(13) تعرف هذه المعركة في الرواية الاسلامية بـ« موقعة طريف » وسماها ابن الخطيب في مواطن اخرى بـ « الوقيعة العظمى » ، وتعرف الرواية الاسبانية بـ « معركة سالادو » ، وقد حدثت بين الاسبان والمتطوعين من نصارى اوربا من جهة، وبين المغاربة والاندلسيين من جهة اخرى حيث رابط الفريقان عند نهر سالادو قرب طريف ، وتمخض الاشتباك المحتوم عن فوز الاسبان بقيادة ملكهم الفونسو السادس ، وهزم المغاربة ، فعاد السلطان ابو الحسن المريني الى المغرب ، كما قفل السلطان يوسف الاول ابو الحجاج راجعا الى عاصمة ملكه غرناطة، ومحص الله المسلمين . وعلى الاثر سقطت كل من طريف والجزيرة الخضراء وقلعة بني سعيد في قبضة النصارى ، وكاد الاسبان يستولون على جبل طارق . وتجدر الاشارة الى ان هذه المعركة كانت فاصلة في تاريخ الجهاد المريني بالاندلس ، بحيث لم يتسن للمغاربة الجواز الى هذه البلاد في صورة كتائب نظامية ، او الاشتباك في معارك بعدئذ مع النصارى ، وكانت هذه الموقعة في جمادى الاولى عام 741 هـ (اكتوبر 1340 م) .
راجع : يوسف الاول ابن الاحمر سلطان غرناطة — للمحقق ص 134 — 140 ، نشر الدار القومية للتوزيع 1969 بالقاهرة .

نفس آخذة باقاصي الكمال ، وشمائل الطف من انفاس الصبا والشمال ، وادب اشهى الى القلوب من الآمال .

قدم على الحضرة لاول الدولة ، لاداء حق الطاعة ، والانتظام فى الجماعة .

ومن ذلك فى وصف :

74 – أبي عبد الله السراج

طبيب ماهر ، وروض علم تفتحت فيه للفنون ازاهر . درج من الشظف الى السعة ، وتحلى بحلية العلم فرفعه . فبلغ الغاية التى لطف محلها ، وفاء عليه ظلها ، وتقلبت عليه الايام فاعتورته صروفها (14) وتكدر عنده معروفها ، (102 : ب) لما ذكرته فى كتاب طرفة العصر ، فى اخبار دول بنى نصر» . ثم تداركت صلاح حاله ، ومتعته بطيب القرار بعد ارتحاله . فاستقرت داره ، واستقام – على قطب العناية – مداره .

وكان – رحمه الله – كثير الدعابة ، وما شانه ذلك ولا عابه . وله نظم ينخرط فى سلك الانطباع ، وينحبر بطول الباع .

ومن ذلك فى وصف :

75 – ابي زكريا يحيى بن هذيل التجيبي (15)

درة بين الناس معقلة ، وخزانة على كل فائدة مقفلة ، وهدية من الدهر الضنين لبنيه محتفلة ، ابرع من رقع التعاليم وعلمها ، وركض فى الالواح قلمها ، واتقن من صور الهيئة ومثلها ، واسس قواعد البراهين بين الناس واثها (16) . واعرف من زاول شكاية ، ودفع عن جسد نكاية . الى غير ذلك من المشاركة فى العلوم ، والوصول من المجهول الى المعلوم ، والمحاضرة المستقرة للحلوم (17) ، والدعابة التى ما خالع العذر فيها بالملوم . فما شئت من نفس عذبة الشيم ، واخلاق كالزهر من بعد الديم (18) ومحاضرة تتحف المجالس (103 : م) والمحاضر ، ومذاكرة يروق النواظر زهرها الناضر .

وله ادب ذهب فى الاجادة كل مذهب ، وارتدى من البلاغة بكل رداء مذهب . ومعان تراودها الخواطر فتصد ، وتحيها النفوس فلا ترد . والادب نقطة من حوضه ، وزهرة من ازهار روضه . وسيمر له – فى هذا الديوان – ما يبهر العقول ، ويحاسن بروائه ورائق بهائه الفرند المصقول .

– يتبع –

مكناس – د. محمد كمال شبانه

---

(14) اعتورته صروفها : تداولت عليه احداثها .

(15) هو الشيخ ابو زكريا يحيى بن هذيل ، من اشهر العلماء المشتغلين بالطب والفلسفة والعلوم والرياضيات ، ويعرف لذالك بحكيم غرناطة وفيلسوفها ، وهو احد شيوخ لسان الدين ابن الخطيب . توفى – رحمه الله – عام 753 هـ (1355 م)

(16) اثها : بفتح الهمزة وتشديد الثاء مع الفتح بمعنى : اصلها .

(17) الحلوم بضم الحاء : العقول .

(18) الديم : بتشديد الدال مع الكسر بمعنى: قطرات المطر



- 2 -

عاش المغرب الاوسط خلال القرن السابع عشر ثلاثة انواع من انظمة الحكم ، حيث كان يتنازع النفوذ كل من الباب العالي ، وكبار الضباط الاتراك المقيمين في الجزائر ، ورؤساء الاسطول البحري .

فبعد موت حاكم الجزائر وقائد الاسطول العثماني (كلج علي) سنة 1587 رأى الخليفة مراد خان الثالث أن يلغي نظام الباي لرباي الذى جعل من حكام الجزائر ملوكا حقيقيين ويعوضه بنظام (الباشوات الثلاثيين) الذى يعينهم الخليفة ليحكموا البلاد مدة ثلاث سنوات فقط .

وقد دام هذا النظام الى سنة 1659 ثم حاول العسكريون في الجزائر ان يستبدوا بالسلطة الحقيقية فاقاموا نظام (الآغا الذى يقوم على الحكم الجماعي العسكري المتمثل في الديوان مع اسناد الرئاسة التنفيذية الى كبير الضباط المدعو (آغا) لمدة شهرين ، ثم يتولى الرئاسة ضابط آخر وهكذا . غير ان هذا الاسلوب من الحكم فتح باب الاغتيال على مصراعيه ، بسبب المنافسة بين الضباط وتهافتهم على الحكم ، ولم يثبت لاكثر من 13 سنة (1659 ـ 1671) فعوضه نظام الدايات الذى سيستمر الى ان تحتل فرنسا الجزائر . في هذا النظام كان الديوان العسكري يعتبر السلطة العليا في البلاد ، يعين كبار وصغار رجال الدولة ، ويحدد العلاقات مع الباب العالي وسائر الدول الاخرى ويعلن الحرب ويبرم معاهدات السلام ، وينتخب (الداي) رئيسا للدولة مشرفا على الهيئة التنفيذية المتمثلة في مجلس الوزراء ولا يتعدى عددهم خمسة رجال . وانتخاب الداي يكون لمدة العمر ، مع اعتباره في نفس الوقت (باشا) ممثلا لسلطة الخليفة. وتبقى السلطة القضائية مستقلة تماما يتولاها القضاة باشراف المجلس الشرعي ويستمر النظام الداخلي المتمثل في البايات الذين يحكمون الاقاليم باسم الداي ، والشيوخ الذين يرجع اليهم امر القبائل . وقد تطور اسطول الجهاد في الجزائر تطورا كبيرا خلال القرن 17 فبلغت سفنه الحربية مائة ، وعد رجاله بالآلاف . ويدل على مدى اتساع العمليات العسكرية التى كان الاسطول الجزائري يقوم بها في الحوض الغربي للبحر المتوسط واحيانا في المحيط الاطلنطيقي الى حدود الجزر الخالدات انه غنم فيما بين سنة 1613 و 1621 اكثر من ثمانمائة سفينة اوربية . منها 447 هولاندية و 193 فرنسية و 120 اسبانية و 60 انجليزية و 56 المانية فضلا على السفن الايطالية وغيرها التى لم تحصها التقارير الاوربية . وكانت الدور والمخازن المعدة للاسرى المسيحيين تضم تلك المدة ما يربو على 30 الفا من مختلف الجنسيات ، يقع فداؤهم او يسترقون .

وحاولت انجلترا ارهاب الجزائر حتى لا تعود الى اعتراض سفنها التجارية فوجهت سنة 1620 اسطولا يحمل 1500 مقاتل بقيادة الاميرال مانسيل،

طالبوا الداي بتسليم الاسرى الانجليز فابى واخذ الاسطول الانجليزي يطلق القنابل على المرسى ثم حاول رجاله النزول الى البر والاستيلاء على بعض السفن الجزائرية فلم يفلحوا .

ولم تكن العلاقات الجزائرية الفرنسية طيبة بالرغم من نظام (الامتيازات القنصلية) الذى منحته الدولة العثمانية لفرنسا ، اذ لم تعترف الجزائر لنفسها بهذا الحق وعاملتها كسائر الدول الاجنبية تصالحها متى انعقد الصلح وتحاربها متى نقض . وقد اراد لويس 14 ان يضع حدا لاعمال البحارة الجزائريين ويضمن احترام المركز التجاري الفرنسي لصيد المرجان فجهز حملة بحرية تتركب من 83 سفينة تحمل 8 آلاف مقاتل بقيادة الاميرالين بون ودوكين غادرت ميناء تولون يوم ثاني يوليوز 1664 .

وبعد ان انضمت الى هذا الاسطول سفن اخرى من مالطة ، اتجه صوب مدينة جيجل (شرقي العاصمة) واحتلتها بعد معارك طاحنة مع الحامية المقيمة بها . وما علم بالخبر (شعبان اغا) حتى هب مع رجاله الى ميدان المعركة مصحوبين بمدفعية قوية وانضم اليهم كثير من المتطوعين للجهاد فخيموا حول المدينة المحتلة يوم 5 اكتوبر من نفس السنة ونصبوا المدافع على المرتفعات لقصف المراكز الفرنسية بعنف . ولما ضاق الحصار على الفرنسيين وايقنوا بعدم جدوى المقاومة انسحبوا فى متم ديسمبر 1664 حاملين معهم 1200 جريح تاركين فى الميدان ازيد من 2000 قتيل وكل الذخائر والمعدات الحربية ، من بينها مائة مدفع . وزاد فى نكبة الفرنسيين ان السفينة الكبرى La lune غرقت اثناء عملية الانسحاب وعلى ظهرها اكثر من 1000 جندي . وقد اعاد الفرنسيون الكرة بحملة بحرية اخرى سنة 1682 بقيادة الاميرال دوكين هاجمت اولا مدينة شرشال (غربي العاصمة) واحرقت سفينتين كانتا واقفتين بالمرسى ثم توجهت الى الجزائر العاصمة حيث ضربت عليها حصارا بحريا لمدة 46 يوما ولم تحدث القنابل التى كان يقذفها كبير ضرر بالمدينة لانها كانت تطلق من مسافات بعيدة خوفا من بطارات المقاومة الارضية ، وتنتهت الحملة كسابقتها ولاحقتها بالخيبة .

اما اسبانيا التى ظلت طوال القرن 17 تحتل مدينة وهران والمرسى الكبير ودائرة حولهما تحتوي على نحو 89 كيلومتر فلم يهنأ لها عيش بسبب عمليات المرابطة والجهاد الذى كان المتطوعون المسلمون يقومون بها لمحاولة تحرير المدينة فضلا عن الحملات التى نظمتها الحكومة الجزائرية فى النصف الثاني من القرن 17 واهمها حملة سنة 1686 بقيادة شعبان باي الزناكي حيث فقد الاسبان ازيد من 1100 قتيل ، وحملة 1687 بقيادة الباي ابراهيم خوجة التى كادت ان تسترجع المدينة اولا تهديد الاسطول الفرنسي للجزائر مما دفع المجاهدين الى رفع الحصار والاسراع لنجدة العاصمة . وستجري المعركة الحاسمة على ابواب وهران فى مستهل القرن الثامن عشر حيث سيغادر الاسبان ارض الجزائر الى غير رجعة .

فى المغرب الاقصى

لم تكد تخمد انفاس المنصور الذهبي عام 1012 — 1603 حتى انقلبت الاحوال فى المغرب وظهرت فى الجو سحب الفتنة والاضطراب . فقد كانت وفاة المنصور فجاة وهو يتهيا للخروج من فاس ليعود الى عاصمة ملكه مراكش ، فاصيب بالوباء الذى اخذ يكتسح اذ ذاك اطراف البلاد . ولم يكن قد بث بعد فى امر ولاية العهد ، بعد ان ثار عليه ولده البكر محمد الشيخ المامون خليفته بفاس وولي عهده السابق ، فقبض عليه واودعه السجن . وقد بادر اهل فاس الى مبايعة زيدان بن المنصور بمجرد ما انتهوا من دفن الملك الراحل . وكان زيدان عاملا على اقليم تادلا ، استصحبه ابوه معه الى فاس ثم استخلفه عليها قبيل وفاته . ولما بلغ خبر الوفاة والبيعة الى مراكش ثارت ثائرة اهلها وراوا فى تصرف الفاسيين واستبدادهم بالامر دونهم استخفافا بشانهم فبايعوا ابا فارس بن المنصور لانه كان الخليفة الرسمي لوالده بحاضرة ملكه . وبدلا من ان يسعى ذوو المكانة والنفوذ فى تلافى الامر وحل المشكل تسرع علماء فاس فافتوا بوجوب قتال المراكشيين عملا بحديث : (اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) . والتقى جيش الملكين الاخوين على ضفة نهر ام الربيع ، وكان ابو فارس لم يحضر القتال بنفسه . وانما اناب عنه اخاه الشيخ المامون بعد اخراجه من السجن واسفرت المعركة عن انهزام زيدان وفراره الى تلمسان ، ووجد المامون نفسه فى عزة ومنعة ، بعد ان انضم اليه جند اخيه المهزوم فقلب ظهر المجن لابي فارس واعلن نفسه ملكا على فاس .

ظل الاخوة الثلاثة زيدان ، وابو فارس، والشيخ المامون يتنازعون الملك مدة طويلة دون ان يتم الامر لواحد منهم، وعمت الاضطرابات ارجاءالبلاد كلهاوانتهى أمر الشيخالمامونبتسليم مدينة العرائشالى الاسبانيين عام 1019 ـ 1610 طمعا فى مساعدتهم له ، فغضب عليه الشعب وقتله فى ضواحي تطوان عام 1022 ـ 1613 . كما قتل اخوه ابو فارس خنقا قبلـه . وقبع زيدان اخيرا فى مراكش صارفا نظره عما وراء نهر ام الربيع ، تاركا امر فاس وغيرها لعبد الله بن الشيخ المامون ومنافسيه من الثوار . وقد انقرض امر السعديين فى فاس بموت عبد الملك بن الشيخ المامون فى أواخر عام 1036 ـ 1627 وبقى ابناء زيدان عام 1069 ـ 1658 . وعرفت هذه الفتـرة الحالكة من تاريخ المغرب اواخر الدولة السعدية الى جانب المجاهد العياشي السلاوي كثيرا من المتصوفة الذين استغلوا فرصة الاضطرابات لتحقيق مطامحهم فى الحكم والرئاسة امثال ابن ابى محلى السجلماسي وابي زكرياء الحاحي ، وابي حسون السملالي ومحمد الحاج الدلائي .

وكان ظهور محمد بن الشريف العلوي فى تافيلالت بداية النهاية لازمة الحكم التـي طالـت ما يشيف عن نصف قـرن ، فقد تمكن من ان يقصي السملاليين عن تافيلالت ودرعة ، ويقف فى وجـه الدلائيين ويقلص نفوذهم جنوبي الاطلس قبـل ان يفسح المجال لاخيه الرشيد الذي سيقضي نهائيـا على الامارات الصوفية بالدلاء وايليغ وغيرهما ولتحل سنة 1080 هـ فتشرق معهـا من جديـد شمـس الوحدة والطمأنينة على هذه البلاد .

ـ يتبـع ـ

الربـاط ـ محمـد حجـي

اصـلاح .. وتصويـب ...

وقع فى مقال الاستاذ سيدي عبد الله كنون المعنون بـ « الحسن والاحسن » فى العدد الخاص بعيد العـرش سهـو فى ضبط بعض الحروف ادى الى بعض الاخطاء ، ونحن اذ نصححها فى هذا العدد نرجو من فضيلة الاستاذ الكبير ان يعذرنا نظرا للسرعة التي تم بها انجاز ذلك العدد كما لا يخفى على سيادته :

فى العمود الثانى ، السطر الثالث : (ولا كذلـك الاحسن) التصحيـح : وكذلك الاحسن ، بحذف لا .

وفى هذا العمود ايضا ، السطر التاسع : (ومنها اسم التفضيل) التصحيح : ومثلها اسم التفضيل .

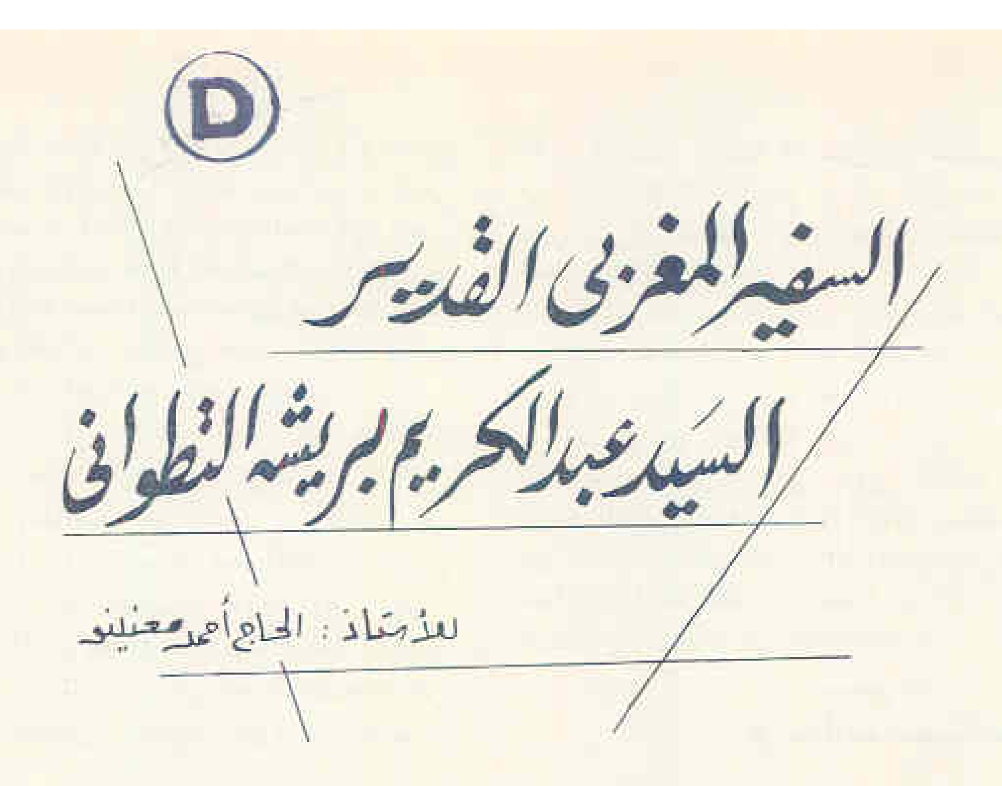
وسقط فى هذا العمود فى السطر الخامس عشر كلمة (وحقق) قبل عبارة : (من المشاريع)

وصحفت فى العمود الثالث ، السطر السادس ، كلمة (انهاره) بانهياره.

كما سقط من هذا العمود ايضا فى السطر 22 كلمة (بها) بيـن المغـرب ، واليوم . وفى السطر 27 كلمة (وصنع) بين التلفزيون وقطع الغيار .

وفى العمود الرابع ، السطر 18 ، تصحفت كلمة (واستولينا) باستوينا . وفى السطر 22 منه وقعت كلمة التعليم مكان التعميم كما لا يخفى .

واننا لنجدد شكرنا واعتذارنا للقراء الكرام ولفضيلة الاستاذ سيدي عبد الله كنـون الجليـل .



ولد السيد الحاج عبد الكريم بريشة التطواني عام 1246 هـ . موافق 1830 م . بمدينة تطوان وتوفي يوم الجمعة سادس عشر محرم الحرام 1315 هـ موافق 11 يوليه 1897 م. عرف هذا السفير الخطير والسياسي المغربي الشهير بعصاميته ودبلوماسيته وحبه لوطنه وحسن خدمته لدولته وأمته .

والده هو الرجل الفاضل الاكرم السيد محمد الحميدي المدعو « بريشة » سليل العظماء والعلماء قضاة فاس المحروسة .

ولد رحمه الله بتطوان سنة 1246 هـ كما سبق، وتهذب في احضان والديه وتربى تربية اسلامية وعصامية ؛ فبعد تزوده بمباديء القرآن الكريم حسب الاعراف المغربية ؛ وبعد توفره على الزاد من حفظه وترتيله ؛ شرع في متابعة الدراسة العلمية الابتدائية بمسقط راسه على خيرة رجالات العلم والمعرفة والفكر والاستقامة بها حيث ظهرت بوادر نجابته ويقظته ؛ ووالده المفضال يتتبع سلوكه وحيويته ونشاطه معجبا باقتداره فيكلفه بشؤونه ويدربه على تحمل المسؤوليات في قضاء مصالح بيته رغم سنه الباكر ! ويلزمه بتقديم تقرير قائمة يومية يحاسبه فيها على التقير والقطمير !.. شب على مباديء الرجولة فكبر وترعرع حازما ضابطا محبا للقيام بشؤون البيت وبكل ما يكلفه به والده ؛ وهكذا تكون السيد الجليل تكونا عصاميا وتربويا وخلقيا في بيت شهير بالعلم والمعرفة والتربية وحسن السلوك . نشا مترجمنا يرى القيام بشؤون والده واجبا مقدسا متتبعا قول الشاعر العربي :

وانما رجل الدنيا وواحدها
من لا يعول في الدنيا على رجل

ولما بلغ من العمر ثلاثة وعشرين سنة اي في سنة 1269 هـ سافر الى القطر المصري بقصد التجارة ، ولم يجلس بمدينة السويس الا قليلا ، حيث غادرها لارض الحجاز فاستوطن «جدة» وفتح فيها متجره . ومكث هناك ثلاث سنوات ، وقف فيها بعرفات مرتين، ثم ارتحل من جدة وقفل راجعا لمسقط راسه تطوان بمملكة المغرب اوائل 1272 هـ فاستراح عند اهله بعض الشهور . ثم توجه للتجارة بفاس العاصمة وما استقر بها مدة حتى رشحه جلالة الملك المقدس المولى عبد الرحمان قدس الله سره امينا بمرسى الدار البيضاء في منتصف 1273 هـ. وفي سنة 1275 اعفي من العمل وقدم لمسقط راسه تطوان حيث تزوج فيها بزوجة نبيلة ، ومن بيت كريم وعظيم هو بيت الرجل الشهير بالخير والمروءة سيدي محمد اللبادي المعروف بالدار الكبيرة . وكان زفاف عرسه الميمون اوائل 1276 هـ وفي النصف الاخير من نفس السنة شبت نار الحرب الاسبانية المغربية ، على اثر ولاية السلطان الافخم سيدي محمد ابن عبد الرحمان عرش اسلافه المقدسين ، وذلك يوافق 1860 م فكان صاحب الترجمة من المشاركين



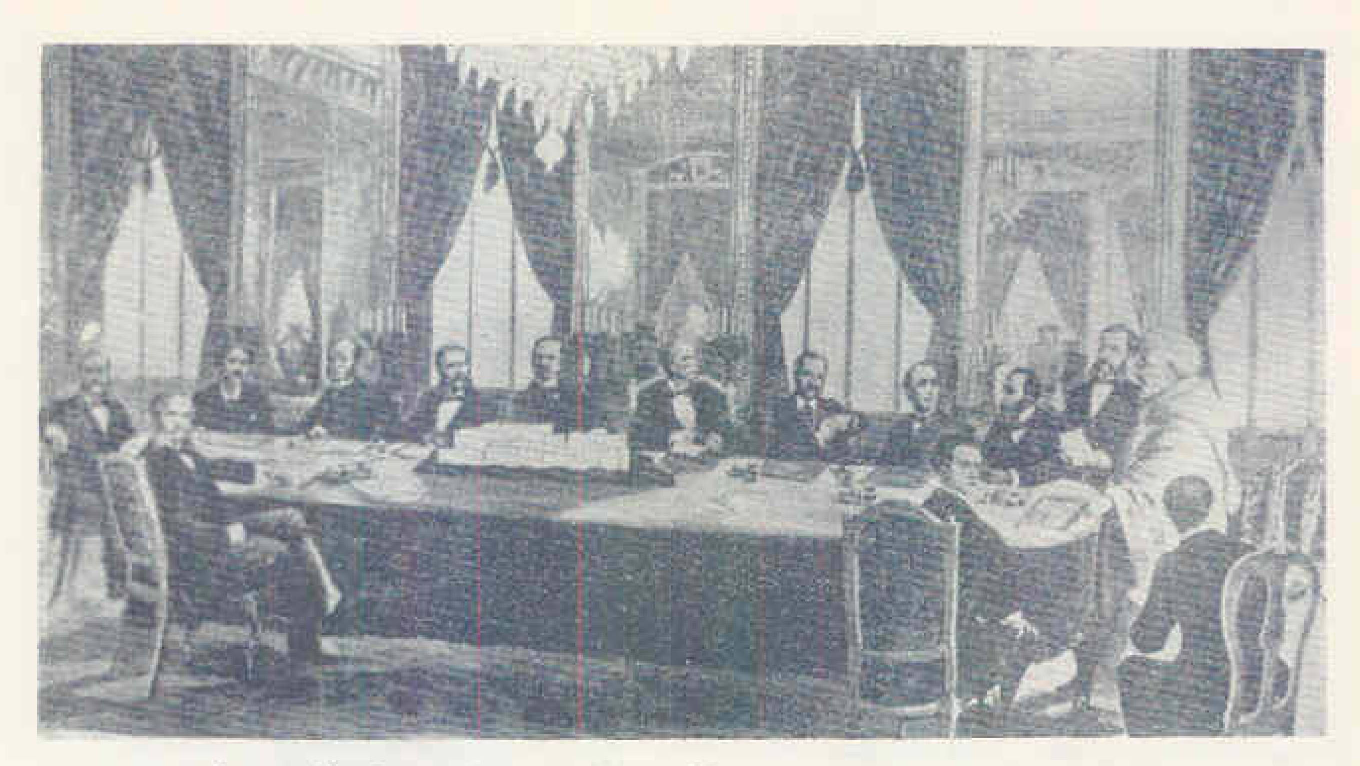
الحاج عبد الكريم بريشة التطواني سفير المغرب ...

والمساهمين بكل ما يملك فى صفوف المجاهدين، والمدافعين عن حوزة الوطن وقدسية الملك ، ساهم بنفسه وماله كبقية المواطنين الاحرار الاباة الى ان قضى العزيز الجبار باستيلاء الدولة الاسبانية على تطوان وحواليه . فخرج فى جملة سكان تطوان الذين هاجروا بأهليهم واولادهم وشرفهم ، زاهدين فى كل امتعتهم وممتلكاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، ومركزا لسلامتهم بدينهم وارواحهم . توجه السيد بريشة مع زوجته واصهاره النبلا قاصدين الاقامة بالعاصمة العلمية فاس . وعقب وصوله مباشرة فتح بيتا للتجارة شأن العصاميين الذين لا يضيعون فرص الوقت . ترك متجره بفاس ورحل الى اوربا « لمنشيستر » بانجلترا ، حيث عمل بجد ونشاط على الاتصال بعدة بيوتات تجارية فتح معها باب المعاملة التجارية . وبلاد الانجليز هو الشهير اذ ذاك بشيوع التجارة والصناعة الحديثة، والشهير ايضا بفتح الطرق وربط الاتصالات والمواصلات التجارية مع اطراف المعمور ، وفى عام 1278 هـ رجع الرجل العصامي لفاس ثم انتقل لتطوان بعد ان ترك فى محل تجارته اخ زوجته السيد الحاج امحمد « فتحا » اللبادي .

مكث فى تطوان حتى سنة 1281 هـ حيث اسس هناك شركة تجارية مغربية حرة مع تاجرين خبيرين : الشريف سيدي أحمد بن ادريس والمحترم **السيد الحاج محمد الصفار احد نواب المخزن المغربي فى عقد الجزيرة الخضراء** ، وبعد الانتهاء من عقد الشركة توجه السيد بريشة لمنشيستر . وفتح الشريف بن ادريس تجارة بالجديدة . كما فتح الصفار تجارة مماثلة بمراكش. وبقي الاشتغال والاخذ والرد والعمل المثمر طيلة ثلاث سنوات وفى آخر عام 1284 هـ قدم السيد بريشة الى المغرب بقصد المحاسبة مع شريكيه بالجديدة ومراكش ، وفى هذه الاثناء رجع لتطوان ليصل رحمه ، ولم يلبث الا اياما قلائل حتى ورد الامر الشريف من لدن السلطان الافخم سيدي محمد ابن عبد الرحمان بتوليته امينا بمرسى تطوان ، مكث فيها سنة كاملة . ثم استبدله المخزن الشريف باخيه سيدي الحاج محمد ، وبعد سنة اخرى قلده جلالة السلطان مسؤولية المرسى بتطوان وعقب انتهائها جلس لمقابلة مهماته. وفى هذه الاثناء رشحه الجناب العالي فى وفد سفيرا الى عاصمة مدريد لمباشرة العمل مع الدولة الاسبانية .

وفى عام 1292 هـ زمان السلطان المقدس مولانا الحسن الاول ترشح الحاج عبد الكريم بريشة الرجل الحيوي النشيط المقدام الحازم امينا عاما **لمداخيل ومصاريف الدولة** ، « **بنيقة الداخل والخارج** » ورافق الركاب العالي ثلاثة اعوام اظهر فيها من المصالح وطرق الاقتصاد الدولي ما برهن للجناب الشريف على مقدرته وحسن تصرفه وخبرته ودهائه ومروءته وشهامته .

وفى عام 1295 هـ موافق 1878 م تحركت بين دولة اسبانيا والدولة الشريفة مسألة « ايفني ». **وايفني ارض واسعة الارجاء بشاطىء المحيط الاطلسي تحيط به قبيلة آيت باعمران فى سيدي « وارزيق » على وادي اسفا جهة سوس .** كان الاسبانيون يدعون انها لهم من قديم الزمان ، ويحتجون بكونهما مقابلة لاملاكهم **بالجزائر الخالدات « كاناريااس »** ! وان ابناءهم يصطادون من جوانبها الحوت ! واغتنموا فرصة عقد شروط صلح تطوان بعد واقعة **وادي «اكراز» من قبيلة «وادراس»** بأن جعلوا من جملة الشروط اعتراف المخزن الشريف بتسليم ملك **ايفني** التى تدعيه اسبانيا ، وان يمكنها منها فى الوقت الممكن فقبل المخزن هذا



الرسم التاريخي الخالد لمؤتمر مدريد الذى شاركت فيه ثلاث عشرة دولة، ويرى فى الصورة السيد امحمد بركاش وزير الخارجية آنذاك يلقى كلمة المغرب ...

الشرط رغم صعوبته **(وللضرورة احكام)** لم لما سكنت الاحوال وتنوسيت اهوال الحرب . ورجع وداد الدولتين لما كان عليه من قبل ، حيث تغافل المخزن الشريف عن تلك الناحية حتى قلت سلطته بها وصارت قبيلة آيت بوعمران لا تعترف للمخزون الا اسما دون مسمى ! ولا تنقاد لاوامره : فقد عاشت هذه القبائل اذ ذاك فى شبه ثورة ؛ وهذا من دهاء الساسة المغاربة ، فكأنهم يقولون بلسان الحال لاسبانيا : ان هذه القطعة من المغرب تعيش فى ثورة ولا يمكن تسليمها الا بعد انقيادها .. وهكذا مرت فترة المضايقة وحلت مكانها المفاهمة والمجاملة . وفى هذه الظروف عين المخزن الشريف السيد بريشة الدبلوماسي العظيم والسياسي الخطير ، سفيرا لحل هذه الازمة العويصة فتوجه لعاصمة مدريد وقدم بذلك لائحة لوزارة الخارجية الاسبانية بتاريخ 14 يونيه سنة 1878 م موافق 13 جمادى الثانية عام 1295 هـ مضمنها احتجاجات وبراهين قوية لاقناع الدولة الاسبانية وترغيبها فى التنازل عن هذا البند الذى لا شك انه **لا** حق لها فيه ، وكل ما تدعيه **من الحقوق فى ايفني باطل** ! .. نعم المخزن المغربي يستطيع ان يعوض ذلك معاوضة مالية اجتنابا من الفتن واراقة الدماء ! وكان وزير خارجية الدولة الاسبانية عندئذ احد اصدقاء السفير بريشة ، وهو السنيور ضون « منويل سلبيلا » « Señor D. Manuel Selvila » وفى هذا الجو من الصداقة بين الرجلين ودبلوماسية السيد بريشة وبعد نظره وحبه لبلاده وملكه ، استطاع ان يؤثر على وزير خارجية اسبانيا حيث قبل منه اللائحة ، وبعد ان امعن النظر فيها ، اجاب عنها بما مضمنه : « معاوضة املاك الدولة بمال هو من حقوق الامة ولاجل ذلك لا محيد من طرح الموضوع على عاتق مجلس النواب الاسباني، مع تثبيت مساحة هذه القطعة وتعيين حدودها . وعندما تنتهى دراسة الموضوع من لدن مجلس النواب بكل ما تقتضيه الظروف والملابسات يقع الجواب النهائي عن لائحتكم .

لم يرجع السفير بريشة من سفرته تلك بدون نتيجة بل سكن ما كان تحرك ! من البحث فى القضية . وقام بفصل مهمات اخر ، ومن جملتها ما حدث له اثناء جلوسه بمدريد حيث ظهر اسر خطير بأرض المغرب بقبائل **« اولاد تايمة »** على بعد ست ساعات من مدينة **تارودانت**، حيث قبض هناك اسباني اسمه«ضون خواكن كاطل Don Joaquen Katel تدخل السيد بريشة بدبلوماسيته وبعد نظره

لحل هذا المشكل مع الدولة الاسبانية ، فلقد اقنع الساسة الاسبانيين بالحجج الدامغة. وابعدهم من اقامة دعوى على المخزن الشريف فى هذا الموضوع ، وبذل جهدا كبيرا فى اطلاق سراح الاسير الاسباني من يد القبيلة وتسليمه لقنصلية دولته القريبة منها : وتسبب عن ذلك فى ايجاد اتفاقية بين المغرب واسبانيا فى موضوع دخول الاجنبي القبيلة ما !

وفحواها ان كل أجنبي اراد الخروج الى اي قبيلة من قبائل المغرب يجب عليه اعلام المخزن الشريف بذلك ليوجه معه فارسا مسؤولا دفعا لما عساه ان يحدث عليه من التعدي ! وبعد نظر السفير الخبير دائما يأتي لوطنه بالحصانة وبالصيانة من خطر الاجانب !

رجع السفير من سفارته وحل ببلده فاعاد السلطان المقدس مولاي الحسن الاول تعيين السيد بريشة فى مهمة سامية وهامة حيث أنها فى امور اقتصادية فارسله جلالة السلطان الى جس نبض دول ثلاث هي **اسبانيا وانجلترا وفرنسا** بطريق غير رسمي يجس نبض هذه الدول فيما ترتئيه فى نظرها فى المعاملات وتبادل التجارة والتقارب ، فاهتدى السيد بريشة الرجل الخبير ، حيث رجع بالفائدة والنتائج المحمودة لبلاده وسلطانه لما كان يتمتع به من السمعة الحسنة ، والمعرفة **باللغات الاجنبية الثلاث : الاسبانية ــ الانجليزية ــ الفرنسية .. هذه المعرفة باللغات وهذه الصفات الدبلوماسية** اهلته لان يرجع ناجحا فى مهمته فرشحه جلالة السلطان مولاي الحسن الاول سفيرا معززا لجناب نائب الدولة المغربية بطنجة الالمعي سيدي امحمد بركاش الرباطي فى مهمة انعقاد مؤتمر مدريد الشهير وذلك سنة 1297 هـ موافق 1880 م ــ فابديا فى ذلك المؤتمر من الدفاع عن حقوق الوطن والامة ما لا مزيد عليه . وكان **النائب السيد امحمد بركاش** (1)

(1) هو اشهر اعيان الاسرة البركاشية الاندلسية التى هاجرت من جزيرة الاندلس واستوطنت الرباط فى حدود الالف والنيف من الهجرة تقريبا ، وكان عاملا على الدار البيضاء فى زمن السلطان عبد الرحمان بن هشام ، ثم تألق نجمه فى عهد ابنه سيدي محمد عند ما وقعت حرب تطوان بين المغرب واسبانيا سنة 1276 هـ واستشار السلطان أعيان المغرب فى امرها ، واستحسن الآراء التى تضمنها تقريره ، فكلفه السلطان بمباشرة القضية مع اسبانيا ، واحله بدار النيابة بطنجة محل السيد محمد الخطيب التطواني . ولما اجتمع المؤتمر الدولي الشهير بمدريد ، سنة 1880 م حضره بركاش نائبا عن المغرب باعتباره **وزيرا للخارجية** ، واستمر نائبا الى ان ترخص عام 1303 هـ لاسباب صحية فناب عنه الحاج محمد بن العربي الطريس ، ثم استقل بدار النيابة بعد مماته رحمه الله .

من تعليق منشور فى كتاب ((**العز والصولة**)) لابن زيدان رحمه الله ــ الجزء الاول صفحة : 387.
وفيما يلي تعريب الرسالة التى وجهها ملك اسبانيا الفونس الثاني عشر الى سلطان المغرب مولاي الحسن الاول على يد وزير خارجية المغرب آنذاك السيد امحمد بركاش بعد انعقاد مؤتمر مدريد فى سنة 1880

الفونس الثاني عشر

بعون الله ، الملك الدستوري لاسبانيا ، الى الاشرف الاحق بالثناء من بين الاعراب ، سلطان المغرب ، وفاس ومراكش ، صديقنا الكبير الطيب .

تلقينا بكثير من السرور ، المكتوب الذى تعلمونا فيه بالمامورية التى انطتموها بعهدة وزير خارجيتكم الطالب امحمد بركاش . ورغما عن كوننا كلفناه ان يعرب لكم لفظيا عما تتمنونه لكم من السعادة ، وللشعب الذى القى اليكم بمقاديره من الرفاهية ، فاننا نود ان نؤكد لكم كتابيا تلك الاحساسات التى نشعر بها تابعين فى ذلك المثل الذى خطط الينا بأسلافنا .

وعند انتهاء المامورية التى عهدتم بها للسيد امحمد بركاش يلذ لي كثيرا ان احقق لكم انه توصل بفضل عريكته اللينة ، وشمائله الممتازة التى شاركت فى استعداده ــ والتى كنت اعرفها من قبل ــ الى استجلاب اكبر التعطفات بحاشيتي ، وانه مع الحاج عبد الكريم بريشة الذى أعانه فى اشغاله ، قاما بماموريتهما احسن قيام ، والفيا لدى حكومتي جميع المساعدة والتأييد الواجبين للوظيفة السامية المنوطة بهما .

اعطيت بقصر مدريد فى رابع يوليوز سنة 1880 .

يقدمه لكل الاعمال ، وحصل له به شغف عظيم .. ولما رجع للديار المغربية عينه الجناب العالي بالله لمرافقته في ركابه . ثم وجهه لقضاء اغراض السلطان الخصوصية باوربا ، ثم رجع فاقام بتطوان مدة سنوات حتى عام 1306 هـ موافق 1889 م حيث رشحه المخزن الشريف سفيرا للدولة المغربية لحضور معرض باريس ، وفي رجوعه منها وجه له مولانا الحسن ملك المغرب رحمه الله ، تفويضا لاتمام مسالة طرفاية مع دولة اسبانيا ، وذلك عام 1308 هـ موافق 1891 م فعمل كل الممكن واخلص لبلاده في عمله ، وتوفق كل التوفيق حيث اتمها على وجه مرضي ومقبول من الدولتين ، وكان يحمل من لدن دولة اسبانيا بالحمالة وهي اكبر وسام (سابيل كاتوليكت) Asabel Kachulikt وباكبر وسام دون حمالة (الميريتوميليتار) (Meritu Militar) واوسمة اخرى . كما كان مقلدا باوسمة فرنسية اجهل اسمها ورتبها ... رجع السيد بريشة لتطوان ناجحا في مهمته وجلس مع اهله اواخر عام 1308 هـ وحل عام 1309 هـ وفي آخره ، عقد رحلته الثالثة او حجته الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ورافقه في هذه الرحلة الروحانية الاسلامية وفد كبير من اعيان وافاضل مدينة تطوان .

دين ودنيا ، جهاد دبلوماسي لصالح البلاد ، وحج ومبرة تقربا وزلفى لله المنعم الكريم .

رجع من حجه المبرور ، واستراح نحو سنتين ثم رشحه جلالة السلطان المولى عبد العزيز المؤيد بالله اثر نصره وبعد وفاة والده المقدس مولاي الحسن الاول رحمه الله سفيرا مرة سادسة لدى دولة اسبانيا جارة المغرب لادخال عدة اصلاحات وتعديلات في شروط العقد المضي بمراكش بين جلالة سلطان المغرب والخنرال (مرتنيس كامبو) Martenes Kambo نيابة عن دولته اسبانيا فيما يتعلق بمسالة حرب مليلية .

اخذ السفير بريشة هدايا كثيرة قدمها لملكة اسبانيا (الملكة ضونا) Raina Dona وهدايا اخرى لنجلها الامير الصغير اذ ذاك (الفنصو الثالث عشر) (Alfonso 13) الذي اصبح ملكا لاسبانيا بعد وفاة والدته . سافر السفير بريشة من طنجة الى (قالص) على مدرعة اسبانية (الراينا مرسديس) Raina Marsides وذلك يوم 29 رجب عام 1312 هـ موافق 26 يناير سنة 1895 م .

لما وصل سفير المغرب السياسي والدبلوماسي الكبير شاع في كل الاوساط الاسبانية مقصد السفير المغربي في تعديل الشروط المنوه عنها ، والطبقات الاسبانية على اختلاف اتجاهاتها ترى تعديل الشروط ضررا بمصالح اسبانيا ! اصبح النظر اليه خطيرا ! وافكار الشعب الاسباني لا ترضى بمطالبه ! لكن الدوائر الرسمية اجملت واحسنت مقابلته بما يليق ، وانزلته بفندق روسيا (هوتيل روسيا) Hotel Rusea وكان من افخم الفنادق باسبانيا . واعلنت الملكة عن لقائه رسميا ، وتهيأ الجو في اعلى المظاهر ، وسيصعد السفير المغربي المعظم للقصر الملكي الذي حدد يوم لقائه في مظهر مشرف يليق بكرامة سفير لدولة مجاورة وصديقة .

اجل عند خروج السفير من باب محل نزوله يوم المقابلة ، وقعت من احد المجانين (جنيرال متقاعد خفيف العقل) لطمة هوجاء على خد السفير ! رجع السفير بريشة لمحل نزوله والقي القبض على المعتدي ويسمى (ميكل فوينس) Miguel Fuinis وفي الحين قدم المعتدي للعدالة فاصدرت حكمها عليه بيقائه طول حياته في المرستان)

اما السفير بريشة بعد الاعتداء عليه دخل للنزل ، وامتنع عن المشي لمقابلة الملكة، نظرا لكونه اهين اهانة عظمى !.. لكن الوزراء وكبراء القوم ترددوا عليه بكثرة معتذرين ومتأسفين (وحانقين على المعتدي الاحمق) يستعطفون السفير ويرجونه الا يتخلف عن الحضور لمقابلة جلالة الملكة ، وحضر عنده طبيب سلطان المغرب مولاي الحسن رحمه الله (السنيور رابيلو) Señor Rapelo والترجمان الشهير (السنيور سابيدرا) Señor Savidra معتذرين مؤملين تسامح السفير والمشي معهم الى القصر الملكي لمقابلة الملكة ، واكثروا من الوعود والمودة ، وان جلالة الملكة والحكومة الاسبانية جميعا يأسفون لهذا الحدث الجلل ! والاعتداء الشنيع ! وانهم يعتذرون ، وبعد جهود مضنية وتوسلات ووعود تنازل سعادة السفير ، ومشى معهم الى القصر الملكي ، ولكنه ابى ان يدخل لمقابلة جلالة الملكة ... لان شرفه مهان ، وشرف بلاده تعرض للهوان . فخرج اليه صادق وداده رئيس الوزراء (السنيور ساقاسطا) Señor Sakasta (والخنرال ضون كامبوا) Jeneral D. Marues Kambo واقنعوه بما يرضي دولته ويحفظ شرفه . فساعدهم عند ذلك وتقدم لغرفة استقبال جلالة الملكة المحترمة . ولما

قابلها احسنت الملكة استقباله وشرفت مكانه فوق العادة جبرا لخاطره .

ومن غريب ما يذكر في ملاقاته هذه كون جلالة الملكة نزلت عن كرسيها خلافا للمعتاد ، وصافحته وهي قائلة (يا سعادة السفير اتاسف من صميم فؤادي على التعدي الذي وقع عليك، وانني اشعر بالم تلك اللطمة داخل قلبي)

بعد المقابلة الكريمة والتحية والاحترام وتبادل المجاملة بين جلالة الملكة وسعادة السفير المغربي ، خرج ورجع الى محل اقامته في تشريف وتكريم واحترام ومودة . وما كاد يجلس بمكان اقامته حتى تواردت عليه الوفود من كل المجامع وادارات الجرائد وكل الوزراء ورجال الدولة مطيبين لخاطره ، واصبح السفير الذي كان يشعر بالقزازة ابان وصوله لاسبانيا لما شاع عند حضوره من كونه يسعى في تعديل الشروط المعقودة بين المغرب واسبانيا في ظروف قاسية على المغرب اصبح يتفاءل خيرا ويشعر بالطمانينة وبنجاحه في مسعاه ، وان الامة الاسبانية والاحزاب والمجتمعات والاندية ومجلس الامة ورجالات الدولة الاسبانية كلهم متاسفون متالمون مما وقع . وان هذا الاعتداء من احمق سيحقق له النجاح في مهمته ؟

بادر سعادة السفير فابرق الى جلالة سلطان المغرب بواسطة نائبه بطنجة سيدي الحاج محمد الطريس رحمه الله قائلا :

(ان ما يصلكم سيدي من التعدي على شيء لا اهمية له ، ولا يمس عاطفة الوداد الاسباني المغربي ، ولا يرى جنابكم العالي الا ما يسره) وفي هذا الجو تقرر بمجلس النواب الاسباني وشورى الوزراء انه من شرف اسبانيا جبر خاطر السفير بريشة والاحتفال به كما يجب لمقامه .

وهكذا انقلبت لهجة الامة كلها ، فكان لهذه الحادثة المؤلمة اثر عظيم في تعديل العقد المراكشي الاسباني الممضى عليه من الدولتين، ومن أهم تعديلاته اسقاط 1.400.000 ريال (دوروس) من 2.800.000 ريال التي كانت مقررة به ، اي اسقط النصف من القدر المقرر . كما اصبح تعديل في كيفية الدفع حيث تاخر من المدة المتفق عليها في العقد !؟

وحسب ما قرر **مؤرخو** الاسبان **وصرحوا به في** عدة كتب لهم وجرائد ان دولة **المغرب نجحت في** سفارة السيد بريشة نجاحا لم **يتقدم له مثيل ولا** نظير .

رجع السيد السفير بريشة **من مهمته في** مدريد ورفع بيده نتائج اعماله وثمرة **جهوده الموفقة** لجلالة السلطان مولاي عبد العزيز رحمه الله ، فاستحسنها واستعظمها واجاز سفيره الدبلوماسي النصوح السيد بريشة بـ 50.000 ريال تكريما وتقديرا له عما قام به من خدمة وطنه وامته وملكه ودولته وسماه نائبا في جمعية السفراء بطنجة لسن قوانين ادخال الاصلاحات الضرورية للمملكة المغربية ، وفي هذا الوظيف توفي رحمه الله كما سبقت الاشارة يوم الجمعة سادس عشر محرم الحرام 1315 هـ موافق يوليه 1897 م .

هذه لمحة سريعة عن حياة هذا الرجل العظيم الذي يعد من خيرة رجالات المغرب ، ومن دهاتهم وساساتهم العظام ، ولا يفوتني وانا اسجل هذه الكلمة المقتضبة عن حياة هذا الرجل الوفي لدينه ووطنه وملكه ودولته واعماله البرية ما خلده في وصيته بوقف ثلث متاعه ، وان يوقف ذلك الثلث في املاك ثابتة ، وعهد به الى صهره السيد النبيل (2) بنونة على ان يقسم نصف المدخول على احفاد الفقيد، والنصف الآخر تشترى منه في كل سنة ملبوسات توزع على ضعفاء تطوان بعد تقديم اقاربه المستحقين، غفر الله لنا وله ونفعه بعمله واخلاصه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا .

ومن غريب الصدف : ما اتحفني به الاخ العزيز الاستاذ محمد داود **مؤرخ تطوان** ، حيث اوقفني على رسالة مخزنية من معالي الوزير الاول في **الدولة الحسنية** الرجل الشهم بالحنكة والتجربة والغيرة والعقلية السيد احمد بن موسى **« ابا احماد »** للسيد السفير بريشة مؤرخة بـ 5 رجب الفرد الحرام عام 1295 هـ .

ونص الحاجة منه :

وقد يسر الله على يدك ما لم ييسره على يد غيرك ، وذلك كله من حسن نيتك وصفاء سريرتك او طويتك . وبركة الولي الصالح سيدي عبد السلام

(2) هو الوجيه النبيل المرحوم السيد الحاج العربي بن المهدي بنونة والد الوطني الشهير السيد الحاج عبد السلام بنونة رحمه الله ..

بن ريسون ، نفع الله به ، وحين تقضي الفرض بباريز اقدم على الحضرة العالية بالله ولابد . والله تعالى يأخذ بيدك ، ويصحبك السلامة والتيسير في المقام والمسير ، وعلى المحبة والسلام . احمد بن موسى .

ثم يعقب بقوله :

وابحث ولابد عن اسماء وزراء دولة الفرنصيص وقيدها ، وعمن فيه الفائدة منهم ؟ اذا كلف بشيء يقضيه ؟ ومن لا فائدة فيه ! واصحب معك تقييد ذلك . انتهى منه بلفظه

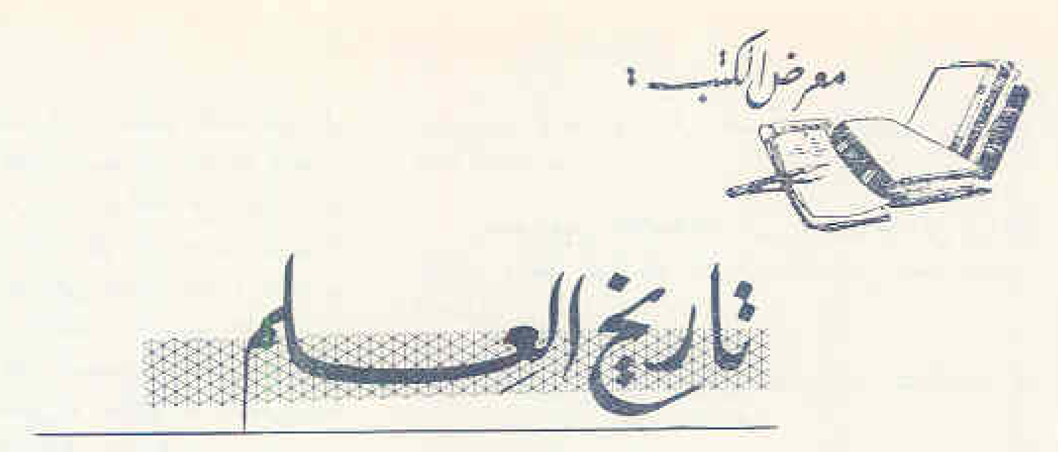
ولا مناص من التعليق على ما جاء في رسالة الوزير ، وملاحظته القيمة ، والتنويه باعمال ومجهودات سيادة السفير الموفق ، بالاخص ما يتعلق بصحبته للشيخ الجليل سليل البيت النبوي المجاهد النصوح سيدي عبد السلام بن ريسون دفين تطوان رحمه الله ورضي عنه .

فلقد كان هذا الرجل الصالح من خيرة رجالات الاسلام في ذلك العهد المشحون بالمصائب والنوائب: كان رحمه الله من الرجال البررة الافذاذ في النصح والارشاد ، والدعوة للجهاد بمعناه الواسع، والعمل على جمع كلمة المسلمين ، وشد ازر الدولة العلوية المكافحة من اجل خير المغرب وسعادته .

ونصائحه لاتباعه ومريديه كانت في مقدمة النصائح الغالية للامة ، بالوقوف صفا واحدا في وجه اعداء الامة والدين والوطن ، وبذل النفيس والغال في هذا السبيل . وكان رحمه الله القدوة الحسنة في ذلك العهد . ومواقفه تشهد له بالرجولة والكرامة والاستقامة والكلمة النافذة المفعول . كانت كلمته رضي الله عنه مقبولة بل ومقدسة من لدن اتباعه وانصاره **بتطوان — وبجبل العلم — مسقط راسه مركز الاشراف العلميين الادارسة آل ريسون** بل تعداهم وتعمل عملها الفعال عند سائر رجالات الجهاد لنصرة الدين الاسلامي والوطن المغربي ، ولا غرو ان يكون صاحب الترجمة حسنة من حسناته ؛ ورجل عمل واستقامة ونصح من خيرة اتباعه وانصاره فرحمه الله رحمة واسعة ، وانزله الرب الكريم منزلة الصديقين ، مع المنعم عليهم ، وحسن اولئك رفيقا .

سلا — الحاج احمد معنينو





الكتاب الاول : العلم القديم في العصر الذهبي لليونان

تأليف جورج سارتون
تعليق الأستاذ محمد بن تاويت

لقد ترجم هذا الكتاب لفيف من العلماء ، كل حسب اختصاصه ، واشرف عليهم لجنة تألفت من استاذينا الدكتورين ابراهيم بيومي ، ومحمد مصطفى زيادة، والدكتور محمد كامل حسين ، والدكتور قسطنطين زريق ، ويقع الكتاب في 447 صفحة

ولاهمية هذا الكتاب ـ زيادة على ما تقدم ـ فقد ساهمت الجامعة العربية في نشره بتقديم الف جنية ، لاقتناء نسخ منه ، عند طبعها ، بعدما كانت مؤسسة فرنكلين اعتزمت ترجمته .

ويقع هذا الكتاب، في فصول ثمانية ، بعد المقدمة

الفصل الاول ، فجر العلم ، وقد تناول هذا الفصل بالترجمة ، الاستاذ محمد احمد خلف الله

الفصل الثاني، خصصه لمصر، وقام بترجمته، الدكتور مصطفى الامير

الفصل الثالث ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمه الدكتور طه الباقر

الفصل الرابع ، درس فيه مرحلة غامضة بين عصرين ، للحضارة المصرية ، وحضارة بلاد ما بين النهرين ، ترجمه الدكتور ابو ريدة

الفصل الخامس ، فجر الثقافة اليونانية ، ترجمه الدكتور محمد سليم سالم

الفصل السادس ، في المرحلة الاشورية ، ترجمه الدكتور رشاد الناضوري

الفصل السابع ، العلم الايوني في القرن السادس ، قبل الميلاد ، ترجمه الدكتور احمد فؤاد الاهواني

الفصل الثامن، خصصه لفيثاغورس ومدرسته، ترجمه ايضا الدكتور الاهواني

فالكتاب اذن تجرد لتاريخ العلم في القديم ، وهو في مهوده الاولى ، بمصر والشرق الادنى وجزر شرق اوربا تناول ذلك في العلـوم ، كتناوله في الفنون والصناعات ، وان كان حظ هذه الاخيرة اقل من غيرها ،وخصوصا عند اليونان الذين فازوا ، مقابل ذلك بالعناية الادبية اكثر من غيرهم ، كما كانت هذه العناية اكثر من العناية بعلمهم، الا ما كان منه عن فيثاغورس واصحابه .

ومن اهم وقفات المؤلف ما نجده له في الصفحة 46 وهو يتناول موضوع التنقل والتجارة في ازمان ما قبل التاريخ ، وفيه يقرر ان كل هندي اميركي ، يرجع الى اصل اسيوي ، كما يذكر ان حلقات التطور من البداوة الى الاستقرار ، الذى حدث منذ آلاف من السنين ، لما تكمل بعد عند البدوي العربي الى اليوم ، وذلك تبعا للبيئة ، التى تختلف اختلافا بينا من مكان الى مكان ، وينتج عنها بالضرورة اختلاف التطور في المناطق المختلفة ،

وعلى هذا فالعصر الحجري والعصر الحديدي او العصور التي تجمعها هذه الصفة ، وكذلك العصر البرونزي ، لم تحدث في زمن واحد في كل اقليم من الاقاليم ، فربما ابتدأت مبكرة ، وربما استمرت اطول في اقاليم اطول منها في اقليم آخر ، فالعصر الحجري في الامبركتين ـ مثلا ـ استمر حتى عصر الفتح الاوربي ، ثم ان هذه العصور لم تكن مختلفة، منفصلا بعضها عن بعض ، فالادوات الحجرية استمرت في العصر البرونزي وغيره .

ومن اطيف الملاحظات ، ان السومريين ، كانوا يكتبون في اللوح المنتهي مطلع السطر الاول من اللوح الثاني وهذا معروف لنا في كتابتنا الخطية والمطبعية الى عهد قريب .

كما يذكر ان عملية العد ، في فجر الحضارة ، كانت تتم بوساطة اعواد صغيرة او اشياء اخرى كالحصى ، وهو ما تسميه اللاتينية باسم Calculi فاشتق منه Calculus ثم Calculation ونحو ذلك في الفرنسية والاسبانية والايطالية والانجليزية

ثم يذكر ان حساب « الستيني » المعروف لدينا حتى الآن في علم الفلك ، قديم جدا يرجع الى الكلدانيين ، والمحتمل ان اليونان اخذوه عنهم ، وكان النظام السومري خليطا ، من الستيني والعشري ، الذي لم يعرفه الغرب الاوربي الا بعد الاف السنين، وفي اواخر القرن السادس عشر للميلاد ، حين كشفها فليمنج سيمون ستيفن البروجي 1548 — 1620 كما ان معالجة الاعداد السالبة ، كانت معروفة للسومريين ، ولم تعرف في الغرب الاوربي الا في القرن الثالث عشر للميلاد ، زمن لونورد من اهل بيزا ، واقتضى تطور الفكرة قرونا عديدة ، عايشها الجبر الاوربي ، الذي بعثه المتكلمون بالعربية بعثا جديدا ، كما تشهد بذلك الكلمة نفسها ، وهي مستعملة في اوربا وامبركا وغيرهما .

وفي صفحة 213 ، يقف موقف الاعجاب العظيم عند مخلفات السومريين الموجودة في متحف بغداد ، ويقول : لست ادري بماذا اعجب اكثر ، أبالتجريدات الرياضية، التي اخترعها السومريون الاولون ، او بنظامهم الستيني ، او باعتدال اشكال الآنية ، ولو كانت هذه المخلفات يونانية ، لاستخف الطرب فؤاد الباحث ، من نقاء طرازها ، وما تنطوي عليه من رصانة رائقة ، لكن مبدعيها صاغة سومريون ، عاشوا قبل عصر « بركليس » بنحو ثلاثة آلاف عام . .

هذه بعض الملاحظات التي لاحظناها على نزاهة المؤلف وعمق دراسته للتراث الانساني منذ فجر الحضارة

وسوى هذه لنا بعض الملاحظات الشكلية ، التي تتصل بالترجمة خاصة ،

المترجمون غالبا ما يسطرون العناوين اليونانية بالانجليزية ، وهذا وان كان المؤلف نفسه يستعمله ويعتذر عنه ، الا ان المترجمين ، ليسوا في حاجة الى كتابتها لنا كذلك ، ويكفي منهم ترجمتها العربية، فلا يذكرون عنوان كتاب هسيودوس بهذا العنوان Works and days كما ان خط الزوال لا لزوم لتفسيره الانجليزي Meridian لقراء العربية المثقفين بمعارفها ، ولا لتسمية المطربين الجوالين او الشعراء المتجولين عند اليونان وغيرهم باسم « التروبادور » فهذه التسمية متاخرة ، هاجرت الى اوربا من اسبانيا وهي كما يرى الدارسون عربية في اصلها من الطرب ، ومهما يكن فلا حاجة لذكرها في الترجمة ، الا ان كانت في معرض تاريخي او فقهي.

وقد صادفتنا بعض التعابير الغريبة ، مثل « لا ينبغي علينا » و « سوف لا » و « ستة وعشرين شيئا » و « سوى افصاحا مكشوفا او رمزيا » و « اثنتان من الالفاظ » و « انواع هذه الوحي » و « المسافة الزمنية » و « ان على الرغم من وقوع العاصمة » « فان الامبراطورية » و « هو موطن راسه» و«لم تتسع ديانتهم المضيافة» و«من نوع او من آخر»و « اقليس كل ميلاد متواضع وصغير ، وكل مولود صغير ! »

نستغرب وجود هذه الاخطاء ، ومن رجال الترجمة والاشراف الدكتور مذكور والاستاذ خلف الله ، وهما ضليعان في العربية وقد لازمنا الدكتور بيومي سنتين كاملتين يحاضر علينا في الفلسفة بعربية فصيحة سليمة وبطلاقة اهلته ليكون عضوا بمجالس الشيوخ ، وهو دون السن التي تسمح له بهذه العضوية ، آنذاك . .

واخيرا ، والمؤلف يتكلم عن كون المادة الاصلية، التي قال طاليس انها الماء ، وجدناه يقول :

سيلاحظ المؤرخون اصحاب العقلية الفلسفية باهتمام ان نبي الاسلام انتهى الى نتيجة مماثلة ، بعد اكثر من اثني عشر قرنا ، اذ اوحى اليه الله تعالى بقوله « وجعلنا من الماء كل شيء حي » وليس من المستحيل ان تسرب التصور الطاليسي الى ذهن محمد .

فهذا كلام لا يستغرب من غير المسلم ، وان كان المترجم ــ ولا ريب ــ لطفه بقوله « اوحى اليه الله تعالى بقوله » وهو شيء لا يتمشى مع الترجمة النزيهة ، وكان فى الامكان التعليق بنحو « كما يعتقد المؤلف» والاكتفاء بذلك .

على ان الاخذ فيه بعض التعصب الغبي ، ويذكرني بموقف مشابه ، كان من استاذنا ابو العلا عفيفي ، عفا الله عنه ، اذ كان يحاضرنا فى الفلسفة ، وانتهى الى العبارة التى كانت مكتوبة على هيكل اثينا: « اعرف نفسك بنفسك » فقال : لا شك ان الآية « وفى انفسكم » ماخوذة من هذا

فصاح به الطلبة ، الذين كان من بينهم الاخوان المسلمون ، وكاد الهرج والمرج يسود المدرج الذى كنا به ، لولا ان الدكتور ، استطاع ان يسكتهم باعجوبة عفا الله عنه ، وتجاوز عن استنتاجه الغبي ..

— ❊ —

فكــرة التاريــخ The Idea of History

تاليـف ر. ج. كولنجـوود
R. G. Collingwood

وترجمة محمد بيكر خليــل
ومراجعة محمد عبد الواحد خلاف

كتاب يقع فى 570 صفحة ، وهو من امتع ما تطالعنا به حركة التاليف فى عصرنا واشمل الدراسات فى موضوعها جعله صاحبه فى خمسة اجزاء ، بعد مقدمة وتمهيدات ضرورية لتلك الدراسات الحافلة .

ففى الجزء الاول تناول فيه كتابة التاريخ عند الاغريق والرومان وما تنطبع به تلك الكتابة منذ هيرودوت الاغريقي الى تاسيتوس

وفى الجزء الثاني تعرض للتاريخ المسيحي وخصائصه منذ فجر المسيحية الى عصر النهضة الاوربية وفلاسفتها

وفى الجزء الثالث افتتحه بمدخل التاريخ العلمي ، وانتقل الى الحركة الرومانتيكية ، ثم تعرض لفلاسفة كان لهم شان فى البحوث التاريخية الحديثة ، وختمه بشرح المذهب الوضعي فى الدراسة التاريخية .

وفى الجزء الرابع تنزل لدراسة التاريخ العلمي وتناول الذين شهروا فيه ، من فلاسفة وعلماء انجلترا والمانيا وفرنسا وايطاليا ، وقارن فيما بينهم من وجهات نظر وآراء .

وفى الجزء الخامس تعرض الى مباحث تمس الطبيعة الانسانية والتاريخ الانساني والخيال التاريخي والمادة التاريخية والتاريخ باعتباره تصويرا جديدا لاحداث الماضي وموضوع التاريخ والتاريخ والحرية والتقدم الذى استحدثه التفكير التاريخي.

هذا مخطط ذلك المؤلف الذى يصح ان نعده ضمن فلسفة التاريخ ، وان كان صاحبه قد عدل به عن هذه الفلسفة اخيرا

و فى قراءتنا له استرعت انتباهنا بعض الآراء الجزئية التى استهوتنا او وقفنا منها موقف الاستغراب او الاعتراض فمن الاولى ما ورد فى صفحة 12 من كون العلاقة بين المشاكل التاريخية والفلسفية لا تخضع لتكييف واحد (وهذه ملاحظة الناشر) يقول المؤلف « ان القديس اوغسطين نظر الى التاريخ الروماني من وجهة نظر المسيحيين القدامى ، ونظر اليه تلمونت من وجهة نظر فرنسي، عاش فى القرن السابع عشر ، كما نظر اليه جيبون من وجهة نظر انجليزي ، عاش فى القرن الثامن عشر ، اما مومسين فقد نظر اليه من وجهة نظر المانى ، عاش فى القرن التاسع عشر »

وعلى هذا فتكييف هذه العلاقة يخضع لعوامل دينية وقومية وزمنية ، الى جانب عوامل اخرى شخصية وغيرها وذلك كالثقافة والتيارات السياسية والحزبية والاقليمية .

ويضيف فى الصفحة 38 قوله « والواقع ان اية اضافة الى مجموعة الافكار الفلسفية ، لابد ان تغير كل ضروب التفكير المصطلح عليها فى هذا المضمار الى حد ما ، فى حين ان قيام دراسة فلسفية جديدة ، امر يستلزم مراجعة الفلسفات القديمة كلها ، فنجد ان قيام العلوم الطبيعية الحديثة على سبيل المثال ، وما

استتبع هذه من قيام نظرية فلسفية ، جاءت وليدة التفكر ، كان لها اثرها فى المنطق التقليدي (الصوري) فتضاءلت الثقة فى منطق القياس . وحلت محله اساليب الاستقراء الحديثة »

وفى صفحة 98 يقرر ان «الشخصية جوهر» معنى ذلك ان الخواص الكامنة فى اخلاق رجل مثل «تيبريوس» او «نيرون» التى لم تظهر الا فى وقت متاخر من حياته قياسا الى غيرها ، كانت ممتزجة باخلاقه منذ البداية . ان الرجل الخير لا يستحيل الى رجل شرير ، ان الخلق السيء الذى يبدو فى شخصية انسانية ، فى وقت متاخر عند الشيخوخة، لم يكن من قبيل التعبير الطاريء ، وانما كان موجودا منذ البداية ، وانما حال الرياء بين رذائله وبين ان تظهر ، وهذا معنى قول الاغريق (ان المباديء هي مقومات الشخصية الانسانية) ما كان للسلطة ان تغير من اخلاق انسان ، ولكنها تكشف عن حقيقة كانت كامنة فيه » .

وفى صفحة 123 يقول « والحياة مع ناس عاشوا فى جيل متقدم عن جيلنا ، مثلها كمثل السفر فى اقطار اجنبية ، وانه لمن المجدي فى هذه الحالة ، ان نعرف شيئا عن احوال الشعوب الاخرى، لنستطيع عن طريقها ان نحكم حكما نزيها على احوالنا، ولكي لا نحتقر احوالا اخرى غير احوالنا او نسخر منها ، مثلنا فى ذلك كمثل من لم يقدر له ان يغادر وطنه اطلاقا ، ولكن الذين شغفوا بحب الاسفار على الدوام ينتهي بهم الامر الى ان يصبحوا غرباء فى بلادهم » ، وكذلك الذين ينصرفون فى شغف الى دراسة القديم واعماله ، يجهلون ما يدور بين جدرانهم الآن ».

وفى صفحة 136 ينقل عن «فيكو» ان الفترات المتشابهة فى التاريخ تعود الى الظهور ، لقد اتبع كل عصر بعصر آخر كلاسيكي ، تميز بسيطرة الفكر على الخيال ، فاذا ما انتهى هذا العصر بدوره اعقبه عصر انهيار جميع البشرية الى حالة البربرية ولكنها بربرية التامل والتفكير »

وفى صفحة 138 يقول ايضا « ان العقلية الجامعية لتتخيل ان الاشخاص الذين تهتم بدراستهم ، لابد انهم كانوا جامعيين كذلك ، ولكن «فيكو» اعتقد فى الواقع ان ابعد الرجال اثرا فى الاحداث التاريخية ، هو اقلهم من حيث التعليم الجامعي لان العظمة التاريخية والعقلية المفكرة ، قلما يجتمعان فى انسان واحد »

ثم فى صفحة 139 ينقل عنه ايضا قوله « ان اصول الكلمات ومشتقاتها ترينا اي لون من الوان الحياة عاشها قوم فى الوقت الذى كانت تتطور فيه لغتهم ، ان المؤرخ ليستهدف تصويرا جديدا للحياة العقلية والافكار المتداولة فى الشعب الذى يعرض لدراسته كذلك آراء الناس تقاس بمبلغ الالفاظ المتداولة بينهم ، والطريقة التى يلجاون بها الى استعمال كلمة قديمة استعمالا مجازيا فى معنى جديد حين يراد التعبير عن فكرة جديدة ترينا مبلغ الافكار التى كانت متداولة بينهم قبل مجيء هذه الفكرة الجديدة المذلك نجد ان بعض الكلمات اللاتينية « Intellegere » و « Dessirere » ترينا كيف ان الرومان حين احتياجهم لالفاظ للتعبير بها عن « الفهم » و « النقاش » عمدوا الى نحتها من الالفاظ المستعملة فى الزراعة فاستعملوا كلمتي « الحصد » و « البذرة » ..

وفى صفحة 149 ينقل كذلك عن «فيكو» ان الشعر هو الاسلوب الطبيعي الذى يعبر به الانسان الوحشي عن نفسه او تعبر به العقلية الضئيلة عن نفسها، وان اسمى انواع الشعر هو الذى ظهر فى العصور البربرية او عصور البطولة ، كشعر هوميروس او دانتي ، ولكن الذي يحدث بتطور البشرية هو سيطرة العقل على الخيال والعاطفة ، واستبدال النثر بالشعر »

وفى صفحة 202 ينقل عن «فختة» ان ما يصدر من حكم المؤرخ « لابد ان يختلف باختلاف المؤرخ ، وهل عاش فى القرن الثامن عشر او التاسع عشر او العشرين ... لقد حاول الاغريق ان يلتزموا طابعهم الاغريقي ، وحاولت العصور الوسطى ان تلتزم طابع العصور الوسطى ، ان هدف كل عصر من العصور هو الاحتفاظ بحقيقته ، ولذا نجد ان الحاضر يبلغ دائما مرتبة الكمال ، بمعنى انه يستطيع على الدوام ان يبدو فى الصورة التى يريد تحقيقها لنفسه ، ولكن لن يتبع هذا ان العملية التاريخية قد انتهت من رسالتها ، ولكن معناه ان العملية التاريخية حتى هذه المرحلة ، قد انجزت ما استهدفت انجازه ، واننا لا نستطيع ان نتبين الخطوة التالية التى تزمع ان تخطوها »

وفي صفحة 248 يذكر ان المسيحية لو استبعد منها عناصر الاعجاز « ماذا يبقى ؟ تذهب نظرية النقد الى ان المسيحيين القدامى ما لجئوا (كذا) الى المعجزات الا لانهم قد أعوزتهم العقلية العلمية، فكانوا من النوع الذى يسلس القيـاد للخيال وسرعة التصديق »

وهذه قولة نقلها المستشرق جرسيا كومس ، منذ عشرين سنة ، والصقها بالمسلمين في احدى محاضراته ، بمدريد مع انها قيلت فى المسيحيين ومن فلاسفة انجلز والمان مسيحيين .

وفى صفحة 262 يذكر ان تقدم البشرية كان – بوجهة نظر القرن التاسع عشر – « معناه زيادة الثراء وتوفير اكبر وقت ممكن للاستمتاع .. كانت فرنسا قبل الثورة ، بلدا لا اثر فيه للحرية ، كما كان الملك من اكبر الآدميين ضعة وحيوانية ، اما طبقة النبلاء فكانت تمارس السلطان المطلق الى الحد الذى مكن لها من الظلم وقسوة السلطان ، وبريطانيا قد صورت صورة من نفس هذه الالوان بلا فارق ، الا ان قوانين الاجرام والوحشية ، بالاضافة الى ظروف صناعية ، تهبط بالانسان الى مستوى الحيوان ، تلعب دورا اكبر مما اتيح لنظيره فى فرنسا »

هذه بعض الآراء التى عرضها المؤلف علينا فى كتابه ، بعضها له وبعضها لغيره، واسترعت انتباهنا واعجابنا بها

اما التى وقفنا عندها موقف الاستغراب او الاعتراض ، فكان فى الواقع يتصل بالترجمة وشكلها، لا بجوهر الكتاب ومادته ففيها نجد استعمالات غريبة عن العربية بالرغم من كون المراجع غير غريب عنها ومن الم الكتاب فيها من ذلك استعمال « ينبغي علينا » كما نجد فى الصفحات 7 و 69 ، و 140 ، و 186 ، و 219 ، و 248 ، و 250 ، وحقه ان يستعمل هنا « لنا » بدل « علينا » ولا ضرورة لتضمين « ينبغي » فعل «يجب» وخصوصا اننا وجدناه قد تنبه فيما بعد لهذا الخطأ فصار يستعمل « ينبغي لنا » استعمالا سويا كذلك « لا قبل لنا عليها » بدل .. « بها »

وتأنيث الراس ، وهي عدوى عدت بعض الكتاب من الالمانية والفرنسية والطليانية والاسبانية .

والمتوفية بدل « المتوفاة » واستعمال « لكن » بالتشديد مكان لكن بالتخفيف ، كما فى قوله « والمؤرخ والفيلسوف .. لا يضع نفسه بمعزل عن هذه الحقائق .. ولكنه على النقيض من ذلك .. »

واليك مثل واحد ، بدل «مثلا واحدا»

ومنذ الذى يسعى اليه ؟ بدل «من ذا الذي..»

ويتاثر باية اعتبارات .. والصواب « باي اعتبار من الاعتبارات »

وصخرة اقوى شكيمة ، وليس من الصخور ما يبيح لنا الخيال او المجاز ان نجعل له شكيمة حتى ولو كان « حجر موسى »

وهناك ركاكات عديدة فى التعبير ، مثل ما نجد فى صفحة 115 « معنى ذلك ان الوحي المسيحي قد اعطانا فكرة .. معنى ذلك ان كتابة التاريخ فى العصور الوسطى قد نظرت الى نهاية التاريخ .. معنى ذلك ان هذا العرض للتاريخ قد تضمن فلسفة ، وهذا الاسترسال فى «معنى ذلك» انما هو استرسال مع العبارة الانجليزية it means من غير مراعاة ما يلفظه الذوق العربي الاصيل من اسلوبه ومثل قوله « حتى لقد نستطيع ان نسميه الرائد ..» ولا محل يحتمل «لقد» هنا

والى جانب هذا كله نجد عبارات عمت بها البلوى عند المعاصرين من مدعي الكتابة ، مثل «وانما الصرف الى حقيقة او اخرى » ومثل «عن طريق او آخر وهي عبارة دخيلة فى العربية ، والصواب فيها استعمال « ما » بالتشديد بدل « او اخرى » و « أو آخر » ومثل استعمال « تحبيذ » بدل الاستحسان ، فالتحبيذ اشتقت خطأ من «حبذا» وهي فعل وفاعل ومثل استعمال «انما» بدل «بل» كما فى قوله ص 60 ، التفكير الافريقي .. لا يلتئم مع نمو التاريخ .. وانما كذلك يستند الى ميتافيزيقا .. الخ .. وكثيرا ما يستعمل هذا، ومن الارتباكات التى تربك قاريء الترجمة العربية ان « كلمة تاريخ يونانية فى الاصل » مع ان الكلمة اليونانية هي هيستوريا Historia وهي التي استعملها هيرودوت واستحدث بها ثورة فى التاليف ، كما قال المؤلف ، اذ كان معنى الكلمة او «البحث» ثم تخصصت بالتاريخ ، لاشتهار كتاب هيرودوت التاريخي فيه ، كما وقع اخيرا عندنا فى كلمة «قاموس» لما سمى بها الفيروزابادي معجمه

تطوان – محمد بن تاويت



بائعة الوقيد الصغيرة

للدكتور عبدالله العمراني

(كثيرا ما تتوالى اعياد الانسان ومواسمه فيحتفل بذلك ايما احتفال . فغير بعيد مر عيد الفطر المبارك ، وفي هذه الايام يحتفل المسيحيون بأعياد الميلاد وراس السنة الجديدة ، وعما قريب سيحتفل المسلمون بعيد الاضحى الابرك . ولعل الكثير من الناس لا يفكرون – وهم يحتفلون بمواسمهم – الا في المنافع الذاتية وفي الملذات وارضاء الشهوات ، وفي التنعم بفاخر الملابس وثمين المآكل والمشارب . ولعل القليل منهم هم الذين يدركون ويشعرون بان هناك فيما حولهم وبين ظهرانيهم تعيش ارواح بشرية اخرى لا تجد ما تنفق ، وتقاسي الامرين من الام الحرمان . ثم لعل اقل من القليل هم الذين يسارعون الى الخيرات فيكفكفون دموع المحرومين ، ويخففون – شيئا ما – من آلامهم .

منذ سنوات عديدة قرات للشاعر احمد الصافي النجفي قصيدة رائعة عن « اليتيم في العيد » فتاثرت لها كثيرا ، وفي المدة الاخيرة اطلعت على اقصوصة في اصلها الانجليزي فاعجبتني واردت تعريبها ليعم النفع بها . تحمل الاقصوصة عنوان « بائعة الوقيد الصغيرة »، وهي تدور حول ليلة من ليالي راس السنة الميلادية ، وتبدا هكذا ..)

« كان البرد شديدا ، والثلج يتساقط كنديف القطن . وكان الليل حالك السواد ، لان القمر كان في المحاق ، والوقت آخر الشهر من السنة الميلادية التي بدت وكانها اعيت في سيرها فقررت أن تنهي مطافها وتلقي عصا التسيار ، لتخلي السبيل لسنة اخرى جديدة توشك ان تظهر على مسرح الاحداث الزمنية .

ووسط هذا البرد القارس ، والظلام الحالك ، كانت تتجول في الشوارع بنت صغيرة، عارية الراس، حافية القدمين . حقيقة انها كانت منتعلة حينما خرجت من المنزل . ولكن حذاءها الذي كانت تلبسه، لم يكن ذا فائدة كبيرة لها ، لانه كان أكبر حجما من قدميها ، كما كان يعوقها عن الحركة الخفيفة . ومع ذلك كانت تعزه ، وكيف لا وهو حذاء والدتها الذي تركته وراءها فورثته البنت وظلت تفخر به وتستخدمه !؟ غير ان المقادير لم ترحمها اذ سطت على الحذاء فافقدتها اياه حينما جرت المسكينة مسرعة في احد الشوارع لتتفادى الاصطدام بسيارتين كانتا تعبران الشارع بسرعة مذهلة .

لقد فقدت البنت حذاءها ، بل ثروتها العزيزة ، ففردة منه لم تعثر لها على اثر ، اما الفردة الثانية فوقعت في يد صبي جرى بها قائلا « لعلها تنفعني في المستقبل عندما ابلغ من الكبر عتيا ، ويكون لي اولاد من نسلي » .

وواصلت الطفلة سيرها بقدمين صغيرتين حافيتين تحمران حينا وتزرقان احيانا بفعل البرد الشديد . وكانت تحمل في مئزر لها قديم ، كمية من

الوقيد، وتمسك بيدها حفنة منه . ولكن احدا لم يشتر منها اية وقيدة طوال ذلك اليوم ، كما ان احدا لم يتفضل عليها فيمنحها اي فلس .

وباتت تدب مرتجفة من البرد والجوع . لقد كانت صورة مجسمة من البؤس والشقاء . مسكينة هذه الصغيرة ! لقد غطت ندفات الثلج شعرها الطويل الذى يشبه خيوط الكتان ؛ والذى كانت خصلاته الرشيقة تتدلى حول عنقها فى غير اكتراث منها .

كانت الانوار تشع من جميع النوافذ . وكانت تشيع فى الجو رائحة لذيذة تتصاعد من طبيخ الديك الرومي الذى اعتاد القوم ازدراده عشية راس السنة الجديدة. وفى رحاب هذا الجو العبق، رات البنت الصغيرة ان تتخذ لها موقعا ؛ فانتحت ناحية وانزوت فى ركن بين منزلين ، وخرت على ركبتيها جالسة ، ومفترشة فى نفس الوقت ساقيها واخمص قدميها . ثم سحبت رجليها الصغيرتين من تحتها، ولكنها شعرت ببرودة اكثر من ذي قبل .

لم تجرؤ المسكينة على العودة الى المنزل ، لانها لم تبع ولا وقيدة وحيدة. وكيف تستطيع العودة وليس فى جيبها فلس واحد.. ان اباها سينهال عليها ضربا ان هي فعلت . ثم ان البرد ما فتيء شديدا بين جدران ذلك المنزل الذى لا يظله الا سقف هو اوهى من بيت العنكبوت ؛ فالريح تصفر من خلال فتحات السقف الصغيرة ، اما الكبيرة فقد سدت باطراف من الحصر والقش كان مفروضا ان تقي ساكني البيت من البرد ، ولكن هيهات !

كادت يدا البنت الصغيرة تتجمدان ، واحسرتاه ! ثم ان وقيدة واحدة يمكن ان تكون ذات جدوى فى هذا السبيل . فلو اخذت وقيدة واحدة من الرزمة ، وحكتها مع الحائط ، لدفأت اصابعها التى امست مخدرة من اثر الصقيع الذى لا يرحم .

واخيرا ، اخذت واحدة واصغت الى صوت اشعالها ، وسست! وسست! عجبا لها كيف تنشر شعاعها وكيف تحترق ؟.. لقد احدثت الوقيدة دفئا بلهيبها اللامع الذى يشبه قنديلا صغيرا ودفئت يدا البنت حينما وضعتهما حول اللهب لقد كان اللهب فى الواقع ضوءا صغيرا لكنه مدهش ، فقد استطاع ان يثير فى الطفلة احلام يقظة، فبدا لها وكانها جالسة امام مدفاة حديدية كبيرة ذات اقدام نحاسية لامعة ، ومعها محراك وملقط من نحاس ايضا .

واشتعلت الوقيدة بقوة وكان نورها يؤذن بالرحيل . وشعرت المخلوقة الصغيرة بانها قد دفئت نوعا ما . وخطر لها ان تخرج رجليها لتدفئهما كذلك . وحينما انطفا اللهب ، ــ اختفت بانطفائه ــ المدفاة ؛ ولم يترك اللهب فى يدها اثرا غير عقب الوقيدة الصغيرة الذى لم يتقد .

اشعلت وقيدة اخرى، وجلست هذه المرة تحت شجرة من اشجار عيد الميلاد ، كانت اكبر وافخم زينة من الشجرة التى كانت راتها آخر مرة من خلال باب زجاجي بدار احد الاثرياء ، وكانت تشتعل على اغصانها الف شمعة صغيرة . وبدت الشجرة لعينيها وكان فوقها صورا مرحة تطل عليها . ثم انطفات الوقيدة .

وباتت انوار اعياد الميلاد والسنة الجديدة متلالئة ومحتفظة بارتفاعها ، فبدت وكانها نجوم تتراقص اضواؤها فى السماء . وسقط من بين النجوم اللامعة احد المذنبات تاركا وراءه عمودا طويلا من نور ، فظنت الصغيرة ان احد العظماء يحتضر ، ويعاني حشرجة الموت ، فالمغفور لها جدتها ــ وهي الوحيدة التى احبتها ــ كانت قد اخبرتها بانه اذا سقط نجم من السماء ، فتلك علامة على ان روحا بشرية تصعد الى بارئها .

ومرة اخرى حكت الصغيرة وقيدة مع الحائط ، فانبثق منها نور اضاء ما حوله ، وفى الضياء بدت جدتها العجوز واقفة ، واضحة الملامح ، لامعة كالروح الطاهرة، ومع ذلك بدت وديعة ، هادئة ، حنونا .

وظهرت على الصغيرة لهفة ، بدرت منها على اثرها صيحة « جدتي ! خذيني معك ! اني اعرف انك ستغربين مني حينما تنطفيء الوقيدة ، وستختفين مثلما اختفت المدفاة من قبل ، وشجرة عيد الميلاد الكبيرة البديعة » .

قالت هذا واسرعت لتشعل رزمة كاملة من الوقيد ، لانها كانت راغبة فى ان تحتفظ بجدتها الى جوارها اطول مدة ممكنة .. واعطت الوقيدات نورا اسطع من رابعة النهار . ولم تظهر جدتها جميلة او كبيرة كما بدت من قبل ، بل احتضنت الجدة حفيدتها بين ذراعيها وطارت بها تجاه السماء ، وكلتاهما يغمرها المرح والانشراح . طارتا بعيدا ، بعيدا ، فوق منتهى البصر البشري ، حيث لم يكن لا برد ، ولا جوع ، ولا حذر من ان يوجد برد او

جوع ، لانهما طارتا الى الارض الخصبة الدافئة ، الى الدار الآخرة .

وفي صباح اول يوم من السنة الجديدة، وجدت المسكينة مستندة الى الحائط بخديها الاحمرين ، وفمها الباسم ، وكان الابتسامة تجمدت على شفتيها بفعل الزمهرير .. وجدت الطفلة جالسة في جمود الموت وتصلبه ، وهي لا تزال ممسكة بحزمة الوقيدات التي كانت اشعلتها .

قال الناس وهم سكارى من نشوة العيد والشبع والمرح : « لقد حاولت ان تدفئ نفسها ». نعم قالوا هذا ولكن احدا منهم لم يحلم بالاشياء الجميلة التي راتها بائعة الوقيد الصغيرة ، ولا خطر بباله ذلك البهاء والرونق الذى دخلت به في افراح السنة الجديدة » .

(عن الانجليزية بتصرف)

تطوان – الدكتور عبد الله العمراني

من أنباء العالم الإسلامي

المغـــــرب :

* اصدرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية كتابا بالصور والارقام يستعرض نشاط وزارة الاوقاف ومنجزاتها في ظل صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله منذ عام 1961 الى عام 1971 .

ويشتمل الكتاب على 165 صفحة قدم لها معالي الوزير الاستاذ الحاج احمد بركاش، ومما جاء في ديباجة التقديم :

« واذ قدر لهذه الوزارة ان تحقق كثيرا من المنجزات حسبما هو مفصل بداخل هذه النشرة ، فان الفضل يرجع يا مولاي اولا واخيرا الى نصائحكم الغالية وتوجيهاتكم السامية وارشاداتكم النيرة التي تهدينا السبيل، وتنير لنا الطريق القويم، فليبقكم الله يا مولاي قبسا من نوره يضيء لنا ولجميع شعبكم الوفي معالم النجاح ودروب الفلاح ... وليحفظكم سبحانه للاسلام ترفعون بنيانه وتدعمون اركانه » ..

واشتمل هذا الكتاب الذي يستعرض نشاطات الاوقاف في ظل العهد الحسني على تاريخ الوقف في الاسلام واهتمام العلويين ؛ وتنظيم الاوقاف في عهد الدولة العلوية الشريفة واقسام الاوقاف وتنظيمها ودورها قديما وحديثا ؛ ونشاط الوزراء في الميادين الدينية والروحية والثقافية والاجتماعية والوعظ والارشاد ودور الاوقاف حاليا في الميدان العلمي والثقافي والاجتماعي .

والكتاب مطبوع طبعة فاخرة وهو يضع تحت يد القارىء كل ما يتعلق بمنجزات وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية في انحاء المغرب ...

* انتهت اللمسات الاخيرة من تحقيق الجزء الثالث من كتاب «التمهيد» لما في الموطا من المعاني والاسانيد تاليف الامام الحافظ ابي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي المولود عام 368 والمتوفى 463 هـ الذي تسهر على طبعه وانجازه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بامر من صاحب الجلالة امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله .

ويشتمل الجزء الثالث من كتاب التمهيد الذي دفع الى المطبعة ليكون بين ايدي القراء قريبا باذن الله ، على الاحاديث التي رواها مالك عن شيخه ربيعة بن ابي عبد الرحمن المعروف بربيعه الراي كما يشتمل ايضا على الاحاديث التي رواها الامام مالك عن شيخه زيد بن اسلم مع تحقيقات على تخريج الاحاديث وايضاح ما يحتاج شرحه ، وتراجم الرواة والفروق الموجودة بين النسخ الخطية التي اعتمد عليها الاستاذ محمد التائب السعيدي في تحقيق النص واخراجه .

ومعلوم ان اصول الكتاب التي يعتمد عليها المحقق اربعة :

نسخة خطية بالخزانة الملكية بالرباط .

نسخة بخزانة القرويين

نسخة مصورة منقولة عن نسخة موجودة بمكتبة اسطنبول

نسخة مصورة منقولة عن نسخة باحدى المكتبات بالعراق

وينتهي هذا الجزء في الحديث 18 من احاديث زيد بن اسلم شيخ الامام مالك بن انس الاصبحي ..

* بمناسبة عيد العرش السعيد الذي يخلد ذكرى جلوس جلالة الملك الحسن الثاني على عرش اسلافه المقدسين اعلنت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية عن تنظيم مباراة في السنة

النبوية الكريمة لحفاظ الحديث الشريف ، وقد عهدت الى لجنة من كبار العلماء باجراء المباراة لحفظة الحديث النبوي الشريف فكان الفائز الاول الذي استظهر عددا وافرا من الاحاديث النبوية الصحيحة بذكر رواتها هو الاستاذ السيد محمد لطفي الشياظمي الذي يعمل واعظا تحت اشراف الوزارة .

وكانت الجائزة الثانية من نصيب كل من السيد احمد بن عبد القادر المروش من طنجة والسيد عبد الرحمن بن الحبيب شطو من تافيلالت .

وان الوزارة رغبة منها في تنفيذ تعليمات صاحب الجلالة باحياء السنة ، قد منحت للفائز الاول 2 000 درهم و 1 000 درهم لكل واحد من الفائزين الاخرين، ابقى الله سيدنا ومولانا الامام حصنا حصينا لتثبيت دعائم الاسلام .

※ نوقشت بدار الحديث الحسنية رسالة لنيل الديبلوم للدراسات الاسلامية العليا للاستاذ محمد العثماني السوسي ، وكان موضوع الرسالة الواح جزولة والتشريع الاسلامي ، ولقيت رسالة الاستاذ محمد العثماني السوسي قبول اللجنة بدرجة حسن بعدما نوقشت جوانبها العلمية والتاريخية والفقهية من لدن الاساتذة المختصين الذين راسهم الاستاذ علال الفاسي وعضوية الاساتذة عبد العزيز بنعبد الله والدكتور احمد شكري، وبحضور جمهور من كبار العلماء والمثقفين واساتذة دار الحديث الحسنية وطلبتها .

※ حل بالمغرب مساء يوم الاربعاء ثالث مارس الماضي فضيلة العلامة الكبير الشيخ محمد المكي الكتاني الداعية الاسلامي المعروف والزعيم الديني الاكبر للشعب السوري الشقيق واحد مؤسسي رابطة علماء سوريا المعروفة بنشاطها الكبير لصالح الاسلام وتحرير الشعوب العربية من ربقة الاستعمار وعلى راسها سوريا وبلاد الشمال الافريقي .

ورافق الشيخ الكتاني في هذه الزيارة ولده الاكبر الاستاذ محمد الفاتح الكتاني احد اساتذة سوريا ورجال نهضتها العلمية والاستاذ ابو الطيب السوري سكرتير الشيخ الكتاني واحد رجال الاصلاح بسوريا .

وبعد استراحة قليلة في المطار وتقديم التهاني لسيادته ، قصد الجميع في رتل من السيارات منزل اخيه الاستاذ ادريس الكتاني الاستاذ بجامعة محمد الخامس الذي اقام مادبة عشاء بالمناسبة .

※ اعلنت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية بمناسبة عيد العرش المجيد الذي يخلد الذكرى العاشرة لتربع مولانا صاحب الجلالة على اريكة اسلافه الامجاد عن تنظيم مباراة للطلبة الذين يستظهرون القرآن الكريم بالقراءات السبع، وذلك يوم الخميس الماضي 29 ذي الحجة 1390 الموافق 25 ـ 2 ـ 1971 ، وقد خصصت للناجحين ثلاث جوائز مهمة .

※ صدر العدد التاسع والعاشر من مجلة « الارشاد » التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية حافلا بالابحاث التي تعنى بالتثقيف الشعبي والتوجيه الاسلامي .

وقد شارك في هذا العدد نخبة من الاساتذة والمربين وفي مقدمتهم الاساتذة :

عبد الله كنون ، والرحالي الفاروقي ، وعبد الله الجراري ، ومحمد الطنجي ، ومصطفى العلوي ، وحسن السائح ، ومحمد عبد الكبير البكري ، ومحمد المنتصر الريسوني ، الى غيرهم من الاساتذة .

※ كما نوقشت رسالة الاستاذ الميادي الحسن السوسي في موضوع : « محمد بن عبد الله الملك لنيل الدبلوم في الدراسات الاسلامية العليا بدار الحديث الحسنية .

وقد نوقش هذا الموضوع تحت اشراف الاستاذ السيد المكي الناصري ، وعضوية الاساتذة السادة عبد الرحمن العريسي والدكتور امجد الطرابلسي .

وحضر المناقشة عدد غفير من الاساتذة وطلاب دار الحديث الحسنية والمشتغلين بالفكر والعلم والحديث، وبعد مناقشة استمرت زهاء ثلاث ساعات قبلت اللجنة الرسالة بميزة حسن جدا .

* هذا وقد استقبلت مجلة الارشاد سنتها الرابعة وصدر عددها الاول والثاني في حلة رائعة قشيبة ، وموضوعات علمية ناضجة

* تكونت لجنة وطنيةمغربية بامر من صاحب الجلالة تحت رئاسة السيد الحاج احمد بلافريج الوزير الممثل الشخصي لصاحب الجلالة للسهر على تحضير المهرجانات التي ستقام بمختلف مدن المغرب بمناسبة مرور 2500 سنة على تاسيس الامبراطورية الايرانية.

وتضم هذه اللجنة شخصيات وزارية وعددا من رجالات العلم والثقافة والدين بالمغرب .

وستشتمل برامج هذا المهرجان الكبير على محاضرات عن المظاهر الحضارية الايرانية من ثقافة وفنون ومن منجزات العاهل الايراني محمد رضا بلهوي شاه ايران في كافة الحقول الاقتصادية والاجتماعية والزراعية والفكرية .

وسيزور المغرب بهذه المناسبة عدد من الشخصيات الايرانية لالقاء محاضرات حول الثورة البيضاء التي قادها الامبراطور الايراني وستقام عدة معارض بمختلف مدن المغرب لابراز النهضة الايرانية.

وقد اجتمع المكتب التنفيذي لهذه اللجنة بالرباط تحت رئاسة السيد الحاج احمد بلافريج الوزير الممثل الشخصي لصاحب الجلالة ، وقد درس المكتب الترتيبات والخطط الخاصة ببرامج الاحتفالات التي ستقام خلال هذه المهرجانات .

ويراس اللجنة التنفيذية الاستاذ الحاج احمد بلافريج وهي تضم الدكتور يوسف بلعباس وزير الخارجية والسيد محمد الفاسي وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي والسيد احمد السنوسي وزير الانباء والسيد عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة والسيد المكي الناصري وابراهيم الكتاني ...

الجزائـــر :

* ذكرت صحيفة المجاهد الجزائرية ان حملة تضامن مع الشعب الفلسطيني نظمت في الجزائر قد اسفرت عن جمع ثلاثمائة وخمسة عشر الف جنيه استرليني ، وقد نظم الحملة التي انتهت في الشهر الماضي حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم بالاشتراك مع وزارة الاوقاف الجزائرية .

* جاء في نبا نشرته صحيفة المجاهد الرسمية ان وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية قررت استعمال المساجد كمدارس ، وقد تم تطبيق هذا القرار بالنسبة لـ 3000 مسجد في مختلف انحاء البلاد . والغرض من ذلك تعليم مليون جزائري خلال السنوات الثلاث القادمة . وقد ذكرت الصحيفة انه خلال الاحتلال الفرنسي كانت المساجد درعا أمام الغزو الثقافي الاجنبي .

طرابلس الغرب :

وجهت وزارة التربية والتعليم في ليبيا بيانا الى مديرات المدارس والمعلمات والطالبات تطالبهن بضرورة ارتداء الازياء المحتشمة تمسكا بمبادىء الدين .

* تدرس الجهات المسؤولة بمحافظة طرابلس موضوع قفل المحلات التجارية ايام الجمعة بدلا من يوم الاحـد .

القاهـرة :

* اصدر الرئيس انور السادات قرارا جمهوريا بتعيين محمد توفيق عويضه بدرجة نائب وزير في وزارة الاوقاف وشؤون الازهر .

وتوفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، وكان يعمل مراقبا عاما للشباب في الاتحاد القومي ثم مديرا لادارة الاتصال بالشعوب الاسلامية . وزار 23 بلدا آسيويا وافريقيا وبعض دول امريكا اللاتينية ، تربطه صداقة شخصية بجميع رؤساء الاحزاب والجمعيات الاسلامية في العالم . واشرف على مشروع المصحف المرتل وطبعه على اسطوانات ، كما اشرف على اصدار اكثر من 500 مؤلف اسلامي في التراث والفقه والعبادات والتعريف بالاسلام . ويراس تحرير مجلة منبر الاسلام التي توزع 200 الف نسخة شهريا .

وهو بالاضافة الى ذلك عضو في المنظمات الاسلامية التي تلتقي مع رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمـة .

* بحثت جامعة الازهر تعديل خطط الدراسة في كليات الهندسة والزراعة والبنات والقسم العالي للدراسات الاسلامية والعربية بكلية الشريعة ، والمواد التي تدرس في السنة التاهيلية . وقال مدير الجامعة

انه تم بحث تعديل بعض مواد قانون تطوير الازهر بما يتفق مع النصوص بالجامعة ورسالتها فى الجمهورية العربية المتحدة والعالم .

* قرر ابراهيم الطحاوي الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين اعداد شهادات لتوزيعها على تلاميذ المراحل الابتدائية والاعدادية من أعضاء نادي المسلم الصغير الذين ينجحون فى امتحان القرآن الكريم .. ثم اعداد مجموعة فاخرة من المصاحف الذهبية وبعض الجوائز الاخرى لتوزيعها على الناجحين بتفوق .

بدأ امتحان 200 تلميذ من اعضاء نادي المسلم الصغير وتشكلت لجنة الامتحان من الشيخ محمد زكي ابراهيم واللواء عبد الرحمن حسني والشاعر الصوفي عبد الله شمس الدين والدكتور محمد عبد الله صبري المشرف على جماعة القرآن الكريم .

ويقام فى الاسبوع المقبل حفل لتكريم التلاميذ المتفوقين والناجحين بحضره السادة الوزراء .

* وجه الدكتور محمد الفحام شيخ الازهر بيانا الى العالم الاسلامي بمناسبة العام الهجري الجديد جاء فيه : ان الهجرة اكبر تجربة لصدق الصادقين وفدائية المؤمنين .. وانها اكبر حدث فى تاريخ الاسلام حيث تحققت بها الانطلاقة الكبرى لدين الله فى المشارق والمغارب والفتح على الدنيا كلها يعطيها ما حرمت منه الحرية والعدالة والمساواة . ويعمر الحياة باجيال تعبد الله وحده لا شريك له . وتحمي الحق وتصونه من طغيان الطاغين وصلف المتكبرين .

وقال : ان الهجرة لم تكن فرارا من حصار او هروبا من مقدور ، او خوفا مما دبره الاعداء وبيته المشركون ، ولكنها كانت هجرة رسالة ، وهجرة رسول .

وقال شيخ الازهر : ان التاريخ يعيد نفسه وما يمر بنا من احداث فى هذه الايام يؤكد هذا الكلام ، ويكشف لنا عن بعض وجوه الشبه بين ما كان فى امس الدابر وما هوكائن فى الظرف الحاضر ، ولعل ذلك يحثنا على مضاعفة الجهاد والتضحية والفداء والصبر والمثابرة على مقاومة الاعداء برد الاعتداء وتطهير الاوطان من الغاصبين المعتدين ، فعلى العرب والمسلمين فى كل مكان ان يوحدوا قواهم ، ويجمعوا شتاتهم ويكونوا صفا واحدا فى مجابهة عدو الله مصداقا لقوله تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص » وبذلك ترتفع منا الرؤوس وتعز النفوس ونعيد ذكرى انتصاراتنا ، وتبقى لنا حريتنا وكرامتنا ، ويتحقق وعد الله لنا « كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله لقوي عزيز » .

القدس

* جاء فى برقية لوكالة الاسوشيتدبرس من القدس المحتلة ان المجلس الاسلامي فى القطاع الغربي من المدينة قد هاجم الخطط التي تقوم سلطات الاحتلال الاسرائيلية بدراستها الان لتنمية المدينة وتقوم سلطات العدو الان بدراسة عدد من برامج التنمية البعيدة المدى فى المدينة . وقال بيان اصدره المجلس الاسلامي ان اسرائيل تهدف من وراء هذه المشاريع تمكين سيطرتها على القدس العربية ومحو طابعها العربي .

السودان :

* استقبل الاستاذ محمد توفيق عويضة رئيس عام المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية عمر الحاج موسى وزير الارشاد القومي السوداني حيث تم بحث العلاقات الثقافية الاسلامية بين البلدين ووسائل تدعيمها .. وتم الاتفاق على تزويد اذاعة القرآن بالمصاحف المرتلة والمصحف المجود واسطوانات تعلم الصلاة باللغات السواحلي والهوسه والانجليزي ومكتبة اسلامية من 1 000 كتاب ومجلد اسلامي من كتب التراث الاسلامي والمصاحف الشريفة الى مكتبات وزارة الارشاد القومي السوداني .

عمان :

* تم فى عمان تشكيل لجنة تحضيرية برئاسة وزير الاعلام ، للاعداد للاحتفالات التي ستقام بمناسبة مرور خمسين سنة على تاسيس المملكة الاردنية الهاشمية .

بيروت :

* ارسلت « رابطة الطلاب المسلمين » فى لبنان مذكرة الى كل من وزير التربية ولجنة المناهج التربوية تطلب فيها تحقيق الامور التالية :

1 — زيادة عدد ساعات التعليم الديني فى المدارس
2 — تدريس مادة الدين المقارن لطلاب الباكالوريا ودور المعلمين .

3 ـ جعل الدين مادة اساسية كبقية المواد تعتمد علامته حتى فى الشهادات الرسمية .

4 ـ تعريب المناهج فى كل المستويات المتوسطة والثانوية والجامعية وتدريس الاجنبية كلغات فقط .

وقد ذهب مقدمو المذكرة الى ان الاعتبارات الحضارية والاخلاقية والرغبة في القضاء على الطائفية تغرض كلها الاهتمام بتدريس وتقوية الروح الدينية .

كينيـــــا :

※ قام المسلمون فى كينيا بعدة اتصالات فيما بينهم لتاسيس جمعية وطنية ترعى مصالح المسلمين الدينية وتوفر لهم المتطلبات اللازمة من خلال ايجاد تعاون بينهم جميعا وقد جعلوا المقر الرئيسي للجمعية مدينة نيروبي العاصمة وفي اول اجتماع لمجلس الجمعية قام السيد وزير الاعلام الكيني بافتتاح الجلسة التي عقدت وحضرها جمع كبير من المسلمين. وقد لخصت الجمعية اهدافها الرئيسية فى النقاط التالية :

1 ـ تكتيل الجمعيات الاسلامية المتعددة .

2 ـ تنسيق امر الدعوة الى الله ونشر الاسلام .

3 ـ المساهمة الفعالة فى الانشاءات الاسلامية من مساجد ومدارس وتقديم العون لكل مشروع يستهدف صلاح المسلمين .

تنزانيـــــا :

※ فى اجتماع اسبوعي لرجال الدين والزعماء المسلمين فى دار السلام فى تانزانيا عقد فى 22 ـ 12 ـ 1970 قرروا فيه بان تكون خطب ايام الجمعة باللغة السواحلية ـ اللغة الوطنية ـ بدل اللغة العربية من الان فصاعدا .

من بين الذين حضروا الاجتماع نائب الرئيس الشيخ عبيد كارومي الذي ناشد التانزانيين المسلمين الحذر من التدخل الاجنبي .

تركيــــا :

※ تاسست بمدينة استانبول وكالة انباء اسلامية باسم وكالة الانباء الشرقية لاخبار العالم الاسلامي .

والهدف من انشاء هذه الوكالة هو القيام بتعميم اخبار العالم الاسلامي وغيرها فى ارجاء العالم .

وقد قامت باجراء اتصالات مع بعض الجهات الرسمية فى البلدان الاسلامية لدراسة امكانيات التعاون فى هذا المجال .

الشرق الكبير من جديد

※ تعود جريدة « الشرق الكبير » لصدور من جديد ، وللجريدة مواقف معروفة فى الدفاع عن الاسلام وقضايا المسلمين ، ويصدر الجريدة اديب تركيا الاول نجيب فاضل كساكوراك الذي امضى فترات طويلة من حياته فى المعتقلات والسجون . وكانت جريدته قد توقفت آخر مرة عن الصدور عام 1960 .

※ يسرنا أن نعلن ان معملا فى « التسدورف » فى المانيا الغربية ، او اصحاب هذا المعمل ، بنوا مسجدا لالف من العمال الاتراك الذين يعملون فى الصلب هناك . فاغلبية الاتراك خصوصا الذين يأتون من المناطق الريفية فى « اناتوليا الشرقية » هم مسلمون محافظون بالرغم من الجو المادي الملحد . هذا المسجد الجديد يذكرنا بالمسجد الذي شاده الاتراك فى كوريا الجنوبية اثناء الحرب الكورية والذي كان منه انتشار الاسلام وتنمية الجالية الاسلامية فى كوريا الجنوبية .

جـزائـر القمـــر :

※ وصل الى المملكة العربية السعودية فضيلة الشيخ هادي بن احمد بن عبد الله الهدار قاضي زنجبار السابق والمستشار الثقافي لرئيس حكومة جزائر القمر ومدير مدرسة الفلاح الاسلامية بها .

وقد تحدث عن اوضاع سكان الجزائر المشار اليها فقال انهم يصلون الى ثلاثمائة الف مسلم وانهم ينحدرون اما من اصل عربي او من حضرموت او من اصل فارسي من ايران الا انهم جميعا من المسلمين ، يتطلعون الى قبلتهم ثم الى خادم الحرمين الشريفين فيصل بن عبد العزيز بكثير من الامل والرجاء فى امدادهم بمنح وكتب دراسية لتكفل لهم الوقوف على اسرار دينهم الحنيف وتحضهم بالمعرفة التامة به فى

مواجهة المبادىء والتيارات الهدامة التي امتدت الى المنطقة فى أعقاب الغزو الشيوعي لبعض الجهات فيها.

نيجيـــريـــــا :

* يبلغ عدد المسلمين فى نيجيريا 40،320،000 وذلك بنسبة 72 ٪ من عدد السكان . ورغم أوضاع نيجيريا الراهنة ورغم النشاط التبشيري والصهيوني الذي زاد حدة بعد اغتيال الزعيم الاسلامي احمد وابللو وخلال ظروف الحرب الاهلية ، رغم ذلك كلـــه فان الدعوة الاسلامية تسير سيرا حثيثا محققة نجاحـــا ملموسا فى كل مكان تصل اليه نشاطاتها وفى حالـــة قيام الدول الاسلامية بدعم المنظمات الاسلامية التـــي تجاهد فى هذا الميدان فان الحركة سوف تحقق المزيد من النتائج .

* بعد استعراض الوضع الاسلامي فى نيجيريـــا ودعوة رابطة العالم الاسلامي فى مؤتمرها التأسيســـــي الاخير ، جميع الدول الاسلاميـــة الى اداء الواجـــب العملي لمسلمي نيجيريا بمدهم بالمساعـــدة الماديـــة وبالبعوث العلمية وبانشاء المدارس والمستشفيـــــات ، طلب مؤتمر الرابطة من المملكة المغربية خاصـــة ارسال عدد ضخم من المصاحف الشريفة المطبوعـــة بالخـــط المغربي هدية الى المسلمين فى نيجيريا .

السعـــوديـــــة :

* اشتركت وزارة الحج والاوقاف مـــع كليـــة الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة فى اقامة دورات قصيرة الامد الغرض منها توعيـــة الراغبيـــن فى أداء مناسك الحج من طواف وسعي واعمال الحج .

وقد تم اعداد برنامج متكامـــل لهـــذا الغـــرض يحاضر فيه كبار العلماء . وسيمنح الطالب المشترك فى هذه الدورات والناجح فى مناقشاتها والمتفهـــم لمحاضراتها .. وثيقة تدريب رسمية من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية معتمدة كشهادة مؤهلة للحصول على ترخيص من وزارة الحـــج والاوقـــاف بمزاولـــة التطويف وارشاد ضيوف الرحمن الى مناسكهم وادائها على الطريقة الشرعية الصحيحة وسيكون من مزايـــا هذه الوثيقة الحصول على الاولوية والاحقية فى العمل مع هيئات المطوفين الرسميين او المتهنين او الجهات الرسمية ذات العلاقة بالحج والحجاج .

وقد افتتح السيد حسن محمد كتبـــي وزيـــر الحج والاوقاف اولى هذه الدورات . واعلنت عمادة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية عن بـــدء قبـــول المشتركين فى هذه الدورات فى حدود مائة طالب فى الدورات الاولى . كما انتهى من وضع البرامج والمناهج وشكلت لجنة من الاستاذ عبد الله بغدادي عميد الكلية وفضيلة الشيخ علي الطنطاوي وفضيلة الشيخ محمد المبارك ومدير شؤون الطلبة بالكليـــة لاخـــراج هـــذا المشروع الى حيز الوجود .

* افتتحت الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي، ندوتها الثقافية لحج هذا العام : يوم الخميس 16 من ذي القعدة ، حيث القى فضيلة الاستاذ محمد احمـــد شطا مدير ادارة المؤتمرات بالرابطة كلمة معالي الامين العام الشيخ محمد سرور الصبـــان ، وقـــد قوبلـــت بترحيب كبير من حضرات المستمعيـــن الذين اربـــى عددهم نحو الالف ، وجلهم من طلبة العلم ، وحجاج بيت الله الحرام وغيرهم من المواطنين حتى غص بهم المكان على سعته ، ثم تقدم بعد ذلك فضيلة الاستاذ الكبير السيد علوى مالكي فالقى محاضرة ضافيـــة موضوعها « من مزايا المسجد الحرام » قوبلت بمزيد من التقدير والاستحسان .

* وصل الى المملكـــة المغربيـــة الشقيقة وفـــد تعليمي يمثل اربع قطاعات من قطاعـــات التعليـــم فى المملكة وهي التعليم العام والتعليم العالي والبعثـــات الخارجية والتعليم الفني وذلك برئاسة الاستاذ سعيد الجندول مدير التعليم المساعـــد بوزارة المعـــارف ومندوبين . وتأتي زيارة هذا الوفد فى نطاق توطيد العلاقات الثقافية بين البلدين الشقيقيـــن والوقوف على المستويات وتمديد الاحتياجات على ضوء المشاهدة للاستفادة من الاتفاقية الثقافية المعقودة بين المملكة العربية السعودية والمغرب ووضعها مواضع التنفيذ.

هذا والجدير بالذكر ان معالي وزيـــر المعارف الشيخ حسن بن عبد الله ال الشيخ كان قد اجرى محادثات مع معالي وزير التربية والتعليم المغربي فى العام الماضي وتم خلال تلك المحادثات اتخاذ الطرق الكفيلة بتنفيذ الاتفاقية الثقافية بين البلديـــن التـــي عقدت فى عام 1387 وتبادل الخبرات التعليمية .

* اجتمعت المنظمات الاسلاميـــة فى موســـم هذا العام بعـــد الحـــج مباشـــرة بمقـــر الرابطـــة

الاسلامية بمكة المكرمة برئاسة الامين العام للمنظمات الاسلامية والرابطة الشيخ محمد سرور الصبان وذلك لبحث كثير من المسائل الاسلامية الهامة .

✻ خرجت الى حيز الوجود وكالة انباء عربية جديدة هي ـ وكالة الاخبار السعودية ـ التي بدأت في بث برامجها يوم السبت 23 يناير الفارط حيث قامت هذه الوكالة العربية الجديدة المزودة باحدث الاجهزة بتوزيع نشراتها واخبارها داخل البلاد السعودية وخارجها . وتشمل اخبارها الانباء الوطنية العربية والدولية للمزيد من التعريف بواقع البلاد السعودية ووجهات نظرها حول مشاكل الساعة .

✻ ذكرت وكالة الانباء السعودية ان الاحصاءات الرسمية النهائية لحج عام 1390 هـ الموافق 1971 م اوضحت البيانات التالية : بلغ عدد الحجاج السعوديين للموسم المذكور 404 186 حاجا ، منهم 270 497 من الذكور و 133 689 من الاناث . وبلغ عدد الحجاج غير السعوديين الذين أدوا الفريضة من داخل المملكة وخارجها 675 574 حاجا ، منهم 462 443 حاجا من الذكور و 133 689 من الاناث . وبلغ عدد الحجاج من غير السعوديين الذين قدموا من خارج المملكة وعددهم 431 270 حاجا تنقسم الى فئتين : 281 757 حاجا من الذكور و 149 513 من الاناث .

كذلك بلغ عدد السيارات التي تجمعت في عرفات 50 044 سيارة . وعدد السيارات التي ترددت بين المشاعر 70 716 سيارة ..

كما ان عدد الحجاج القادمين من خارج المملكة العربية السعودية لهذا العام قد بلغ 431 270 حاجا وبيانهم كالتالي :

جوا : 208 663 حاجا للعام الحالي ، يقابلها في العام الماضي 144 972 حاجا أي بزيادة 63 661 حاجا .

بحرا : 84 547 حاجا للعام الحالي ، يقابلها في العام الماضي : 90 993 بنقص 6 445 حاجا .

برا : 138 060 حاجا للعام الحالي يقابلها في العام الماضي : 120 321 حاجا بنقص 32 371 حاجا .

وفيما يلي بيان تفصيلي بالجهات التي قدم منها الحجاج :

من البلاد العربية : 209 483 حاجا ، من دول آسيا 161 045 حاجا ، من افريقيا : 56 614 حاجا ، من دول اوربا : 3 703 حاجا ، من امريكا ودول أخرى : 135 حاجا .

الاجمالي : 431 270 بزيادة عن العام الماضي قدرها : 24 975 حاجا .

✻ قال معالي وزير المعارف الشيخ حسن آل الشيخ بأن المملكة العربية السعودية تسعى لتوطيد جذور الصداقة والتعاون الثقافي مع الدول الاسلامية الافريقية ولا تالوا جهدا في تقديم كل المعونات والتسهيلات الضرورية من اجل ذلك . وقال معاليه ان هناك صلات وتعاونا ثقافيا بين المملكة وبعض الدول الافريقية على الصعيدين الرسمي والشعبي ويوجد بوزارة المعارف مستشار ثقافي في شمال افريقيا ومبعوث جمهورية النيجير ، وقال انه تقرر ايفاد بعض اساتذة كلية الشريعة للقيام بجولة استطلاعية في افريقيا وللبحث عن احسن السبل لتقديم المعونة المؤسسات العاملة هناك ، وسيكون على رأس هذه البعثة الدكتور محمد أمين المصري . وستبدأ جولتها بعد شهرين من الان تقريبا . واضاف ان هناك لجنة خاصة أخرى من مندوب عن وزارة المعارف ومندوب عن الرابطة الاسلامية ،لكن جولتها ستشمل الدول الاسيوية والافريقية ، الا ان موعد قيامها بالجولة لم يتحدد بعد وربما سيكون خلال الشهر القادم بحول الله ..

واضاف معاليه ايضا ان وزارة المعارف السعودية تمد بعض المؤسسات العلمية في افريقيا بالكتب الثقافية والدينية ، وتدرس الوزارة حاليا امكانية امدادهم بمدرسين للغة العربية والعلوم الدينية وذلك في نطاق التعاون الاخوي مع الدول الاسلامية الشقيقة .

✻ انتهت اجتماعات المنظمات الاسلامية العالمية ، الخمس ، التي كانت منعقدة بمقر رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة من يوم الخميس 15 ذي الحجة الى يوم الاثنين 19 من ذي الحجة،بعد جلسات متصلة متوالية، نظرت خلالها ما هو مقرر في جدول أعمالها من الموضوعات .

ولقد تجلت اصالة الروح الاسلامية في هذه الاجتماعات الاخوية الصادقة ، فتمت دراسات عميقة دقيقة لجميع المسائل المعروضة ، بحيث خرجت النتائج ايجابية الى اقصى حد .

* تقوم رابطة العالم الاسلامي بمكـــة المكرمـــة بتوزيع مختلف انواع الكتب الاسلامية القيمة الى طلاب العلم والضيوف وذلك لنشر المعرفة الاسلاميـــة بين الشباب . كما تقوم الرابطة بدعم مختلف المراكـــز الاسلامية في العالم بمختلف انواع الكتـب الثقافيـــة والاسلامية . ويتلقى معالي الامين العام للرابطة في كل يوم عددا كبيرا من الطلبات من مختلف انحاء العالم .

البحـــريـــن :

* اعلن رسميا ان السيد عبد الرحمن درويش احد كبار الموظفين في دائرة العمل والشؤون سافـر الى الكويت لحضور دورة دراسية تنظمها في معهـد التخطيط الاقتصادي والاجتماعي الكويتي .

مـــالـيـزيـــا :

* كوالا لمبور ـ اتهم تنكو عبد الرحمن ، الامين العام للامانة العامة الاسلامية ، العالم الغربي بمحاولة التشويش على الامانة العامة .

وقال الامين العام للمؤتمر : « ان العالم الغربي يقوم عن طريق وكالات انبائه وصحفه بحرب نفسانية ضد الامانة العامة الناشئة » .

وقال تنكو عبد الرحمن بانه ينوي ان يدير مكتبا للمعلومات في سكرتارية بيروت وان يدرس امكانية انشاء وكالة انباء اسلامية .

واتهم تنكو عبد الرحمن بعض الدول الاسلامية، التي لم يذكر اسماءها، بمحاولة عرقلة تأسيس الامانة العامـــة .

وقال الامير عبد الرحمن الامين العـام للامانـة الاسلامية لجريدة الحياة ان المؤتمر الاسلامي الاخير في كراتشي قد اظهر حاجة المسلمين الماسة الى وكالة انباء تعنى باخبارهم وتضمن لها التوزيع في كافة ارجاء العالم .

وكان الامير عبد الرحمن يتحـدث في مقابلـة خاصة ، قبل سفره الى كوالالمبور لتأمين بعض المال للامانة ريثما تصله مساهمات الدول التـي حضـرت مؤتمر كراتشي .

وقال الامير انه يتهم الصحافة الاجنبية صراحـة بانها تعمدت تجاهل اجتماع المسلمين في كراتشي على اهميته ، وعلى الرغم من نجاحه .

واضاف قائلا اننا نواجه حربا نفسية من الغرب، وقد ظهرت جليا في اغفال اجتماع 23 دولة اسلامية، انهم في الغرب يعرفون قضية عربية وهم حريصون على ان لا تتحول الى قضية اسلامية لانهم سيعجزون عند ذلك عن مقاومتها .

ولكن الامين العام اوضح انه لم يرضخ للامر الواقع فكان اول عمل قام به بعـد ان كـرس مؤتمـر كراتشي تعيينه في منصبه ان قدم الى بيروت حيث استاجر جناحا في بناية صباغ ، سيكون مكتبا اعلاميا اسلاميا الى حين تأسيس وكالة الانباء الاسلامية .

وسيضم مكتب بيـروت الـذي يبلـغ ايجـاره السنوي 41500 ليرة لبنانية حوالي 10 موظفين وقد افراد الامير عبد الرحمن لنفسه فيه مكتبا الى جانبه غرفة نوم لاستعماله الشخصي اثناء وجوده فيه .

ويامل الامير عبد الرحمن ان يتولى المكتب مهمة جمع الاخبار من الدول الاسلامية ، ثم توزيعهـا على الدول الاسلامية والعالم الخارجي الى حين تأسيس الوكالـــة .

وقال الامير عبد الرحمن ان اكثر ما يضايـــق عمله هو ضآلة ميزانية الامانة العامة التي قطعت الى النصف بسبب الحاح بعض المندوبيـن الذيـن لـم يستطيعوا ادراك مقدار اهمية الامانة العامة في جمع كلمة المسلمين وابراز قضاياهم والترويج لها .

وعلق الامين العام على مقاطعة بعـض الـدول للمؤتمر الاسلامي فقال انه لا يعتزم الاتصال بها فورا لان قضية الوكالة اكثر الحاحا ولكنه يامل ، بعـد ان يظهر حسن عمل الامانة واهميته ان تدرك هذه الدول ان وحدة المسلمين تعود بالخير عليهم ، فتشارك بقية الدول الاسلامية .

* عاد الامير عبد الرحمن الى بيروت من طهران لتأسيس المكتب وهو يامل ان يكون في ذلك الحين قد تلقى 10 000 دولار من كل دولة اسلامية اشتركـت في مؤتمر كراتشي .

وكان قد اتفق على ان تقدم كل دولة هذا المبلغ كسلفة الى حين الاتفـاق على توزيـع حصصهـا في الميزانية العامة .

وقدمت ماليزيا للامانة العامة حتى الآن 40 000 دولار .

* قدم وفد ماليزيا الذي حضر المؤتمر الاسلامي الثاني لوزراء الخارجية مؤخرا في كراتشي مشروع انشاء وكالة اسلامية للانباء .

وقد اقترح الوفد الماليزي في الوثيقة التي تقدم بها في هذا الشأن ان يهتم وزراء خارجية الدول الاسلامية بانشاء وكالة انباء اسلامية دولية لكي يحققوا اهداف واغراض الامانة العامة الاسلامية وان يحسنوا سير وتبادل الانباء بين الدول الاسلامية كما يضمنوا نشر الانباء الملائمة عن المسلمين في باقي انحاء العالم .

ودعا المشروع المؤتمر الوزاري الاسلامي في حالة موافقته على انشاء هذه الوكالة ان يقرر تعيين فريق عامل لتنفيذ هذا الاقتراح وان يكون هذا الفريق على ارتباط وثيق بالامانة العامة الاسلامية .

* ابلغ الامير عبد الرحمن الامين العام للمؤتمر الاسلامي ، الصحفيين في كوالالمبور بان النشاطات التي اتفق عليها في مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الذي عقد في كراتشي لن يبدأ بتنفيذها الا بعد الانتقال الى جدة .

وقال ان من بين المقررات التي اتخذت في مؤتمر كراتشي انشاء بنك اسلامي في القاهرة ووكالة انباء اسلامية في طهران ومركز ثقافي في الرباط .

طهـــــــران :

* قام رجال البوليس بالهجوم على مراكز الهيبيين في منطقة شيمران بشمال مدينة طهران ، وقد اعتقلهم حيث كانوا يدخنون الحشيش ، وقام بحلق شعورهم الطويلة بالموسى وذلك في اليوم الاول من الحملة التي يشنها البوليس ضد الهيبيين . هذا وبموجب قانون ايراني جديد لمكافحة المخدرات فان اي شخص يحمل اكثر من عشرة جرام من الهيروين او كيلوين من الافيون سيكون عرضة لاطلاق النار من قبل رجال البوليس ، ونفس القانون يقضي بالسجن لمدة سنة عن كل عشرة جرامات من الحشيش يتم ضبطها مع اي شخص .

استراليــــا :

* وصلنا العدد العاشر من المجلد الخامس من مجلة « الهلال » The crescent التي تصدرها الجمعية الاسلامية في كوينزلاند باستراليا ، وهو حافل بالموضوعات الاسلامية .

* قرر رئيس جمهورية ملاوي تحجير ارتداء الفساتين القصيرة مما اضطر النساء الاوروبيات الى الاقبال بكثرة على الملابس المحتشمة .

أوتـــــاوا :

* حضر سفراء من تسعة بلدان اسلامية حفل عشاء لجمع التبرعات نظمتها تنظيم المسلمين في « اوتاوا » لبناء مسجد ...

الدكتور فريد احمد رئيس هذه الجالية الاسلامية في « اوتاوا » قال ان التنظيم انشيء منذ ثماني سنوات ليوفر للمسلمين الصلاة مع بعضهم ولتعليم الاسلام للابناء ولنشر الوعي الاسلامي بين غير المسلمين .

واشترى « التنظيم » نصف دونم من الارض تبعد 25 ميلا من مقر البرلمان . وبالاضافة الى ذلك جمع مبلغ 50 الف دولار للمسجد .

ويلزمهم 200 الف دولار لاتمام هذا المشروع .

وجمع اكثر من 5الاف دولار لتوه . ومباشرة الاعمال الاولية ستبدأ في اقرب وقت ممكن .

بكيــــــن :

* شن راديو بكين ووكالة انباء الصين الجديدة هجوما عنيفا على السيد ذو الفقار علي بوتو والشيخ مجيب الرحمن ، اللذين فاز حزباهما في الانتخابات النيابية الاخيرة في باكستان . وقد اتهم الراديو بهوتو بانه عميل لوكالة المخابرات المركزية الاميركية . كذلك اتهم الراديو الشيخ مجيب الرحمن بالعمالة للمصالح التي تريد فصل باكستان الشرقية عن الغربية ، وانه عميل لمؤسسة هارون اخوان Haroon Brothers الصناعية ، وهي واحدة من اثنين وعشرين مؤسسة استغلالية في باكستان . واعلن المعلق اسفه ان الحزبين اللذين فازا في الانتخابات فازا باصوات الطبقات الفقيرة الكادحة ، باسم الاشتراكية والخبز .

كلكتــــا (الهند) :

❊ انشا فرع الطلاب المسلمين فرعا جديدا له في (كامارهاتي ، 24 بارغاناس) ، والحق ان هذه الخطوة تعد رمزا للوحدة والتماسك الاسلاميين ، اذ ان الطلبة المسلمين في تلك المدينة لم يترددوا في ان يلغي وجوده المستقل ليصبح جزءا من الاتحاد العام .

دلهـــي :

❊ قرر بعض كبار الزعماء المسلمين في ولاية بهار بشرقي الهند ، تأليف منظمة اسلامية جديدة باسم « عوامي تنظيم » وشرح السيد خليل احمد وهو قاض متقاعد للمحكمة العليا اهداف المنظمة ان المنظمة الجديدة ستسعى الى النهوض بمستوى الاقليات وخاصة المسلمين اقتصاديا واجتماعيا ، وصرح ان مشاكل المسلمين التعليمية والاقتصادية تستحق اهمية قصوى ، وستسعى المنظمة ايضا الى توحيد مختلف الهيئات الاسلامية .

❊ حث اعضاء البرلمان المسلمون – ومن بينهم نائبان من الوزراء – على عدم اتخاذ اي اجراء يعدل وضع الجامعة الاسلامية في عليكرة واكدوا الضرورة الى ابقاء ميزتها الاسلامية ، وحذروا من ان اي اجراء متطرف يتنافى مع دستور الجامعة التقليدية سوف يبعد الناخبين المسلمين من الحزب الحاكم ويضعف ذلك موقف الحزب من الانتخابات ، وقد ارجأ الحزب اتخاذ اي قرار في هذا الصدد وحول مسودة المشروع الى لجنة خاصة للبث فيها .

❊ قرر مؤتمر عموم الهند الاسلامي السياسي مؤخرا تشكيل لجنة اسلامية استشارية لتنسيق نشاطات الاحزاب السياسية الاسلامية في الهند وبناء على ذلك عين السيد بدر الدين طيابجي وهو رئيس المؤتمر ، لجنة لهذا الغرض ، وتكون هذه الهيئة مؤسسة سياسية للتنسيق والاستشارات .. وهي لن تصبح حزبا سياسيا .. وقد صرح كل من رئيس المؤتمر والدكتور عبد الجليل مزيدي بما يلي :

« ليست لدينا نية لتشكيل حزب سياسي اسلامي لعموم الهند لخوض الانتخابات .. والغرض من انشاء اللجنة الاستشارية الاسلامية » في الوقت الراهن ان تقوم المؤسسة بدور المرشد للاحزاب السياسية والمؤسسات والشخصيات الاسلامية ، حتى يمكن تحديد طريقة حل جميع مشاكل الطائفة ..

جاكرتــــا :

❊ دعا الزعماء المسلمون في اندونيسيا الامم المتحدة لدراسة مسالة اضطهاد المسلمين في الصين والاتحاد السوفياتي .

وقالت وكالة انباء انتارا الاندونيسية ان خمس منظمات اسلامية تقدمت بهذا النداء في بيان مشترك اعربت فيه عن قلقها تجاه 80 مليونا من مسلمي مقاطعة سنفكيان وجمهورية تركستان السوفياتية

وقال البيان ان على الامم المتحدة في راينا ان تتولى امر المشاكل المتعلقة بمصير المسلمين هناك .

❊ تقدمت خمس منظمات اسلامية في اندونيسيا بنداء الى الامم المتحدة دعتها فيه الى دراسة مسالة اضطهاد المسلمين في الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي .. واعربت هذه المنظمات في بيان مشترك صدر في جكارتا عن قلقها من مصير 60 مليونا مسلما يعيشون بمقاطعة سنفكيان الصينية وجمهورية تركستان السوفياتية ، وقال البيان ان على الامم المتحدة ان تتولى امر المشاكل المتعلقة بمصير المسلمين هناك .

روالبنـــدي :

❊ حصلت رابطة مسلمي الباكستان التي تحالفت مع حزب مجلس مسلمي الباكستان ، على مقعد في الجمعية الوطنية الباكستانية في الانتخابات الجارية في شمال غرب البلاد . وقد بقيت في المقدمة كذلك مما يسهل عليها الحصول على مقعد آخر ..

وقالت الاسوشيتدبرس التي اوردت الخبر ان « حزب الشعب » في غرب الباكستان الذي يتزعمه ذو الفقار علي بهوتو قد فشل في الحصول على موطيء قدم .

وفي ولاية بشاور فاز السيد يوسف ختاك من حزب مجلس مسلمي الباكستان على منافسيه بحصوله على 5000 صوت وبذلك حصل على المقعد الذي كان يشغله السيد خان عبد القيوم من رابطة مسلمي الباكستان .

وكانت رابطة مسلمي الباكستان وحزب مجلس مسلمي الباكستان قد اتفقا على التحالف في هذه الانتخابات بعد أن كانا مستقلين في الانتخابات التي جرت في السابع من ديسمبر من العام الماضي .

وبالنسبة لمقعد ولاية مردام كوم هازارا ، فقد فاز به السيد محمد قائف خان مرشح رابطة مسلمي الباكستان بحصوله على ألف صوت زيادة على منافسه عبد العزيز خان مرشح حزب عوامي .

وتفيد الوكالة ان مرشحي السيد ذو الفقار علي بهوتو لم يتمكنوا من الحصول الا على المرتبة الثالثة في الانتخابات .

وقالت ان رابطة مسلمي الباكستان ستحصل على اثني عشر مقعدا من مقاعد الجمعية الوطنية وعددها 313 مقعدا .

كراتشي :

※ اهدت الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي نسخة ممتازة من مصحف مكة المكرمة ، من الحجم الكبير مجلدة تجليدا فاخرا هدية لجمعية المحافظة على القرآن الكريم بكراتشي ليكون في صدر المتحف القرآني الخاص الذي اقامته الجمعية بمبنى مؤتمر وزراء الخارجية اسوة بكثير من المصاحف التي يضمها هذا المتحف الكريم .

كشمير :

※ زار فخامة سردار محمد عبد القيوم خان رئيس كشمير الحرة المركز الاسلامي « المقر للوفاق العالمي للدعوة الاسلامية » فقال وهو يتحدث مع فضيلة مولانا محمد فضل الرحمن الانصاري القادري رئيس الوفاق العالمي للدعوة الاسلامية : « ان المركز الاسلامي من جملة المؤسسات النموذجية التي تبعث السرور والابتهاج في قلوب محبي الاسلام » . وقد كشف فخامته عن رجائه بأن خريجي هذا المعهد يكافحون ضد التيارات الالحادية مكافحة يكون لها اثر قوي . وقال ان هذه البيئة التي يجتمع فيها الطلبة من اكناف العالم هي بيئة نموذجية لتعليم العلوم الشرعية .

وابدى فضيلة الدكتور مولانا محمد فضل الرحمن الانصاري القادري عن مشاعر الشكر والامتنان على زيارة فخامته للمركز وقال انه ليسعده ان يقدم الى فخامته تعاونه من اجل خدمة الاسلام والمسلمين .

كازاخستان (وسط آسيا السوفياتية)

※ يجري المجلس الاسلامي لوسط آسيا وكازاخستان استعدادات كبيرة للاحتفال بالذكرى المائتين بعد الالف لمحدث الاسلام العظيم الامام البخاري . واحتفاء بذكرى الامام البخاري فقد نشر مؤخرا في الاتحاد السوفياتي كتاب هذا الامام الذي يحمل عنوان « الادب المفرد » مع مقدمة كتبها المفتي ضياء الدين باباخانوف ، رئيس المجلس الاسلامي في الاتحاد السوفياتي .

وقد نشرنا مقدمة الكتاب بقلم باباخانوف في العدد ما قبل الماضي ..

※ تقرر أن ينعقد المؤتمر السنوي للاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية في لندن في شهر حزيران .

اسبانيا :

※ يذكر قراء مجلة (دعوة الحق) القراء ان الدكتور عبد الله العمراني سبق ان نشر مقالا بعنوان: « اللغة العربية ومؤتمر المستشرقين بغرناطة » في هذه المجلة ، العدد التاسع والعاشر ، السنة الثالثة عشرة ، الصادر في رمضان 1390 هـ - نوفمبر 1970م

والجديد في الامر ان هذا المقال كان له صدى بعيد في أوساط الاستشراق الاسباني ، حيث ان الجمعية الاسبانية للمستشرقين بمدريد ، قد حرصت على الحصول على عدة اعداد من المجلة ، وقام بعض اعضائها بترجمة المقال الى اللغة الاسبانية ، وذلك للاحتفاظ به في أرشيف الجمعية ، ولنشره في كتابها السنوي الذي تصدره كل عام .

موسكو :

※ موسكو - رويتر - جاء في مقال افتتاحي في الصحيفة المحلية اليومية كومونيست طاجكستان بأواسط آسيا ان السلطات قلقة لافتتاح مساجد وبيوت عبادة غير رسمية هناك . واشتكت الصحيفة من الجهود الهزيلة التي يبذلها رجال الاعلام الملحدون.

وقالت : انه لا يمكن افساح المجال أمام « التنازلات أو الحلول الوسطى في الكفاح ضد الدين وخاصة من جانب الشيوعيين » .

وقالت الصحيفة الصادرة بجمهورية طاجكستان السوفياتية : انه بمجرد ان خفف المسؤولون من يقظتهم فيما يتعلق بتطبيق القانون على الفئات الدينية عمد رجال الدين الى زيادة نفوذهم . واضافت « ان ذلك يفسر افتتاح مساجد ودور عبادة في اماكن معينة دون تصريح ، وظهور رجال دين متجولين هنا وهناك ، بالاضافة الى المشعوذين والسحر الذين يعيشون عالة على الاخرين » .

باريس :

※ وصل الى باريس وفد رسمي من وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائرية برئاسة رشيد بن عيسى ، يصاحبه احد الائمة وعدد من الطلاب والطالبات المسلمين ، وذلك بدعوة من ودادية (رابطة الطلاب الجزائريين في اوربا) . وقد القى اعضاء الوفد محاضرات اسلامية في كل من باريس ، ناشيز ، مارسي ، ليون ، سان ايتين ، نانجن ، ليل ، وضواحي ومدن اخرى ، والتقوا بالطلبة الجزائريين في الصفوف الاخيرة في فرنسا وحدثوهم عن الاسلام .

ـ يفترض ان يكون اتحاد الطلاب المسلمين في اوربا قد عقد مؤتمره السنوي في منطقة جميلة بوسط فرنسا بين الثالث والعشرين والخامس والعشرين من ديسمبر .

ـ تنظم رابطة الطلاب الاسلاميين في فرنسا ، بالتعاون مع الدكتور محمد حميد الله الاستاذ بجامعة السوربون ، والاستاذ مالك بن نبي ، رئيس جامعة الجزائر ، القاء محاضرات في عدة مدن طلابية فرنسية خلال الشهرين القادمين .

ايطاليا :

※ بالنظر الى تباين مواعيد رؤية الهلال بين مختلف البلاد الاسلامية اكثر من اية سنة مضت ، فقد احتفل المركز الاسلامي الثقافي بايطاليا بعيد الفطر السعيد يوم الاثنين المصادف 30 نوفمبر لكي يوافق بين مواعيد حلول العيد في بعض البلاد العربية وبين باكستان وايران وافغانستان واندونيسيا ، وحضر هذا الاحتفال جمع غفير من المسلمين من بينهم سفراء البلاد الاسلامية المعتمدين لدى كل من الجمهورية الايطالية والموظفون المسلمون في مختلف المنظمات والمؤسسات الايطالية والدولية .

وبعد سماع آيات الذكر الحكيم اقام الصلاة فضيلة الشيخ جمال الدين الهلالي ، امام وخطيب المركز ، واعقبها بخطبة العيد اشاد فيها بهذا اليوم العظيم ، يوم أحل الله فيه الطعام وحرم فيه الصيام وختم به شهر رمضان الكريم وافتتح به شهور الحج الى بيت الله الحرام ثم ذكر المسلمين بحق الفقراء والمساكين واخراج زكاة الفطر عن خالص اموالهم واحل مكاسبهم عن كل صغير وكبير ممن تجب عليهم نفقته وتلزمهم مؤونته فانها كفارة للذنوب ووسيلة لقبول الصيام ، ثم قال :

ان هذا الدين الحنيف ليس دين تزمت وانزواء بل هو حافز على معاركة الحياة ومجابهتها في شتى المجالات الى جانب العبادة لله تعالى ، والاسلام دين عقيدة ونظام وعبادة ومعاملة دين شريعة وقانون ودستور ودولة ، انه دين الهي جامع لخير الدنيا والاخرة ، محقق للسعادة متضمن اسباب الحياة الطيبة صالح لكل زمان ومكان .

وقد اختتم الامام خطبته مشيرا الى ان يوم العيد الذي نحتفل به هو يوم من ايام الله يتجلى فيه على عباده بالرحمات ويحفهم بالخير والبركات فيكسوهم فيه بنعمه ويدل عليهم ببره وكرمه يستجيب لهم الدعاء ويجزل لهم العطاء .

لوس انجلس :

※ دعا الدكتور صبري الفرا رئيس المؤسسة الاسلامية في نورث كاليفورنيا الى تعزيز الدعوة الاسلامية ونشرها في الولايات المتحدة وناقش في مقابلة صحفية نشرت في صحيفة لوس انجلس تميز احوال الاسلام في الولايات المتحدة وقال ان أتباع الاسلام يتركزون في حوالي 20 مدينة ويبلغ تعدادهم 2 مليون نسمة .

والدكتور الفرا هو من مواليد فلسطين ومضى على اقامته في الولايات المتحدة 18 عاما .

وقال ان جماعة المسلمين في نورث كاليفورنيا هي الآن افضل تنظيما مما كانت عليه . وان امام هذه الجماعة هو الدكتور محسن البيلي المحاضر في جامعة نورث كليفورنيا .

واخبر الدكتور القرا ان المجلس الفيدرالي القومي للجاليات الاسلامية الذي مضى على تاسيسه 21 عاما سيعقد مؤتمره القادم السنوي في اوس الجلس لاول مرة وسيدوم من 2 الى 5 يوليو القادم .

وتحدث الدكتور القرا عن الاسلام فقال : « ان للاسلام مساهمة ايجابية فى هذا الوقت الذي يكثر فيه الحديث عن القيم الاخلاقية والجيل الحديث » .

وقال اننا نقدر جهود حركة المسلمين السود لصالح الاسلام غير اننا لا نشعر ان لديهم فهما حقيقيا وكاملا عن الاسلام . ونأمل ان يتم تصحيح ذلك كلما اتسع نطاق التسهيلات التعليمية .

كنـــدا :

* يبلغ عدد المسلمين فى كندا عشرة آلاف ، منتشرين فى مونتريال ، اوتاوا ، تورنتو ، وندسور ، فانكوفر ، وغيرها . ويتركز نصفهم تقريبا فى تورنتو .

ويراس جمعية مسلمي تورنتو الدكتور م . ي . بايع M.Q. Baig استاذ الدراسات الاسلامية فى جامعة تورنتو . وقد استاجرت الجمعية مقرا اتخذته بيتا للعبادة . وفى شباط (فبراير) 1969 اشترت الجمعية بناء كنيسة استبشارية ، وحولته الى مسجد ورغم ان مظهره الخارجي العام ما زال مظهر كنيسة الا انه من الداخل اصبح له محراب ومنبر ، وزينت جدرانه بالكتابات العربية ، كما فرشت ارضه بالسجاد وقد سمي بالمسجد الجامع ، وكلف مائة وخمسين الف دولار .

ويضم مسلمو كندا ــ الذين يتكون معظمهم من الاسيويين والافريقيين ــ عددا من الكنديين الذين تحولوا الى الاسلام . وابرز هؤلاء هو البروفسور توماس ب . ارفنغ البالغ من العمر 56 سنة والمتخصص فى الدراسات العربية والاسبانية . وقد اعتنق الاسلام منذ عام 1930 . وهو يعكف الان على اعداد ترجمة للقرآن الكريم الى اللغة الانجليزية الحديثة البسيطة . وقد سبق له ان نشر مختارات من الآيات القرآنية .

يوغسلافيـا :

* قام رئيس العلماء فضيلة الشيخ سليمان كمورا وبمعيته الشيخ نعيم حاجي عبديتش ، رئيس الرئاسة الاسلامية لجمهورية بوسنه وهرسك ، والحاج اشرف بربروويتش ، سكرتير الرئاسة الاسلامية العليا ، بزيارة طوزلا وباناالوكا ومستار وغوراشده .

وكان الغرض من هذه الزيارات الرد على اتهامات وجهها بعض المعارضين الى القائمين بأمر الشؤون الدينية .

هناك نفر من المسلمين يعتقدون ان القائمين بالشؤون الدينية لا يقومون بواجبهم كما ينبغي ولا يعتنون بمصالح المسلمين ولا يهتمون بحاجات حياتهم الاسلامية . ويتهمونهم بانهم اصحاب الكراسي والمناصب ومن الماجورين .

ثم كان هناك امر آخر اوجب زيارة رئيس العلماء ولقائه بالجماهير الاسلامية وذلك الامر هو قرار المجلس الاسلامي فى زاغرب لارسال مندوبه الى الفاتكان للاشتراك فى حفلة اعلان قداسة نيكولا طاويليتش .

رد رئيس العلماء اتهامات المعارضة ببيان ما قامت به الرئاسة الاسلامية العليا وسائر الهيئات الاسلامية من اعمال فى سبيل تقوية الحياة الدينية . كما بين ذنب المجلس الاسلامي فى زاغرب فى ارسال مندوبه الى الفاتيكان .

* تشكل الجماعات الاسلامية الجديدة فى بعض المناطق اليوغوسلافية التي لم يكن فيها المسلمون من قبل امرا مهما جدا له اهميته فى تاريخ مسلمي يوغوسلافيا .

ومن اقوى ادلة حيوية الاسلام فى يوغوسلافيا وقوة عزيمة المسلمين وصمودهم وثباتهم هو انشاء هذه الجماعات الاسلامية الجديدة فى بولا وبيبكا ولوبلانا وسيساك واوسييك ودبروونيك وزاغرب وبلغراد .

وقد شكلت المجالس الاسلامية وحلت مشكلة المسجد فى بلغراد ودوبروونيك وزاغرب واوموقتا وفى غيرها ، ويجري فى هذه الايام اتخاذ التدابير والاجراآت اللازمة لانتخاب المجالس والحصول على البناية التي تصلح لاقامة الصلاة فيها وللتعليم الديني ولمكاتب الادارة .

وفى هذه الايام قام رئيس العلماء الشيخ سليمان كمورا وفى صحبته الشيخ نعيم حاجيعبديتش والاستاذ حسين جوزو بزيارة بعض المدن والقرى فى

بوسنه وهرسك لجمع التبرعات والمساعدات لشـراء عمارة في بولا يقام فيها المسجد ومكاتب المجلس الاسلامـي .

※ ويواصل الاستاذ سنان الدين صوكولوبيتش نشر ببليوغرافيا لما نشرت في مجلة «غلاسنيك» من البحوث والمقالات .

كما يواصل الاستاذ ابراهيم كمورا ببليوغرافيا لما نشرت من البحوث والمقالات في الكتاب السنوي تقويم لجمعية « غيرت » و « اوزدانيتسا » .

※ الاستاذ حسن حسن ديدبيتش يبدي اهتماما عظيما بدراسة الآثار الاسلامية المعمارية في بلاد بوسنه وهرسك ، وله في هذا الحقل بحوث قيمة ، نشرها في مجلة غلانسيك وفي غيرها من المجلات العلمية . وفي هذا البحث يكشف للقراء المعلومات المهمة فيما يتعلق ببعض الآثار الاسلامية في ناحية ليشتيتسا .

※ يحتل صفوت بك باشا غيتش في قائمة ادباء وشعراء وعلماء مسلمي بوسنه وهرسك مقاما رفيعا ، لا يناقسه فيه احد .

ولد ميرزا صفوت سنة 1870 ، وقد مرت على ولادته مائة سنة . وبهذه المناسبة يقوم مسلمو بوسنه وهرسك باقامة حفلات تخليدا لذكرى هذا الرجـل العظيـم .

قام صفوت بك بنشاط في مختلف نواحي الحياة وترك آثارا قيمة في كل منهـا ، اشتغـل بالسياسة ، وتولى منصب رئيس البرلمان ، ومع ذلك فانه لم يهمل الناحية العلمية واشتغل بالادب والتاريخ وله مؤلفات جليلة . وجدير بالذكر انه كان يلم باللغات الشرقية من العربية والتركية والفارسيـة وترجم من هذه اللغات شيئا كبيـرا ، خصوصـا في الادب والتاريخ .

ومن اهم مؤلفاته « البوسنويـون في الادب الاسلامي » كشف فيه عن عدد كبير من علماء مسلمي « البوسنة » و « هرسك » الذين كتبوا والفوا في جميع العلوم الاسلامية باللغة العربيـة والفارسيـة والتركية ، وبهذا شاركوا بنصيبهم الوافر في تكوين الحضارة الاسلامية ...

※ منذ زمن بعيد بدا المسلمون في يوغوسلافيـا يشعرون بحاجة ملحة الى انشاء كلية اسلامية ، فاتجه تفكيرهم الى ضرورة اتخاذ الاجراءات اللازمة .

ويسرنا ان نقول بانه قد تمت بعض الاجراءات وفي امكاننا الان ان نبدا العمل المباشر لانشاء هـذه الكليـة .

اعلان عن مباراة جديدة لحفظ الحديث النبوي الشريف

رغبة من وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية في اشاعة حفظ الحديث النبوي بين أكبر عدد ممكن من الفقهاء وطلبة العلم في المغرب ، وتنفيذا لرغبة امير المؤمنين دام له النصر والتمكين في الاهتمام بالسنة النبوية ونشرها بين رعيته المسلمة الوفية ، قررت هذه الوزارة اجراء مباراة عامة جديدة في حفظ ستمائة حديث فما فوق بين الاساتذة والطلبة على السواء بمناسبة شهر ربيع النبوي الانور لعام 1391 هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وذلك طبقا للشروط الآتية :

اولا : ان تكون الاحاديث ثابتة صحيحة مع ذكر اسم الصحابي راوي الحديث .

ثانيا : ان يأتي بالاحاديث المحفوظة عنده مرقمة ارقاما متتابعة في الكتاب الذي حفظها من البخاري او مسلم او غيرهما مع ذكر رقم الصفحة في دفتر خاص يكون عنده .

ثالثا : ان يقدم طلب المباراة قبل الاسبوع الاخير من شهر ربيع الثاني الذي ستجري المباراة في آخر يوم منه لعام 1391 .

رابعا : ان يكتب طالب المباراة عنوانه الكامل رفقة طلبه حتى يمكن استدعاؤه لليوم المعين كتابة .

وقد خصصت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ثلاث جوائز لهذه المباراة .

الاولى قدرها : ثلاثة آلاف درهم .

والثانية قدرها : ألفان من الدراهم

والثالثة قدرها : ألف وخمسمائة درهم

وفق الله الراغبين في احياء سنة المصطفى ونشرها بين الناس في عهد امير المومنين حامي حمى الوطن والدين نصره الله وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والسلام .